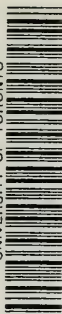
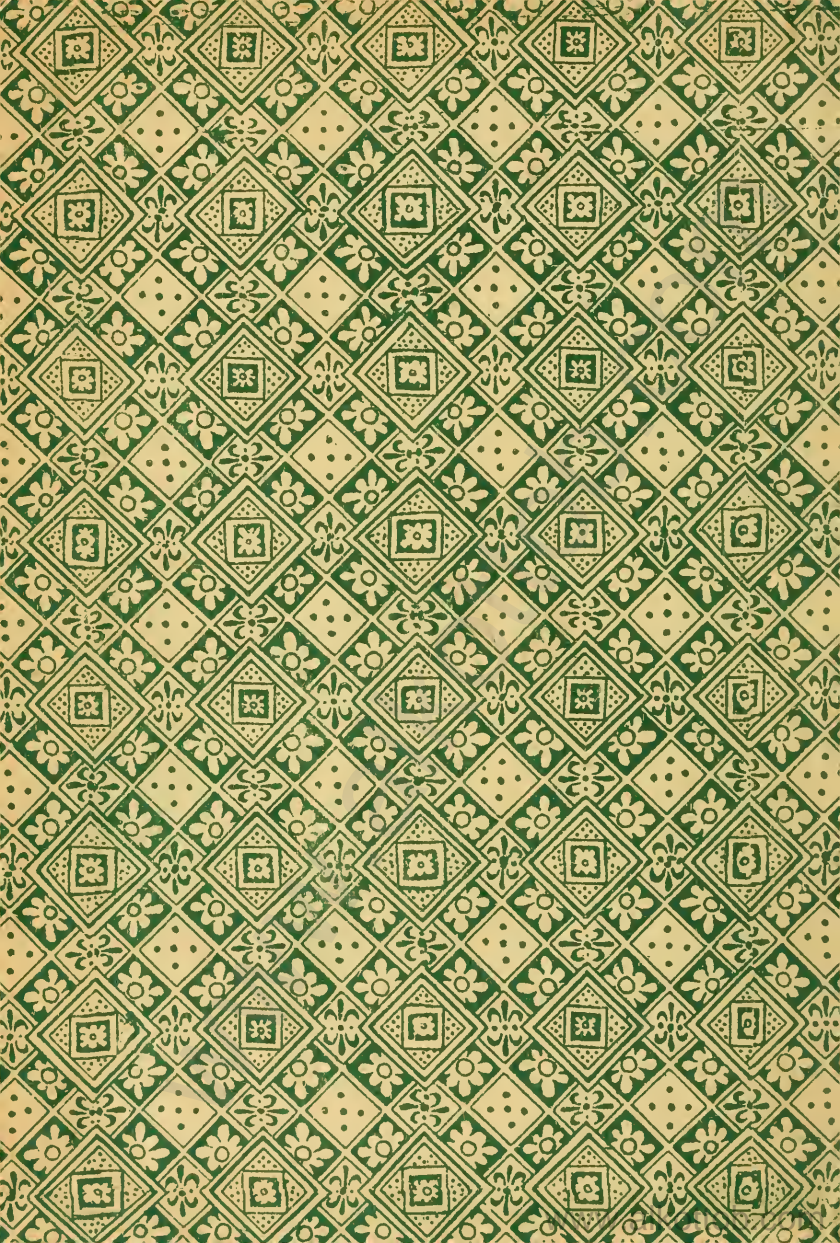


UNIVERSITY OF TORONTO



3 1761 01448336 6





www.alkottob.com

www.alkottob.com

عبارة ضد الدولة العلية والدول لا تتوانى اذاً في ارسال
أساطيلها عقب انذاراتها المتكررة
فاذا ارادت أوروبا أن تستريح من هذه المتاعب فلتعرف
كل دولة مركزها بازاء الاخرى ولتتخذ التاريخ عبرة
وتحترم شعور ثلاثمائة مليون من الانفس فلا تتعدى بلاحق
على دولة لا ذنب لها الا انها اسلامية وعرضة لدسائس
انكلترا» .. اه

وأما الحديث الثانى الذى جرى بين المرحوم وبين
جريدة الجورنال فقد كان مقتصرًا على المسئلة الارمنية وهو
لم يخرج عن فحوى حديث الجولوا

﴿ انتهى الجزء الثالث ﴾

وسلطانهم باسم الاستقلال الموهوم فينشأ عن ذلك اراقة
الدماء وخطف الارواح

وهذه اليديه يد انكليزية قامت لتشغل أوروبا عن
مسئلة مصر فخركت تلك الجماعة التي ظلمت من حيث طمعت
في ملك كبير وسلطان عظيم

واني لأشك في أن العالم كله سيقف على حقيقة السياسة
الانكليزية التي لا يخرج تاريخها في كل أطواره عن الدسائس
ونصب الاشرار لكل الدول على السواء. وكيف لا وهى السياسة
التي تجد الشرف في كل حيلة تصل بها الى نيل بغيتها ولو احر
وجه البسيطة من دماء البشر لتملك بيتا واحدا

وانه يدهشنا كثيرا موافقة الدول لانكترافي كل عمل
تريد القيام به ضد الدولة العلية. وهن لا يفتن لثيرى هذه الحركة
وهم معتمد وانكترا وقناصلها في الخارج الذين يثرون الخواطر
بكل الوسائل ثم محتالون على معتمدي وقناصل الدول الاخرى
فيزينون لهم الباطل حقا والحق باطلا وهؤلاء يبعثون بتقاريرهم
السريفة التي لوتليت على جماد لذاب من هول الافصاح بابشع

وأما طرق الإصلاح التي تقوم بها متى سلمت الينا
الاحوال فهي لا تخرج عن طرق الإصلاح في أية مملكة
راقية فنشر العلم بأسهل الطرق ونوفد البعثات الى أوروبا
ونعزز الصناعة والتجارة بما نشد به أزر الزراعة . وكذلك
نضع حدا لفوضى القوانين التي أصبحت خليطا من نظريات
عقيمة لا تصلح لاحقر أمة في الوجود . . . الى غير ذلك من
الإصلاحات التي تكون رسل خير بين العباد ومن البواعث
على خدمة الانسانية »

هذا ما أجابنا به (مصطفى كامل) وقد سألناه رأيه عن

المسئلة الارمنية فقال :

« ان العالم كله متفق على ان الافضل لكل قطعة من
الارض ان تكون مملكة قوية في ذاتها عوضا عن تجزئتها
الى جملة ممالك ضئيلة ضعيفة كذلك الحال في الدولة العلية
فانها دولة قوية بشهادة العدو والصدیق ولكن اليد السياسية
الدولية التي لا يستریح لها بال الا بمشاعات دولتنا المنصورة
تفش بعض سكانها من المسيحيين وتدفعهم الى مناوأة حكومتهم

واننا يا جناب المحرر اذا كنا نستغيث بأوروبا لتجبر
انكلترا على تحقيق وعودها وعهودها فما ذلك الا لاننا نخاف
كثيرا ان ينقرض مع هذا الاحتلال الجليل الذى تعلم
تعلما صحيحا فى مدارسكم أو على أيدي معلمكم ولا نجد من
يقوم مقامهم من الذين يتعلمون اليوم تعلما انكليزيا
وانى أوكد لك مرة أخرى ان الانكليز فى مصر
ليسوا الا هادمين لبنيانكم الادبى مدمرين كل حصن علمى
مطفئين كل نور يستعين به المصريون على كشف مساوئهم
أما السؤال الثانى وهو الضمانة التى تقدمها مصر
للدائنين اذا رحل الانكليز من ديارنا فهى أكبر من الضمانة
التي يقدمها الانكليز اليوم لأنهم ألغوا المراقبة الثنائية
ليتمكنوا من التصرف كيفما شاءت أهواءهم وما ربههم بأموال
البلاد

أما نحن فنقبل كل مراقبة دولية على ديون مصر
والجزء الذى يخصها من ميزانية البلاد ويكفى فى ذلك وضع
الثقة بأعضاء صندوق الدين الذين يمثلون الدائنين أحسن تمثيل

« انك سألتنى أولاً عن أمر أدهشنى كثيراً لا نك
تعرف مثلى انه يكفى لاستقامة الاعمال فى أى بلد ان يكون
مديرو دفتها مخلصين لها حاملين لرؤوس استقت من موارد
العلم الصحيح وهذا هو الحال فى مصر فان ماغرسته فرنسا
من بذور العلم فى بلادنا سواء بواسطة أساتذتها الذين توظفوا
فى مدارسنا أو بواسطة مدارسها التى علمت ارسالياتنا
السوية العديدة قد أخرج رجالا يعدون الآن بالآلاف
وفهم القانونى والمهندس والحكيم والصيدلى فضلا عن
الكثيرين من ضباط الاركان الحرب الذين تعلموا تعليماً
كبيراً عالياً سواء فى أوروبا أو فى مصر

وانى أوكد لك ان الاحتلال وغلطاته علمتنا كيف
نصلح ماأفسده الدهر علينا . ويكفى ان تقرأ تاريخ دى فوجانى
وغيره ممن كتبوا على مصر الحديثة لتعرف كيف ان فى مصر
جيوشا من الرؤوس العامرة والقلوب الوطنية الحكيمة
المخلصة وتحكم معى بان مصر قادرة فى كل وقت ان تحكم
نفسها .

جرائد باريس تطلب منه المحاذثة في المسئلتين المصرية والارمنية
وقد جرى بينه وبين جريدتين منها جريدة الجولوا وجريدة
الجورنال حديثان

اما حديث جريدة الجولوا فهاك تعريبه :

« زرنا مصطفى كامل المصرى فى شارع الاونيفرسيتى

وقد تحدثنا معه فى المسئلة المصرية موجهين اليه هذه الاسئلة

(١) هل فى قدرة مصر اذا رحل عنها الاحتلال ان

تدير شؤونها بنفسها كما يديرها الاجانب الان

(٢) وماهى الضمانة التى تقدمها مصر للدائنين محافظة

على ديونهم اذا انجلي الانكايز عنها

(٣) وماهى طرق الاصلاح التى يريد المصريون سلوكها

اذا سلمت اليهم مقاليد الامور

فأجابنا ثلاثة أجوبة لازى معها الا الاعتراف بكفاءة

المصريين واستعدادهم العلمى وادراكهم مركزهم وتمسكهم

بمقروهم فقد قال مصطفى كامل بصوت باش ولغة صحيحة

وسرعة مدهشة

ومحط السعادة المقبلة

فعلی سیاسی أوروبا ان يدركوا مرا كزهم اليوم امام
الدولة العلية ولا يضعوا قلوبهم تحت تأثير ما يسمونه بالعاطفة
المسيحية . نعم اننا مسيحيون ولا نحب ان يظلم مسيحي واحد
على وجه الارض ولكن من الحكمة ان لا تسمى مسألة
أرمينيا بمسألة المسيحية كما يسميها ساسة بريطانيا لينوا على
أنقاضها آمالا لا تجول الا بصدورهم . بل هي مسألة عثمانية
محضة . . . » اه

وقد اهتمت الجرائد الانكليزية بهذه الرسالة فبعض
الجرائد الحرة استقبلها ببرود اما جرائد المحافظين فقد سبت
الكاتب أقبح السباب . حتى جريدة ذي ستندرد أشارت الى
الرأى العام الانكليزى بالأّ يعير هذه الكلمات آذانا لان
انكترا لا تخدم فى هذه المسئلة الا الانسانية . الى آخر
ما تقولت

*
* *

بعد ذلك ورد على المرحوم كتب كثيرة من أغلب

قلم اذا رأى الدولة العلية فى نزاع سياسى مع أية دولة أخرى
وقد قالت جريدة الاكلير فى هذا الصدد ماتعريبه :

« ان ماتنشره الجرائد الانكليزية بسبب حوادث
الارمن المفققة لما يثير عواطف المسيحية والمسيحيين . ولكن
يجب على هؤلاء وأولئك الذين يسلمون عواطفهم لارادة
الخيال التى لاتصورها الا الاغراض الانكليزية المستترة ان
يرأفوا بهذه العواطف حتى لانرى فى أواخر القرن التاسع
عشر مشهداً من مشاهد تصادم الجبلين الراسخين فى العالم
وهما المسيحية والاسلام . ويكفى لمن يريد الوقوف على شعور
المسلمين بازاء هذه السياسة الارمنية ضد تركيا ان يقرأ مقالة
ذلك المصرى العظيم الشاب ونعنى به (مصطفى كامل) فلقد
كشفت فيها اللثام عن أمور كثيرة وأبان بصريح العبارة
مقدار تعلق المصريين وهم ملايين من المسلمين الذين يشغلون
مركزاً عمرانياً كبيراً فى العالم بالدولة العلية التى فيها مركزهم
الدينى والسياسى . فالاستانة ليست فى نظر المسلمين عامة الا
قبة يولى كل منهم وجهه شطرها ويعتبرها مبعث النور الدينى

بالثبات عليها صالحهما وصالح السلام العام
فيجب عليهما اذن ألاّ تحذوا حذوا انكلترا . وان
سياسيين ماهرين كمسيو هانوتو ومسيو لوبانوف لا يمكنهما
أبدا ترك هذه الفرصة تضيع دون أن يقويا احترام بلادها
وتفوذها في الشرق . وانه يكفي العمل ضد رغبة انكلترا
لتسكين خواطر المسلمين ونيل ثقتهم

فعلى فرنسا والروسيا اجراء الاصلاحات بالسلم والوداد مع تركيا
والسعى لتحرير مصر - التي لا يغفر المسلمون أبدا أمر احتلالها -
وترك انكلترا تلاقى وحدها نتائج سياستها العدائية للاسلام
ألا ان الفرصة جميلة لا يصح اغفالها حيث انتهازها
واجب ليتحقق السلام العام الا لانكلترا اه

*
**

مانشرت هذه الرسالة التي كلها حياة وحقائق الا
وتناقلت ملخصها كافة الجرائد الخطيرة وعلقت عليها تعليقا
يوافق سياستها . فالجرائد الفرنسية أثنت عليها ثناء كبيرا
وأبانت ان المدافع عن حقوقه لا يطمئن له بال ولا يقف له

هيجان أو اضطراب

ولقد أحدث الانكاز في جده معركة جرح فيها قناصل
انكلترا والروسيا وفرنسا . ولا يجهل أحد في الشرق ان هذه
المعركة دبرها الانكاز ليشيروا في روسيا وفرنسا عواطف
السخط على تركيا وليحملوا هاتين الدولتين علي زيادة
التداخل في المسئلة الارمنية لانه يلزم أن يكون الانسان
ساذخا جداً حتى يظن ان التوافق بين معركة جده وتداخل
الدول الثلاث في مسئلة أرمينيا أوجدته يد المصادفة

وان كل دسائس الانكاز ضد الدولة العلية علمها اليوم
المسلمون جميعا في انحاء الارض وأصبح حنقهم علي الدولة
الانكليزية شديداً ولكن هلا يجب أن تتساءل تلقاء هذه
الحالة أي خطة تختارها روسيا وفرنسا ؟ أيتبعان خطة انكلترا
ويعلنان الحرب علي الاسلام ؟ كلا ان هذا المستحيل

ان الشرقيين عموما يوافقونني علي ظني بأن دولتين
كروسيا وفرنسا يدل ماضيها وحاضرها علي عدم تحزبها
ضدنا وعلي ميلها لنا لا تغير ان سياستها التقليدية حيث تخدمنا

لا يستطيع أحد انكاره وقد أثبتته حوادث عديدة وليس
العداء في هذه الحوادث يقف عند حد تشجيع الارمن ضد
الباب العالي فقط بل أيضا هو حاصل في تهيج وتحريش
المسلمين أنفسهم

وان للانكليز في مصر كما لهم في غيرها من البلاد
جرائد ينقدونها أجرة على مطاؤها في السلطان والمسلمين بأشد
لهجة وهي مع ذلك تسمى دائماً المسلمين « بالمتعصبين » .
وأى عمل يأتيه المسلمون ولو كان دعوة لمواجبات والآداب
يعتبره الانكليز عنوانا على التعصب

ولقد أرادوا أخيراً ان يلغوا بتهمة التعصب جريدة
المؤيد - التي هي الجريدة الاهلية الصادرة بالقاهرة - ويطردوا
مديرها « الشيخ على يوسف » ذلك الرجل المحبوب من
المصريين كافة ومن الاوروبيين غير الانكليز

فأى ذنب اقترفه المؤيد حتي يصح الغاؤه ؟ اقترف ذنب
ارشاد الجرائد الانكليزية الى الصواب ومنعه اياها - بماله
من التأثير والنفوذ العظيمين بين الاهلين - من احداث

عن الارمن بغيره نادرة المثال . وهو مع ذلك يتجاسر على الادعاء بأنه لا يقصد غير الدفاع عن الانسانية وان ليس لديه تحزب يدفعه ضد الاتراك ولكي يفتش على الابصار يقول انه لو تعدى المسيحيون على المسلمين لدافع عن هؤلاء ضد المعتدين عليهم

ليت شعري لماذا لم نر هذا الرجل الحر والخطيب صاحب الشعائر والاحساسات يحقق أقواله الجميلة ؟ فهام البلغاريون يذبحون المسلمين على الحدود التركية ويأتون بفظائع أثبتها التيمس نفسه . فما بال المستر غلادستون لا يدافع عن المسلمين كما دافع عن الارمن ؟

واني أتساءل ماذا يفكر الآن المستر غلادستون وأحبائه في أمر المذابح التي اتترفتها أيدي الارمن في عاصمة السلطنة العثمانية نفسها . أفي استطاعتهم أن يدعوا بأن المصادفة (لا شيء غير المصادفة) هي التي أهدت الارمن راية وأسلحة انكليزية ؟

ألا ان تحزب الانكليز وتعصبهم ضد المسلمين أمر

في القريم

ولنذكر القراء أيضا بان أعظم فشل ناله « عرابي » هو
من اعلان جلاله السلطان عبد الحميد عصيانه حيث كان
صدور ذلك الاعلان في خامس شهر سبتمبر سنة ١٨٨٢ أى
قبل حدوث واقعة التل الكبير بثمانية أيام

وفي هذا الاعلان الذى صدر بعصيان عرابي سمي جلاله
السلطان انكترا « بالصديقة الدائمة للحكومة العثمانية » فكان
ذلك من اكبر أسباب تئيط همم كل الجنود الثائرة

وهما قد زال اليوم عن السياسة الانكليزية غشاؤها
فأصبحت بريطانيا لاتملك الدولة العلية ولا تدعى انها صديقة
السلطان . تلك الدعوى العتيقة . بل أخذت تجاهر بالعداء
ضده ورجال سياستها يحرشون الارمن ويشجعونهم على
العصيان علنا ويحرشون المسلمين ويهيجونهم ثم ينادون
بالتعصب !!

والمستر غلادستون الذى لا يعنيه الآن أن يدافع عن
حزبه ولا يكلف نفسه كلمة واحدة في هذا الشأن نراه يدافع

وليس بالغريب اذا كان مسلمو الارض جميعا متهيجين ضد انكلترا ساخطين عليها . فاننا لسنا متعصين ولا كارهين لاوروبا . اننا نقدر فوائد المدنية حق قدرها ونريد ان نستفيد منها . ولكن لا يستطيع أحد ان ينكر علينا ان انكلترا تدعونا للهيجان كل يوم والى الخروج من دائرة همدونا وسكينتنا الى الحدة حتى احتجنا الى كنوز من الصبر والجلد . كيلا يظهر بمظهر العدوان .

ألا ان سياسة انكلترا لخطرة عليها ومن الصعب تصور أنها لا ترى ذلك الخطر . فهل جهل رجال السياسة الانكليزية مالا مير المؤمنين من النفوذ المعنوي فى العالم الاسلامى ؟

هل جهلوا ان بنى استطاعة السلطان عبد الحميد أن يقيم كل المسلمين على بريطانيا فى مستعمراتها نفسها ؟ اننا لا نقدم للقراء برهانا آخر على ساطة الخليفة العظيمة غير ما حصل فى حوادث ثورة «سيباى» الشهيرة التى لم تخمد نارها الا بأمر أصدره المرحوم السلطان عبد الحميد لمسلمى الهند يأمرهم فيه بكف كل مقاومة ضد حكومة جلالة الملكة فيكتوريا حليفته

يتيقظ ويدرك

وترى حركة خواطر المسلمين في الهند نفسها وهي
البقعة الانكليزية ليست بأقل منها في غيرها
وقد اتفق لي أن قابلت منذ شهرين انكليزيا «متبصرا
معتدلا» عالما بكل ماجريات الامور في الهند ترجم لي
مقالة ظهرت بتاريخ ٢٥ يونيو الماضي في جريدة مدراس
الاهلية (شمس الاخبار) تظهر بأجلى بيان كنه حركة
الخواطر الاسلامية التهيجة ضد انكلترا في الهند كلها

فلقد قالت هذه الجريدة بعد أن شرحت دسائس
انكلترا في أرمينيا مامعناد: «ان الانكليز يحرصون الارمن
في هذه الايام ضد تركيا ويوجدون خليفة المسلمين كل
أنواع الصعوبات والمشاكل غير مفكرين في نتائج أعمالهم
فماذا يتغنون؟ أحر با دينية؟. ليعلموها لنا حتى تسيل دماؤهم
ودماؤنا لاننا نفضل رؤية الموت الاحمر دون رؤية تقويض
أركان الخلافة». فليحكم القراء على تهييج الرأي العام من هذه
اللهجة الشديدة

انكلترا والاسلام

لا يوجد أمر سياسي أو اجتماعي ولا أى حادث يستحق استلفات أنظار أوروبا أكثر من حركة الافكار الاسلامية فى الساعة الحاضرة فلمؤمنون كافة متحدو الفكر لا يتحدثون فى المجتمعات العامة والخاصة الا عن انكلترا والاسلام ، وجرائدها الافريقية والاسيوية موافقة للرأى العام لاتمل من اظهار دلائل عداة بريطانيا العظمى للدوله العلية والخلافة ؛ وكل هذه الامة العظيمة الاسلامية التى لا يقل عدد مجموعها فى كافة الاقطار عن ثلاثمائة مليون من الانفس أصبحت معتقدة كمال الاعتقاد أن انكلترا هى الخصم الوحيد الابدى خصم الامس وخصم اليوم وخصم الغد

وان انكلترا لم يكشف عنها القناع ولا عن مقاصدها وأغراضها كشفا تاماً قبل حوادث أرمينيا . ولكن منذ عامت حكومة جلالة الملكة وجرائد الانكليز الدولة العثمانية هذه المعاملة العنيفة بسبب أرمينيا أخذ العالم الاسلامي

٥ ديسمبر سنة ١٨٩٥

وقد أخبرت المرحوم بكل ماجرى بخصوص

الاستغناء

*
* *

استمر المرحوم في حملته بشدة فكثرت رسائله ومحادثاته في كل بلد ومن المجلات الشهيرة التي استقبلت عمله بصدور ربح المجلة الحديثة (نوفل ريفو) التي هي من أشهر المجلات وهي مجلة مدام جوليت آدم . وقد قدم لها أول مقالة لتشرها فأعجبت بها وعرضت عليه ان تنقده على مقالاته أجرا كما هي العادة في أوروبا فأبى وشكرها على عطفها وأظهر لها أنها تدين الأمة المصرية بأسرها بخدمتها لمصر ونشرها آلامها واشتراكها في كلمة دفاع عن أمة جديرة بكل حنو وانعطف

*
* *

وهذه ترجمة المقالة التي كتبها المرحوم بمجلة (النوفل ريفو) المذكورة - وقت اشتداد الحوادث الارمنية - ونشرت بعددها الصادر بتاريخ ١٥ أكتوبر (عام ١٨٩٥) :

« جناب قومندان برنجی اورطه بياده هيجت بك
أشرف بتقديم هذا جنابكم مستقيلا من خدمة الجيش
الذي كنت ولا أزال أعمل فيه بكل حواسي حبا في حسن
القيام بواجب الخدمة . لان الظروف العائلية الخاصة هي التي
دفعتي الى ذلك ولعزتكم كل احترام من الملازم الاول
على فهمي »

سواكن في يوم السبت ٥ اكتوبر سنة ١٨٩٥



ماقدمت لجنابه هذا الطلب وترجمه له المترجم حتى غضب
ودعاني اليه وسألني ان أسترده هذا الاستعفاء لان الوقت وقت
ضرب نار والاورطه في حاجة الى (لاني كنت ملاحظ ضرب
نار المحطه) واستعان على بكبار ضباط الاورطه الوطنيين
فقبلت استرداده (وكان الله أراد أن يعاقبني على هذا
الاسترداد ليعلمني ويعلم كل مصري التمسك بالارادة والتوكل
عند العزم وعدم التردد في الامر) وبقيت أعمل في الاورطه
حتى صدر الى الامر بغتة بالسفر الى مصر وقد وصلتها في

الام و رغبتك في ترك الجيش ان أعمالى مستمرة وان الانكاز
الذين يتباهون على كل الامم بالحرية العالية والعدالة النادرة
وعدم التظاهر بالتأم من أعمال الخصم أصبحوا كالأطفال امام
أعمالنا فلم يتمالكوا أنفسهم من ابداء المهمل في كل مكان . ولو
اطلعت على جرائمهم لعرفت مبلغ تغيظهم وحنقهم على المصريين
عموما وعلى خصوصا

ولما كنت يا أخى في مركز حرج بل خطر على
مستقبلك وقد سئمت نفسك الخدمة فأنا أول من يشير عليك
بتركها حالا مصطفى كامل «

باريس في ١٢ سبتمبر سنة ٩٥

*
**

مافضضت الكتاب حتى فرحت كثيرا وودت تقديم
طلب الاستعفاء حالا لولا انه كان قبيل مساء يوم الخميس
فانتظرت حتى يوم السبت ١٥ اكتوبر سنة ٩٥ وقدمت
استقالتي بيدي جناب القائم مقام هيجت بك قومندان الاورطة
الاولى وقتئذ وهذه صورة الاستقالة بالحرف الواحد :

نسيانه اسمى الذى كان يذكره قبل عريضة مجلس النواب
(أى قبل سفره الى مصر) عشر مرات فى اليوم الواحد
على الاقل

وقد كرر ياأخى هذا الرجل مناداتى باسمك مماألزمنى
الى شكواه لقومندان الاورطة الذى طيب خاطرى
وقد أدرك ضابط عظيم — مصرى من اخواننا وهو
حضرة ان السبب فى الضغط علىّ وتسميتى « مصطفى »
لم يكن الا تألما من عملك ضد الاحتلال فى أوروبا . ولذلك
أرجو منك ان تحسن علىّ بكلمة فيما عرضته عليك من زمن
وفضلت الانتظار قليلا لاجل رأيك ألا وهو الاستقالة من
هذه الخدمة الثقيلة لان البعد عن مخالطة هؤلاء الكباد
الغلاظ غنيمة »

سوا كن فى ٢٤ اغسطس سنة ٩٥

وقد استلمت فى ٣ اكتوبر خطابا منه ففتحته بلهف
وقد جاء فيه رداً على سؤالى مانصه :
حوى كتابك سرا كبيرا فقد علمت مما أظهرته من

السياسية وبعد ان علم الضباط الانكاز انى شقيق خصمهم
الالذ ولهذا المناسبة أثبت هنا نص ما كنت أرسلته اليه
شا كيا حتى نبني عليه ما يأتى من المناسبات . وهو بعد التحية
والتسليم :

« وقفت على كل شىء تفضلت بارساله الىّ ولكن هل
وقفت أنت على ما أنا فيه من العذاب الاليم ! انك طبعا
لا تعرف حالى فاليك شرحه

شعرت بتغيير فى المعاملة من رؤسائى على أثر وصول
البكباشى جديج من مصر حيث كنا يوما فى مناورة تولى هو
فيها قيادة أورطة وتولى القائم مقام هيجت بك قيادة اللواء وقد
كنت أعمل فيها كأركان الحرب لسعادة اللواء

وبعد ان انتهينا من المناورة جاء الى البكباشى المذكور
(وهو الذى عاشرنى ثلاث سنوات ويعرف اسمى كما يعرف
اسمه) وقال لى بصوت منكر « لم لاتنضم الى الاورطة
يامصطفى افندى » . فقلت له انى ياور اللواء ويجب ان أرافقه
الى البيت وراجعتة فى صحة اسمى واندهشت فى نفسى من

أستاذ الاساتذة فى غرسه وطريقة تلقينه .

ان الاحتلال الانكليزى يريد بعمله هذا ان يحارب العلم باسم ترقية الامم ويرجع بتلك الامة القديمة ذات التاريخ المجيد الى القرون الوسطى

ان اسماعيل باشا الخديوى الاسبق لمصر قال - وله الحق ان يقول - ان مصر قطعة من أوروبا وقد اعتمد فى قوله هذا على العلم الذى نقله اليها بواسطة حيث تجد كبار الوطنيين الذين هم الآن من كبار الرؤوس المصرية وأصحاب المراكز العالية أبنائنا فى العلم

فهل لا تخجل حكومة جلالة الملكة من ان يمثلها وكلاؤها فى مصر هذا التمثيل المخجل !! « اه

*
* *

مضت الايام ولم يرد الى من المرحوم حتى اليوم الثانى من شهر اكتوبر خطاب حتى أصبحت مشغولا وقد كنت منتظرا منه الرد على كتاب أرسلته اليه وأبنت له فيه الاضطهاد الذى ألاقه كل يوم وخصوصا بعد قيامه بهذه الاعمال

وها قد أشيع أخيرا انهم سيرفتونه مرة ثالثة تنفيذاً
لفكرة عقابه على كونه ذهب لرؤية مسيو فيليكس فور !
هذا هو الجواب الذى أجب به الوطنى المصرى على
ذلك السؤال . ولقد كان من الضرورى كشف النقاب عن
مثل هذه الاشياء واظهارها علنا لان فرنسا في حاجة الى
معرفة أصدقائها من غيرهم اه

*
* *

ما نشر هذا الحديث حتى تناقلته أغلب الجرائد الفرنسية
الخطيرة وحملت على أعمال الانكاز في مصر حملة أحدثت دويماً
هاثلا في كل أنحاء أوروبا وقد عضدت الصحافة الفرنسية صحف
كثيرة أوروبية وفي مقدمها الصحافة الروسية . وقد قالت جريدة
الطان في هذا الصدد وهى لسان حال الخارجية الفرنسية ما تعريبه
« ان الحكومة المصرية أو بعبارة أخرى الاحتلال
الانكازى بالغائها الارسالية المصرية برهنت من جديد على
سوء طويتها نحو المصريين أولاً ونحو بلادنا ثانياً لانها
حرمتهم من جنى ثمرات العلم العصرى من بلد كفرنسا يعد

مستقبلهما اذا توجهها الى فرنسا مستندا في قوله على أن
الانكليز يعتبرون كل من تعلم في فرنسا عدوا ألد للاحتلال.
وان الامثلة على تصدى الانكليز في مصر للنفوذ
الفرنساوى ولحبي فرنسا لاكثر من أن تحصر الآن .
ويكفيني أن أضرب لك على ذلك مثلا واحداً . وهو انه لما
صعد مسيو فيلكس فور الى منصب رئاسة الجمهورية بمثاله
طلبة الارسالية المصرية في باريس رسالة تهنئة نظرا لما هو
مشهور عنه من انه من أحياء مصر العظام فتكرم مسيو
فيلكس فور عندئذ بدعوتهم الى زيارته في الايزيه فذهبوا
واستقبلوا استقبالاً وديالاً ينسونه أبداً حيث صرح لهم جنابه
ان لهم في الايزيه محبا يمكنهم الاعتماد عليه . فأجاب الانكليز
على هذه المظاهرة برفت مدرس اللغة العربية في مدرسة
اللغات الشرقية بباريس معلمين ذلك بانه كان الامام للمصريين
في زورتهم لمسيو فيلكس فور . ولولا أن مسيو كوكوردان
وزير فرنسا في مصر تداخل في الامر لما ألقى أمر رفته
الذى صدر مرتين

المعارف كآلة لهم أرمنيا شهيرا في مصر بجهالته وكفرانه بالنعمة
فبعد ان جعل هذا الارمنى نصف العشرة تلامذة الذين
صارت اليهم كمية الارسالية المصرية من الارمن مواطنيه
المنخرطين في سلك الجمعيات الثورية الأرمنية الغنى اليوم
مرة واحدة الارسالية المصرية حتى لا تعود فرنسا الكريمة
تهب مصر شبانا جريمتهم الوحيدة في أعين الانكليز انهم
مهدبون متعلمون وعلى الخصوص وطنيون ثابتون في الوطنية
ولسنا نأسف فقط على فقدان هذه الارسالية بل بنكها
ونؤمل من صميم قلوبنا في هذه الساعة المحزنة أن يتحقق
تحرير مصر عاجلا لتبعث هذه الارسالية الى الحياة بعد موتها
ولا تحسبن الغاء الارسالية آخر ما يأتيه الانكليز من
سياسة العداة لفرنسا المتبعة من سنة ١٨٨٢ . بل اعتقد أن
العراقيل والصعوبات تقام دائما في وجه من يتعلمون في
بلادكم . فلقد أراد أخيرا طالبان من الذين أتموا دروسهم في
مدرسة دار العلوم الحضور الى فرنسا ليكملا فيها معلوماتهما
فقال لهما وكيل المعارف (أرتين) بصفة صريحة انهما ينفدان

في سبيل تقدم لغتهم وانتشارها تراهم في مصر على العكس
من ذلك عاملين آناء الليل وأطراف النهار لاحلال اللغة
الانكليزية محل اللغة الفرنسية واليك البرهان :

قال اللورد روزبري في يوم من العام الماضي على مجمع
عام ان الانكليز في مصر لا يحبون أحدا في تعلم اللغة
الانكليزية بل ان المصريين هم الذين يتسابقون من أنفسهم
الى تعلمها . ولكن اتفق انه في اليوم التالي ليوم مقاله هذا
توفي ناظر المدرسة التجهيزية في درب الجمايز وكان مصريا
فلما علم اللورد روزبري بذلك أمر الوكالة البريطانية في مصر
ان تطالب من الحكومة المصرية تعيين انكليزي مكانه فعارضت
الحكومة ولكنها لم تفلح في معارضتها وتم بعد ذلك تعيين
الانكليزي ناظرا لتلك المدرسة . وهو مايدلكم على ان
جيرانكم الانكليز لا يتركون فرصة تمر دون استعمالها في
تقويض أركان نفوذكم الذي يعود علينا بالفائدة والذي غايته
شريفة

ولقد قلت لك في أول كلامي ان الانكليز استعملوا في

الامم المتمدنة . ولكن لا آراني مخطئاً اذا قلت ان أسماء « على مبارك باشا » و « على ابراهيم باشا » و « محمود باشا الفلكي » و « رفاعه بك » معروفة عندكم بأنها أسماء كبار علماء في مصر وكلهم كانوا من أعضاء هذه الارسالية الزاهرة التي هدم أركانها اليوم المحتلون

ولقد وجد الانكليز امامهم عند ما دخلوا مصر أمة متتورة منتشرة بين جميع طبقاتها مبادئ المدنية الغربية فلم يكن لهم بد من اباداة النفوذ الفرنساوى توصلوا الى استعبادها ذلك النفوذ الذي أنال مصر شبيهة متتورة عارفة بما لها وما عليها لا تقبل أبداً ترك الغير يسلبها بلادها

وبناء على ذلك وضع المحتلون أيديهم على نظارة المعارف العمومية وعينوا أساتذة من الانكليز في أكثر المدارس الاميرية . بل وأعظم من ذلك انهم وضعوا على وكالة المعارف أرمينيا اسمه (ارتين) استعملوه آلة لهم والفضل له في نشر اللغة الانكليزية في كل الارحاء

ومع ان الانكليز يدعون في أوروبا انهم لا يعملون عمالاً

اسمه في باريس . لأن آراءه في مثل هذه المسئلة لا ترد
ولا تحجج

فلما ذهبنا اليه وسألناه رأيه أجاب كما يأتي :

« أرانى سعيداً جداً لأن أجيئكم على سؤالكم في هذه
المسئلة التي تهتم ببلدنا كثيرا . فان الارسالية المصرية في فرنسا
هى احدى المنظمات الكثيرة القوائد الجليلة العوائد على
مدينة وادى النيل وسعاده . فقد أسسها « محمد على » رأس
العائلة الخديوية وصديق فرنسا العظيم بقصد تعليم الشبيبة
المصرية وتهذيبها وذريعة الى ادخال أصول المدينة الغربية في
مصر . وكانت عبارة عن بعثة عدد عظيم من الشبان المصريين
من وقت وآخر الى فرنسا

وقد تخرج من هذه البعثات أكثر من الف عامل
نشروا في مصر أنوار العلوم والمعارف والفنون والصنائع
فكانوا بذلك عمالا حقيقيين للمدينة . وليس بالمستطاع ان
اتى لكم بأسماء كل المشهورين الذين نبغوا من هذه الارسالية
وأوصلوا بلادنا الى حد من المدينة صارت معه تعد في مصاف

الغاء الارسالية المصرية

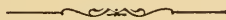
وقد كثرت الاعمال على المترجم كثيرة كانت تستغرق كل وقته . لأن الصحف اكثر من محادثته وكانت تستعين به في بعض ما تريد التأكد من صحته من الأحاديث عن الاسلام عموما والشرق ولاسيما مصر على الاخص . حتى ان جريدة (الكلير) الفرنسية الشهيرة التي يطبع منها ٣٠٠ ألف نسخة أوفدت اليه أحد كبار محرريها لمحادثته على أثر ما طيره البرق من الغاء الارسالية المصرية في فرنسا وقد نشرت هذا الحديث في عددها الصادر بتاريخ يوم الاثنين ٩ سبتمبر سنة ١٨٥٥ وهذا نصه :

« ورد علينا في الاسبوع الماضي تلغراف من الاسكندرية يفيد ان نظارة المعارف في مصر قررت الغاء الارسالية المصرية في فرنسا . ولما كان لهذا القرار مساس عظيم بنفوذنا في مصر فقد رأينا من المفيد أن نقصد من أجله (مصطفى كامل) . وهو الكاتب والخطيب المصرى الذى اشتهر

النهضة الالهية بل وتاج الحياة القومية

*
* *

وقد خطر على بال المترجم خاطر ساعدنا كثيرا على جمع هذا التاريخ من أوثق المصادر . وهذا الخاطر هو المحافظة على كل ما يكتب في جرائد العالم على المسألة المصرية وكل موضوع يذكر فيه اسمه فاشترك في شركتين من الشركات التي ترسل الى المشترك كل ما يكتب في العالم على ما يطلب من المواضيع . وعلى ذلك كانت ترد عليه كل قطع الجرائد التي تتكلم عنه أو تذكر اسمه في غرض تقديم عريضة الاستغاثة لمجلس النواب الفرنسي مكتوبة باكثر اللغات ومترجمة الى الفرنسية . ولا جرم أن ذلك كان منشطا للفقيد لأنه كلما رأى شهادة تاريخية ناطقة بفضل جده ووطنيته طلب المزيد بالعمل الصالح



ولا ماورد في غيرهما من الجرائد عن هذا الاحتفال الباهر فلعل
نار قلوبهم تبرد متى قرءوا هذا الخطاب الرسمي الذي ورد
الى المترجم من سعادة سفير الدولة العلية في باريس وهو بنصه :

« باريس في ١١ سبتمبر سنة ١٨٩٥ »

« سيدى

« يسرنى أن أخبركم بأن جلالة مولاي السلطان الاعظم »
« قد أمرنى أن أعرب لكم عن كمال رضى جلالتة العالى عن »
« الشهادة الناطقة بأمانتكم واخلاصكم للعرش الشاهاني أتم »
« وجميع اخوانكم المصريين النازلين فى فرنسا بما أبدىتموه »
« فى يوم عيد الجلوس المائوس . وأنا بتقديم تهنئتى لكم على »
« جليل تعطفات مولاي السلطان المحبوب أغتم هذه »
« الفرصة لا كرر عبارات احترامى واعتبارى لكم والسلام »
الامضاء (ضياء)

وقد استقبلت جرائد أوروبا وفى مقدمتها جرائد فرنسا
والمانيا نبأ هذا الاحتفال استقبال الشاكر المتوسم خيرا وهى
معجبة بهذا الاتحاد المتين وهذه الرابطة التى هى رأس مال

قبل هؤلاء المهوسين بأنها مسوقة الى الولاء بغير السائق
الطبيعى وانها اغريت على هذا الولاء بكونها صنيعه للامراء
والملوك

ولم تكن سعائيات الخائنين لتقف عند هذا الحد فانهم
كذبوا انفسهم بنفسهم ولم يكتفوا بأن كل عقل خالص من
الاهواء يعتقد كذبهم فيما يفترون . فقد رجعوا فقالوا وأعادوا
ان جلالة السلطان لم يحفل بهذا الاحتفال الذى أقامه المترجم
ودعا اليه فريقا كبيرا من المصريين الطائشين - فيما يزعمون -
فلم يمض على بهتانهم يوم أو بعض يوم حتى نشرت شركة
هافاس فى أنحاء العالم ماملخصه أن سفير الدولة العلية فى باريس
قد أبلغ المترجم عطف جلالة مولانا أمير المؤمنين وامتنانه
وكمال رضائه . فلم يخزهم ذلك بل قالو « ان هذا الافك
مبين » وما الافك المبين الا ما يكذبون ويفترون

فاذا لم يخز هؤلاء الكذابين ماروتة هافاس ولم تخزهم
اكثر من خمسمائة يد كانت تصافح يد المترجم مهنته له باخلاصه
لاميره ولدولته ولم يخزهم ما كتبتة الجرائد الفرنسية اذ ذلك

ودلوا من جهة أخرى على أن بعض النفوس سهل استغواؤها
هين استرضاؤها ولكن شتان بين من يبيع ذمته للاحتلال
بأنفس الاثمان ومن لا يرجو على ولائه واخلاصه لا ميرته
ولدولته جزاء ولا شكورا

هم حسبوا أن كل رجل يمكن أن يكون صنيعة وأن كل
قلب يمكن أن يشتري وكل لسان سهل أن يمتلك . ولكن
ما كل رجل مثلهم ولا كل قلب كقلوبهم ولا كل لسان كلسانهم
وإذا كانوا يرون أن مثل هذه المظاهرة تقام بأغراء من صاحب
الشأن لا بدافع من الاخلاص المستقر في الجنان فبئس ما وهما
وهم كاذبون . ما كان لرجل كالفقيد العظيم أن يستميله غير
ما يعتقد أنه الحق والصواب وما كان الهوى ليجد الى قلبه سبيلا
فماذا عسى يريدون باختلاق مثل هذه الفرية ؟ مصرى
وطنى من صميم مصر ولبها قام بواجب يفرضه الاخلاص
على كل مسلم قادر يقال انه صنيعة جلالة صاحب الاحتفال ؟؟
رحمك اللهم بقلوب أكلها الحسد ونفوس قتلت من الخسة
والدناءة ورضوانك على نفس طاهرة شريفة كانت تهم من

الا أن الذى يطعن عليه بأنه صنيعه أمير عظيم الشأن تارة وبأنه صنيعه الخليفة الاعظم تارة أخرى وهو لم يجاوز العشرين من سنى حياته الطيبة لجدير أن يكون كبيرا وكيف لا يكون كذلك من يقولون ان سمو الخديو المعظم قد انتدبه عن الامة المصريه ليرافع أمام العالم فى هذه القضية الكبيرة وان جلالة أمير المؤمنين الذى يدعى لامره كل مسلم فى الشرق والغرب والذى اذا ذكر طوطئت الرؤوس لذكره مهابة واجلالا قد اختاره عوننا وظهيرنا فى هذه المسألة السياسية الكبيرة ??

لقد أراد الخائنون أن يصغروا من قيمة هذا الولاء ويتهموا صاحبه بهذه التهمة نخاب فألهم وأخفق سعيهم. لانهم حاولوا أن يقولوا ان ذلك الولاء صناعى لا طبيعى أى أن القائم باظهاره مأجور عليه أو هو مسوق اليه ولا يفلح كيد الخائنين . فانهم بهذه الدعوى قد دلوا على ما للمترجم من المقام الكبير وأن له من رفعة المنزلة وعظم الشأن ما يصح معه أن يتهم بأنه منتدب من قبل جلالة أمير المؤمنين لغرض سياسى

والاخلاص والدعاء

وقد نشرت شركات البرق نبأ هذا الاحتفال وطيرته الى أنحاء العالم فأخذت جرائد السوء - وقد تقدم وصفها وهي معروفة بسيماها - تصيح بالويل والشبور وتندرك كما يقال بعظام الامور . وقد تفننت هذه المرة أيضاً في المراوغة والافتراء فقالت ان « مصطفى كامل » صنيعه جلالة السلطان بعد أن قالت انه صنيعه سمو الخديو وأصبح رحمه الله منذ ذلك التاريخ معتبراً في نظر الاوروبيين بحق أنه نائب الامة المصرية ورئيس الحزب الوطنى المصرى وفى نظرتك الطغمة صنيعه الامراء والملوك وكان هو أمام هذه الاوصاف العالية كبيراً

وكيف لا يكون كبيراً من يقال ان جلالة السلطان الاعظم وثق به من بين أبطال العثمانيين واختاره من بين مئتين من الملايين المسلمين؟ وكيف لا يكون كبيراً من يقال ان أمير اجليلا من أمراء الشرق اتدبه ليدافع عن القضية المصرية أمام محكمة الوجود؟

لانها طالما دافعت عن استقلال الدولة العلية . والامل قوى
في انها لا تغير نحوها سياستها التقليدية
وقصارى القول ان الراية العثمانية هى الراية الوحيدة
التي يجب ان نجمع حولها . ولا تحقق وحدتنا بغير الاتحاد
والائتلاف . فلنتحد قلباً ولساناً ولنكن يداً واحدة فى خدمة
الايوطان واسعادها . ولنقل اليوم جميعاً من صميم أفئدتنا
« ليحى جلالة السلطان عبد الحميد وليحى العباس . ولتحى
العثمانية ومصر »

*
* *

هذه هى خطبة المترجم فى ذلك الاحتفال الذى أقامه
ودعا اليه الكثيرين من الكبراء . قالها وهو يتلقى بين كل
فقرة وفقرة نظرة اعجاب ويحتلى بين كل عبارة وعبارة عاطفة
تكريم وكانت جوانب المكان تدوى بالتصفيق العالى
والحاضرون يؤمنون على دعواته وخواطرهم تتابعه فى عباراته .
ثم انه بعد ان استراح لحظة رفع باسم المجتمع رسالة برقية الى
لذات الشاهانية المحمية مضمنة أخلص عبارات المباركة

وان اجتماعكم اليوم هنا معشر الاصدقاء لبرهان آخر
نأتى به فى بلاد أوروبا على عظيم اخلاصنا لاميرنا وسلطاننا
وموافقتنا كل الموافقة على السياسة الحكيمة التى اتبعها سمو
العزير من يوم جلوسه على أريكة الخديوية المصرية
وحقاً ان سياسة التقرب من الدولة العلية لاجم السياسات
وارشدها . فضلاً عن الاسباب العظيمة الداعية لهذا التقرب
فان العدو واحد . ولا يليق بنا ان نكون فى فشل وشقاق فى
وقت يعمل فيه اعداؤنا على تجزئة دولتنا ويفرون الارمن
بالثورة والهيجان . الامر الذى اسخط العثمانيين الصادقين
جميعاً

ولا غرو ان كنا نتألم لآلام الدولة العلية فىنا نحن الا
أبناءؤها المستظلون بظلمها الورىف المجتمعون حول رايها .
فاصداؤها اصدقاءنا وأعداؤها اعداؤنا . ولذلك كنا نميل
بطبعنا الى فرنسا أكثر من ميلنا الى غيرها من أمم الغرب
ليس فقط لانها ساعدت مصر فى الازمنة الماضية على نهضتها
المدنية وحامت عن حقوق السلالة العلوية بل على الخصوص

الاستانة مركز اخلافة الاسلامية فمصر ولا محالة روحها
وفؤادها

ولقد عرفت الامة المصرية مقدار خيانة هذه الفئة الضالة
المضلة فاحتقرتها ونبذتها واعتبرت أقوالها تحريشاً على السوء
وتضليلاً فاختارت طريق السلامة والصواب وعلقت آمالها
باميرها العزيز سمو الخديو (عباس حلمي باشا) الذي اتبع في
سياسته أقوم خطة حيث تقرب من متبوعه الاعظم جلالة
السلطان (عبد الحميد) ووطد العلائق بين الدولة العلية ومصر
مما أخفق مساعي الاعداء وجعل أمانهم أحلاماً في أحلام
وان أكبر برهان برهنت به الامة المصرية على تعلقها
بكعبة أميرها المحبوب اتباعها السياسية الحميدة التي اتبعها
سموه وتظاهرها بالمظاهرات الولائية نحو الدولة العلية وجلالة
السلطان

ذلك الامر الذي قوبل من خصومنا بالحنق والغيظ
وكان ضربة قاضية على سياستهم التي من مقتضاها التفريق
بين التابع ومتبوعه

مصائبها تدهش العقول وتحير الالباب وان ما يأتيه أعداؤها
فيها لما تنبو منه الطباع وتنفر الاذان والاسماع

ومما زادها شقاء على شقتها نزول قوم من الخوارج
بأرضها لادمة لهم ولا عهد جعلوا النفاق شعارهم والقاء بدور
الفتن دثارهم فكانوا كالسهم في الدسم يدعون انهم اصدقاء لمصر
نصحاء للمصريين ويعلم الله انهم كاذبون فيما يدعون ولا
يعملون لغير ضياع البلاد وسلب أموال العباد . فماذا ينصحون؟
ينصحون بخيانة الاوطان وتسليمها الى أعدائها . فبئست
النصيحة وبئس الناصحون . وبلغ نفاقهم وخر وجهم على الدولة
ان طعنوا على المملكة العثمانية أقبح الطعن وسوءوا رجالها
من كبيرهم الى صغيرهم مدعين مع ذلك انهم يحسنون اليها
ويمهدون سبيل وحدتها . ولست أدري كيف يستطيع هؤلاء
الخوارج ان يدعوا هذا الادعاء وهم أول العاملين على اغراء
المصريين بتسليم زمام أمورهم الى الأعداء وأول الساعين
في فصل مصر عن الدولة العلية . وما ضياع مصر من يد
سلاطين آل عثمان الا ضياع للسلطنة نفسها . فان كانت

واشتداد البلبا

ولا غرابة ان ظهرتم في مقدمة المخلصين الصادقين
العاملين على اسعاد اوطاننا واعلاء شأن بلادنا وقد تربيتم في
حجر المعارف والآداب وقد رتم المدينة الغربية حق قدرها
فعرقتم كيف قامت وعلا شأنها واكتسبتم باقامتكم في هذه
الديار ملكة الحكم على الاشياء والمقارنة بينها وبين بعضها
فاصبحتم كالطبيب يعرف الدواء بتشخيص الداء . فنكم ومن
أمثالكم تطالب الاوطان بانقاذها من الخطر المهدد لها فانما
الساعة قاضية بالعمل لا بالحمول والسكون . فاتحدوا كلمة ومبدأ
واتركوا وراء ظهوركم الغايات الشخصية واعملوا باخلاص
تام وحرية ضمير حتى تشفى الاوطان من الداء العضال الذي
سرى في عروقها وأوصل صوت أنينها الى السماء

فبلادنا ليست في هذه الايام كسائر البلاد ولا سماؤها
كهذه السماء ولا هواؤها كهذا الهواء بل لا تشابه بينها وبين
هذه الديار التي نعيش فيها ونعجب بحريتها وسعادتها . بلادنا
ليس فيها من الحرية الا اسمها ومن العدالة الا رسمها .

القلوب واسترعى الاسماع واسترق الطباع . وقف وقفة
يذكرها له التاريخ الحديث بالشكر الجميل والثناء العاطر اذ
قام فيها بفريضة الولاء وأعرب عما يكن ضميره وتكنه
ضمائر المخلصين من حسن الالتفاف حول عرش الخلافة الى
حد الافتداء بالأفئس والنفائس وفرط التعلق بجلالة مولانا
السلطان الاعظم ذلك التعلق الذي ترخص فيه المهيج الغوال .
فقال ما يأتي بنصه :

« ابدأ خطابي بحمد الله على توفيقنا لهذا الاجتماع السعيد
الذي أظهرتم لي فيه من عواطف الود والاخلاص ماجعلني
كلي لسانا ارتل آيات الشكر والثناء عليكم . ثم أهنيكم وأهنيء
نفسى على الشعائر الشريفة والاحساسات الطاهرة التى
أبدىتموها في اجابتم دعوتى للاحتفال بعيد جلالة السلطان .
فان فى ذلك برهانا ساطعا على مبادئكم القويمة وثباتكم فى
مذاهبكم وآرائكم . فلستم ممن يغير نزول المصائب عقائدكم ولا
ممن يتعلقون بالفضائل حيناً ويتركونها حيناً آخر بل أنتم ممن
يزداد تعلقهم بالوطنية الحقيقية والمبادئ السليمة بازدياد الكروب

وبعد أن فرغوا منه أخذ جماعة من الكبراء يتوافدون حتى بلغ عدد الجميع نحو مائتين وأربعين ذاتا ليس فيهم الا الوطني الغيور والصحافي الماهر والسياسي الكبير ونا اكمال العقد وأن أوان الابتداء بالكلام وقف المترجم وهو في أتم واكمل ما يكون من الجذل والبشر وعلى خير ما يطلب من الصحة والعافية وعلى أحسن ما يكون من الرجاء المكين

وقف تغمده الله برحمته ورضوانه وقد أشرفت الوجوه والاضواء وخفقت القلوب والأعلام وتلأأ على الجباه البشر والأمل فرمقته الانظار بالاعجاب والاكبار وأنصت الجميع فاذا الصوت العالي بالوطنية الصحيحة والرجاء الثابت يهز أوتار القلوب هزا وينبه دقائق الاعصاب تنبيهاً لطيفاً. وقف وقفة تقطر ولاء واخلاصاً لعرش الخلافة الأسنى وللذات العلية المؤيدة بعناية وتوفيق من الله ذات جلاله مولانا الخليفة الأعظم فارتجل هذه الخطبة وقد ود سامعوه لو كان كل حرف منها كلمة وكل كلمة جملة وكل جملة خطبة قائمة برأسها ليستزيدوا من ذلك السحر الذي اجتذب أعنة

ويهبج المصريين ضد المحتلين . وكل هذا مما يدل على ان بقاء
الاحتلال في مصر مستحيل والسلام . اهـ

خطبتة على المصريين

« في باريس »

بعد ذلك جعل المترجم يبعث الى أصدقائه من الوطنيين
المقيمين في باريس ومن كبار السياسيين هناك داعياً الى
حضور وليمة كبيرة أقامها في يوم ٣١ أغسطس سنة ١٨٩٥
وذلك احتفاء واجلالاً لعيد جلوس جلاله مولانا السلطان
الأعظم أمير المؤمنين وخليفة رسول رب العالمين السلطان
ابن السلطان ﴿ مُحَمَّدٌ عَبْدُ اللَّهِ ﴾

وقد بذل جهده في جعل الاحتفال آية في الفخامة
والجلال ومظهراً من مظاهر الولاء للمكين
وقد أجاب الدعوة المدعوون جميعاً الى هذا الاحتفال
فاجتمع ثلاث وسبعون ذاتاً لتناول الطعام في مكان فسيح

أتقبل الأمم الأوروبية أن ترى يوماً ما انكلترا ناشرة لواء
سيادتها على ما بين الاسكندرية ورأس عشم الخير
هل حارب الأوروبيون السودانيين للمنفعة الوحيدة
لصناع بير منجمهم ومنشستر

هل من الممكن ان ترى في وقت ما انكلترا أو جنده
لا يقابلون على النيل الا الانكلترا سادة مصر
أمن الجائز ان الروسيين والالمانيين والفرنساويين
والايطاليين والنمساويين الآتين من البحر الابيض المتوسط
يجدون عمال الجمارك من الانكلترا على ثغور دمياط والاسكندرية
فيصدونهم عن السياحة على ضفاف النيل ؟ هل ذلك ممكن
الوقوع . ؟

أيصير السيرسسل رود واللورد كرومر أميري أفريقية
كل واحد منهما يحكم نصفها ؟

ألا ان وجود الانكلترا في مصر يخلق مشا كل كثيرة
ويضر بمصالح تجارية عديدة ويناقض مصالح الدول الاستعمارية
ويهدد حرية العقائد الدينية بين اسلامية وكاثوليكية واثوذكسية

بالطبع من كاثوليكيين وارتوذكسيين مع المسلمين لمطالبتها به
وأما من حيث الوجة السياسية والاقتصادية . فهل لم
يكن جبل طارق ومالطة وقبرص ومصر عبارة عن البحر
الابيض المحتكر . أو ليس امتلاك انكلترا لابواب السويس
والقصر وسواكن جعل البحر الاحمر بحيرة انكليزية
بل لننظر الآن الى آسيا كما يقول لنا ذلك الشاب
المصرى نشاهد مصر على أهم طريق العالم كله طريق البحر
الذى يوصل من أوروبا الى الشرق الاقصى وطريق البر
الذى عندما تتصل يافا بالاسماعيلية يوصل ما بين الخرطوم
والاستانة والخليج العجمى ومتى استولى الانكليز على مصر
أضر الاستيلاء كما يشاء هواه على علائق كل الامم التجارية
والسياسية والادبية

فأى حكومة أوروبية تستطيع حمل مسئولية تعريض
بلادها الى مثل هذا الخطر ؟ .. أيتصور العقل ان فرنسا
والمانيا وهولانده واسبانيا تستطيع عدم الاهتمام بمستعراتها
وترك طريق السويس البحرى الدولى لانكلترا وحدها

وكل يعلم ماذا يكون أمر الدولة العلية اذا لم تكن جده
تابعة لها بل تابعة لمصر الانكليزية
ومن البديهي ان أخذ جده سهل لمن يستولى على مصر
واحداث اضطراب فيها أمر يعد ابن الصناعة والذين نالوا
الانتصار في واقعة التل الكبير هم أول أساتذة العالم في معرفة
وسائل تحريك الاحساسات الدينية أو الاهلية التي يأخذونها
حجة لازالة آثارها واضرارها

وان من يرمى الى جده يرمى الى مكة ولكن هل
الثلاثمائة مليون من المسلمين يرضون بأن تنزع مفاتيح الكعبة
الشريفة من يد الخلافة ويصبح الحجر الاسود تحت رحمة
الحماية الانكليزية

ومتى صار الانكليز سادة مصر صاروا ثانی يوم سادة
بيت المقدس وكم سبب الطموح الى الاماكن المقدسة
حروبا لانهاية لها. أليس المسلمون وحمدهم هم القادرون
اليوم على حفظ التوازن بين الديانات والمذاهب فاذا
امتلكت انكلترا البروتستانتية بيت المقدس أمحدنا جميعا

وان مياه النيل القوية الخصبة الجارية في أغنى البقاع
الافريقية متى صار النيل انكليزيا عظمت المملكة الافريقية
الانكليزية شيئاً فشيئاً ووقفت الامم الاخرى موقف التأخر
تشاهد تقدم انكلترا التي تصبح يومئذ مفترسة للتقدم
الاستعماري العظيم

ومتى ملكت انكلترا النيل ملكت كل الاراضى التي
ير منها أو تجاوره. واذا أصبح قنال السويس فى قبضة بريطانيا
العظمى فهل يتصور ان طريق الهند والصين واستراليا يبقى
حرّاً؟ كلا ثم كلا

وان أعين الانكليز ترمق الآن الشام ومكة وبيت
المقدس وتحقق بها. وانه ينبغى على كل انسان ان يقرأ ما بين
أسطر الكتابات التي تنشرها جرائد لوندرد عن الشام وأرمينية
وجده ليتحقق من مرامى مطامع الانكليز فى الشرق. وهاهي
السرعة الغربية التي أظهرتها المراكب الانكليزية فى الذهاب
الى جده لنصرة جرحى حادثتها الاخيرة تبين لنا مقدار قلق
الانكليز ومقدار طموح أميالها الى أخذ جده

وقد بين لنا كاتبها « مصطفى كامل » في مقدمتها الصغيرة التي لا تزيد عن صحيفة واحدة ان ترك مصر تحت يد السلطة الانكليزية يدك معالمها ويهدم بنيانها وليس هذا يعد انتها كما حرمة كل حق وجناية على مقام الامم تجنيها أوروبا على أمة محبة للمدنية جديرة بالرعاية فقط بل هو أيضا يقاد لنار حرب هائلة لانهاية لها ويكون شبوبها في العالم أجمع كما أثبتته لنا الكاتب وهو يقول ان المصريين يعلمون ان وضع بلادهم الجغرافي يتمضى عليهم بالأبدا يعادوا الاوروبيين النازلين عندهم وانهم يفهمون جيدا ان مصر لا كون لها بغير أوروبا ولذا كان مبدأ المصريين « أحرار في بلادنا كرماء لضيقنا »

وانه (أى مصطفى كامل) يعلم جيدا ان الدفاع عن مصر ضد الانكليز ليس لثروتها بل لمركزها الجغرافي الذي يهم العالم أجمع أمره فان الدولة التي تحكم وادى النيل تصير الموزعة لكنوز افريقية على غيرها حيث تستطيع ان تحتكر تجارتها لنفسها ضد مصلحة أى أمة أخرى

على نبذة صغيرة الحجم لا يتجاوز عدد صفحاتها الاثني عشر
كتبها مصري « وطني » يحب بلاده حباً شديداً وقد جاء
ليدافع عنها اذ رأها فريسة أغراض الاجنبى وأودع هذه الرسالة
كل ما ينتجه الفكر السليم والتبصر القائم على أدلة وحجج
تفهم الذين جعلوا العمى مذهباً لهم أو تنير ما أشكل عليهم

والعنوان الثانى لهذه النشرة الصغيرة الحجم الكبيرة
الاهميه هو « نتائج الاحتلال الانكليزى لمصر » وهو لا يعدو
على شىء من المواضيع الا يوفيه حقه بل وزيادة لان اظهار
حقائق كبيرة مثل التى أظهرها كاتب هذه الرسالة لم
يأت أبداً في عبارة مختصرة وألفاظ قليلة مثل ما أتى فيها

وانى قرأت منذ واقعة التل الكبير كل ما كتب على
مصر فى انكلترا وفرنسا ومصر نفسها فلم أر قط المسئلة
المصرية موضوعة أحسن من هذا الوضع ولا مستتجة
نتائجها أحسن من هذا الاستنتاج ولا مرتبة أجمل من هذا
الترتيب ولا مبسوسة بتعقل وتدبر مثل ما بسطت فى هذه
الرسالة التى نحن بصددتها

لكي يظهر جلال الحق أمام خزي الباطل وبضدها تتميز
الأشياء

فلترك هذه الشذمة من الناس ونسر في طريقنا غير
ملتفتين الى الوراء ولنعذرهم قليلا فهم قوم باعوا ذمتهم بثمن بخس
وتعبدوا للاحتلال فهو عندهم الدنيا والآخرة والهناء والسعادة
ولا كرامة في الدنيا لما جور ولله في خلقه شؤون

*
* *

واننا لانعلق على تلك الرسالة بكلمة من عندنا وانما
نعقب عليها بما نشرته الكاتبة الطائرة الصيت في عالم السياسة
وهي مدام جوليت آدم فقد كتبت اذ ذاك في جريدة «البتى
مرسيليه» الفرنسية الشهيرة مقالة من أبلغ وأصدق ما كتبتة
الاقلام وهي أحسن ما يقال تقريرا للحقيقة لارداً على ترهات
أولئك المبطلين الذين ضل سعيهم وباءوا بخسران مبين
وهذا تعريب المقالة المشار اليها وقد نشرتها الجريدة
في عددها الصادر بتاريخ ١٧ سبتمبر سنة ١٨٩٥ : قالت
« ان هذا العنوان « اخطار الاحتلال الانكليزي » علم

أمراً غير عادى فيحتمل كثرة التفسير والتأويل وانما هى
مسألة واضحة لا يحتاج حلها الى عناء

ان الغاصب متى غصب حقاً خشى قوة الحق وان لم يتظاهر
بذلك . وسنته فى كل زمان ومكان أن يستأجر قوماً لا كرامة
لهم فينفث اليهم مايشاء ويبقى اليهم أغراضه فيروجوها بكل
سبيل . وهم الواحد منهم كما شجر الجدل بين الوطنية المصرية
والاحتلال أن يخرج من الميدان بكلمة ولو كانت هذه
الكلمة حجة عليه لا له . ولذلك ترى هؤلاء الاحتلايين كلما
نزلوا الى الميدان مخذولين لا يفتح عليهم بشىء خلا ما يفيضونه
اعتباطاً من السخائم والشتائم

وجدير بكل مصرىّ يخدم الحقيقة وينصر الحق أن
يعرض عن هؤلاء السفهاء ولا يعتقد بهم فان الاصغاء الى
ترهاتهم من أجل ما يتمنونه كى تطول المسافة على العامل .
وكم فى هذا العالم من أقوام لا هم لهم الا بطن يملأ وجيب
يخفل بالمال ومظهر يرفعهم فى عين من لا يعرفون معدن
نفوسهم وهؤلاء هم شرار الخلق الذين مالفتهم الدنيا الا

مخلصاً في خدمة وطنه أميناً على كرامته بلا دة لا يزاد كلاً حياً
الوطيس الا شجاعة واقداماً واذا لم يكفه في المعتك حسامه
استل بجانبه من عزمه الصادق حساماً

ولذلك كلما قرأ كلمة لخصم أو سمع كلمة عن حاسد مر
بها مر الكرام على اللغو متأدياً بأدب القرآن الشريف
وازدادت حميته وقويت على القوة عزيمته لانه عالم بأن عمله
مثمر وأن الخصم لا يسب ولا يهب الا هرباً من وجه الدليل
لان الظلمة لا تثبت أمام النور وأن ما يكيد به أولئك الخصوم
برهان على تفردهم في الوفاء بما عليهم لمستأجريهم من الوعود
والعهود. ولو كان الانجائز يحرصون على البر بمواثيقهم لمصر
برّ هؤلاء المأجورين للاحتلال لأصبح المصريون وقد رد
اليهم الملك المسلوب والحق المنصوب

ترى بالذي يدفع جرائم الاحتلال الى الصياح في وجه
كل وطني عامل ??

ليست المسألة سرّاً فيحزر القارئ ما عسى أن يكون
السّر. ولا هي معضلة تختلف في حلها آراء الباحثين. ولا

وجود المحتلين

فكان هؤلاء الناس الذين لازمة لهم ولا انصاف
بهم يرون أن مصر - هذا البلد الذي له من المجد التاريخي
ملا يدانيه فيه بلد في العالم - قد ابتليت بالعمق فهي لا تخرج
نجيباً واحداً وأن طبيعة المصريين ليست كطبائع سائر الامم
المهذبة وأنه قد كتب على هذا القطر أن يبقى رازحاً تحت
أثقال الاحتلال الى أجل غير مسمى فما أجراءهم على الكذب
والبهتان !

ولكن بجانب هذه الخزعبلات - بجانب تلك الترهات -
بجانب هذه الا كاذيب كانت في نفس الفقيد فطرة تجعلها
طرازاً وحدها وكان في قلبه من نور العناية العالية وعن
يمينه وعن شماله من رسائل التشجيع المملوءة حناناً وعظماً من
المصريين ماهو خليق به أن يزيد عزيمته في جهاده ان كان
ثمة محل للمزيد

فقد كان كالقائد الذي شعاره في الحرب « الى الامام .
الى الامام » لا يلوى على شيء من سفاسف المبطلين ومن كان

وان دعوى كهذه لاتدحض حجة ولا تقيم دليلا ولو كانوا يناقشون بعقل وروية لاستراح معهم مناظروهم ولكن الغرض يسدل على العقل حجابا كثيفا ويجعل الروية أثرا بعد عين ان كان لها عندهم وجود من قبل

على أن أمثال هذه السفاسف مما لا يعتد به كثيرا . وقد أحسنت الجرائد الوطنية . اذ قابلت تخرص الجرائد الاحتمالية بالتحقير والازدراء وأصلتها نارا حامية من البراهين الدامغة والحجج الساطعة وفندت دعواها حتى أخرستها وألزمها الحجة

وقد كان المصريون يقرءون تلك الخزعبلات الموحى بها من المقربين الى الوكالة أو التي تنزل على تلك الجرائد مباشرة وهم يسخرون من قوم يذكرون على ملايين من البشر أن ينبغ منهم نابغ يثل عرش الظلم ويجاهر بمقاومة الظالمين ويستكبرون على مصر أن يظهر تحت سمائها رجل يؤتى من قوة اليقين والجنان والبرهان ما يبين به للعالم أجمع أن في مصر أمة تن من ثقل وطأة الاحتلال ولا ترى الا الشقاء في

ثم ماذا ينتظر من جريدة تخدم مصلحة الانكليز وتسبح
بحمد الانكليز وترى الكمال كله ممثلا في الشخص
الانكليزي الا أن تحمل على الوطنى العامل حملة منكرة
وتشن عليه غارة شعواء وتكتب له بكل لفظ من ألفاظ
السباب ??

لقد تلقت جرائد العالم التى وصل اليها صدى هذه
الحركة مساعى فقيدنا بالتشجيع والترحيب خلا ذينك
الصفين صنف الجرائد الانكليزية والجرائد الاحتلالية .
فان هذه الجرائد - ونعنى القسم الثانى منها - قد استقبلت
هذا العمل استقبال الحائق المتألم الذى لا يجد برهانا يحاج به
خصمه غير الثلب والسب وما شا كل . وقد ترقت هذه
المره فى مطاعنها بابتكار طريقة لا تطفىء لهم ناراً ولا تأخذ
لهم ناراً فادعت . وشر البلية ما يضحك . ان هذه الرسالة رسالة
« أخطار الاحتلال الانكليزى » ليست من قلم الفقيده ولا من
بنات أفكاره وأن الذى كتبها رجل آخر . وهذه المراوغة
تدل على مبلغ ما عندهم من الغيظ والحنق لطف الله بهم .

الاحتلال الانكليزي» والتي نلخصها في « أن من يملك مصر ملك قنال السويس » وفي ذلك أكبر خطر على العالم المتمدن ذى المصالح التي لا يستهان بها في الشرق كله » اه
هذا مقالته احدى الجرائد الروسية المنصفة مما يصح أن يؤخذ نموذجاً لكتابة سائر الجرائد التي تتوخى الانصاف فيما تكتب وبمثل هذه الخطة العادلة يتأيد الحق ودعائه ويخذل الباطل وغواته

أما ما يكتبه الانكليز وأشيع الانكيز وأذئاب الانكيز في مثل هذا الشأن فان وجدان كل قارئ يحدته به بلا مرأء - ترى ماتقول جريدة انكليزية وهي تسمع أن المترجم اختار باريس مركزاً لأعماله الوطنية ضد أبناء التيمس وكشفاً للنستار عن أعمالهم على ضفاف النيل وبيانا لما للاحتلال من المساوىء والمضار؟ ألا ينتظر منها أن تفرغ مجيوداتها في الطعن على كل حركة تضاد مصلحة قومها وتتفضل على القائم بهذا الجهاد العظيم بما تشاء من أفاض التسوئة والتجريح??

ماشرت هذه الرسالة حتى طيرت ملخصها التلغرافات العمومية وعلقت عليها الجرائد على اختلاف مشاربها . وقد قالت جريدة النوفيا فريما الروسية في هذا الصدد ما تعريبه : « ان المصريين ابتداءوا يشعرون بوطأة الاحتلال الانكليزي فأخذوا يشرحون قضيته أمام أوروبا وقد اختار النائب عنهم (مصطفى كامل) باريس مركزا لاعماله التي ظهرت بوادرها منذ قدم العريضة والصورة لمجلس النواب الفرنسي مستنجدا بالحكومة الفرنسية للتدخل في حل المسئلة المصرية مذكرا بحكومة جلالة الملكة بالوعد والعهد التي فاه بها سواس الانكليز .

ونحن نصرح بأنه قد آن الا وان للنظر في هذه المسئلة الكبرى بعين دولية يكون أساس البحث فيها تلك العهود التي أخذتها انكلترا على نفسها أمام أوروبا والتي من شأنها اجبار انكلترا على احترامها

وليس لنا ان نشرح هنا ماسبق لنا شرحه وشرحه (مصطفى كامل) في رسالته الاخيرة التي عنوانها « أخطار

من السلطة والنفوذ المعنوي على الامم الاسلامية
لذلك كان الفكر يضطرب أشد الاضطراب كلما تخيل
التأرجح الهائلة التي ينتجها ضياع الدولة العثمانية اذ ليس ضياعها
الا الرجوع الى حالة الهمجية حيث تفقد المعاهدات معناها
وتصبح بغير عمل يوم تخرج الخلافة الاسلامية من الدائرة
الاوربية .

ومن كل ما ذكرنا يتضح جلياً ان احتلال انكلترا لمصر
خطر عظيم على العالم بأسره وان السياسيين الذين يعملون
لاجلاء الانكليز عن وادي النيل لا يؤدون فقط الواجب
الذي تفرضه عليهم عدالة أوروبا وشرفها بل يعملون أيضاً
للسلام العام والاتحاد النصرانية مع الاسلام . وبالجملة يعملون
لنصرة المدينة الغربية والسلام

مصطفى كامل «

ولقد أثبتت الحروب الصليبية أعظم اثبات ان أورشليم
لا يمكن أن تملكها دولة غير الدولة الاسلامية اذ بها وحدها
يوجد التوازن فيها بين كل المذاهب وكافة الديانات التي تتنازع
وطن أنبياء بنى اسرائيل وهيكل سليمان . وبقاؤها لهدى الدولة
الاسلامية خير كفيل لذلك التوازن الذى نراه الآن . وان
ضياع أورشليم من يد الدولة العلية الذى هو في الحقيقة ضياع
هذه الدولة نفسها يكون مصيبة عظيمة على المدينة وعنوان
حروب هائلة بين كل الامم المعتنقة لديانات مختلفة حيث
لا تستطيع واحدة منها دون الاخرى امتلاك ذلك الحرم
المقدس والمحافظة عليه

ومن نتائج سقوط الخلافة الاسلامية فتح باب وراثته
القسطنطينية وهو الباب الذى اذا فتح اندفع تيار القلاقل
والاضطرابات والارتباك منه حيث يصبح العالم ولا وسيط
بين الامم الاسلامية والامم المسيحية

ولقد احتاج العثمانيون الى زمن طويل حتى استطاعوا
أن ينخرطوا فى سلك الامم الاوروبية مع المحافظة على مالمهم

وقوع هذه الحادثة السيئة بالنسبة لكل الامم من الممكنات
على ان في استيلاء الانكليز على (أورشليم) أمراً آخر
هو من الاهمية بمكان. ألا وهو فصل الحجاز عن الدولة
العلية. فتصير الدولة بعدئذ كاحدى الامارات التى لا تتجاوز
أهميتها أهمية بلغاريا الحالية. وان خطارة هذا الامر تظهر
للتفكير من أول وهلة. فليست ثروة الشرق الاقصى وكنوز
افريقية شيئاً يذكر بالنسبة لجوار أورشليم

وان الطريق بين يافا والاسماعيلية الذى يوصل بسكة
حديدية من الخرطوم الى الاستانة ومن شمال افريقية الى
الخليج العجمى وآسيا الصغرى يكون بطبعه ذا فائدة جليلة
لانكثراً مما يحتملها على توجيهه مطامعها نحو الشام.
ووجود الدروز والارمن في فلسطين مع ما هو معلوم من
ميلهم للدولة الانكليزية. وكثير منهم آلات لها مما يسهل
بعد ذلك امتلاكها فلسطين. وفضلاً عن ذلك فان التجانس
الموجود بين السوريين والحجازيين والمصريين يدعوهم عند
تفرقتهم للاجتماع تحت حكم حكومة واحدة

استحكام الشقاق بينه وبين الباب العالى لمن أقرب الادلة على
صدق هذه القضية التاريخية . ومن المستحيل أن تكون
انكترا المضروبة بطمعها الامثال أقل حبا للفتوح من بونا برت ؛
وحيث أن تكون النتيجة من وراء ذلك انطموح سقوط بيت
المقدس تحت السلطة البروتستانية ! وهى نتيجة لانعرف
كيف يقابلها الكاثوليكيون والارثوذكسيون فى العالم أجمع .
ولا يخفى ان سبب حرب القريم بين دولتين من شأنهما
الاتحاد كفرنسا والروسيا كان هو الشقاق القائم بين
الكاثوليك والارثوذكس فى فلسطين . فماذا يكون الامر
عند ما ترفع انكترا البروتستانية رايها على « أورشليم » ؟

وعلى فرض ان البابا والتميزر يقبلان هذا الامر فماذا
يقول المسلمون الذين على ما كان بينهم من التفرق والشقاق
دافعوا عن هذا الحرم الشريف فى وقت الحروب الصليبية
وقاوموا النصرانية المتحدة ؟

وبماذا تجيب عندئذ الامم الاسلامية الحاكمة العثمانية
التي بسكوتها وخضوعها امام مطالب جيش (ولسلى) جعلت

ومن ذلك كله يرى انه من المستحيل رضى الدولة العلية
باحتيال شواطىء البحر الاحمر المصرية . والا فماذا يكون
شأن العالم الاسلامى اذا ضاعت منه مكة وقد قام دفعة واحدة
فازعج الامم طرا الماضاع منه بيت المقدس ؟ ولا جرم أن
ضياح « مكة » يدمى مقلة المسلم الواحد ويؤلمه آلاماً شديدة
فكيف والمعورة مسكونة بثلاثمائة مليون من المسلمين .
لا بد أن يحسب لهم حساب ؟

(٣) . ان أول نتيجة من نتائج اتصال السكك الحديدية
المصرية بسكك الشام وضع هذه البلاد تحت سلطة الانكليز
متى استولوا على مصر . اذ ليس بخاف على أحد أنه من زمن
الفراعنة الاول والخلفاء الراشدين الى الآن يرى من يستولى
على مصر مستولياً على الشام لاسباب سياسية وحرية لاجابة
لذكرها هنا . فاما أن يكون حاكم الشام حاكماً على مصر كما
هي الحالة الحاضرة واما ان يستولى حاكم مصر اذا أحس
من نفسه بالقوة على الشام كما حصل ذلك لحكام مصر في
أدوار عديدة . وان تجريدة (بونابرت) و (محمد على) وقت

عكفوا على عدم الخروج من ديارهم ان الكعبة التي كانت
من عهد « ابراهيم عليه السلام » ابي الانبياء والرسل المبارك
في ما من أصبحت على خطر

ومن البديهي انه لو كانت انكلترا صديقة للدولة العلية
ومن الدول الراغبة في المحافظة على استقلال أراضيها لا يتصور
وقوع حادثة كهذه . ولكن رجال السياسة الانكليزية ظهروا
في هذا العهد الاخير بمظهر العدو الالذ للدولة العلية فهددوها
تهديداً عظيماً ولا يبعد أن يقوم بين الدولتين خصام عنيف
كما لو أعلنت انكلترا حمايتها على وادي النيل وعندئذ لا يمنع
الانكاز مانع من تحصين ثغور البحر الاحمر وعند أول
فرصة تسير سفينة من سواكن أو القصير أو من أي شاطئ
من الشواطئ المصرية الى « جده » . والفرصة لمثل ذلك
سهلة فتكون اذا قتل أحد المالطين في جده مثلاً كما تكون
لو قام من الرعاع من يدعى الخلافة . لان انكلترا بما تدعيه
لنفسها عندئذ من حقوق الجوار تتداخل لتوطيد الامن العام
والسلام في الحجاز

والجزائريين والتونسيين والصينيين والهنود والعرب والجاويين
والزنجباريين وبقية الامم الاسلامية فليس استيلاء الانكليز
على مصر شيئاً آخر اذاً سوى استعباد انكلترا لامم الاسلام
كلها !!!

ذلك كله غير الخطر الذي يهدد « جده » و « مكة »

متى رسخت قدم الانكليز في الخليج العربي

فان امتلاك جده بعد امتلاك « بريم » يجعل بلاد

العرب الجنوبية وخصوصاً بلاد اليمن في حالة تشبه حالة
البلاد التي بعد سواكن متى احتلها الانكليز

والناس كافة يهتمون ماذا يكون مال الدولة العلية في اليوم

الذي تخرج فيه جده من دائرة سلطتها. فان هذا الامر الذي يظهر

مستحيل الحصول مادام البحر الاحمر معتبرا بحيرة عثمانية يصبح

حقيقة جليلة عقب وقوع أى خلاف بين الاتراك والانكليز

وقليل من السفن الانكليزية يكفي يومئذ للاستيلاء على ميناء

جده التي لا تحرز القوة الدفاعية الكافية. وعندئذ يعلم

فلاسفة السياسة الشرقية ورجال الفنون العسكرية الذين

أملاك فرنسا والمانيا وهولانده واسبانيا
ويكفي حين ذاك أن هذه الدول تتظاهر بالعداء لانكترا
بسبب أى خلاف لتضيق الملايين التى صرفها والضحايا التى
ضحتها فى سبيل الاستعمار هباء منشورا وتبيت مستعمراتها
ككندا والهند فريسة لانكترا السعيدة الطالع الماهرة !
فاى رجال سياسة فى أوروبا يرون هذا الخطر العظيم بدون
أن يهتموا به ويتحملوا مسؤولية نتائجه
أما حرية قنال السويس فلها فى أعين المسلمين أهمية
عظمى لان ضياعه يحول البحر الاحمر الى بحيرة انكليزية .
فيكون من الممكن وقتئذ تعطيل أداء فريضة الحج واقفال
طريقه اذا دعت الحاجة بمشدد الجنود الانكليزية فى بريم
وسواكن والقصير والسويس كما يقفلونه الآن على السودانين
وان الانسان ليستولى عليه الحزن عند ما يفكر فى نتيجة
هذا الامر وينظر الى هذا البحر العثماني الذى يصير اذا
ملكنت انكترا مصر ميدانا لسفن جلالة الملكة وهو اليوم
ملتقى للبوسنيين والمراكشيين والروسيين والجراسكة

الاتصال بينها وبين الممالك الاسلامية في السودان . وأما
الفرنساويون فان فوائدهم على شواطئ الجزائر وروابطهم
الدينية مع فلسطين عظيمة جدا . ويؤثر عليهم كثيرا ازدياد
نفوذ دولة قوية مبارية لهم في بحر لها فيه الآن أعظم السلطة
(٢) اذا وجهنا الآن أنظارنا الى آسيا رأينا مصر على
طريقين هما أهم طرق العالم . طريق البحر الموصل من أوروبا
الى الشرق الاقصى وطريق البر الذي يربط الخرطوم بالاستانة
والخليج العجمي عند ما تتصل يافا بالاسماعيلية بواسطة سكة
حديدية

فامتلاك انكلترا لمصر يكون اذا عبارة عن امتلاكها
حرية التصرف كما يشاء هو اها في علائق الدول السياسية
والتجارية والمعنوية . وأي حكومة ترى ذلك ولا تضع حداً
للاحتلال ؟ . أي حكومة ترضى اهمال أمر عظيم كهذا وتستطيع
أن تتحمل مسؤوليته ؟

ان امتلاك قنال السويس في وسط الطريق الدولي
البحري الكبير في بلد عظيمة الثروة مثل مصر يهدد مباشرة

والايطاليون الآتون من البوسفور وسلافيك وتريستا
وبرندزي ومرسيليا عمال الجمر ك الانكايز الواقفين في دمياط
والاسكندرية قد أقفلوا في وجوههم الطريق الوحيد الصالح
لهم أعنى به طريق النيل

ومن جهة أخرى فان مسألة امتلاك البحر الابيض
المتوسط اعتبرت دائما مسألة ذات أهمية عظمى مما حمل كل
دولة على أن تبحث لنفسها عن فرجة من شواطئه لتطل منها
عليه حتى تضايقت اسبانيا من وجود الانكايز في جبل طارق
وتكدت فرنسا من احتلالهم لمالطه . ولكن قبرص ومصر
خصوصا تزيدان كثيرا من نفوذ الانكايز في البحر الابيض
مما يضر على الاخص بالدولة العلية والروسية . وان هذه
الاخيرة تؤمل أن يرخص لها الباب العالى بالمرور من
الدردانيل حتى يكون لها في البحر الابيض المتوسط تمام
حريتها ولتباع بسهولة بلاد الشرق الاقصى فهي من أجل
ذلك تكره مراقبة انكايزها . والدولة العلية من جهة أخرى
صارت تخشى كثيرا على طرابلس الغرب التي باتت نقطة

على كل مصادر الثروة الداخلية الافريقية . فكان أوروبا لم
تخارب الأمم السوداء الا لفائدة الانكليز الدهاة . وان في
ذلك اليوم الذي تمتد فيه سلطة الانكليز من الاسكندرية
الى رأس عشم الخير يذهب نغار « سيسل رود » بانوار مجد
« وارن هاستنج » مستعمرو الهند حيث يكون أثر هذا الفاتح
الجديد أعظم قدرا واكبر في التاريخ ذكرنا من أثر ذلك
المستعمرو الهندي

ولا يقبل العقل ان أوروبا تغفر لرجال سياستها حدوث
خطر اقتصادي مثل هذا . فان كان انكليز أوجدته يستلمون
تجارهم الآتية من الخارج بواسطة طريق النيل البديع فقرنسا
محتاجة لصرف الملايين لتحقيق أمنية السكة الحديدية التي
تود انشاءها في الصحراء . وعند ما يجد انكليز منشستر
وبرمنجهام طريق النيجر والكونغو حرة أمامهم لتوصيل تجارهم
الى سكان أفريقية الغربية ويجد انكليز الهند طريق زنجبار
وانكليز أستراليا طريق زامبيز ليبلغوا بحيرة طانجانিকা . يجد
الالمانيون وزملاؤهم الفرنسيون والروسيون والنمساويون

أفريقية كان من الضروري بقاؤه حرا . اذ لو فرضنا أن
السياسة الانكليزية تقهر قوة السودانين فان استيلاء
الانكليز على الخرطوم يكون مضرا جدا بتجارة أوروبا في
أفريقية الوسطى وهي الوادى الخصب المأهول بالسكان والذي
لا يزال مؤصدا الكنوز . والذي هو بسبب ثروته مطمح
أنظار الدول

فاذا استولت انكلترا على الخرطوم كانت ثروة ذلك
الوادى الرحب لها وحدها غير تاركة للدول الاخرى الا
مشاهدة آثار تقدمها الاستعماري العظيم

وفي الواقع ان استيلاء فرنسا على الجزائر وتونس لم
يضر قط بالتجارة العامة للدول الاخرى كما ان المانيا وبلجيكا
والبرتغال لم تستول وحدها على تجارة البقاع السوداء لان
أملاك هذه البلاد مقطوعة عن الداخل بصحار ومهامه قفرة
بخلاف انكلترا فانها اذا استولت على مصر « التي يكون من
نتائج الاستيلاء عليها الاستيلاء على وادى النيل كله » تمتد
سلطتها من الاسكندرية الى رأس عشم الخير وتضع يدها

وبامتلاك ثغور السويس والقصر وسواكن تصير
الدولة المالكة لمصر سيادة لا خلاف في سيادتها على البحر
الاحمر فتهدد مدينة جدة تهديداً مستمراً من حيث كونها
ثغراً ليس فيه من القوة الدفاعية ما يحفظه . ويكون من
السهل اذ ذاك أخذ الكعبة المقدسة بكل المدافع الحديثة
الطراز التي تخرق الفضاء على خط مستقيم

فمن يتدبر هذه النتائج ويضيف إليها أن قنال السويس
هو جزء من مصر وانه طريق الهند والصين واستراليا يعلم
داعى اهتمام الدول بامر مصر واعتبارها المسئلة المصرية
مسئلة اساسية

وعليه فان مصر بجوارها لمكة وبيت المقدس وباشمالها
على قنال السويس صارت مركزاً للعالم كله
وان من الاسباب المهمة التي دفعت انكلترا الى احتلال
بلادنا طمعها في الاستيلاء على السودان رغبة في الاستئثار
بكل تجارة وادي النيل
ولما كان النيل أحسن السبل الموصلة الى أجمل بلاد

الموضوع

(١) لما كانت مصر لا تقوم بسداد نصف دينها اذا بيعت في مزاد عمومي كان من المستغرب عند بعض الناس اهتمام فرنسا وغيرها من الدول الكبرى بأمر تحريرها من النير الانكليزي

على أن أولئك المتعجبين الجاهلين بحقيقة المسئلة المصرية لم يفتتوا الى أن محصولات مصر ليست هي داعى اشتغال العالم بامرها بل ان وضع وادينا الجغرافى هو السبب الحقيقى لكل ذلك. ومن الجلى الواضح أن الدولة التى تستولى استيلاء تاما على وادى النيل تصير بذلك ملكة أفريقية . هذه الارض العذراء التى أصبحت مطمحا لانظار كافة الدول التجارية . ولا بد أن يكون من نتائج استيلائها على مصر وضع يدها على الشام وبيت المقدس . ذلك الحرم الذى تعزه الامم بأسرها والذى سبب فى الماضى حروبا امتلأت منها البحار والوديان دماء مدة قرون فانتجت اضطرابا واختلالا فى أحوال الامم التى كان لها شأن فى تلك الحروب

في الشرق الذي يضعه الآن وجود الانكليز في مصر
ويقضى عليه اذا دام احتلالهم لبلادنا فسوف فيها شرحا في
البحاث أخرى

ويعلم القارىء مما أبينه هنا حقيقة ما يعتقد المصريون
بالنسبة لحالة بلادهم والآراء التي يشاركني فيها كل أبناء
وطني الدالة على اننا عالمون بأن وضع بلادنا الجغرافي يقضى
علينا باكرام كل الاوربيين النازلين عندنا ومعتقدون أن لا
وجود لمصر بغير أوروبا ولذلك فاننا بطلبنا جلاء الانكليز
عن وادي النيل وبيدل مساعينا لنوال تحرير بلادنا لا نريد
شيئا آخر غير تحقيق سعادتها وتقدمها ولا نطلب غير السلام
في أوروبا والمحافظة على حقوقها وامتيازاتها التي قررتها
المعاهدات الدولية

أما مبدؤنا فيكون دائما « أحرار في بلادنا كرماء
لضيوفنا »

واننا نتحمل كل مشقة ونضحى كل ما يضحى في سبيل
ترويج أعمالنا بالفلاح الاخير ونصرة الحق وتحرير مصر

اخطار الاحتيال الانكليزى

﴿ الاحتيال وما وراء الاحتيال ﴾

استهلال

ليس غرضى من كتابة هذه الرسالة استلفات الانظار الى مصائب أوطانى . وان كان هو الواجب الشريف الذى أؤديه باخلاص عظيم من صميم قلبي . بل غرضى هنا اظهار الاسباب المادية المشاهدة التى تجعل أولئك السياسيين الذين لم تستفزهم للآن بواعث الشعائر والاحساسات أنصارا لتحرير مصر لان الموافقة على تقويض أركان هذا البلد بالسلطة الانكليزية لا تعتبر فقط انتهاكاً لحرمة حقوق أمة محبة للمدينة جديرة بكل عناية بل هى أيضاً ايقاد لنار الحرب فى العالم أجمع

وما قصدت فى كتابة هذه النبذة الا التسكلم عن مسائل عامة . أما المسائل الخاصة كفوائد حاملى القراطيس المصرية التى يهددها الاحتيال الانكليزى أعظم تهديد ومقام أوروبا

وانى لمدين لمدير جريدة الاكسترا بلاط الذى كاتفنى فى
خدمة بلادى بما اجراه أحد محرريه من الحديث معى وما
نشره على العالم من الآراء الصائبة مستحفا حكومته على
التداخل فى حل المسئلة المصرية

وسأعود الى باريس غداً لنشر رسالة مهمة على اخطار
الاحتلال الانكائزى وسأبعث بترجمتها لجرائدنا الوطنية
فاقرأها وادع لاختيك أن يكون خادما نافعا من خدام
الوطن الامناء مصطفى كامل «

٦ اغسطس سنة ١٩٠٨

*
* *

عاد رحمه الله الى باريس فى ٨ اغسطس ونشر كراسة
متضمنة اخطار الاحتلال الانكائزى وهى الرسالة التى شرح
فيها الاحوال شرحا وافيا وهذا تعريبها

وان غاية انكثرا من امتلاك مصر هي الاستيلاء على
السودان واضعاف مصالح أوروبا في أفريقيا وأسيا حتى
تقوى مصالحها . ووظيفتها الآن في مصر اقفال المدارس
المصرية لتقليل عدد المتعلمين من الامة واستعمال الميزانية في
تكوين جيش من الموظفين الانكليز « اه

*
**

مانشر هذا الحديث حتى تناقلته الجرائد النمساوية الخطيرة
وغيرها وطيرته الشركات التلغرافية وقد أخذت الجرائد
الاحتلالية في مصر والانكليزية في انكثرا تشدد في حملتها
على المرحوم مظهرة اندهاشها من حركته المستمرة في كل
ممالك أوروبا . ولكن هذا الاستياء ما كان يزيد الانشطاء
وعملالا انه يدل بأجلى بيان على ان العمل ناجح ولا يستاء
منك خصمك الا اذا تألم من عملك ولا شيء يؤلم الغاصب
مثل نشر مساويه واذاعة جنائته على الحق وأهله

وقد أرسل الى رحمه الله من فيينا كتاباً قال فيه

« لقيت في هذه المدينة الزاهرة الزاهية كل حفاوة

مصر لا ملاك انكلترا وان حكومة النمسا والمجر التي أمضت المعاهدات المتعلقة بمصر وضمنت المحافظة عليها لا بد لها أن تقضى على بقاء انكلترا في بلاد الفراعنة . ولماذا لا تحرر أوروبا مصر . وقد حررت بلغاريا وصربيا ؟ ألسنا معشر المصريين كالبلغاريين والصريين في المدينة ؟ ان آلافا من شباننا النبهاء الذين تثقفوا بالمعارف والعلوم ينتظرون أشد الانتظار الساعة التي ترد فيها مصر الى نفسها حيث يستطيعون خدتها

وان الخطر الذي يهدد أوروبا من بقاء الانكاز في مصر عظيم جدا والخسائر التي تلحقها من جرائه لا تحصر ولا تقدر . فمصر هي مفتاح آسيا ومن ملك قنال السويس ملك مكة وبيت المقدس ويستحيل أن يرضى المسلمون في جميع اقطار العالم باستيلاء الدولة الانكازية على مدينتهم المقدسة . ان ذلك اليوم يكون يوم قيام المسلمين في الارض وهم نحو ثلاثمائة مليون من الانفس . ويوم اعلان حرب دينية تسيل فيها الدماء اكثر مما سالت في الحروب الصليبية

الانكازية عليهم فوق سلطة خديوهم . وفي كل يوم يزداد بين المصريين احساس التأم والتأذى من وجود احتلال أجنبي بين ظهرانيهم ويحب المصريون من صميم أفئدتهم لو اهتمت أوروبا كثيرا بشأن مصر وشعرت بالخطر الذي يهددمصالح كافة الدول اذا دام الاحتلال فيها

ولقد نزل مصطفى كامل في نزل متروبول وزاره أحد محررى جريدتنا فاخبره الكاتب المصرى بأن أمته تنتظر بصبر نافذ خلاصها وتحرير وطنها . ويقول انه من اوجب الواجبات على النمسا أن تكون في مقدمة الدول التى تهتم بشأن مصر لمبالحا من المصالح التجارية والسياسية فيها حتى صارت تريستا كأنها ميناء تشارك الاسكندرية في الشفعة وتلاصقها فى الجوار

وفضلا عن ذلك فان أمير مصر قد تربى فى فيينا على مبادئ المدنية والانسانية (ومصر شاكرة لفيينا على ذلك) ثم قال . وان أخطار الاحتلال هى واحدة بالنسبة لكل الدول الاوربية اذ ليس الاحتلال الدائم الاضافة

مقدمتها جريدة «الستاندار» الانكليزية لسان حال اللورد
سالسبورى . واليك ترجمة ماجاء فى جريدة «الاكسترا بلاط»
المذكورة بعددها الصادر بتاريخ ٢٨ يوليو سنة ١٨٩٥

« ان فى فيينا اليوم ضيفا كريما محترما هو « مصطفى
كامل » أحد كتاب مصر الفضلاء وهو شاب حديد الفكرة
بعيد النظر اشتهر اسمه فى وطنه وفى أوروبا أخيرا وهو الآن
يجوس خلال القارة الاوروبية مطالبا باسم الوطنيين المصريين
بتحرير بلاده من ربة الاحتلال الانكليزى

وبديهى أن الامة التى ينسب لها هذا الكاتب الشرقى
قد استحقت بما استفادته من مدارس المدينة وبما لها من
الذكاء الفطرى النادر المثال أن تعد فى مصاف الامم المتمدنة
فهى بذلك لا ترضى أن تكون تحت سيطرة حكومة أجنبية
تعمل فى مصر كل ما تريد

ولقد اخلص المصريون فى محبة أميرهم (عباس حلمى
باشا) اخلاصا فوق العادة وقدروا حرج مركزه حق قدره
وأظهروا أنهم غير راضين بالحالة الحاضرة وبوجود السلطة

الذى فى خدمته خدمة الحق وفى نصرته نصرة الفضيلة
والحقيقة مصطفى كامل

فينا فى ٢٦ يوليو سنة ٩٥

الاحتلال الانكليزى

﴿ والمصالح النمساوية ﴾

﴿ حديث مع جريدة الاكسترا بلاط بفينا ﴾

ما وصل « مصطفى كامل » الى مدينة فينا فى اواخر
شهر يوليو عام ١٨٩٥ حتى توافد اليه الكثيرون من رجال
السياسة وأرباب الصحف يسألونه رأيه عن المسئلة المصرية
ويستفسرون منه عن حالة مصر وآمال المصريين . وقد نشرت
عنه وقتئذ جريدة « الاكسترا بلاط » الشهيرة — التى هى
فى البلاد النمساوية كجريدة « البتى جرنال » فى فرنسا لانها
جريدة الشعب المنتشرة بين جميع طبقاته — حديثا كان له
أعظم تأثير فى العالم السياسى وتناقضته الجرائد العديدة وفى

هذه السياسة التي يكون من أقل نتائجها قيام المسلمين ضدنا
في كل الاصقاع وخروج جنودنا من مصر بالرغم عنا وزيادة
نفوذ فرنسا في الشرق وتلقاء ذلك أضعاف نفوذنا واقبال
سلطتنا»

ومن يقرأ هذه الاقوال ويتدبر معانيها يرى أن نظرات
هذا الرجل الحكيم من الصواب بمكان وان ما رده العقلاء
في المؤيد وفي غيره من الجرائد الصادقة بشأن اعوجاج سياسة
العداء ضد الدولة العلية لمن أحكم ماقاله سياسى ونطق به خبير
وللمصريين في هذه الاقوال الجليلة فائدة كبرى
استلقت أنظار مواطني اليها وهي ان عقلاء الانكليز شعروا
بخطر احتلال مصر على دولتهم ولا ينقصهم غير معرفة
احساسات الامة المصرية وحقيقة آلامها وآمالها وحقائق
الامور حتى يقيموا القيامة على حكومتهم ويسألوها الجلاء
عن وادى النيل . فأجل عمل يأتيه المصريون اليوم هو نشر
الحقائق في أوروبا باكثر اللغات انتشاراً وخصوصاً باللغة
الانكليزية والفرنساوية حتى يتيسر لنا خدمة الوطن العزيز

لحظة في حياتنا»

وبعد ان قرأ هذا الفصل الخطير استمر في حديثه قائلاً
« ولا شك ان ثورة أفكار المسلمين ضد حكومتنا ليس
بالامر الهين فانهم أقوياء اذا اجتمعوا وأقل ضرر يمس جلالة
السلطان (عبد الحميد) يجمع ولا محالة كلمتهم ويلم شعهم. على
ان السياسة التي أشبعها اللورد روزبرى ليست فقط ضارة بنا
بل هي مناقضة كل المناقضة لتقاليدنا القديمة فلقد مضت
الدهور الطويلة ونحن أعز اصدقاء الدولة العلية وأجل نصرائها
فلما قال ذلك سألته وأى سياسة يجب على اللورد سالسبورى
اتباعها اذا أراد الحكمة وقصد مصافاة الدولة العلية والاسلام؟
فأجاب « هي السياسة التي تكون مؤداها حل المسئلة
الارمنية حلا يرضى الدولة العلية وجلاء الجنود الانكليزية
عن وادى النيل فان هذا الامر فضلا عن كونه يعيد الصفاء
بيننا وبين جلالة السلطان الاعظم مما نحن في حاجة اليه فإنه
يقوي نفوذنا في الشرق ويعلى كلمتنا. اما اذا أراد اللورد
سالسبورى اتباع خطة سلفه فما أضر هذه السياسة بدولتنا.

دولتنا الانكليزية . فلقد قامت جرائد الشرق عامة وجرائد الهند منها خاصة تقبح دفعة واحدة سياستنا وتدعو المسلمين الى النفور منا وزيادة التعلق بالدولة العلية والخلافة العثمانية ولكي تعلم مقدار تغيظ الهنود منا اقرأ هذه الجريدة - قال ذلك وناولني جريدة هندية - فقلت له اني لا أعرف الهندية فأخذها مني وقال هدهي جريدة (شمس الاخبار) الصادرة في مدراس بتاريخ ٢٤ يونيو الماضي وفيها فصل مطول ضد الدولة البريطانية جاء فيه مامؤداه « ان الانكليز يساعدون الارمن ضد الدولة العلية ويحدثون الاضطرابات في كل بقعة يحكمها المسلمون ولا يدرون ان أعمالهم هذه تقابل بالغضب والسخط من كافة المحمديين (وهم ليسوا بالعدد القليل)

فماذا يريد الانكليز من هذه الاعمال ؟ أيريدون اقامة حرب دينية . ليقرلوا لنا ذلك علنا حتى نقوم ونملا الوديان والجبال من دماننا ومن دمائهم ونزيل آثارهم من البلاد ونجاهد في سبيل الخلافة الاسلامية العالية المنار الى آخر

الحكيم مامعناه

« ان جنودنا لا بد من خروجها من دياركم سواء كان ذلك بالقهر أو بالرضى وان تنبه أوروبا الى الاعمال التي تنسب الى بعض رجال السياسة منا يقيم في وجهنا العقبات والمشاكل في كل البلاد وفي كافة المسائل وكان خيراً لنا ان نصافحكم ونعاهدكم وتتخذ مصر حليفة افريقية نركن اليها والى سودانها عند الحاجة ولكن احتلالنا بلادكم هذا الاحتلال الذي مقتموه جعلكم خصماً لنا وأثار الخواطر ضدنا في مستعمراتنا نفسها وفي كل بلاد أوروبا

والامر الذي أتأسف عليه خصوصاً هو ما استعملته حكومتنا في غضون هذه الايام من القسوة والشدة في معاملة الدولة العلية فلقد بدلت بسياستها الصفاء بالعداء وزادت حكومة جلالة السلطان تعلقاً بمسئلة مصر من حيث أرادت اغفالها عنها . ولم يكن يخطر على بال اللورد روزبري ورفقائه ان سياستهم مع الدولة وتعريضهم الارمن يثيران عواطف السخط والغضب عند المسلمين ويملان قلوبهم حقداً ضد

ما وراء السياسة

﴿ الانكليزية الحاضرة ﴾

« أسعدتني الفرص في سفري من باريس الى فيينا بالاجتماع مع سائح انكليزي تلوح عليه لوائح الوفاق والاحترام تجاذبت معه الحديث طويلا بشأن السياسة الانكليزية الحاضرة فوجدته واقفاً على دقائقها عالماً بمخالفاتها يرى في احتلال مصر ضربة على النفوذ البريطاني واخلاقاً بقواعد المملكة المؤسسة على احترام الشرف واعزاز تاج المملكة الذي أقسم به سياسيو انكلترا عند ما وعدوا بالجلاء عن وادي النيل . ويعتبر سياسة البقاء في مصر سياسة عوجاء لا تؤدى الا الى تهيج العالمين ضد الدولة الانكليزية ولذا رأيت ان أقدم للقراء الكرام خلاصة أقواله ومضمون آرائه وأفكاره ليعلموا ان في انكلترا نفسها قوما يقبحون سياسة شيعة الاحتلال ويودون لمصر خلاصها وحريتها ولا انكلترا تحقيق وعودها وسلامة شرفها . فلقد قال لي هذا الشيخ

سألتني رأبي عن استقالتك من الجيش حالا ولكني
أرى ضرورة الانتظار ومتي حان الوقت أخبرك في الحال
لتقدمها وتعمل معي في هذا الصراط المستقيم

سأسافر بعد غد الى فيينا لأُنشر بين رجال السياسة
آلامنا والله الموفق
مصطفى كامل «

١٨ يوليه سنة ٩٥

*
* *

سافر المرحوم الي فيينا في ٢٠ يوليه وقد جرى بينه
وهو في القطار وبين سائح انكليزي كبير حديث أرسله
لجريدة المؤيد وقد نشرته في عددها الصادر يوم الاثنين ٥
اغسطس سنة ٩٥ وهذا نصه :

راجع الى قتل روح الحرية الصحيحة التي هي ألد وأشهى
ثمرة من ثمار العلم وانه يجب على أغنيائنا ان كانوا حقيقة
مصريين أن يغرسوا ما استطاعوا من أشجار العلم و يقيموا
ما يقدرون على اقامته من دور المعارف لتخرج لنا أبناء كراما
لا تعرف الصغائر الى نفوسهم سبيلا . . .

ولقد علمت أن الانكليز بلغ بهم الغيظ مبلغه من هذه
الحركة التي تسوءهم طبعاً لانها تكشف الستار عن ظلمهم
واستبدادهم واثرتهم وأنانيتهم ولكنى لا أبالى غضبوا أو
رضوا . على أن جهدهم أنهم أوعزوا الى جرائدهم هنا وهناك
أن تسبني وأن تنكر على الامة المصرية بأسرها أن تكون
سارية فيها روح الوطنية

ولئن كانوا قد قالوا وأعادوا مرات عديدة أنني واحد
أعمل بمفردى بلا نصير من عواطف الامة ولا معين فليعلموا
أن الحزب الوطنى آخذ فى الانتشار وأنه سيكون حزبا سلميا
يعمل لانقاذ مصر بالوسائل السامية المشروعة الشريفة الى
ان قال . . .

تأس من روح الله ان الله لا يحب اليائسين »

وجاء فيه بعد كلام آخر مانصه :

« كيف يكون في مصر من يحسدى وهام الفرنسيون
يذكرون لى اليوم بمزيد التبجيل والاحترام أمثال مولير
وميرابو وهو جو وغيرهم من الذين خدموا بلادهم خدما عالية
وهم مثلهم فرنسيون ؟ يا عجباً للحاسدين !! قل لهم يا أخى
ان الحسد نار لا تلوى على ماتلف وليحرصوا على قلوبهم
أن تحرقها النار فالوطن أولى وأجدد بقلوب تعبت بها هذه
الصفات . قل لهم عسى أن تحمد تلك النيران الملهبة . ان هذا
الذى يخدم ويناضل فى باريس انما يخدم مصر ويناضل عن
المصريين وأولئك قوم مصريون . قل لهم ذلك عسى أن يقووا
على كبح جماح نفوسهم ووضعها حيث وضعها القدرة وانزالها
حيث أنزلتها الفطرة !!

قل لهم اننا فى ظروف سيئة يلزمنا فيها أن نتكاتف
وتعاون على ما يشرف قدر وطننا وأمتنا . وانك بلا شك
توافقنى على أن ذلك الحسد ضرب من ضروب الجمود وسببه

انكيزى من وادي النيل ويصبح النيل حرا كما كان من
قبل لهو اليوم الذى تهدأ فيه نفسى من التوثب للعمل بعزم
لا يكل واقدام لا يمل . فلا تحسب أنى أديت ما على لبلادى
من الدين الكبير حتى اذا قيل لك ان أخاك يردف الحديث
بخطبة ويتبع الخطبة بمناقشة ويقفى على أثر المناقشة بمقالة
فليس هذا كله شيئا

وإذا كان من يعشق فتاة جميلة لا يهدأ له روع ولا يهنأ
له بال الا اذا وفر لها صنوف السعادة والرفاهية فما بالك بمن
يعشق فتاة الدهر وأم العجائب - مصر - هل يعذر هذا
العاشق اذا لم يسئل روحه على قدميها اذا اقتضت الحال ??

الا ان وطنا غذانى بنباته ومائه واستظلت منه بصفو
سمائه لجدير أن أدافع عنه دفاع الأبطال فاما الى الرفعة
والاستقلال واما أن أقضى آملا أن يقوم من أبنائنا أو
أحفادنا من يبلغه عظيم الآمال

اننا ما خلقنا أيها الاخ الا لنعمل والناس يتفاضلون
بالأعمال . فاعمل فى الدائرة التى أنت فيها بهمة ونشاط ولا

وهي ملك لهذه السيدة الكبيرة التي عرف المصريون قلمها
السيال في خدمة مصر والتي زارت بلادنا في ٢٢ يناير
سنة ١٩٠٤ ومكثت بيننا نحو شهرين من الزمان كانت فيهما
موضع تكريم الجناب العالي والمصريين عموماً مما سنشرحه
في محله بمشيئة الله

*
**

كتب الى رحمه الله خطاباً استغرق ١٦ صحيفة ذكر
فيه مسائل كثيرة ما بين خصوصية وعمومية جاء فيه :
« تلقيت بمزيد الجذل والشكر ان كتابك الكريم وقد
قرأته مراراً وأعدته على سمعي تكررراً فكان في كل مرة
يحدث في نفسي تأثيراً عظيماً ويورد عليها انفعالات شتى . وقد
فهمت تمام الفهم ما أشرت اليه واني عامل بما تشير على قدر
الامكان

ولا أخفي عنك أيها الشقيق الأعرز أنه لا محل للدهش
فاني لم أصنع لبلادي شيئاً بعد ومهما عملت وقلت فهو دون
الواجب . وان اليوم الذي يقل فيه القطار آخر عسكري

الحق والعدالة

« فلتحى فرنسا ولتحى مصر ولتحى الحرية »

(مصرى فى باريس)

*
* *

برح المترجم طولوز فى اليوم التالى لهذه الوليمة قاصداً برلين (عاصمة المانيا) فودعه على المحطة اكثر كبار رجالها من سياسيين وصحافيين وغير صحافيين وقد رأى منهم كل تكريم وتبجيل. وبعدها وصل برلين أخذ يقابل رجال الصحافة وحملة الاقلام وفى مقدمتهم جناب مدير جريدة البرلين تاجنلاط الذى أعجب به كثيراً وقد كان واسطة التعارف بينه وبين الكثيرين

بعد ان مكث ببرلين خمسة أيام قصد باريس وبعد ان أدى واجب الزيارة لكبار الكتاب والصحافيين الذين ساعدوه على نشر خطبته الاخيرة واستقبالها أحسن استقبال تعرف بالكاتبة الشهيرة والسيدة الجميلة مدام جوليت آدم لأنه كان ينوى ان ينشر آراءه فى المجلة الحديثة (لانوفل ريفو)

اجتماعكم هذا لما يولد في سرورا عظيما ويولينى شرفا كبيرا
أنتم معشر الكتاب الوطنيين وأنشط المدافعين عن الحرية
والاستقلال . وليس لى أن أخطب فيكم اليوم وقد علمتم
عواطفى نحو الأمة العظيمة التى تنسبون اليها وما اعترافى
بالجميل الا احدى نتائج الخدم التى قمت بهالوطنى فانكم دافعتم
ولا تزالون تدافعون عن مسألة مصر الحقبة الشريفة ولهذا
أهنئكم كرجل ذى شعائر وعواطف وأشكركم كواحد من
بنى مصر الصادقين

وانكم مهما تنازعتم اليوم فى الآراء السياسية واختلفتم
فى المبادئ بازاء أى مسألة عامة فان مصلحة فرنسا المنضمة
الى مصلحة الانسانية تقضى عليكم بالدفاع عنها ولسنا نعرفكم
الافرنسيين لافرق عندنا بين الجمهوريين والملكيين
ولا بين الاشتراكيين والراديكاليين فانا لانعرف الا فرنسا
والفرنساويين وبكم معشر الفرنسويين الوطنيين نستنجد
واياكم نستعين . فعليكم كلكم أجمع ان تجيبوا نداء مصر الحزينة
التي تحييكم من صميم فؤادها وتحى فيكم أجدد المناضلين عن

لتحرير مصر مشجعاً له على عمله معجباً بوطنيته مهتماً اياه على المهمة الشريفة التي أخذ على عاتقه القيام بها واختتم خطبته بهذه العبارة البليغة « واني واثق كل الثقة بأن هذا المحامي عن مصر سينال رغبته ويقضى لبائته ويسمع الحكم لها على انكثرا . ولذلك أدعو زملائي أصحاب الجرائد الى تهنيئته منذ الآن » وما أتم عبارته حتى صفق له الحاضرون وقام المسيو اريست نقيب أصحاب الجرائد في جنوب فرنسا وقال :

« واني اعجاباً برصيفنا المصري أشرب نخب الصحافة التي قام من رجالها في الشرق رجل يسعى في تحرير وطنه المحبوب »

وفي الختام نهض حضرة الاديب مصطفى أفندي كامل وقال ماموداه :

اسمحوا لي بأن أشكركم قبل كل شيء عما أظهرتموه لي من عواطف الوداد سواء بأنفسكم أو في جرائدكم الغراء مما تكرمتم باظهاره لي مرة أخرى اذ اجبتم اليوم دعوتي وان

وليمتة طولوز

رأى المرحوم بعد ان أظهرت الصحافة الطولوزية عطفها على المصريين واهتمامها بمسئلتهم امام الاحتلال ان يدعو كبار الصحافيين الى وليمة فدعا ١٥ من كبار الكتاب فى مساء يوم الأحد ٧ يوليه سنة ٩٥ وقد كتب أحد المصريين المقيمين بباريس لجريدة الاهرام تفصيل هذه الوليمة فنشرته فى عددها الصادر فى يوم الجمعة ١٩ يوليه وهذا نصه :

« اعترافا بالجميل دعا حضرة الوطنى المصرى مصطفى أفندى كامل أصحاب الجرائد الطولوزية الى وليمة شائقة أولها ليلة مبارحته طولوز وحضرها كل رجال الصحافة والتحرير فى تلك المدينة برئاسة المسيو لاتايبه المحرر الاول فى جريدة التلغراف وهى من الجرائد الخطيرة التى تصدر مرتين فى اليوم صباحاً ومساءً وبعد انتهاء المأدبة نهض المسيو لاتايبه فألقى خطاباً أنيقاً شكر فيه هممة الوطنى الصادق مصطفى أفندى كامل مظهرًا أنه يجب على فرنسا الاصغاء الى استغاثته

مالكة زمام أمرها ووطنه مستقلاً رفيع المنزلة بين الاوطان
ترانى حركة مستمرة : تارة أحداث وتارة أكتاب ومرة
أزور ومرة أزار وحيناً أهاجم وحيناً أدافع . ولى كبير الامل
أن يفتح باب المسألة المصرية للمناقشة عاجلاً أو آجلاً وكل
آت قريب

أما صحتى فلم يطرأ عليها تغيير وهب أنه طرأ عليها شيء
فان من يبذل الروح وهى الجوهر لا يبالي بالجسم وهو العرض
على أنى أشعر بنشاط كثير رغم كثرة أعمالى

وقد اخترت أحد الفرنسيين ليكون سكرتيراً عسى أن
أضعف السير . هذا وسأسافر الى برلين بعد أيام قلائل
ثم أرجع الى باريس حيث أرجو أن تكون عناوين كتبك
الى فيها الى أن أكتب اليك بعد

مصطفى كامل

وتقبل الخ الخ

٧ يوليو سنة ١٨٩٥

الطبقات الراقية وهم نحو ألفي نفس أو يزيدون أو أن جرائد العالم قد تناقلتها وتحدثت بها كثيراً . كلا لا أقول لك شيئاً من ذلك فلا بد أنك قرأته وعرفته ومن العيب أن أكرر علي سمعك شيئاً وقفت عليه وألفته وإنما أقول لك اني استطعت أن أعمل عملاً يذكر لخدمة بلادنا وبلاد آبائنا وأجدادنا .

ذلك أن أخاك قد فتح قلوب سامعيه فتجاً وأودع كل قلب ذكرى لمصر لا تنسى

هذا ما أردت أن أقوله لك مما لا يسمح وقتي القليل بأكثر منه لما هو أمامي من العمل وما على أن أكتبه من الكتب الى الاصدقاء وغيرهم من رجال السياسة وذوى رأى فى أوروبا فضلاً عما تعرف من اجهاد نفسى فى اتقان عملى وقطع السنة الخصوم بالحجة والبرهان

فاعذرني أيها العزيز فاني أتعب نفسي ليلاً ونهاراً وان كان هذا التعب لا يذكر فى جانب ما علينا الوطننا المقدس من الواجبات فلو رأيتنى الآن لرأيت مصرياً يتحرق قلبه لرؤية أمته سعيدة

أو الفرنسية

وقد كتب الى رحمه الله من طولوز بعد أن القى الخطبة المذكورة خطاباً جاء فيه قوله بعد التحية والتسليم :

« انى أحمد العناية الآلهية التى تلقينى فى كل آن من آيات التوفيق ماهو جدير أن يحقق شيئاً من كبار آمالى وآمالك فى خدمة الوطن العزيز والأخذ بيده هذه الامة الكريمة وأسأله سبحانه وتعالى كما أعانى فى المبدأ أن يعينى فى النهاية وبعد فأسألك المездرة من تأخرى عن الكتابة اليك فى شأن الخطبة السياسيه التى قرأت أخبارها حديثاً . فقد رأيت أن الافضل أن تعرف كل مايهم عنها ولكن لا بواسطة قلم أخيك فى البعد أو لسانه فى القرب . أما وقد سمعت عنها كثيراً وقرأت بخصوصها فى الجرائد الوطنية ماقرأت فانى قائل لك الآن مايسر خاطرك

ولعلك تتوقع أن أقول لك ان الخطبة استغرقت ساعة أو أن التصفيق كان حاداً أو أن الاعجاب كان شديداً أو أن الرضى عنها كان أكثر مما توقعت أو أن سامعيها كانوا من

ضدها على السواء

ومنذ ذلك الحين أخذت شهرة المترجم تكبر وتزداد
سعة في أنحاء العالم كما أن كبريات الجرائد قد أخذت تلهج
بذكر المسألة المصرية وتتحدث بأعمال فقيدنا العظيم . تلك
الأعمال التي جلت وكبرت وأدهشت الالباب

وكيف لا يكون شأنها كذلك والمترجم بشهادة الواقع
كان في وقت واحد يكتب المقالات الوطنية كالبرجرام الذي
وضعه وينشرها في الصحف الوطنية وتهاجمه الصحافة الاجنبية
بالأحداث السياسية ثم تدفعه غيرته الشريفة وحماسه الطبيعية
النادرة ونشاطه الذي لا يعرف الكلل ولا الملل الى القاء
مثل تلك الخطبة التي نحن بصددتها ويجتذب أنظار السياسيين
وذوى الرأي في الممالك ذات الشأن الى البحث في المسألة
المصرية ويرد على ما يرد اليه من الكتب الخصوصية وأقل
ما كان يكتب يوميا من هذا القبيل عشرون كتابا ليس فيها
إلا ايضاح حقيقة أو جواب على سؤال أو حل مبهم من
المقاصد الى ما يماثل هذه الاغراض مكتوبة بالعربية

من المطاعن والمثالب . وفي هذا المقام لا يسعنا الا أن نقول
ماقام في هذا العالم قديما وحديثا قائد وطني أمين شجاع
أو مصلح عامل مجد الا وقد لقي من أهل الاغراض صنوفا
من المقاومة والمصادمة

وذلك لان الحق نور ومن وظيفة النور تبديد سحب
الظلام . ومتى تبددت هذه السحب ظهر وراءها الخائن
والمرائي والمأجور . فمن مصلحة هؤلاء أن يبقوا مستترين
عاملين من وراء ستار مجردين أنفسهم لضعاف عزائم أهل
الحق . وأهل الحق بهذا الكيد لا يتأثرون وعن مقصدهم الحميد
وخطتهم الشريفة لا يحميدون

وكم من مقاومة جرت الى تأييد حق وخذلان باطل .
وكم من فئة أضلها الالهواء سواء السبيل حتى اذا كشف
الستار عن دسائسها ومكايدها كانت عبرة لمن اعتبر . على
ان ما أبدته جرائم الاحتلال هنا من قبل وما أبدته ازاء
هذه الخطبة كان باعثا قويا على الفات الأ نظار الساهية الى
ماهنالك . وكذلك الحقيقة يخدمها من يعمل لها ومن يعمل

النادر وذلك الثبات الباهر الذى لم يأنفوه من قبل حتى
قيض الله لهم ذلك الذى كان يكتب بتوقيع «مصرى صادق»
تارة وبتوقيع «مصرى أمين» تارة أخرى فقام من بين
صفوفهم ليحاسب الطامع حسابا عسيرا ويشهر به فى الآفاق
ويأخذ عليه المسالك من كل طريق ويشهد العالم المتمدن على
ما لهم فى هذه البلاد من المطامع الخبيثة والاهواء الشريرة
ذلك شأن الجرائد الوطنية وذلك موقفها أمام الخطبة
المتقدم ذكرها. وأما الجرائد الاحتلالية فإنها لم تأت بشيء
يخالف ما كان متوقعا منها على الاطلاق

وماذا ينتظر من الصحف المأجورة للطامع؟؟
لا ينتظر منها الا تصويب سياسته وترويج بضاعته
ومعاكسة المقاصد الوطنية وكل حركة أهلية ترمى الى غاية
شريفة وتعرب عن مقصد حميد

ولذلك فلا عجب اذا قلنا ان هذه الجرائد قد تلتفت
الخطبة يومئذ بما شاء حرصها على الزلفى للانكياز من التحقير
والتخطئة والتفنيد. وأنعمت على المترجم بما نضح به انؤها

الخطبة خدمة تشكر عليها شكرا جميلا جزيلًا وقد أمطر البرق
والبريد اداراتها برسائل التشجيع وكتب الثناء من المكاتبين
والمراسلين وقد اتفقت كلها حول نقطة واحدة هي اكبار
الخطيب وتشجيعه وابداء العطف عليه والحنو اليه وتأميل
الآمال الكبار فيه

ولا نبالغ اذا قلنا ان هذه الخطبة كانت واسطة التعارف
بين كل مصرى يحب بلاده وبين المرحوم ولا أستطيع ان
اكيف العازفة الشريفة التي كانت تقوم بنفس كل منهم
كلما ذكر ان في عاصمة فرنسا وطنيا هو أحسن سفيرين
مصر وباريس وأقدر مترجم على التعبير عن آلام المصريين
من الانكليز وآمالهم في الفرنسيين

فقد كنت أحس ان قلب كل مصرى مخلص يفيض
ولاء وثناء على المترجم . ويدلك على شيء مما كان علي هذه
الخطبة من بليغ التأثير في طبقات الامة المصرية جمعاء انه قد
بلغ ثمن النسخة الواحدة من الجرائد الوطنية التي نشرتها
عشرة قروش صحيحه لان الناس فوجئوا بمفاجأة بهذا الاقدام

نموذجا ومثالا

أما الجرائد الانكليزية فقد كانت عند ظننا بها لم تتقدم
ولم تتأخر فقد استقبلت الخطبة بكل ذهول واعرضت عن
دهش عظيم كانها لم يكن يدور بخلد محرريها ان المصريين
الذين يتفضل عليهم هؤلاء المحررون بلقب « الاغنام » يمثل
شاب منهم هذا الدور السياسى الكبير

فأخذ بعضها يوجه عبارات السب المستقبح والطعن
المستنكر الى المرحوم وتضمنه بما شاء لها أدبها وشاءت لها
نزاهتها من الاوصاف الذميمة والنعوت الشائنة وبعضها
الآخر وهو اكمل أدبا وأظهر نزاهة أخذ يسب الدوائر
الوطنية المصرية العاليه وقد تغالى البعض فى اظهار حسن
الذوق وشرف النفس فأخذ يوجه للمصريين كافة عبارات
جارحة وشتائم فاضحة الى غير ذلك من الخبط والخلط والهروب
من الوفاء بالوعود الصريحة والعهود الفصيحة التى أقسم رؤساء
حكومة بريطانيا بشرفهم ان ينفذوها ويبروا بها

وأما الجرائد المصرية فان الوطنية منها قد خدمت

« توقعنا فيما كتبناه في الاعداد السابقة عن الحركة
المصرية الحاضرة واستياء الامة المصرية من الاحتلال الانكازى
انه سيكون لمصطفى كامل المصرى شأن كبير في عالم السياسة
لانه فضلا عن غزارة مادته التى تظهر على كل سطر من سطور
خطابه الذى القاه في مدينة طولوز متقدماً غيرة على بلاده ولا
عجب في ذلك فان التاريخ حدثنا كثيرا انه اذا تولى حكم
المملكة شخص متعلم عادل كخديوى مصر يقوم في عصره
الكثيرون من أفراد الامة التى يحكمها ليشدوا أزره وينفذوا
سياسته ونحن لانشك في أن مصطفى كامل سيكون في مستقبل
الايام على رأس عدد كبير من مواطنيه المتعلمين مطالبين
بمحقوق بلاد آبائهم وأجدادهم

والمساويون عموماً رجبون بهذه الحركة ويقولون بصريح
اللفظ لحكومة المملكة فكتوريا التى توجت تاريخها بجلائل
الاعمال ان المصريين يستحقون عظما وان أوروبا بأسرها
تنتظر منها وفاءاً بالوعد وقياماً بالعهد اه

هذا مقالته احدى الجرائد النمساوية الشهيرة ذكرنا

هذا نموذج مما كتبه الجرائد الفرنسية من الشروح والتعليق على هذه الحادثة بين بيان وثناء وقد كانت كلها على اختلاف مشاربها ومذاهبها متحدة على اطراء تلك الخطبة الكبيرة ولو اننا اثبتنا هنا ما كتبه جمعا في هذا الصدد بلغت سيرة المترجم مئين من الاجزاء لان قطع الجرائد التي اماننا اتعبنا عددا فما بالك بتعريب ما فيها

وأما الجرائد الالمانية والنمساوية فان الاولى انقسمت الى قسمين : قسم استقبال الخطبة كما استقبلتها الجرائد الفرنسية بالسرور والابتهاج وقسم علق عليها كلمات قليلة بعضها يشف عن الغيظ والحنق من تعلق المصريين بفرنسا دون غيرها من الامم (كألمانيا مثلا) وبعضها ينقط الحكومة الانكليزية بألفاظ من الثناء والاطراء يعجز عن الاتيان بمثلا الكتاب والشعراء

وأما الثانية وهي الجرائد النمساوية فقد كانت في مقدمتها جريدة (الاكستراجبلات) الخطيرة فقد قالت تعليقا على الخطبة ما تعريبه :

لا يستهان بها كانت نظرة المصريين في التعلق بها حققة والاستغانة
بها عملاً صالحاً

نعم نحن لا ننكر أن السياسة في العالم قائمة الآن على
الاثرة وحب الذات والرجوع في كل أمر الى الصالح المادى
وباسم هذه الصفات يجد المصريون الشرف كل الشرف في
التمسك بحقوقهم وطلب المعونة من فرنسا . ولا ينكر أحد
أن مصالحننا في مصر تكاد تكون كمصالحنا في أية مقاطعة من
مقاطعات بلادنا . لان ميراثنا الادبى والمادى فيها يفوق كل
ميراث فضلا عن أهمية البلد تلك الأهمية التي لا يجلبها
سياسى مدرب

وانا اذا كنا نهنىء مصطفى كامل على فصاحته واستعداده
الكامل للدفاع عن حقوق مصر مرة . نرى من الواجب
علينا ان نهنىءه ألف مرة على المعلومات التي كنا نجلبها وقد
أودعها خطابه والبراهين التي يضىء من بين سطورها نور
الاخلاص وسلامة الضمير مما يميل اليه كل عاقل ميل المنصف
الى المظلوم . . . » اه

أنفسنا سعداء بان ننشر بالحرف كلمات الخطيب
ونحن نؤمل أن حكومتنا وبلادنا تهتمان بهذه المسئلة
الخطيرة وتقابل أعمال الوطنيين المصريين بالرضى والاستحسان
وقالت جريدة الجورنال الباريسية ما تعريبه :

« نشرنا للقراء ملخص الخطبة التي فاه بها مصطفى كامل
المصرى الذي أوفده المصريون للدفاع عن المسئلة السياسية
الكبرى ألا وهى بقاء الاحتلال الانكليزى في مصر ومن
يعرف أن مصطفى كامل ألقى هذه الخطبة النفيسة وهو فى
الحادية والعشرين من عمره وبلغتنا مدة ساعة من الزمان
يعجب كثيراً بالذكاء المصرى ويخو الى أمة علقتم آمالها فى
نيل حقها المهضوم بمساعدة فرنسا

نعم يجب على كل فرنسى أن يعطف على هذه الأمة
التي منها هذا الخطيب المفوه لأنها أمة لها من جميل الخلال
وحسن السيرة فى التاريخ علما وأخلاقاً مايجب اليها كل ذى
عاطفة انسانية . فضلا عن مركز مصر الجغرافى السياسى
ولما كانت فرنسا أول الممالك التي لها فى مصر حقوق

للاحتلال الانكليزي قد جذبت نحوها كثيراً من رجال
الافكار والمشتغلين بالمسائل السياسية في فرنسا وفي كل
البلاد الاخرى

لأن المسئلة التي دار عليها الكلام في مساء الامس هي
من أهم المسائل بل هي مسئلة ذات أهمية كبرى ليس فقط
لفرنسا بل للسياسة الدولية أيضاً فان مسئلة مصر قد أصبحت
اليوم مسئلة خطيرة تدعو الى الاشتغال بها والاهتمام لها وسبب
ذلك سلوك انكلترا وتصرفها

ويسرنا أن نقول ان جناب مصطفى كامل نجح نجاحاً لم
يسبقه مثيل في الخطاب الذي القاه أمس ومكث في القائه نحو
ساعة بلغتنا الفصحى في مدينتنا هذه وهي المدينة التي نال
شهادته العالية منها تلك الشهادة التي علمته كيف يفهم فرنسا
الادبية ويحبها فقيض له بذلك فرصة كانت فيها أول مصففة
لمطالب المصريين الشرعيين التي أقام نفسه رسولا لها ومحاميا
عنها وانا باعلام اخواننا في الصحافة الباريزية عن هذا
المشروع الابتدائي الشريف الذي قام به مصطفى كامل نرى

الكتيبة

ويمكن القول بأن ملايين من قراء هذه الجرائد كانوا في وقت واحد يتهامون تارة ويتناقشون تارة في هذا الموضوع الذي فوجئت به الصحافة الافرنجية الخارجية وقرأوها بعد أن حسبوا أن المسألة المصرية لن تطرح على بساط المناقشة وأن أجملها قد انقضى

وانا لنرى من الواجب علينا أن نأتي بنموذج مما كتبتة تلك الجرائد ليعرف كل مصري يخدم المسألة المصرية أمام أمم العالم جمعاء أن الصادق الأمين لا يعدم من عشاق الحقائق ورجال النزاهة ظهيراً ونصيراً مهما طال الزمان وتوعرت الطريق

قالت جريدة « الدييش (التلغراف) الفرنسية التي تصدر في (طولوز) مرتين صباحاً ومساءً وهي من الجرائد الخطيرة الشأن بعد أن نشرت الخطبة المذكورة مانصه :

« لقي (مصطفى كامل المصري) في كل البلاد التي زارها أحسن حفاوة مما يدلنا على أن معارضة الامة المصرية

كيف لا وقد كان بينهم بعض رجال الحكومة وقادة الرأي العام أعنى رجال الصحافة الذين يحملون في أيديهم أقلاما لها أسنة اذا أرهفت حرك صريرها تيجان الملوك وعروش القياصرة والامبراطرة فهى تقيم دولة اذا شاءت وتقعده دولة اذا شاءت. وكان فيهم عدا هؤلاء كثيرون من كبار السياسيين وأصحاب الحثيات الرفيعة بحيث يمكننا القول ان هيئة ذلك المحفل كانت جامعة لارقي طبقات الامة الفرنسية بلاخلاف وقد كان هؤلاء يسمعون الخطاب وهم من الاصغاء والتأمل كأن على رؤوسهم الطير ومن الاعجاب بمقدرة الخطيب على التصوير والتأثير فى ذهول ومن الرجاء فيه والاعتداد به بين المهابة والاكبار

وطيرت شركات البرق من انكليزية وفرنسية وألمانية وغيرها خلاصة هذه الخطبة النفيسة الى أنحاء العالم كافة وتناقلت الجرائد الاوروبية والامريكية هذه الخلاصة وعلقت عليها الشروح الضافية الواقية. وتناول كل منها البحث فى موضوعها الخطير على حسب مبدئها السياسى ولهجتها

ينباته ومائه واستروحت فيه الارواح ذكري أعزاء قضوا
نحبهم وهم عن حوضه يذودون وعن بيضته يدفعون

ذلك الوطن الذي لاهياة للأمة الاله فيه وليس لهاغيره
مجد ترتضيه والذي هو أقدم ميراث ورثه السلف عن
الخلف وأقدم تركه يضعها الآباء بين أيدي الأبناء ليحفظوها
ويحوظوها بالارواح والاموال

ذلك الوطن الذي لايدانيه في الدنيا وطن من الاوطان
جلالا وجمالا وشرفا ومجداً بشهادة التاريخ

فليحفظه الله بعنايته ورعايته وليخرج من بنيه صفوفاً
من الأوف وألوف من الصفوف ليدبوا عنه وينقذوه من
بين أيدي مغتصبه مهما كلفهم ذلك من المخاطر

نذر هذه الكلمة التي جاءت استطراداً ونقول ان
المرجم أجمل الله جزاءه وقف وقفه الليث في العرين مملوءاً
حماسة وكياسة وألقى في نحو ساعة ذلك الخطاب النفيس
باللغة الفرنسية الجميلة على زهاء ألفي نفس كلهم من كبار القوم
سمعة وعلماً ومشهورينهم فضلاً وسياسة وأعيانهم رأياً ومقاماً

فرنسا التي أنزلتنا دائماً منها منزلة أعز بنينا والتي ملكت
بذلك قلوبنا وأرواحنا اه

*
* *

تلك هي الخطبة الوطنية السياسية الأولى للمترجم على
أرض فرنسية وفي وسط فرنسيين بل هي أول خطبة أقيمت
بلغت أوروبا في أوروبا على المسئلة المصرية ودفاعاً عن أشرف
وأقدس واجب يتنافس في أدائه المتنافسون ألا وهو الواجب
الوطني لخدمة الوطن المقدي بالأ نفس والنفائس

ذلك الوطن الذي امتزج تبر ترابه بدقائق أجسام
الماضين من الآباء والأجداد السابقين . ذلك الوطن الذي
ألفته الأرواح وغذته بعطفها القلوب وعشقتة لحسنه النفوس
فكان مناط الآمال وكعبة الأوطار

ذلك الوطن الذي قام فيه مجد الجدود وتلقيناه نحن
عندهم جيلاً بعد جيل هو الذي يحرسه كل مصري بسواد عينه
وسويداء قلبه ويضحى في هذا السبيل كل عزيز عنده
ذلك الوطن الذي امتزج النفس بهوائه وغذيت الجسوم

ثالث الاسباب التي تدعو الى الجلاء : المصالح الكبيرة
التي لاوروبا في مصر اذ لا شك ان أوروبا تفقد كل مصالحها على
شواطئ النيل اليوم الذي تضع فيه انكلترا أيديها على مصر .
وأحسن برهان على ذلك الحرب العوان التي تحارب بها انكلترا
علنا النفوذ الفرنسي والتجارة الفرنسية
وأخيراً من فائدة أوروبا أن ترد مصر الى نفسها وتثبت
بعمل جليل كهذا انها تسمع صراخ أمة قهرت بغير حق . ولا
تأتي أوروبا بانقاذ مصر أمراً آخر غير قهر القوة العنيفة التي
لا تزال قوية سائدة فيها وتحقيق نصره الحق
وأى شيء أجمل وأبهى من نصره أمة مقهورة ! انه
لواجب يسهل القيام به خصوصاً عند أمة كبيرة كفرنسا
تحيتها وتحية ما آثرها غدة من الامم
نعم أيها السادة ان من واجب فرنسا التي نستجد بها
أعظم استنجاد أن تتدخل لانقاذنا . نعم ذلك واجب فرنسا
الكريمة التي أيقظت مصر من عميق رقادها والتي نشرت في
وطننا نور المعارف والآداب وجعلت مصر فرنسا الشرقية .

الوحيد المهدد للمالين . وذلك لان بلادنا بلاد زراعية محضه والضرائب التي ندفعها هي في الحقيقة أجر وبما ان ائمان المحصولات في هبوط مستمر والمصاريف الادارية في صعود مستمر أيضا فيأتي ولا شك يوم لا تقدر فيه مصر على سداد ديونها مادام الانكايز محتليها . وهل من دواء لذلك ؟

نعم يوجد دواء ان . تحويل الدين الموحد الذي يحدث تأثيراً وقتياً . واتباع اتفاقية لوندرد لعام ١٨١٥ التي حددت المصاريف الادارية بمبلغ خمسة ملايين من الجنيهات (أى ١٢٥ مليوناً من الفرنكات تقريباً) والتي بلغت اليوم « والفضل عائد على الاحتلال الانكايزى » حوالى سبعة ملايين من الجنيهات فبذلك يمكن اقتصاد مبلغ خمسين مليوناً من الفرنكات قبل أن تمس حقوق المالين . وللوصل الى ذلك يتحتم خروج الانكايز من مصر جنوداً وموظفين

وزيادة عن ذلك فان أصحاب القراطيس المصرية لا يخشون شيئاً ما . فالمصريون يقبلون أى مراقبة مالية أوروبية ويحترمون قبل كل شىء المنظمات التي من شأنها ضمانه حقوق المالين

فلتتنازل انكاثرا وتسمع أقوالنا وتف بوعودها وتحترم
عهدا التي فاهت بها أمام أوروبا والعالم أجمع واننا نكون
ولا شك ذلك اليوم أول المصفيين لها المعجيين بفعلها. ولكن
مادامت ممتنعة عن الجلاء فوطنيتنا تقضى علينا بأن نطلب من
أوروبا الحرة الانصاف التام

ولا خلاف في أن تحرير مصر من صالح أوروبا وذلك
لعدة أسباب

أولا الوضع الجغرافي لمصر . فان الدولة التي تستولى على
وادي النيل فضلا عن كونها تصبح سيدة البحر المتوسط
والبحر الاحمر فانها تقبض بيديها وحدها على كل تجارة أفريقيا
وآسيا تقريبا وتجعل المدينتين المقدستين (بيت المقدس ومكة)
في خطر

ثانياً فائدة حاملي القراطيس المصرية وهنما استلقت أنظاركم
كل الاستلقات

يظن البعض ان القراطيس المصرية تسقط قيمتها وتنزل
اذا خرج الانكليز من مصر على ان وجودهم هو الخطر

أعداؤنا لا يزالون يقولون عنا بعد ذلك اننا متعصبون في الدين
فقد جاء الوقت الذي يجب أن يقضى فيه على هذه الاساطير
الممقوتة فاننا لسنا مبغضين للأوروبيين ولا لأي شعب من
الشعوب . ولكننا مبغضون حقاً للاحتلال الانكليزي ونقول
ذلك بصوت عال . فلقد مضى علينا نحو ثلاثة عشر عاماً ونحن
نتنظر خلاصنا من انكلترا نفسها . مضى علينا ثلاثة عشر عاماً
ونحن نتنظر بصبر نافذ . احترامها لتعهداتها وقولها المأخوذ عليها
. وليس من خطئنا اذا كانت لم تفهم حتى الآن ضرورة الجلاء
واننا نعتقد كل الاعتقاد ان من حقوقنا بل من واجباتنا
المقدسة الوفود على أوروبا بعد هذا الصبر الطويل لنطالب
بحرية بلادنا وننشر كل مايجرى عندنا . ومع اننا قد حضرنا
للقيام بهذا الواجب المقدس فاننا لم نفكر قط في الطعن على
انكلترا اذا اننا نحترمها كما نحترم كل دولة أخرى ودليلاً على
عظيم احترامنا لها جئنا نظهر لها الحقائق واغلاط عمالها في
مصر الذين لهم الصالح الاكبر في اطالة أمد الاحتلال
ليقبضوا المرتبات الطائلة التي يقبضونها الآن

« وليس ذلك عن ضعف منا أو استماتة بل عن اعتدال
وغفران »

ولقد نشر الانكليز في العام الماضي بين تلامذة مدارسنا
كتب تاريخ باللغة الانكليزية وفيها الطعن على ديننا والتمثيل
ببنينا وفي هذا العام نشر المستظلون بالعلم البريطاني في مصر
رسالة ضد الاسلام يدعون فيها المسلمين الى اعتناق ديانة غير
ديانتهم وقد أرادوا ولا شك بنشر هذه الرسالة احداث
ثورة دينية في القطر ولكنهم لم يفلحوا لان الأمة قابلتها
بحكمة عجيبة . ومجلس علماء الازهر الذين هم رؤساء الديانة
أجاب على هذه الرسالة في خطاب بعث به الى ناظر الداخلية
بقوله

« ان الديانة الاسلامية تعلم معتنقيها احترام كل المذاهب
وجميع الديانات . وان الاعتدال والتسامح من قواعدها
الاساسية »

وعليه فلم تكن أية أمة قادرة على التمسك بعروة الحكمة
والصبر تتظاهر بمثل ما تظاهرت به الامة المصرية . فاذا كان

السوداء وقد خالطنا الاوروبيين عامة والفرنساويين خاصة
كل هذا القرن فلم يظهر منا عدا لاي انسان . ولدنا
الاوروبيون يسكنون كل النواحي والوديان السحيقة من
القطر وكثيرون منهم منتشرون في القرى الريفية الصغيرة
بين أكثر الفلاحين جهلا وهم في سكينه وطمأنينة بال .
وما ذلك الا لان أمتنا تحترم الاجانب الى حد تعتبرهم معه
كأعز ضيوفها

فكيف يمكن ان تكون أمة كهذه متعصبة في الدين
بل كيف يمكن ان تكون كذلك وعلى رأس جيشها ٧٥ ضابطا
انكليزيا وهو الامر الذي لو كان في غير مصر لأحدث
ثورة لانهاية لها

بل كيف يمكن ان تكون هذه الامه الهادئة الحكيمة
متعصبة في الدين وعلى رأس هيئة حكومتها من ليس متدينا
بدينها ؟

وقد بلغ سكوتنا حداً جعل أعداءنا على ان يسبوننا كثيرا
ويسبوا ديننا ونبينا من غير أن يروا منا نزعة عدا لهم

وبرعاياها

وانكم تفهمون جيداً أيها السادة من كل ما ذكرته لكم
أن الاحتمال الانكازي مشئوم على مصر من كل الوجوه
ومن كل الامور ومناقض لكافة المعاهدات ولكل قواعد
العدالة والانصاف فضلا عن كونه جاء أعظم عائق للامة عن
السير في طريق التقدم والمدنية

هذا ولم يأت الانكاز في مصر خطأ على خطأ فقط بل
أشاعوا في أوروبا اننا أمة متعصبة في الدين نبغض المسيحيين
مما هو ولا شك أشد ضروب الاختلاق فاننا لسنا متعصبين
ولا مبغضين للمسيحيين بل نحن أمة هادئة كريمة والبراهين
على ذلك لا يمكن نقضها

فلقد مضى على مصر ثلاثة عشر قرناً ونحن والاقباط
فيها اخوة صفاء لا نتكلم بشأن الدين الا اذا كنا في المسجد
أو كانوا في الكنيسة ثم صرنا في هذا القرن الواسطة بين
أوروبا المتمدنة وافريقية المتوحشة والفضل عائد علينا وحدنا
في وصول كل الارساليات حتى الدينية المسيحية منها الى البقاع

أساتذتها فعليهم ان يقولوا لنا اذا كان أمر مثل هذا تكلم
عنه التاريخ أو هل وجدت شريعة في زمن من الأزمنة العريقة
في الهمجية سنت ماسنه اللورد كرومر في وطننا السيء
الحظ الذي كان في سالف الأعصار مهد النور والعرفان وعلى
الخصوص مهد العدالة

ولكنني أتساءل فقط هل نحن في العصور الوسطى أو في
العصر التاسع عشر عصر العدالة والحرية . واتساءل أيضا ماذا
يكون الحال اذا تشاجر مصريون مع بحارة فرنساويين أو
روسيين أو من أي جنسية أخرى . أيحاكم أولئك المصريون
أمام محاكمهم الأهلية أم امام محاكم مخصوصة كتلك المحكمة ؟
وهل يكون لهؤلاء البحارة الفرنسيين مثلا نفس الامتياز
الذي للبحارة الانكليز أم لا ؟ . أحقق انه لا . لان القانون
المسنون للمحكمة المختصة لم يتكلم الا على العساكر
والبحارة الانكليز

أو ليس في هذا الامر أيضا نقض لبلاغ ترايبا الذي
يمنع كل دولة أوروبية عن ان تنال في مصر امتيازاً خاصاً بها

السلطات وهو المبدأ المقدس الذي عملتم به منذ قرن
ومثال ذلك المحكمة المخصوصة التي أنشئوها في الشتاء
الماضي والتي تحقر المدنية البريطانية وتعد دليلا واضحا على
استعمال قوة العنف والاستبداد. فلقد أسست لمعاينة
المصريين الذين يتشاجرون مع عساكر أو بحارة من الانكليز
وهي محكمة لا قانون لها ولا دستور. تقبض بيديها في آن
واحد على السلطة التشريعية والقضائية والتنفيذية وتحكم على
حسب أهواء قضاتها الذين هم ثلاثة من الانكليز واثنان من
المصريين وتصدر الاحكام بلا استئناف وتأمّر بالتنفيذ الوتقي
دون أن تترك للخديو الزمن اللازم للعفو عن المجرمين

فلا تندهشوا اذا أيها السادة اذا بلغكم يوما من الايام
أنه تأييدا للعدالة في وادي النيل جرم الانكليز أنف فلاح
أوصاموا اذنى آخر بحجة تطبيق شريعة الملك (بهزان)
الفريدة في نوعها

وليس لي أن أصف لكم بشاعة هذا الامر المستغرب
فاني أتكلم في مدينة اشتهرت بمشروعها وقضاتها ومشاهير

انهم حذفوا المراقبة الثنائية لفرنسا وانكلترا واستبدلوها
بمراقبة واحدة يدير سلطتها مستشار انكليزى يقسم بين
مواطنيه النصيب الوافر من الميزانية

أما العدالة فخالها محزن . فلقد كانت مصر الى عام ١٨٩٠
تتبع قوانين العدالة المعروفة فى فرنسا ويدير شؤونها النابغون
من المصريين الذين أتم أكثرهم دروسهم فى مدارس رسم الحقوقية
ومن هذا العهد عهد تعيين مستشار انكليزى ترعزعت
أركان العدالة وتغيرت معالمها فلا وجود اليوم لقاضى التحقيق
والنيابة العمومية أصبحت فى قبضة الحكام الاداريين .
ذلك الامر الذى لم يحدث فى بلد آخر والذى دعا بعض
الوطنيين المصريين لان يقدموا لمجلس النواب الفرنساوى
باسمهم وباسم مواطنيهم عريضة يفضلون فيها محامتهم أمام
الحاكم المختلطة على بقائهم تحت سلطة الاهواء الانكليزية .
وان لمقدمى هذه العريضة ولا شك عذرا فى تقديمها بعد
ما أنكر الانكليزى فى مصر احترام كل مبادئ القانون
الاوربى واحتقروا العدالة لحد لم يحترموا معه مبدأ فصل

والتي لا تنسى أبدا

وان أعظم أسف أظهرته مصر على حالة المعارف موضح
أحسن توضيح في القسم المتعلق بنظارة المعارف من تقرير
مجلس شورى القوانين الذى وضعه أخيرا

وان النفوذ الانكليزى المشعوم على الوطن المصرى يرى
الآن فى كل مكان . ففى نظارة الداخلية عينوا مستشاراً
انكليزيا لا مطلب له غير احداث القلاقل فى القطر عند اللزوم
وسيكون من وظيفته الضغط الشديد عند انتخاب أعضاء
شورى القوانين حتى لا ينتخب الصادقون المخلصون لمصر .
وأخيرا المراقبة الشديدة على الوطنيين الذين يميلون الى تخليص
بلادهم من ربقة الاستعباد وتنبهه انكثرا الى الخطأ الجسيم
الذى ترتكبه ببقائها فى مصر

وفى المالية ترى نفس النفوذ الانكليزى . وان نظام
المالية عندنا مبنى على القاعدة التى قررها قانون التصفية الصادر
فى سنة ١٨٨٠ والاتفاق الدولى الذى حصل فى لندره سنة
١٨٨٥ ولم يحدث الانكليز فى هذه النظارة أى اصلاح سوى

ان لغة أمة تكون لغة مدارسها بل يريد استعارة لغة أوربية
تكون بالطبع اللغة الانكليزية ويعتبر ان « دانتون »
أخطأ في قوله « ان التربية أول حاجات الشعب بعد
العيش » ويدعى المقدره على اقامة البرهان بأن حصر التعليم
في أفراد قلائل ببلد مثل بلدنا محتاج أشد الاحتياج للتربية
والتعليم من أفضل طرق التربية والتعليم فيه

وبتطبيق هذه الآراء العجيبة أصبحت الحكومة
المصرية لاتصرف اليوم الا على ثمانى عشرة مدرسة بعد أن
كان في مصر نحو ٢٣٠ مدرسة في عهدى محمد على واسماعيل
أوليس من العار على الانكليز وصولهم لهذه الغاية
وسلوكهم هذا السلوك الذى أفضى الى جعل مدرسة الطب
خاوية ليس فيها اليوم الا عشرة طلاب بعد ان كان بها فى
الزمن الماضى نحو ١٥٠ طالبا على الاقل . وانها لمن أشرف
مأسس فرنساويون فى مصر . هذه المدرسة الطيبة التى
أنشأها فرنساوى شهير هو كلوت بك الذى يذكرنا بمثاله
المقام فى المدرسة نفسها بالخدم الجليلة التى خدم بها مصر

السباب على التلامذة

ومقصد الانكليز الوحيد هو استعاضة اللغة الفرنسية
باللغة الانكليزية وهدم أركان نفوذكم القوي وتقايل عدد
المدارس وجعل التلامذة أعظم المعجبين بالاحتلال وبالاختصار
جعل البلاد في حالة من الجهل يتيسر لهم معها ان يحكموها
بالظلم والenfوان

وانها حقا لطرق مشينة غير لائقة بدولة عظيمة كانت
تدعى انها ممدنة العالم

وفضلا عن وجود العدد العديد من المعلمين الانكليز
في المدارس فان هناك وكيفا للمعارف العمومية يكفي وجوده
وحده لكشف الغطاء عن مقاصد المحتلين وهو رجل أرمني
كافر بنعمة البلاد لا يعرف اللغة العربية التي هي لغة الامة
الملية

ولهذا الرجل الذي هو أعظم آلات انكسارنا في مصر
والذي لا أشرفه بذكر اسمه آراء في التربية من الغرابة
بمكان اذ يستحيل خطورها على بال انسان . فهو لا يقبل

أثوه الا على أن يجيبوا لنا هذا النفوذ الذي لا مقصد سيء وراءه وان يبغضوا في أعيننا الاعمال المكروهة التي يأتون بها.

وقد أصبحت نظارة المعارف التي كانت في الايام الخالية تحتوى على أفاضل العلماء من الاساتذة المصريين والفرنساويين مرسحاً لفتية من الانكليز هم أقل أبناء جلدتهم أهلية لوظائفهم واكثرهم غرورا

والنتيجة انه لا غاية لانكثرا من الاستيلاء على نظارة المعارف التي لا تخفى أهميتها على أحد الا نحو كل احساس وطني من القلوب وغرس بذور العداة ضد الفرنسيين في نفوس الناشئين منا وجعل كل أبناء الشبيبة المصرية على الصبغة التي يحبها الانكليز

ومن الصعب عليكم ان تتصوروا ما يلقى به الانكليز في مدارسنا من دروس العداوة والبغضاء للدولة العلية وفرنسا ولكن يكفيكم ان تعلموا بأن الحد قد بلغ بهم الى توزيع الجرائد الانكليزية التي تسب الامة المصرية وأميرها المحبوب أقبح

بالرعاية والمساعدة

ولما كان الامل يسوق اللورد كرومر الى العمل على الاحتلال الدائم كان من صالحه انتخاب غير الا كفاء في الدواوين والمصالح ليكونوا من جهة آلات في يديه ومن جهة أخرى برهاناً لأوروبا على ان مصر محرومة من الرجال الا كفاء ولا قدرة لها على حكم نفسها بنفسها

ونحن بهذه المناسبة نؤمل مزيد الامل أن فرنسا تنطق بحقيقة حالنا وتبرهن لأوروبا على كفاءتنا واستعدادنا لان نحكم أنفسنا بأنفسنا وهي لا تعمل بذلك شيئاً آخر غير الموافقة على ما أتاه أساتذتها الذين لقبونا أحسن الالقاب العلمية

ولا شك ان النظارة التي أضربها النفوذ الانكليزي اكثر من كل نظارة سواها هي القائمة على المعارف العمومية فان الانكليز يعملون دائماً لا تقال المدارس من جهة ونشر لغتهم وأخلاقهم وعوائدهم من جهة أخرى ولقد بذلوا كل مقدرتهم في هدم الارسالية المصرية بفرنسا ويجهدون في محو آثار النفوذ الفرنسي العظيم القوة والسلطة ولكنهم لم يعملوا بما

لما تولى الخديوية أميرنا الخالي عباس حلمي باشا بذل الانكياز كل ما في وسعهم ليقبلوا احترامه في أعين الامة المصرية ولكن الخديو بخطته الرزينة الحكيمة استطاع الحصول على اخلاص رعيته وصدق ولائها له واعجاب العالم بأسره منه . ولقد تظاهر على الدوام ضد كل أمر يخالف الشرع والعدالة أما الانكياز فكانوا يظهرون بكل الوسائل مقاومتهم وعداءهم لهذه الروح الشريفة الوطنية

وكان حق اللورد كرومر معتمد انكلترا في القطر ان يكون مثال الاعتدال لآبناء جنسه . ولكنه يدعوهم الى التحرش والتشبث بوسائل العداء والتهديد الذي يقابلنا به ومع ذلك لو سئل اللورد كرومر عما يدعو الى تحقيق مطالبه بالقوة والعنف لاحتج برغبته في اصلاح ادارات مصر وما هو ذلك الاصلاح ؟ هو تعيين موظفين من الانكياز على الدوام والاستمرار في هدم كل نظام حكومي لتكون لهم الحجة الدائمة في احتلال مصر الى الابد ويتبع ذلك الاصلاح ترقية بعض الجهال والمارقين الى الوظائف السامية وحياتهم

بعد ثمانية عشر شهراً من امضائه لما أرادت قهر الحكومة الخديوية التي كان ينقصها اذ ذاك عضد فرنسا علي ترك السودان المصري الذي نعتبره الروح لقطرنا العزيز وعليه تتعلق حياة بلادنا وموتها

ولقد كان هذا الامر المناقض للشرع والقانون درسا مفيدا للمصريين الذين كانوا يظنون بسداجة ان الانكاز في مصر مخلصو الصداقة لها . فمن ذلك العهد فقه الجميع حقيقة مقاصدهم وعلى الخصوص الوطني الكبير شريف باشا رئيس النظار اذ ذاك فانه لم يتردد لحظة واحدة عن تقديم استقالته وترك العار كاه علي رأس رجل مثل نوبار الذي كان اول من طأ رأسه خضوعا امام رغائب الانكاز

ومن النتائج التي كان يتحتم الوصول اليها عقب دخول الانكاز في مصر تأييد السلطة الخديوية . فلننظر الآن أيها السادة اذا كانت هذه الغاية الاساسية تحققت أم لا . ان انكازا تؤيد سلطة الخديو الشرعية ولكنها حاربتها ولا تزال تحاربها لتظهر نفسها امام الامة بمظهر الحاكمة الوحيدة لمصر . فمثلا

أعلنوها وضد المعاهدات الدولية

وان من أقوى الامثلة على ذلك بلاغ ترابيا الذي أمضته

الدول الأوروبية جمعاء في ٢٥ يونيو سنة ١٨٨٢ أى قبل

ضرب الاسكندرية بخمسة عشر يوما وكان القصد منه ضمانه

استقلال مصر المحدود ومنع كل دولة أوروبية عن امتلاك أى

جزء من أراضى مصر أو نيل أى امتياز خاص لاحداها

ولقد أرادت حكومة جلالة الملكة بامضاء هذا البرتوكول

أن تثبت لاوروبا بصفة صريحة اخلاص مقصدها واحترامها

للمعاهدات . أرادت بذلك أن تحقق للعالم أجمع انها محترمة

معاهدات ١٨٤١ و ١٨٥٦ و ١٨٧٨ المتعلقة باستقلال الدولة

العثمانية ومصر

فهل احترمت حقيقة هذه المعاهدات التى لا يسلم شرفها

الا بسلامتها؟

هل تركت بالفعل مصر لنفسها بدون أن تسلبها شيئا

من أراضيتها أو تنال امتيازها خاصة بها؟

كلا . ثم كلا . لقد نقضت انكلترا بلاغ ترابيا وتجاهلته

الليلة على النقط المهمة من المسئلة المصرية واقفا عند الاشياء
التي تهكم معرفتها
وليس من شأنى ان أكلّم اليوم على مصر بصفتها بلادا
جغرافية فان فى مدينتكم الزاهرة جمعية جغرافية أعضاؤها
من الفضلاء المشهورين تخدم على الدوام العلم والمدنية بما تنشره
من الفوائد والفرائد وان الفضل لعائد عليها فى استجلاب
الصور التي سأقدمها لكم مما له مساس بالموضوع الذي
سأشرحه الآن

*
**

دخل الانكليز مصر فى سنة ١٨٨٢ بعد الحوادث المحزنة
التي تعلمونها جميعا باسم دولة محبة تسعى وراء تأييد السلطة
الخدوية التي كان يهددها قائد عسكري عاص ولتحقيق
الراحة فى البلاد ولا احترام الامتيازات والضمانات الاوربية
ولقد كان أداء هذه الوظيفة سهلا جدا لو اتبعت انكثرا
الخطوة التي رسمتها لنفسها ولكن زين للانكليز أن يغشوا
أوروبا ويعملوا لامتلاك مصر بجرؤا على نقيض الكامة التي

عن مقدار ما تأثرت به من الاحتفال الودى الذى تفضلتم
بمقابلتي به

وأراني دون هذا التكريم لولا اعتبارى اياه موجها الى
مصر كلها لا الى شخصى المتواضع

وانى لذا كر فضل حضرة المحترم مسيو « سير » شيخ
مدينة طولوز حيث ساعد رصيفى الفاضل مسيو « لوى
أريست » على عقد هذا الاجتماع الذى حضرت اليه بكل
ارتياح وانسراح

فان وقوفى فى هذا النادى لا لكم على مصر لمن
أقدس واجباتى خصوصاً وانى أخطب فى بلد بديع أحبه
وأذكر محاسنه مدى الزمان

ولكننى أسألكم قبل كل شىء غض النظر عن قصورى
اذا لم تجدوا منى خطيباً خلافاً فلست الا أحد طلاب لغتكم
الجميلة ولا مقصدلى الا ايقافكم على الحالة السيئة التى فيها بلادى
على انى لو أردت شرح مصائب مصر وآلامها كما ينبغى
لما وفت فى ذلك الايام الطوال ولذا أقصر الكلام هذه

وقال كثير من الجرائد الفرنسية الخطيرة أقوالا مشجعة
لا تخرج في الغالب عن معنى ما ذكر . ولم يمض على هذا
الحديث يومان حتى كان المترجم في طولوز مدينة العرفان
والنور . تلك المدينة التي نال منها شهادة الحقوق حيث ألقى
هناك خطبته الاولى على مرأى ومسمع من العالم الراقى باللغة
الفرنسية . ونحن نشرها هنا ليقراها بامعان كل دارس
لهذه السيرة الوطنية

خطبة طولوز

هذه ترجمة الخطبة البليغة الشائقة التي ألقاها (رحمه
الله) في مدينة طولوز مساء ٤ يوليو عام ١٨٩٥ بناء على
دعوة من كبار رجالها وعظام أساتذتها . وهي الخطبة الاولى
التي ألقاها رجل مصرى على مسامع أوروبا شكاية من
الإحتلال الانكازى

« أيتها السيدات . أيها السادة

ما كان أحوجنى الى بلاغة كبار خطباءكم لاعرب لكم

وأظن يا حضرة المكاتب انى أبديت لك فيما قلته رأى
اخوانى المصريين الذى هو مثل رأى الخصوصى أيضا
ولعل هذا القول يرشد الذين يهتمون بمسألتنا ليحسنوا
المسعى فى انقاذ شعب هادىء ساكن مستجير وتوطيد حرية
الطريق الموصلة من البحر المتوسط الى المحيط الباسيفيكي اه

*
* *

ما انتشر هذا الحديث الخطير هناك حتى أذاعته صحف
العالم من قارة الى قارة ونقلته أسلاك البرق من دولة الى دولة
كما أن شركة هافاس نشرته فى مصر فى اليوم التالى وعلقت
عليه الجرائد الكبرى فى باريس تعليقا كبيرا مرضيا
قالت جريدة الطان والقراء يعرفون منزلة هذه الجريدة
الفرنسية الكبرى فى عالم السياسة والدوائر السياسية الخطيرة
ما يأتى فى ذيل ما كتبه على ذلك الحديث :

« لا بد أن سيكون لمصطفى كامل المصرى دور مهم فى
المسألة المصرية لانه ينطق فيها بالصراحة والحق غير خاش بأس
حد فى بيان المظالم الواقعة على رأس مصر والمصريين الخ الخ

فرنسا في مصر فهي في كل يوم تحارب لغتكم التي نقبل على مطالعتها لا تقاها وجمالها وتعدّ الذين يتلقونها من التلامذة كاعداء لها فتسد في وجوههم أبواب الوظائف وقد فازت بتقليل عدد الموظفين منكم كثيرا وضعضعت الارسالية المصرية التي كانت زاهرة فأصبحت اليوم لا تتألف الا من عشرة شبان نصفهم أرمنيون من مواطني نوبار وارتين ولكن الانكيز لحسن الطالع لم يتمكنوا من كل مساعيهم من اماتة النفوذ الفرنسي تماما في البلاد وذلك لما عندنا من الود المكين لكم

وبرهان هذا الود أننا لما أردنا الاستعانة باوروبا على اسعافنا السياسي كان أول ما عرضنا أمرنا على فرنسا معتقدين كل الاعتقاد انها لا تمتنع عن توطيد نفوذها في الشرق بانفاذها شعبا يحبها كل ذلك الحب

ولكن عندي أمرا أهم من كل ما تقدم أقوله لك وهو انه قد عيل صبرنا من طول الاحتلال فان كانت الحكومة الفرنسية عازمة على عمل فلتعمله سريعا

مصر للانكليز فان مركز بلادنا الجغرافي مهم جدا ومصالح
فرنسا فيها عظيمة لحد يحملها على اعتبار المسئلة المصرية من
أخطر المسائل التي تهمها مباشرة

وفضلا عن ذلك فان فرنسا بصفتها دولة محافظة على
صيانة المملكة العثمانية وعلى استقلالها يجب عليها ان تحقق
الاستقلال المحدود لوادى النيل الذي هو جزء من الدولة العلية
أما السياسة الفرنسية في مصر فلقد كانت - وأراني
مضطرا بكل أسف لان أجبيك هكذا لاجبيك بصدق
وصراحة - ولا تزال سياسة تساهل وتسامح

ولم يترك وكلاء فرنسا في مصر الانكليز يهددون فقط
أعظم تهديد العمل الجليل الذي عملته فرنسا في بلادنا . هذا
العمل التمدني الخيري الذي مانسيناه ولا تنساه أبدا . بل
انهم بصمتهم وسكونهم الذي لا يفهم له معنى شجعوا الانكليز
على استعبادنا وسمحوا لهم ان يحولوا وادى النيل الجميل الى
هند افريقيه اسوأ حالا من أختها الاسيوية

وانظر كيف ان انكلترا تراحم النفوذ الحسى والمعنوى

عاد رحمه الله الى فرنسا في أواخر شهر يونيه وقد دار
حديث بينه وبين محرر جريدة الجرنال الفرنسية في يوم
٢ يوليه سنة ١٨٩٣ وهي من أشهر الجرائد الحرة وقد كانت
أول جريدة نشرت حديثاً سياسياً للمرحوم بعد عريضة
مجلس النواب وهذا تعريب الحديث :

— ✦ — مصر والسياسة الفرنسية — ✦ —

« ان الحديث الذي جرى بيني وبين المصرى الوطنى
(مصطفى كامل) النائب فى أوروبا عن أحبائه بمصر لا بد من
أنه يفيد قراء (الجرنال) وهالك ماقاله لى الوطنى المصرى :
ان سؤالك لى رأى عن السياسة الفرنسية فيما يختص
بالمسئلة المصرية لسؤال خطير جدا وعظيم الاهمية
وان لفرنسا على ماأرى سياستين فى مسألة مصر : سياسة
فى أوروبا وسياسة فى مصر نفسها

فسياستها فى أوروبا هي سياسة صريحة حازمة . فلقد
أعلنت المرار العديدة انها لا تستطيع ولن تستطيع أبدا ان تترك

وآداب الجدل

وقد كتب الكثيرون من أصدقائه اليه يشكرون له
هذه التؤدة في العبارة والحكمة في العمل سائلين ألا يهتم
بأقوال المكابرين

*
**

بعد ان قدم المرحوم العريضة مع الصورة قصد برلين
مع صحافي نمساوي قديم تعارف به بواسطة المسيو ديبلونكل
ولما وصل اليها زار ادارة الصحف الكبرى وعرف مديري
دفة سياساتها وقد أخلص له من بينهم اخلاصا تاما مدير
جريدة البرلينر تاجبلاط المستر زورخ فانه بقي على اخلاصه
القديم يخدم المسئلة المصرية مع المرحوم حتى آخر أيامه

أراد بعض هؤلاء الصحافيين عمل حديث معه على
المسئلة المصرية ولكنه فضل أن يكون ذلك بعد نشر حديث
والقاء خطبة على الاقل على الارض الفرنسية حتى لا يخسر
الدفاع بما يسببه ما بين الفرنسيين والالمان من الحقد
والتباغض والعداء القديم

وتصريحات هانوتو ورجال السياسة العظام قول منقوض
وضحك وهذيان وانهزام السياسة الانكليزية في ميدان
المناقشة الدولية قوة لها وزيادة سلطان .

ألا قولوا للمارقين أمثالكم ماتقولون . أما نحن فلا
تزيدنا أقوالكم الا قوة وثباتا فلا نغفل لحظة عن اظهار
المستور وكشف الغطاء عما أتاه اللورد كرومر ومواطنوه
ضد مصر والمصريين ولا نزال نسأل الوطنيين الصادقين
الانضمام الينا تعزيزاً للحق وقياماً بفروض الوطنية ونجيبكم
على مامضى من طعنكم وما يأتي بقول من قال واحسن المقال
واذا أتتك مذمتي من ناقص

فهى الشهادة لى بأنى (كامل)

باريس فى ٢٦ يونيه سنة ١٩٠٥

*
**

ما انتشرت هذه الجملة حتى خرج كل لفظ بذىء حواه
القاموس العربى من أقلام من يسمون أنفسهم بأطواد الفلسفة
وعلماء الادب مما اشأزت منه كل نفس عرفت الكمال

ساعة احترامها لشرفها والى اليوم لم نر منها ما يدل على قرب
الوفاء ولم يبدلنا من رجالها الا صدق ولا وداد . فهل تعجبون
يا قوم اذا دفعتنا احساساتنا الى كشف الحقائق والاستنجاد
بأمم أوروبا

لعمري الشرف ان ما أتينا به لأحق الامور بالاتيان .
واذا كان تقديم لوحة وعريضة الى مجلس النواب الفرنسي
أثار منكم عواطف الغضب والحقد وهو أمر من أبسط
الاشياء فما عساكم تفعلون غداً والليالي حبالى وكثيراً ما يضر
ذلك « الفتى المصرى » الذى أضاعت عقولكم فعلة من فعاله
لخدمة بلاده وتحرير أوطانه

ألا فانظروا الحوادث وأهزءوا ظاهراً وموتوا باطنا
مما نحن فاعلون وقولوا الاحباءكم ان قبول مجلس نواب
فرنسا لهذه اللوحة رفض فى الحقيقة لها وتأسيس حزب
لمصر من كبار السياسيين رضاء من العقلاء بالاحتلال
 واحتجاج الجرائد الروسية والانمانية والفرنسية على وجود
الانكليز فى مصر تصریح لهم بالبقاء الى أجل غير معلوم

عشر لافي هذا القرن قرن العدالة والانصاف مطالباً بحرية
بلادها ساثلا فرنسا مساعداً وتعصيذاً حيث لبت اذذاك
نداءه ورقت رحمة لانيين أمته ونصرتها في مطالبها الحقمة
وساعدها على نيل الحرية والاستقلال نعم اقتفى أثر رجال
مثل سكوفاس واكزانتوس وريكوس الذين سهروا الليالي
الطوال على تحرير اليونان ولى أحسن اقتداء بكافور وغيره
ممن وهبوا ايطاليا الاستقلال بعد الجهد الجييد . كيف
لا أقتدى بهؤلاء الرجال واعمل مثل هذه الاعمال وقد انقذت
فرنسا من هاوية الخطر غانية تضرب لنا وحدها الامثال
واذا كان الانكيز يعملون الليل والنهار على امتلاك الممالك
واستعمار البلاد ويجرون مما رزقوا من العقل والثبات وانتهاك
حرمة المعاهدات في سبيل الاستيلاء على مصر ومد سلطتهم
من الاسكندرية الى حكومة الكاب فهل من المستغرب ان
يطالب مصري « بحرية بلاده وهو أمر طبيعي بل فرض »
تفرضه الحياة على كل انسان واذا كنا صبرنا معشر المصريين
ثلاثة عشر عاماً ننتظر الخلاص من انكارتا نفسها وترقب

فان كنتم نسيتموه فليكن منى مذكر عادل يقول لكم ان كل
أمة في الوجود لم تر للحياة سبيلا الا على يد رجل أو رجال
خاطروا بحياتهم وقدموا أنفسهم ضحية لها . وأنا لمصر ذلك
الفرد الذي يضحي حياته لحياتها ويخاطر بنفسه لانقاذها من
الخطر المهدد لها . فان كانت شيبتي داعي لومكم علي فهي لي
نعم الفخار ولا بناء جنسى خير محرك على خدمة الوطن العزيز
نعم هي فخارى فانى وان أكن فى أزهر سن الشباب
لست ممن يميلون مع الالهواء ويقضون الساعات والايام فى
الملاهى والممذات بل أنا ممن لا تحلوا الحياة فى عيونهم مادام
الوطن على خطر والامة على شفير هار . أفأخركم حقا أيها
الطاعنون امام العالم أجمع بأنى وهبت حياتى لامتى وبلادى
وبدأت اعمالى بعد سن الدراسة بمطالبة أوروبا العادلة حقا
وانصافا . أفأخركم ساخرآ من طعنكم وقد حكم بأنى أقتنى اثر
رجال شرفهم التاريخ لما شرفوا بلادهم وأعزتهم مواطنهم
لما أعزوها وأعلوا شأنها

نعم اقتنى اثر رجل كفرانكاين جاء فى القرن الثامن

كلمة الى الملل لسبب

اذا رضيت عنى كرام عشيرتى فلا زال غضبانا على لئامها
عذراً أيها الاصدقاء الاوفياء اذا قصرت عن القيام
بواجب شكركم على دفاعكم عنى أمام طغمة المارقين الذين أقل
صفاتهم ان لا وطن لهم ولا خلاق . فانى أترك الوطنية الحققة
تشكركم أجل الشكر وادع المحامد محمدكم على رفيع احساساتكم
وجليل شيمكم واستميحكم العفو اذا خصصت رسالتى هذه
للرد على هؤلاء الخوارج بلسان التاريخ فان فيه ولا مرء
أقوى مساعد على خدمة بلادى العزيزة وتحرير أوطانى المحبوبة .
يلومنى الخصوم على الدفاع عن حقوق ضائعة وحرية مسلوبة
ويصفون شريف الفعال بأعمال الصغار ونعم هذا الوصف
مألذ مثل ذا اللوم على أذنى . انه لعمر الحق أذ من تغريد
الطيور . أبلغتم أيها الخوارج من التدليس هذا المبلغ حتى اعتبرتم
الفضائل نقائص ونسيتم أو تناسيتم التاريخ وأمثاله المضروبة
على تخليص الامم من الاسر وانقاذ البلاد من خطر الضياع .

المتعلمين .

لأنك لو وقفت على أعمالى من محادثات سياسية
وتعريب للجرائد المصرية العربية ورد على كتب الشاكرين
من الوطنيين مما يعد بانثات لعذرتى ورجوت معى ان
نكون كثيرين فى هذا العمل الوطنى الشاق
ولكنى مع ذلك أشعر بنشاط فوق نشاطى وهمة فوق
همتى وأجد من السعادة ان يكتب قلمى كلمة مصر ويذكرها
لسانى وطانا محبوبا »

مصطفى كامل

برلين فى ١٢ يولى سنة ١٨٩٠

*
* *

لما خرجت جرائد الاحتلال عن طورها ومسها هوى
من تأثير العريضة والصورة اللتين قدمهما المرحوم لمجلس النواب
الفرنساوى كتب رحمه الله جملة صغيرة وأرسلها لجريدة
الاهرام فنشرتها فى عددها الصادر يوم الجمعة ٥ يولى وهذا
نصها :

ماوصل هذا الخطاب الى يد المرحوم حتى جاءنى منه

تلغراف هذا نصه :

« شكر اجزيلا
كامل »



وقد بلغت هذا النص لكل من أمضى على الخطاب .
وما جاء يوم السبت ٣ أغسطس سنة ١٨٩٥ حتى ورد الى منه
خطاب أظهر لى فيه ارتياحه الكبير من عمل اخواني الضباط
ولكنه نصحنأ بأن نقراً ولا نكتب حتى لا يؤل عمله تأويلا
يضر مصر وقد جاء فيه هذه الجملة الحكيمة : « من الحكمة
الانمکن العدو من رقابنا بل نجتهد فى توجيه السهام اليه مع
احتراسنا من سهامه . وانى لا اود ان يدخل الضباط فى حركتنا
دخولا ظاهرا لان هذا يضر بالمسئلة المصرية ضررا بليغا
حيث يجد الاحتلال مسوغا لاختلاق التهم الثورية بدمر وغير
ذلك مما لا يخفى عليكم

وأملى أن تتخلص من خدمة الجيش قريبا لتكون بجوارى
فى هذا العمل الكبير الذى يحتاج لمئات من المصريين المخلصين

وقد امضى عليه ٣١ ضابطا كلهم مصريون وهذا نص الخطاب

بسم الله الرحمن الرحيم

الى الشهم الغيور الوطنى المصرى مصطفى كامل افندى ايدى الله
السلام عليكم . ان الذين يخاطبونك يمدون انفسهم امام
وطنيتك النادرة وتفانيك في حب مصر المقدسة صفاراً لان
قلمك الحق امضى من سيوفنا وحججك القوية افعل من
رصاصنا فان قصرنا في شكرك فلنا من عملنا اكبر عذر وفي
عفوك اعظم أمل

انا نشكرك ايها السيد المبجل شكر المصرى الصحيح لآخيه
الحميم فاقبل شكرنا واعلم ان روحنا طوع اشارتك في خدمة
هذه البلاد العزيزة فسر في هذا الطريق السلمى الحق ولا
تخف أبدا فان من يخدم الحق يجد على الدوام من الله نصراً
والسلام عليك من اخوانك الضباط المصريين «

٢٤ يونيه سنة ١٨٩٠

(الامضاءات)

اخذوا كل حق فيه غصبا
وفي الختام لا تنس أن تشرح لي آراء الضباط في هذا
العمل ودم بخير لاختيك المخلص
مصطفى كامل «

*
**

بعد ان فضضت هذا الكتاب المنعش حدقت النظر
في الصورة السياسية طويلا وقد كان معي أحد اخواني
الضباط يقرأ في الجرائد حيث ناولته اياها وبعد ان وقفنا
على مغزاهما كاد الشرر يطير من أعيننا على بلاد هذا حالها
وما انتشرت الجرائد في المحطة بين الضباط ووقفوا
على دقائق هذا العمل حتى اقبلوا على سائلين صوراً من هذه
الصورة فاینما كنت أولى وجهى سواء في القشلاق أو في
الطريق أو في النادي أجد من يسألني وقد وعدتهم جميعاً أن
أستحضر لهم صوراً منها

وقد دفع الضباط شعورهم الى كتابة خطاب للمرحوم
يشكرون له فيه هذا العمل وليكون منشطاً له في كل أعماله

أما الخطاب فقد حوى أشياء كثيرة لا محل لذكرها
هنا وجاء فيه ما نصه :

« ابعث اليك بعشر صور من الصورة التي تمثل مصر
وهي راسفة في قيود الاحتمال لتوزعها على من شئت من
أصدقائك الاعزاء . أما تأثير هذا الجهاد فهو عظيم جداً
وأؤكد لك أنه ليس في استطاعة كاتب مهما كان قلمه سيالاً
قويًا في الوصف ان يوفي المقام حقه . لان الجرائد الفرنسية
على اختلاف مبادئها ومشاربها قد استقبلت هذا العمل بكل
ارتياح اذ رأت من المصريين ميلاً كبيراً الى فرنسا واحتراماً
لها واعترافاً بجميلها

ولما كانت الجرائد المصرية لا تنشر كل ما تكتبه
الجرائد الاوروبية في هذا الموضوع فقد عازمت ان ابعث
اليك بكل ما ينشر لتقرأه وحدك . وأرجوك ألا تتظاهر
بأي عمل سياسي لئلا يضرك الانكايز ولا يغيب عنك أن
القوانين العسكرية صارمة لا ترحم أحداً وعلى الاخص أخا
من يعمل ضدهم ويدافع عن وطن آبائه وأجداده الذين

ليرى القارىء فى الاول منهما كيف تظهر العواطف الوطنية فى صورة جلية ويقراً فى الثانى منهما كتاباً من وجدان الناشء المجاوز لطفولته حديثاً بعد أن أجلنا فيه قلم التصحيح لاقامة الاعراب مبقيين لهجته وأسلوبه كما هما

ويقيننا أن نشر هذا الكتاب الصغير فى الصورة التى ركبها فيها قلم كاتبه أنجح تأثيراً وأفضل مما لو كنا تصرفنا فيه تصرفاً يذهب بلهجته وبطريقته معاً

بل هذان مثالان صغيران نقدمهما لكل مصرى وان أراد مثالا ثالثاً نقدمه اليه اجلالاً لشعور الضباط حماة الامة نذكر له ما يأتى :

عرفت أيها القارىء الكريم انى كنت فى سواكن ذلك الوقت وقد انتظرت بنافذ الصبر ما ذكرلى المترجم فى خطاب بعث به الى من انه أوصى على صورة سياسية وما جاء يوم السبت ٢٢ يونيه حتى وردت الينا الجرائد وفيها نص العريضة ووصف اللوحه كما انه ورد الى أيضا خطاب من المرحوم ومعه ملف داخله عشر صور

كثيراً لأن هذا الخبر يسر كل انسان

ونعم انك لما كنت تنشئ مجلة المدرسة التي كان برنجي
الفرقة يخطفها مني دائماً ولا يمكنني من قراءتها كلما حضرت
الى كنت صغيراً جداً لا أقدر أفهم معنى ما أقرأ ولكن الآن
ببركة الله والرسول أستطيع أن أقرأ ما في الجرنال من
الحاجات اللطيفة والاخبار التي تفرح

فتقبل يا أيها المصري الامين كما يلقبك أبي ثنائى الجميل
لانك غريب عن وطنك الآن وليس معك خادم ولا خادمة
ولا أحد يقضى لك لزومك وأنت مشغول بمقابلة مجلس
فرنسا وأحب منك لما ترجع بالسلامة باذن الله أن ترسل لى
فى البوستة مجموعة المجلة (المدرسة) فانى أحب ما فيها من
المحاورات وأعدادها عندي أكثرها ناقص. وربنا يرجعك
مصر سالماً غانماً آمين كاتبه أحمد نعيم

بمدرسة راتب باشا بمصر «



أثبتنا هذا الكتاب بنصه كما أثبتنا سابقه بلا تصرف

كان علي وليكني قد أديته من زمان طويل يوم تنبأت لك
بالمجد الذي أنت ملاقيه بعد أن بنيت المقدمة علي ما شهدت
من وطنيتك العالية ومناقبك الغراء وكانت النتيجة التي تفرح
منها في ظل ظليل لمجد أثيل

أمتعنا الله بك وردك الينا خفاقة عليك أعلام الظفر
حافة بك بشار الفوز والتوفيق بالغة بك مصر ما تريده
ويريده المخلصون لها جميعاً من السؤدد والرفعة والعزة والهناء

وتقبل على البعد الخ الخ
الامضاء

(محفوظ)

١٨ يونيو سنة ١٨٩٥

وكتب اليه تلميذ من تلاميذ مدرسة راتب باشا

الكتاب الآتي :

تعلمت من أبي أن حب الوطن من الايمان وألقى علي
الاستاذ سير بعض المجاهدين وكان عمي يقرأ لنا في البيت
منذ أيام جرنالا اسمه المؤيد وعرفت منه أن للأمة المصرية
التي قال معلمي انها عائلة كبرى فتى طيباً شريفاً يخدمها في
باريس فأخذت منه الجرنال وقرأت بنفسى فانبسطت نفسى

بمالنا من الحقوق . ولو علمت ما أعلم وأنت العالم الحكيم من
أن وجود مثل هؤلاء المنافقين المتخربين نتيجة طبيعية من
نتائج استبداد المصلحين !! لقلت معي ان الفضيلة لا تعرف
الا بمعرفة الرذيلة واذا لم يكن في الوجود أضداد فكيف تتميز
الاشياء ويتفاضل الناس ??

عهدت في رأسك ذهنا شفافا وفي ذهنك خاطر اسريعا
كما عهدت منك عزيمة أصلب من الجبال الشم وبين جنبيك
قلبا على الاعداء كأنما قد من صخر فكن كما أنت مثلا حسنا
للمصريين أمام العالم المتمدن

فاني واثق أن المجد لا يخذل ولا بد من نصره الحق
آخرأ وان طال خفأؤه ولا مفر من خذلان الباطل ولو كثر
في هذا الزمان نصرأؤه . وقد سألني الكثيرون من
اصدقائك عن عنوانك في باريس فكنت أدفعه اليهم بحرص
حذر أن يجد الدساسون طريقا اليك

واني في الختام أهنيء مصر بما ستلقى من أبر أبناءها
بها ولا أهنتك بما توقع لك من المستقبل الجديد فهذا واجب

فلتسر يا مصطفى في نهجك القويم . فلو أنصفوك وأنصفنا
الزمان بعد طول الخذلان لانضوى تحت لواء جهادك كل
مصرى قادر حتى ترد الينا بضاعتنا ويرجع الينا عزنا المسلوب .
ومعاذ الله بعد أن رأيتك تجاهد هذا الجهاد الشريف وثبتت
فيه هذا الثبات النادر أن يجد اليأس الى قلبي سبيلا أو ينقطع
من نفسى عرق الرجاء

وإذا جاز لمثلى أن ينصح لمثلك وقد عرفتك من قبل
شابا في الطفولة وكهلا في الشبية وسأعرفك شيخا حكيما في
مقبل أيامك فاني أنصح لك ألا تعير أقوال الخصوم جانب
الالتفات فانهم مأجورون ولا كرامة في الدنيا للمأجور .
فاعتصم بحبل الله واصبر على ما تلاقى من العناء الجلم في هذا
السبيل صبرا جميلا فالعاقبة للصابرين وسيتلاشى أمامك هؤلاء
الاعداء كما يضمحل الثلج تحت شعاع الشمس وليس للباطل
ثبات ولا للحق هزيمة بل ان هؤلاء المرجفين الذين يحاولون أن
يقطعوا عليك خط السير وقيموا في طريقك العقبات والمشاق
أخلق بهم أن يكون صنعهم داعيا الى تبصيرنا وزيادة تذكيرنا

صادفت فئة من أعداء البلاد الاحسدوك . وبالجملة فان
المصريين الذين يجرى في عروقهم دم مصرى يسألون الله أن
يبارك فيك ويمدك بروح من عنده ويقوى حزبك المنصور
حزب الحق والحرية والسلام

ان مصر قضت سنين طوالا وهى ترسف من كيدهؤلاء
الذين دخلوا بلادنا باسم الاصلاح فاختل بهم نظام الادارة
وتفشت الفوضى فى فروع الحكومة : فى قيود من الاستبداد
والاستعباد تحت ستار التحسين والاصلاح . ومعاذ الله مهما
تظاهروا بعكس ما يضرهم أن انخدع بهم ونستكين الى
الأعيبهم وأكاذيبهم فقد آن لنا أن نرشد وأن نتعظ فى الحاضر
بما رأينا منهم فى الماضى

فأين ما وعدونا به من الوعود الكبار وأين هى آثار
الاصلاح ؟ انى أوقن أن هذه اللفظة التى تتحرك بها ألسنتهم
ولا تنطبق عليها أعمالهم لفظة لا وجود لها فى قاموس الادارة
الانكليزية بل هى توشك أن تكون عندهم من قبيل الألفاظ
التي لا معنى لها عندنا

يكتب اليه ننشر هنا كتابا استطعنا بالجهد الجهد ان نجمع
سطوره وهو كتاب حركة الغيرة الوطنية الى كتابته موظفا
من كبار موظفي الحكومة الآن يشغل مركزاً سامياً من
المراكز المعدودة

كتب هذا الموظف الكبير الى المترجم كتاباً كنا نود
ان ننشره بخطه واسمه لولا ان التصاقه بالحكومة يحول
بيننا وبين ذلك

قال حفظه الله بعد التحية والتسليم مانصه :

أهنئك تهنئة صديق أنت أعلم بالقلب الذي يحمله
صدره وبما يكن هذا القلب نحوك من العواطف كما انك
تعلم علم اليقين بوفائه لبلاده وحبه الذي كاد يكون جنونا بها
وبعد فان عمالك الاخير قد أحيانا فينا الآمال وأعاد الى
النفوس تلك الآماني التي كنا نرتبها في المدرسة في زمن
السعود والاقبال زمن الهناء وفراغ البال وقد بلغ من اعجاب
القوم بك الا الحاسدين اني ما اجتمعت مع صحب الا
ذكروك ولا لقيت جماعة من الكبراء الا أكبروك ولا

النعم بالكفران فطرة طبيعية ركبت في نفس الفاضل
وسجية غريزية قامت في طبيعة الغادر الجاهل

فلا تسئل أيها القارئ عن سرور الامة المصرية عن
بكرة أبيها في شمال القطر وجنوبه ومن شرقه الى غربه عند
ما قام المترجم بهذا العمل الوطني الحميد فقد لهجت به ألسنهم
وشغفت بحبه قلوبهم وتمثلوه حاضراً بين أعينهم ينثرون عليه
طاقات الزهر وعبارات التشجيع ويدفعون عنه ما قام به
ضده سفراء السوء ووسطاء الشر من الحملات المنكرة
سواء باللسنة أو بالاقلام وقد عثرنا بعد وفاة المترجم على
تف متفرقة في كتب من القدم متمزقة وفيها من عبارات
الشكران والثناء الجميل التي كان ينفحه بها المصريون أثناء
جهاده ما كان خليقا ان ينشر لولا ان هذه الكتب لقدمها
قد تأكلت وذاب بعضها وهي مما وصل اليه في باريز عقب
نشر تفصيل هذا العمل المشكور هنا

ولكي نعطي قراء هذه انسية مثالا صغيراً مما كان

فى يمينى حياءً دون ان أستطيع كتابة لقب واحد منها والكاتب
الذى يحترم قلمه يربأ به ان تقطر منه رشاشة تسود وجهه
القرطاس

وكان هذا الاستقبال من كلا القسمين ما ينتظر بالطبيعة
لان المترجم وقف بين صفيين من الجرائد مختلفين نزعة وسياسة
فجريدة وطنية تطرى كل حركة وطنية وترحب بكل سعى
ووطنى وتأخذ بناصر العاملين من الوطنيين وفاء بحق الخدمة
لهذا البلد الامين. وجريدة احتلالية تخطف كل حركة ليست
على هوى الانكايه وتشمئز من كل سعى يدل على نهوض
المصريين وتكتب الالفاظ البذيئة والالقاب الذميمة مفيضة
هذه وتلك على كل مصرى عامل ووطنى ناهض

وهل ينتظر من الصديق الوفى غير عبارات التامين
على كل دعاء والتلبية لكل نداء. وهل ينتظر من الدخيل
الفادر خادم العدو القاهر غير الطعن والتقييح لكل عمل
صالح؟ هكذا الدنيا من القدم رجل يعرف الفضل لذويه
ويعترف به لمسديه ورجل يقابل بالاساءة الاحسان ويتلقى

بوجوب وفاء الانكايذ بوعودهم لان الحكومة التى لاتبنى عملها على أساسين من الشرف والوفاء لاتكون محترمة امام العالم ولا مذكورة بالثناء على لسان التاريخ . اما جرائدنا فانها انقسمت ازاء هذه الحادثة الى قسمين . الجرائد الوطنية مشجعة مبشرة والجرائد الاحتلالية مشبطة مندرة

فالاولى استقبلت هذه الحركة الميمونة بماهى أهل له من الاكبار والتشجيع اذ علمت عند ورود التلغرافات العمومية بهذا النبأ تعليقا يشف عن فرط رغبتها فى تشجيع همم العاملين من الوطنيين لخدمة البلاد خدمة صادقة خالصة ويعرب عن أكيد الوفاء لمصر وكذلك كتبت الفصول الضافية عند ماوصل اليها نص العريضة وصورة اللوحة المصحوبة بها

اما الثانية وهى الجرائد الاحتلالية فانها كما هو المنتظر منها وكما هو شأنها استقبلت هذه الحركة بتهديد المصريين والطعن عليهم فى كل ماله مساس بهم ولقبت المترجم بما نضح به اناءها وجاد به أدها وذكأؤها . لقبته بألقاب يقطر القلم

والطول

وانا ننذر هذا المصرى وغيره انذارنا الاخير من ان الدول الاوروبية جميعا ترى من مصلحتها بقاء الاحتلال ليضمن لهن مصالحهن لان المصريين ليسوا ا كفاء لهذا العمل فاذا تركناهم وشأنهم وقعت مصر فى الفوضى التى كانت عليها فى سنة ١٨٨٢

وفى نهاية قولها هزأت بالجرائد الفرنسية التى عضدت هذه الحركة وقالت : ان من الخرق فى رأى ان يعضد الانسان غريباً جاهلاً غير متمدن ضد جار اقرب وأنفع !!! «
على هذه النعمة الانكليزية وبهذه الالفاظ التى يتحرك بها لسان السياسة الاستعمارية جاءتنا جرائد الاحتلال فى حين ان جرائد العالم بأسره قد استقبلت هذا العمل العظيم بصدور رحيب حتى ان جرائد امريكا استبشرت خيراً بهذه الحركة المباركة فقد كتبت جريدة « نيو يورك هرالد » فصلاً ينم على حسن أدبها وصدق لهجتها هنأت فيه المصريين بعملهم وأثنت ثناء جميلاً على ما عندهم من النشاط والذكاء ونادت

السيكل . الاكلير . الماتان . البترى . فرنس . الليبرتيه)
وغيرها مما يضيق المقام عن ذكره

اما الجرائد الانكليزية فانها استقبلت هذا العمل
بالاستهزاء كما هو المنتظر منها وسبت المترجم سباً شنيعاً
كعادتها في كل أمر يدل على نهوض المصريين . وقد قالت
جريدة ذى ستندرد في هذا الموضوع ما تعريبه :

« ظهر بين المصريين رجل مهيج يدعى انه مصرى
والحقيقة انه تركى وقد كان أبوه موظفاً في سراى الخديويين
المصريين . قدم هذا المهيج المغرور استنجاداً لفرنسا من
الاحتلال ونسى ما عليه انكترا من القوة والحق في احتلال
مصر

ويظهر ان المصريين ناكرو الجميل لاننا أحسنا اليهم
فعلمناهم بعد ان كانوا انعاماً ونظمنا جيشهم وأحسنا أحوالهم
المالية .

فالرأى العام الانكليزى لا يلتفت الى هذا الهذيان الذى
يدل على ان يداً كبيرة تحركه ضد انكترا صاحبة الحول

أثبتت العريضة ووضعت الصورة قالت فيها :

« يظهر ان المصريين متألمون كثيراً من أعمال الانكليز في مصر وان الحكم الانكليزي وتوغل الاحتلال في بلادهم علمهم كيف يكونون رجالا . اما سياسة المانيا في مسألة الاحتلال الانكليزي المصري فهي غامضة لان ولو ان الالمانيين يعطفون بكل جوارهم على المصريين قال لنا مصطفى كامل في كتابه انه سيزور برلين قريباً ونحن نرحب به وبكل مصرى يزور بلادنا لبث شكوى المصريين »

*
* *

وقالت جريدة دى روما الايطالية مالا يخرج عن معنى ما كتبه الجرائد النمساوية والالمانية اما الجرائد الفرنسية الكبرى التي أشارت الى هذا العمل السياسى العظيم فهي :

(الطان . الديبا . الريوبليك فرنسيز . الفيجارو . البتي جورنال . السولى . الاتراسيجان . الراديكال . الفريتيه

تقديم عريضة لمجلس نواب فرنسا (ونشرت صورتها كما
وضعت اللوحة السياسية)

ولا شك عندنا ان المصريين ما اختاروا باريس مركزاً
لاعمالهم السياسية الا لتلك الرابطة القوية التي تجمعهم
والفرنسيين الذين عاشروهم طويلا ونشروا بينهم العلوم
والمعارف باخلاص فضلا عن المصلحة القوية التي لفرنسا مادياً
في مصر والتي تفوق مصالح كل الدول. وانه اذا كانت فرنسا
تظهر انعطافاً نحو المصريين فكذلك النمساويون يظهرون
هذا الانعطاف نحو بلد أميره ابن النمسا أدبيا وهو الامير
« عباس حلمي الثاني » خديوى مصر فهل لحكومتنا ان
تجيب نداء المظلومين فتأخذ بيدهم في مؤتمر يعقد للفصل في
هذه المسئلة المصرية الدولية ؟ هذا ما نؤمله . . . ونختم قولنا
بأن نهىء مصطفى كامل من صميم فؤادنا على عمله هذا
ونرجو له التوفيق هو واخوانه في هذا العمل الوطنى العظيم

*
* *

ونشرت جريدة برلينر تاجبلاط الالمانية جملة بعد ان

بكرامتها وانها لا يصح أن تكون كمية مهمة الى أن
قالت :

والمسئلة المصرية التي قام على رأس العمل فيها مصطفى
كامل لم تكن مسئلة الامة المصرية فقط بل هى مسئلة العالم
المتمدن بأسره وفي مقدمته فرنسا التي غرست شجرة العلم
العصري في مصر وأول الحكومات ذوات المصالح فيها .
مادياً وأدياً

وانه اذا كان المصريون اختارونا للدفاع عنهم فنحن أحق
بأن نختار أنفسنا أيضاً لمناقشة انكارتا وطرح المسئلة المصرية
على بساط البحث مع مسئلة الشرق الاقصى »

وقد نشرت جريدة الا كستراجبلاط النمساوية كلمة
في سبيل هذا العمل السياسى هذا تعريبها :

« ان مصطفى كامل المصري شاب تعلم في فرنسا ونال
منها شهادة الحقوق وقد تشبع بروح الدفاع عن حقوق وطنه
مصر والظاهر ان في مصر جمعية كبيرة تعمل لانقاذ الوطن
وان مصطفى كامل موفد من قبلها وقد كان أول عمل له هو

في هذا الصدد الى مؤلفات ضخمة . وقد قدمنا ان المترجم
يبحث الى كل جريدة من جرائد العالمين بنسخة من العريضة
وصورة من اللوحة السياسية ؟ ولا يخفى أن جرائد العالم
الاروبي والامريكي كانت اذذاك تبلغ نحو ثمانية آلاف جريدة
عدا . وهي بين صحف مصورة وصحف غير مصورة كما أنه لا يخفى
ان استقصاء ماورد في كل هذه الجرائد عن هذه المسألة
الخطيرة بل الحادثة التاريخية الكبيرة لامتنع له في هذا
التاريخ

ولهذا نجتزىء في هذا المقام بما نحن ناشروه . قالت
جريدة « الجولوا » وهي اكبر وأقدم الجرائد الفرنسية
مايأتى :

« ان العريضة التي قدمها مصطفى كامل المصرى مع
اللوحة التي تمثل فرنسا في عظمتها وتحريرها للامم الضعيفة
أصبحت موضوع الحديث في كل انحاء فرنسا ولا نخطيء
اذا قلنا في كل انحاء العالم . فان العمل في ذاته جليل وهو يعد
بمثابة تاريخ لظهور الامة المصرية بمظهر الامم الحية التي تشعر

من حقوقه الطبيعية الثابتة وان مضر ذات المجد التاريخي القديم
والعظمة الجليلة المدهشة وجمع المدنيات الثلاث حرام أن
يكون حاضرها أقل من ماضيها سوّداً وشرفاً

كما انها الفتت الجرائد المحلية الى همة هذا المصري
الوطني العامل والى ما يعمل لخدمة وطنه بمثل هذا المسعي
البرور الذي يمثل المصريين أمام الاجانب تمثيلاً يملأ العيون.
وقد نوهت شركات البرق بذكر هذا النبأ. فاحدث

كل ذلك ضجة في الدوائر السياسية التي عنيت بفهم هذه
المساعي عناية فائقة. وتلفت القوم ينظرون من هذا المصري
الذي بهر الابواب بعالي همته وشرف آماله الكبار

ولما كانت آراء الصحافة الاروية والصحافة الامريكية قد
تمثل اكثرها في هذه المسئلة فانا نذكر هنا أقوال وأسماء بعض
الجرائد التي كتبت في هذا الشأن كمثل على ما كتب اكثرها
لان اثبات ما كتبه جميعها أمر يحتاج الى مجلدات ضخمة
ويستغرق وقتاً غير قليل

وكيف لا يحتاج اثبات ما تفضلت صحف العالم بنشره

وهل لفرنسا ان تؤيد بهذا العمل الجليل مكاتها في العالم

الاسلامى الواثق بها؟

على ان ذكر اسم مصر عند ما تكون حرة مستقلة
بجانب أسماء الامم العديدة التي حررتها فرنسا ليس بالفخر
القليل لها .

« فلتحى فرنسا محررة الامم »

*
* *

وانا لا تمتدح بما لقي هذا الصنع الجليل من عظم التقدير
ولا بما كان له من بالغ التأثير وانما نضع هذا الاثر السياسى
التاريخى النفيس ليحكم القارئون بما يرون من استحقاق هذا
الجهاد السامى فيكون حكمهم عادلا وجهد ما نستطيع ان
نقوله ان هذه الحركة الجميلة الفتت أنظار الجرائد الاروية
الكبرى والصغرى على اختلاف أجناسها ومنازعتها الى ان
في مصر شعباً حياً يطالب بماله من حق مسلوب وملك مفصوب
بالطرق السلمية المشروعة وان هذا الشعب المهضوم الجانب
بحكم السياسة الجائرة جدير بأن يسترد ما هو عامل على استرداده



وأما العريضة التي رفعت لمجلس النواب فهذا نصها :

«ياحضرة الرئيس

انى بأشد انفعال يخالج القلب تأثيره أشرف بأن أقدم
لمجلس النواب الذى أنت له نعم الرئيس هذه اللوحة التى تمثل
مصر طالبة من فرنسا أن تكون لها خير عضد يساعدها على
استرجاع حريتها واستقلالها . وان هذه اللوحة تمثل لدى
مجلس النواب حالة أمة ناشئة غيورة على حريتها المسلوبة بغير
حق منذ ثلاثة عشر عاما . ولقد برهنت الامة المصرية
ياحضرة الرئيس مع مايعتورها من المصائب الشديدة على
سكينة وصبر عجيبيين استمالت بهما قلوب الامم الاوروية

ولكن لما اعترها النصب جاءت مستغيثة بفرنسا .

هذه الدولة العظيمة التى أعلنت « حقوق الانسان » والتى

سارت به منذ قرن فى سبيل التقدم والمدنية

جاءت الامة المصرية تستغيث بهذه الامة الكريمة

التى حررت عدة من الامم . فهل تجاب فى استغاثتها وتضرعها؟

www.alkottob.com



Appel au secours du Peuple égyptien à la France libératrice des nations.

 أهذا بيان من مجلس نواب فرنسا
 التي تحررت الأمم، والى السيد
 المصري في يومه الذي فيه
 استجاب لطلبه

Appel au secours du Peuple égyptien à la France libératrice des nations.

﴿ الصورة التي قدمها القميد ﴾

﴿ الى مجلس نواب فرنسا ﴾

وعلى يسار تلك الصورة الهائلة ترى النيل وقدمثل بشيخ
من شيوخ الاعصر الخالية متكىء على اناء تنفجر منه عيون
النيل ومن دقيق الاشارات ان ذلك الرجل الهائل ضارب
باحدى رجليه فى النيل رمزا الى معنى الاحتلال . وقد زينت
الحاشية السفلى لتلك اللوحة بهذه الايات التى كتبت بالعربية
(وهى من انشاء الفقيه) وكتبت امامها ترجمتها بالفرنساوية :
أفرنسا يامن رفعت البلايا

عن شعوب تهزها ذكراك

انصرى مصر ان مصر بسوء

واحفظى النيل من مهاوى الهلاك

وانشرى فى الورى الحقائق حتى

تجتملى الخير أمة تهواك

أنواع المحاسن قائمة على منصة علاها مصغية لاستغاثة الملهوف
تحقق عليها أعلامها الاهلية وهي تمد ينها لتأخذ من يد
المصرى عرض شكاية الامة المصرية الواقعة مستظلة براتها
الهلالية رافعة يديها على صورة المستغيث مما نزل بها . ومن
وراء فرنسا قد مثلت الامم التي أنقذتها هذه الدولة من قيود
الاسر محدقة بها تشخصها صور أربع غانيات تحلت كل واحدة
منهن بملابسها الاهلية اشارة الى الولايات المتحدة واليونان
وبلجيكا وايطاليا « وهى الامم التي نالت حريتها بمساعدة
فرنسا » وعلى كل واحدة منها تحقق راية وطنها

وفى الاسفل ترى مصر العزيزة قد مثلت بغانية جميلة
مكبلة بسلاسل الاسر واغلال الهوان قد سلبت كل آثار
نضرتها حتى أصبحت عارية لا تملك سوى شعار حدادها على
ماتولى من أيام سعادتها وتلك السلاسل فى مخب أسدرا بوض
يجاوره رجل هائل الصورة قابض على سيفه ناظر الى مصر
نظراً شزراً كأنه يريد أن يتلعها بضمه . وذلك مثال القابضين
على أمر مصر بالقهر والعنوان

الصورة الى سكرتير المجلس

أما العريضة فقد استلمها منه جناب الرئيس بيده بعد أن استقبلهم استقبالا هو آية في الحفاوة والاجلال مظهرًا لهم ما شاء عطفه ولطفه وما شاءت عظمة فرنسا أمة الحرية من التشجيع والقبول والاقبال مبديا لهم من التكريم ما هو خليق أن يلقاه المخلصون . في خدمة وطنهم وأمتهم في كل زمان ومكان

وقد أرسل المترجم عقب ذلك نسخة هذه الصورة ونص العريضة الممثلين لحالة مصر السياسية ومطالبها الوطنية الى كل جريدة من جرائد العالم الاروبي والامريكي

أما الصورة فانهما تمثل مصر والاحتلال الانكليزي وقد رسمت بالبوية وطبع منها الآلاف العديدة التي وزعت على النواب وأصحاب الجرائد وكافة السياسيين والتي أحدثت في الشعب الفرنسي كله أحسن وأجمل تأثير . وهذه الصورة تشتمل على مجموعة رسوم ورموز مثلت فيها فرنسا بفتاة استكملت

العريضة المرفوعة

﴿ الى مجلس النواب الفرنسى ﴾

وكان المترجم قد أوصى بصنع كمية وافرة من الصورة التمثيلية السياسية التي صحت عزيمته على رفعها الى مجلس النواب الفرنسى فانهى طبع عدة آلاف منها يوم الاثنين ٢ يونيه سنة ١٨٩٥ وقد جاءت وفق غرضه الذي رسمه شكلا وموضوعا واتفق مع ستة من اخوانه المصريين الافاضل الذين كانوا مقيمين فى باريس اذ ذاك على الاستعداد معه لتقديم العريضة الى جناب رئيس مجلس النواب الفرنسى بصفتهم وفدا يمثل الأمة المصرية أجمل تمثيل

وفى الساعة العاشرة قبل ظهر يوم الاربعاء ٤ يونيه أى بعد نجاز طبع الصورة التمثيلية السياسية يومين قصد مع اخوانه مجلس النواب مملوئين جميعا من روح الأمل التى كان يثها المترجم فى صدورهم متمثلين أمام أعينهم المستقبل الباهر لمصر بما يرجون من معونة فرنسا للمصريين فى هذا السبيل . ورفع

التعب في انقاذ الوطن العزيز اذ ان ذلك من صالح أوروبا
ولامراء في أن الدول التي حررت سويسرا وبلجيكا لها في
تحرير مصر فوائد اكبر من فوائدها في هاتين الدولتين
فليس على المصري الامين واجب آخر غير نشر الحقائق
عن أمته ووطنه في أوروبا والاستعانة بها كما استعان بها غيرنا
من قبل. الا فاجعوا كلمتكم أبناء الوطن العزيز وأخلصوا النية
في خدمة مصر والقوا وراء ظهوركم الشقاق والنفاق واختاروا
سبيل الخلاص سبيلكم حتى يشهد ايكم العالمون بالكفاءة
والاستعداد وحب الوطن وترون بعين البهجة والرضاء بعد
زمن يسير (مصر للمصريين)

(مصطفى كامل)

باريز في ٢٤ مايو سنة ٩٥

منا حظاً وانكد طالعاً فعملت وجدت حتى بلغت السعادة
والعلاء بل لو كانوا تصفحوا التاريخ وقرءوا ان كثيراً من
الامم التي نعجب بسعدها اليوم رأات من العذاب أشد
العذاب ومن الاجحاف أكبر الاجحاف لكانوا عملوا على
اسعادة مصر بالعزم والحزم مع الصبر والانتظار وكانوا الاحالة
نجحوا في عملهم الشريف

فهذه الولايات المتحدة التي تدهش العالم كل يوم
بمحاسن أعمالها وأحاسن اختراعاتها عاشت عهداً طويلاً تحت
نير الظلم والاستبداد يجرعها الانكليز كؤوس العذاب ولم
تنهض الى المطالبة بالحرية والاستقلال الا بائحاد أبنائها والعزم
والحزم والصبر والانتظار

وهذه ايطاليا صبرت طويلاً وعملت كثيراً فنالت
الجزاء أحسن الجزاء وأصبحت اليوم في عداد الدول الخطيرة
وكذلك اليونان وغير اليونان من الامم التي نالت
الاستقلال بالجد والثبات والاقدام

وأتم أيها المواطنون الاعزاء لا تحتاجون لكثير من

هذا مضمون ما فاده به كاتب سياسي خطير ولست محتاجا
لان أعرف القراء الكرام ان قوله لم يكن مؤلما فهو حق
صدق وكلكم قائلون ذلك عند قراءة رسالتي
وحقا ان المصيبة في أمر مصر تقع على رؤوس الضعفاء
منا والدخلاء علينا اكثر من وقوعها على الجنود التي تحتل
بلادنا فرجال حكومتنا الموكولة اليهم الاعمال اما اجاناب
عن مصر أو ضعفاء من مصر أو يائسون لا يصدقون بخير لمصر
ولو عرف أولئك الاجانب عنها ان من أشرف الخصال
وأجل الشرائع الاعتراف بالجميل ومعاملة هذه الديار بالنظر
لما عاملوها هذه المعاملة والقوها بين يدي أعدائها يتصرفون
في أمورها كما يشاء هوام

ولو فهم الضعفاء من رجال حكومتنا ان الوطن فوق
كل شيء وان الشفقة عليه والاخلاص له يجب ان يكونا
فوق الشفقة على الام والاب لما كانوا سلموا أمور مصر
الى أعدائها وألد خصومها يخربون البلاد ويشقون العباد
ولو علم اليائسون منا ان كثيرا من الامم كانت أتعس

وضاعت مصالح المالين ونزلت القراطيس المصرية بعد ان
تحسنت وصعدت فهل قام منكم وفد جاء أوروبا بامناديا بالحقائق
طالباً العدل والانصاف . أما لكم في بعض العناصر الشرقية
كالسريين والبلغاريين وغيرهم عبرة كبرى . واذكر والآن
الارمن الذين لا يفضون لحظة عن تأسيس الجمعيات والقاء
الخطب على انهم ما عرفوا من قبل معنى الاستقلال وما ذاقوا
للآن حلاوة الوحدة في العمل وعدم تسلط اليد الاجنبية
على بلادهم كما ذقم أنتم حلاوة ذلك في عهد الاسرة الخديوية
الكريمة وفضلاً عن ذلك فانهم ليس لهم حق يخول لهم نيل
مطالبهم أما أنتم فحقوقكم اكبر الحقوق وليس لكم سبيل الى
استرجاعها غير نشر الحقائق في أوروبا والاستعانة بها

هذا خطأؤكم في سياستكم وليس بالعسير عليكم اصلاحه
أما أنت أيها الشاب المصري فقد أحسنت عملاً اذ جئتنا
اليوم تنادى باستقلال بلادك فأمل خيراً كثيراً وادع أبناء
بلدتك الى الانضمام اليك ليكون صوتكم عالياً يسمع في كل
(الارجاء)

وأنا اليوم أقول « لو كان عدد الوطنيين الصادقين في مصر بقدر عدد المارقين والدخلاء فيها لكانت نجت من عهد بعيد » فالبلاء كل البلاء في تعيين الضعفاء والبسطاء في المناصب الرفيعة وإبعاد الصادقين الا كفاء من المصالح والادارات والمصيبة كل المصيبة في وجود بعض مصريين لا يفهمون معنى حب الوطن وآخرين لا يدرون (وهم في مصر) ان مصر بوضعها الطبيعي لا بد ان تكون حرة مستقلة

فكيف تريدون أيها المصريون حرية بلادكم وخروج الانكاييز من دياركم وأنتم لم تعرفوا واجباتكم الوطنية ولم تهدوا أوروبا الى الحقائق بل تركتم هذا الواجب الخطير الى الجرائد الانكاييزية تقص علينا من أموركم ما يناقض الحقيقة ويخالف الواقع فهي تقول لنا يوماً انكم راضون بالاحتلال تدخلون في بابه أفواجا أفواجا وتحذثنا يوماً آخر عن تعصبكم في دينكم وكرهكم لغير أبناء جنسكم وتذكر لنا تارة انكم لستم اكفاء ولا يليق بأوروبا ان تضع ثقتها بكم وطوراً آخر ان الانكاييز لو تركوا دياركم لصرتم كالوحوش بل أضل سبيلاً

والتخريب ولكن اندهشت أعظم دهشة عند ما قرأت في الجرائد خبر تأسيس محكمة مخصوصة تقبض بيدها على السلطة التشريعية والقضائية التنفيذية وزادت دهشتي لما علمت ان الذى قرر هذه البدعة الكبرى هو مجلس النظار المصرى المركب على ما أعلم من نظار مصري الجنسية

ومن ذلك اليوم درست المسألة دراسة مجتهد عامل حتى وقفت على ماجريات الاحوال وعموميات الاشياء وخلاصة ما استنتجته أيها السادة هو ان مصر بلد سيء الطالع رزق في هذا العصر المنير عصر الحرية والمدنية باحتلال أجنبي يديره رجال « لا يعرفون غير الاستبداد وحب العلو والظهور والانتقام » وقوم من مصر سواء من أبنائها أو من الداخلين عليها لم يأت التاريخ بذكر مثلهم فهم فصلوا السودان عن مصر ومكنوا العدو من كل شىء وقدموا ما يسمونه بالمصالح الخاصة (على انهم مخطئون فى التسمية) على المصالح العامة الحقيقية . ولقد كان نابليون يقول « لو كان عدد الخونة فى فرنسا نصف ما هو عليه اليوم لكانت هذه الدولة سيدة العالم »

من اسرار أمورنا ما ندرک من أسرار أمورهم بل كنت
اخال القليل منهم مشتغلاً بمسئلة مصر كما شاهدت ذلك في
العام الماضى حتى أتيت عاصمة العواصم في هذه الايام فرأيت
أغلب من لا قيت واقفاً على حقيقة آلامنا عارفاً بمواضيع
جراحنا مما ييشرنى بانفراج قريب للازمة المصرية ونصرة
من القوى للضعيف فلقد لا قيت يوم الاثنين الماضى في وليمة
تكرم بدعوتى اليها حضره المسيو لوسيان ميلفوا صاحب
جريدة الباترى (الوطن) كثيراً من رجال السياسة والادب
الذين لهم في باريس المكانة الاولى في التحرير والتحرير
وتجاذبنا الحديث طويلاً بشأن مصر متكلمين عن ماضيها
وحالها وما بدأنا الكلام على حوادثها الاخيرة وما أتاه
الانكليز في هذا العام من العجائب والغرائب حتى قام
أديب من كرام الحاضرين وقال

(انى لم أكن أعلم شيئاً من حوادث مصر غير ان

الانكليز فيها يريدون ابتلاعها وسياستهم على شواطىء النيل
كسياستهم في كل بلد آخر تنحصر في الافقار والاستعباد

الذين هم مدينون لمصر بما لديهم من ضياع شاسعة وارااض واسعة أن يؤسسوا المدارس العديدة على أساس متين من الدين القويم والتربية الحقة . وأن يقوم كبار العلماء بنشر الكتب المفيدة ومهرة الكتاب بانشاء الصحف الصادقة في خدمة قطر هو أئمن وأغلى الاقطار

نسأل الله أن يحقق آمالنا ويهب بلادنا وأمتنا السعادة والهناء

بعد أن فضضت هذا الخطاب الفائض بروح الحب والاخلاص لمصر والدين . وكاه أمان كبيرة وآمال شريفة كتبت اليه الرد في الحال مؤمنا على كلماته وانتظرت بريد السبت واذا بجريدة الاهرام ناشرة في عددها الصادر في أول يونيه سنة ١٨٩٥ مقالة بقلمه فأخذتها شغفا بها وقرأت مانصه :

من اين يأتى الخطر

ما كنت احسب قبل قدومى باريس ان اهلها عرفوا في هذا العام من احوالنا ما نعرف من أحوالهم وأدركوا

كسور جهنم ظاهرها فيه الرحمة وباطنها من قبله العذاب
اذا كنت تريد أن أرسل اليك في سواكن عدة صور
من الصورة السياسة التي كاد طبعها ينتهي يمكنك اخباري في
الرد على هذا

انى الآن أقضى ليلي ونهارى في مخالطة كبار السياسيين
لا أتفعل منهم بخدمة مصر المحبوبة . والحمد لله قد تشرفت
بمعرفة الكثيرين ورأيت من الجميع استعداداً لمعاونتنا وتحريك
المسئلة المصرية وطرحها على بساط المناقشة من جديد . وانى
أجد من نفسى قوة فى هذه الايام ماشاهدتها مدة حياتى كأن
الله يريد ان يكون العامل لبلاده قويا حتى يقاوم هذه الحركة
المهائلة ولكنى أشعر من جهة أخرى بأن بلادنا فى حاجة
لرؤوس والسنة واقلام مصرية كثيرة حتى يقرب البعيد بما
تحدثه فى العالم من الحركة . ولى الامل أن ينتشر الشعور فى
البلاد بسرعة فانه هو رأس مال محررى الامم والشعوب
وبدونهم لا يستطيع خادم مهما كانت اماتته وقوته ان
يصل الى الغرض المقصود . ولذلك يجب على اغنياء البلاد

حررة تحمياها أوروبا كلها «
ولامراً في انه اذا دام الحال على هذا المنوال وظلت خطة
الدول الثلاث بلا تغيير نجت مصر من مخالب الاسد الذي
يحاول اقتراسها وتحققت أماني محبي مصر والمنصفين في قولهم
« مصر للمصريين »

مصطفى كامل

باريس في ١٨ مايو سنة ٩٥

*
* *

وفي يوم الخميس ٣٠ مايو سنة ١٨٩٥ استلمت من المرحوم
كتابا جاء فيه :

« انك لا بد ان تكون قد قرأت المقالة التي بعثت بها
الى جريدة المؤيد على الشرق الاقصى اذا كانت نشرتها فارجو
منك ان تذكر لي في الرد على هذا مارأيته فيها لاني أود أن
أقف على رأيك وأنت أقرب الناس الى وأحبهم كما أعلم
لنجاه بلادنا العزيزة التي اذا كان أهلها لم يشعروا اليوم بمسهم
فيه فلا بد ان يشعروا في المستقبل لان السياسة الانكليزية

« ان انكلترا تهدينا باقفال قنال السويس اذا آتينا باى

عمل حربى ضد مصالحها فى الشرق الاقصى فعلى الدول
الثلاث المتحدة حل مسألة مصر باول فرصة حتى لا يصبح
البحر الابيض المتوسط بحيرة انكليزية »

وبالجملة فانى اقول . كما ان اليابان سكرت فرحا بفوزها

وانتصارها على خصمها الذى كان بالامس عظيما نخما وهى
تريد اليوم بلوغ كل أمانها فان الدول الثلاث أصبحت فرحة
بفوزها وانتظارها فى سياستها تلقاء هذه المشكلة حتى فشلت
سياسة انكلترا امامها وأصبح المنتصرون طامعين اليوم فى
بلوغ أمانهم بحل المسألة المصرية وفى مقدمة هاته الدول
الثلاث المانيا التى لا تترك فرصة تمر الآن بدون ان تظهر
بعضها للانكيز وحقدتها عليهم وقد وافتنا أمس الرسائل
البرقية من برلين قائلة بما نصه « ان الدوائر الرسمية فيها
تؤمل اتحاد الدول الثلاث فى حل المسألة المصرية بعد تمام
الفصل فى مسألة الشرق الاقصى والزام انكلترا بالجلء عن
وادي النيل احتراماً لوعودها وجعل القطر المصرى منطقة

وجل هذه المسألة التي هي خطر دائمى لنا والتي تخلق المشاكل
الابدية بيننا وبين أقرب جيراننا - يعنى فرنسا - ولكن
الحالة فى الشرق أصبحت حرجة الى حد أرى معه أنى
أخدم بلدى اذا أجلت المناقشة بشأن مصر الى أجل آخر .
وانى أوئل ان الحكومة تنهز أقرب الفرص لتسوية هذه
المسئلة مع الدول ذات الشأن تسوية يمكننا معها القيام بانجاز
وعود الشرف . وليس لنا الحق فى اعتبارنا المسئلة المصرية
مسئلة سياسية محضة فان وعودنا جعلتها مسئلة لا يخرج فيها
لشئ آخر غير العلم بموعد جلائنا »

هذا ولا ارانى مخطئاً اذا قلت ان مسئلة الشرق الاقصى
خدمت مصر خدمة جليلة بان وجهت اليها الانظار اكثر من
ذى قبل . فليست الجرائد الفرنسية وحدها هى التى تطالب
اليوم بالجلاء عن وادى النيل ولكن الجرائد الروسية
والالمانية صارت أشد لهجة وأعظم غيرة منها - وفى
قراءة مقالة النوفستى الاخيرة حجة ساطعة على ذلك فلقد
قالت هذه الجريدة الخطيرة ما ملخصه

بعد السرور والسرور بعد الاسف وليس لكل هذه المناقضات الا معنى واحد هو الحيرة والارتباك وانى لا اقدم للقراء برهاناً على ذلك أعظم من اعلان السير مكفرلين الذى قال فيه « انه نظراً لارتباك مسألة الصين واليابان يسترد من البرلمان الانكليزى سؤاله المتعلق بالجلاء عن مصر »

فان هذا السير قد رأى من حكومته بعد أن أظهر رغبته فى سؤالها الجلاء عن مصر وصرح بذلك رسمياً أنها فى موقف حرج مضطرب تجاه مشكلة اليابان فلم يكن فى استطاعتها حينئذ ان تجيب بكلمة واحدة عن المسئلة المصرية خصوصاً وانها تخشى ان تثير الخواطر ضدها اذا أعلنت رسمياً اصرارها على خطتها السابقة مع هذا التيار القوى الذى تراه يتدفق فى غير مجرى مصاحتها . ويكفى القراء مطالعة كتاب السير مكفرلين الذى بعث به الى التيمس فى معرفة حرج مركز انكلترا هذه الايام وهذا تعرييه

« ان الغرض من طلي هو دعوة لحكومة لاجتتاب الاتفاق الذى أراد عقده السير دروموندوولف سنة ١٨٨٧

اللورد روزبري وزملائه ان وزراء خطته التي اتبعها نتائج
سياسية من الاهمية بمكان

ولقد قام اليوم السياسيون من فرنسا والمانيا والروسيا
ينادون بمبدأ جديد لا اخاهم الاعاملين به في حل كل
المشاكل الحاضرة وهو « بما ان انكلترا قد رضيت العزلة
في حل المشكل الياباني ورأت ذلك من صالحها فللدول
الثلاث الحق في حل كل مشكل يكون صالحها فيه غير
صالح انكلترا بدون استشارتها واعتبار رأيها »

ولاشك ان اتحاد دولة قوية مثل روسيا مع دولتين
لا ينقصان عنها قوة وعظمة مثل فرنسا والمانيا في حل كل
المعضلات السياسية يكون أعظم خطر مهدد لانكلترا لان
مصالح هاته الدول مناقضة كل المناقضة لمصالح أبناء التاميز
والانكليز أنفسهم شاعرون بهذا الخطر المهدد لهم
فترى اليوم جرائدهم تخبط من الحيرة في المسئلة الحاضرة
« مسئلة الشرق الاقصى » خبط عشواء فتارة تلوم فرنسا
وطورا تعنف المانيا وحيناً تهزأ بروسيا وآونة تظهر الاسف

وعلى ظني ان سياسة الانكايز في هذا المشكل الخطير
هى التى دعت المانيا وفرنسا والروسيا الى العمل بالاشتراك
ضد اليابان وبتمام الانعزال عن انكلترا فان هذه الدولة
المشهورة بحب الذات قد ساعدت الصين بادىء بدء وطلبت
من الدول المرة بعد الاخرى الاتحاد فى العمل ضد الميكادو
فلما لم تجد سميغاً مطيعاً لدعوتهما وقفت فى دائرة الحيرة مترددة
فى أمرها حتى تم الظفر لليابان وعندئذ رأت الانضمام أخيراً
اليها لما علمت ان استيلاء اليابان « وهى اليوم الدولة البحرية
القوية فى الشرق الاقصى » على جزء عظيم من الاملاك
الصينية يهدد روسيا تهديداً عظيماً ويجعلها على الدوام فى شغل
عن الهند وانكلترا وبعبارة أخرى يصير اليابان العدو الاله
لروسيا بعد ان كانت بريطانيا خصمها الوحيد

ولم يكن فى حسابان رجال السياسة الانكايزية ان
تعصيدهم اليابان يضر بهم فى أوروبا أعظم الضرر ويدعو
الدول العظيمة المنافسة لهم الى عمل مشترك يحبط مساعيهم
ويزيد الاحقاد فى القلوب ضدهم بل لم يكن يخطر على بان

بعد ان فضضت الكتاب ارتحت كثيرا لما شعرت به من
الاطمئنان على صحته وارتياحه من عمله والخطاة التي رسمها
لنفسه . وانتظرت أن أقرأ له شيئا بصبر نافذ وما جاء يوم
السبت أول يونيه حتى جاءنا البريد المصرى فتلقفت جريدة
المؤيد واذا فيها مقالة له نشرتها في عند يوم السبت ٢٥ مايو
وهي بنصها :

الشرق الاقصى

﴿ رسالة من باريس ﴾

لا حديث اليوم لرجال السياسة في أوروبا الا مسألة
الشرق الاقصى وما أنتجته الحروب الصينية اليابانية من
التأج الخطيرة فلقد حولت هذه المسألة كل الانظار من
(بوراثور) الى قنال السويس وزادت في أهمية مصر حتى
لم يبق خلاف بين سياسيين في ان حل المسألة المصرية صار
أول واجب على الدول الثلاث بعد الفصل في الترضية
اليابانية

هذه الجملة :

« ولما وصلت الى باريز وجدت في استقبالى صديق الحميم
الفاضل الشيخ محمود أبو النصر وغيره من أخلص المصريين
لمصر . وقد قصدت توا فندقا جميلا بشارع بلزاك (وهنا
كتب عنوانه)

وانى أصرح لك بأن صدرك سينشرح عند ما تقف
على ما سأعمله خدمة لبلاد لا عز لنا الا بها . فها قد أوصيت
على صورة سياسية تمثيلية لا قدمها مع عريضة سياسية لمجلس
النواب الفرنسى وسأجتهد فى أن يكون الموقعون على هذه
العريضة من أبناء مصر كثيرين حتى يكون لها فى العالم دوى
كبير وتأثير عظيم

وانى أرجو منك ألا تذيع هذا النبأ لاني ممن يتمسكون
بقول النبي الكريم « استمعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان »
أدامك الله لاخيك المخلص

مصطفى كامل

الاحد ١٢ مايو سنة ١٨٩٥

عنها في هذه الميادين التي يجد فيها الشيطان مسوغا يقلق
به راحتها

قلت له ذلك وقد أذن القطار بالحركة فتعانقنا وتحركت
من أمامه وهو ضاحك باسم يحرك منديله الأبيض كما تتحرك
راية السلام ومازلنا ينظر أحدهنا الى الآخر حتى حال البعد
بين جسمينا ولم يحل دون اتصال روحينا

*
* *

فكرت في أمراخي ليل نهار وأنا اذكر كلماته وماغاب
عنى من الاسئلة التي أحب معرفة جوابها وهـل هو بمفرده
يعمل لبلاده ! فتذكرت في الحال الحزب الوطنى وقوته
وان بين صفوفه الاغنياء والعلماء وانه لا بد ان يكون ماادخره
من مال موقوفا على هذه المهمة ولا بد ان يكون قد وقع
اختيار الحزب عليه

انتظرت بعد وصولى سواكن خطاباً منه وأنا على
أحر من الجمر حتى اذا ما جاء يوم السبت ٢٥ مايو سنة ١٨٩٥
استلمت منه خطابا فيه مسائل عائلية كثيرة وقد جاء فيه

الاسكندري يوم الاحد ٥ مايو الجارى فدهشت جداً لهذا
السفر الذى ظننته على غير ميعاد وبلا سبب لانه ادى
الامتحان ونال شهادته وأصبحت باريس في نظري بالنسبة
اليه بلد نزهة لا بلد عمل فضحك رحمه الله وقال لى أنسيت
« المسئلة المصرية » تلك المسئلة التى استخرت الله ان أكون
المدافع عنها وهاقد زودت نفسى فى المدة الماضيه بمعلومات
حجه عنها اذ طالعت كتباً كثيره رسميه وغير رسميه ووقفت
علي كل أسرار بلادنا السياسيه . فلا تدهش يا أخى فان هذا
الطريق ولو انه وعر المسلك ولكنه مطلوب من كل وطنى
صادق تعلم تعلماً صحيحاً معتقداً ان مايجرى في عروقه هو دم
مصرى ان يعمل عملي فان خير الناس من خدم بلاده من
الطريق الصعب «

سمعت منه هذا القول الحلو المنعش وأنا شاعر بأنه على
أبواب المجد الكبير . فقلت له انى أسافر الى ميدان السيف
وأنت تسافر الى ميدان القلم وكلانا مخلص فى خدمته فالله
معنا يتولانا بقوته وجلاله ويأخذنا بعين عيائه لغيابنا

حملتها المشهورة كعادتها في كل أمر كأن سمو الخديوى هو
 الامة بأسرها. وكان الشعور الحى لا يتسرب إلينا الا من
 مكان معين . نعم نحن لا ننكر أن وطنية سمو الامير كانت
 ولا تزال فائضة بالحياة العالية ولكن ما دخل سمو الامير
 في حركة ساق إليها الشعب كذب الانكيز في وعودهم وحتشهم
 في ايمانهم واستثثارهم بكل مصلحة حتى أصبح الجماد يتألم في
 مصر من أعمالهم وسوء نياتهم??

لم يلتفت المرحوم لهذيان الجرائد الاحتلالية وما وجهوه
 إليه والى غيره من نبلاء المصريين من السب الفظيع والشتم
 الشنيع وكأنه رحمه الله كان يقول « ما بقى كان أعظم فسندافع
 رغم أنوف أعدائنا عن حقوقنا »

*
 * *

صدر الى الامر أن أسافر مع الاورطة الاولى البيادة
 في يوم الخميس ٢ مايو سنة ١٨٩٥ فرافقتى المترجم الى المحطة
 حتى اذا بقى على سير القطار بضع دقائق همس في أذنى بأنه
 وطد النفس على السفر الى باريس وانه سيدجر من الثغر

الرأى العام فى مصر برجل نجله ونحترمه ونسأل لكم ولقرينتكم
طيب الإقامة فى بلادنا كما نسأل الله أن يوفقكم لخدمة مصر
الخدمة التى تنتظرها من مستشرق عالم له مركزكم السياسى
السامى فى بلادكم « اهـ

*
* *

وبعد ان قال المرحوم بصوت عال لتحى مصر : لتحى
فرنسا : ليحى العدل ! صفق الحاضرون تصفيقاً عالياً
متواليماً وضجت جوانب الغرف بأصوات التشجيع والاستحسان
وعلى ذلك انتهت الليلة بسلام

وقد برح المسيو ديلونكل البلاد فى يوم السبت ١٣
ابريل سنة ١٨٩٥ حيث ودعه الجهم الغفير وفى مقدمته المترجم
على رصيف الميناء

ولا تسل أيها القارىء عن مقدار الغيظ والحلق اللذين
أظهرهما رجال الاحتلال لزيارة هذا النائب مصر واختلاطه
بالمصريين فقد أوعزوا الي جرائدهم المأجورة أن تسبه
بلا حياء وان تشنع بالوطنيين وتحمل على سمو الخديو المعظم

واننا اذا لاحظنا مركزه في بلاده وقوة حجته وغزارة مادته
علمنا انه سيكون لنا منه أكبر ساعد وأوفى نصير

ولذلك يحلو لي ان أجاهر بملء فمي عن نفسي وبالنيابة
عن اخواننا المصريين سواء كانوا الذين حضروا هذه الولاية
أو الذين غابوا عنها . اننا أبناء أمة اعترفت في كل أطوار حياتها
بالجميل لمن أحسن اليها وأخلص لها ولبلادها الود وكان عوننا
لها في تأدية عملها بين أمم العالم بدون ان تمس في كيانها بسوء
فاذا شكرنا الليلة جناب النائب على زيارته مصر واستعداده
الذي أظهره لخدمتها فانما نشكر نفسا عالية من تلك الانفس
الفرنسوية الشريفة التي عودتنا ان تنشر العلم في بلادنا وترشدنا
الى خير طريق تهض فيه الامم من رقدتها .

نعم . ان الفرنسيين قدموا لامتنا المحبوبة خدما
متتاليات لا ينساها التاريخ المصري كما تبقى ميراثا محفوظا
ينتقل من صدورنا الى صدور أبنائنا

اننا يا جناب النائب نشكركم من صميم فؤادنا على دعوتكم
لنا في هذه الليلة هذه الدعوة التي جمعت أرباب الاقلام وقواد

وحضرها الكثيرون من الاخوان . فرأيت منه رجلا عالما
فاضلا قوى الحججة واقفاً على تفصيل المسئلة المصرية وقوف
أعلم ابناؤها بها لا يتأخر فيها عن المجاهدة بالحق

وبعد ان مكث المسيو ديلونكل بمصر زهاء عشرين
يوماً ألقى في خلالها خطاباً مهمة بمصر والاسكندرية ودعا فيها
الصحافيين جميعاً الى وليمة كبرى في يوم الخميس ١١ ابريل
حيث نطق فيها المترجم بخطبة هذا نصها :

أيها السيدات . أيها السادة :

انى اذا وقفت الليلة بينكم خطيباً فانما ذلك بدافع
الاخلاص ولو انى لست الخطيب الذي يسحر الالباب بهذه
اللغة الفرنسية الجميلة ولكن السرور الذي يخامر قلبي
والابتهاج الذى أراه شاملا كل نفوسكم سيعينانى على تقديم
هذه التحية للمسيو ديلونكل المكرم أولاً وحضر اتكم ثانياً
نعم ان المسيو ديلونكل هو ذلك الرجل الذى قدم
نفسه لخدمة المسئلة المصرية بكل اخلاص لانه واقف على
أسرارها وما دار ويدور فى الدوائر السياسية العالية بشأنها .

الفرنسي الشهير فاستقبله على رصيف البحر مع الكثيرين من المصريين المخلصين في صبيحة اليوم التالي وبعد ان صاحفه والسيدة قرينته قدم لهما جميع اخوانه المصريين الذين كانوا معه اذ ذاك

وقد كان في استقبال المسيو ديلونكل المسيو دلا كرتيل قنصل فرنسا في الثغر مع موظفي القنصلية والكثيرين من النزلاء الفرنسيين

قصد بعد ذلك المسيو ديلونكل وقرينته القنصلية حيث تناولوا بها الغداء ثم برحا بعد الظهر الثغر على قطار الاكسبريس الى القاهرة وبرفقتهما المترجم والوفد المصري وقدرافقوهما حتى اوتيل كوتنتنتال ورافق المترجم المسيو ديلونكل في كل روحاته وغدواته بمصر وقدم له الكثيرين من المصريين وفي مقدمتهم أعضاء الحزب الوطني الذين اكرموا كراماً كبيراً واحتفلوا به احتفالاً عظيماً

وقد تعرفت به في الوليمة التي أعدها له صديقنا الحميم المرحوم عثمان أفندي جلال رئيس قلم قضايا السكة الحديدية

سبيل الوصول اليه. والا فإى تعصب دينى فى البلاد حملكم
(أيها العادلون) على تأسيس هذه المحكمة التى تؤاخذون
على تأسيسها كل المؤاخذة بعد ان احتلتم البلاد ثمن قرن .
وأى داع حملكم اليوم على المطالبة بهذا الحق الذى تقولون
عنه بعد ان سكتم عن المطالبة به ١٣ سنة مع ما عرف عنكم
من شدة المحافظة على الحقوق بل بمجاوزة كل حق وواجب .
لاخلاف فى انكم ترغبون قتل العواطف الشريفة الحية
وتودون من صميم الفؤاد اخماد أنفاس كل كاتب وكل معارض
ولنا فى الغاء مدرسة دار العلوم دليل آخر على ذلك فلقد أردتم
ان يكون هذا الشهر شهر النصر لكم والخذلان لنا فأرسلتم
علينا من سماء عدالتكم الصواعق تباعاً حتى عسر علينا
احصاؤها بل بتنا نقول كل البلايا (فى ظل المحكمة
المخصوصة) فانا لله وانا اليه راجعون

*
* *

وقد سافر المرحوم الى مدينة الاسكندرية فى مساء يوم
الخميس ٢١ مارس سنة ٩٥ لاستقبال المسيو ديولو نكل النائب

واذا أتتكم مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي بأني كامل
تأسست هذه المحكمة على شكل يكفى وحده لان
يرهن للعالم بأسره أن الانكليز لا يعرفون للقانون اسما . وهل
سمعتم يا قوم بمحكمة تحكم بما يشاء هواها . محكمة تحكم
بصلم الاذن وجدع الانف وسلخ الجلد وبالجلد والضرب وهل
رأيتم يا قوم في التاريخ ان أمة تحاكم على غير قانون ودستور
أجيبونا معشر المتشرعين وأسمعونا كلمة الحق أيها المنصفون
فقد بلغ السيل الربى

نعم نعم أنتم تريدون أيها المحتلون بهذه المحكمة عقاب
كل مصرى أمين يعرف انكم خصوم بلاده وتقصدون بها
اهانة الوطنيين بسجنهم السنين الطوال ان لم نقل باعدام
كثيرين منهم

نعم نعم أنتم تريدون بهذه المحكمة وضع الاساس
الصالح لهدم المحاكم الاهلية وابدالها بمحاكم استبدادية تحكم
بنفس القانون الذى تحكم به محكمتم الجديدة
نعم نعم أنتم تريدون ذلك وتبذلون الجهد الجهيد فى

بالجلاء لتم علينا نعمة الحكم عليكم والسيطرة على بلادكم
هذا شأنهم معنا شأن القوى مع الضعيف. ينتهكون كل
حرمة ويطأون كل عزيز نفيس فلقد احتلوا البلاد بحجة
الاصلاح وليس في تاريخ الاحتلال الا آثار ضغط واستبداد
تنطق حواذيه حادثا بعد حادث ان مراد الانكليز امتلاك
البلاد وجعلها هندا أفريقية يسبح أهلها من البحر المتوسط
الى منابع النيل بذكر أبناء التاميز ويسجد الشيخ والوليد لهم
اجلالا وتعظيما

ولسنا نستشهد على صحة هذا القول بحادث من حوادث
الماضى بل نستشهد بحادث اليوم الذي جاء ضربة قاسية
على النفوس وصاعقة شديدة الوقع على الرؤوس أعنى به
حادث المحكمة العرفية الاستبدادية التي أنشئت لمعاقبة كل
من تعدى على جنود الاحتلال عقابا لا يدخل تحت قانون ما .
تأسست بعد أن أرغت جرائد لندرا وازبدت وأرعدت سماؤها
وأبرقت ووجهت الى سدة الامير كل طعن وبذاء مما قابلنا
تلك الساعة بقول الشاعر

من الايام غير ظلماتها ولا من الحوادث الا مزعجاتها كل ذلك على أيدي فئة جاءت البلاد بحجة الاصلاح فأفسدت ماشاءت وغيرت وبدلت ما استطاعت اجابة لداعي هواها ورغبة في بلوغ منهاها واذا سألتها ماهذه الصواعق التي تصيبها علينا قالت انما هي أدوية أداوئكم ومراهم جروحكم فتلقوها بالصبر والسكون والا وضعت لكم السم في الشراب كأنما نحن أطفال صغار لا ينفعنا الا التهديد والارهاب ولا قوة لنا على تمييز الصالح من الفاسد والنافع من الضار . واذا ناديناها . لبي نداء هذا الشرف البريطاني الرفيع الذي يسألك الجلاء عن الديار وترك البلاد لا بنائها يسوسون أمورهم بأنفسهم قالت ما أقل اعترافكم معشر المصريين بالخير وأولاكم بالسوء أترغبون في خروج الانكليز من بلادكم وتكفرون بنعمة وجودهم بينكم واحتلالهم أرضكم . فلا رسلن عليكم الصواعق تأييد من حيث لا تشعرون ولا رمينكم بالمصائب تهز قلوبكم هزاً وتدك وجداناتكم دكا حتى اذا علمتم بطش الانكليز وقوة البريطان أخذتم الى السكون وجنحتم الى عدم المطالبة

وللسادة المحتلين ان يتحققوا من ان شدة حنقهم على
المتظاهرين في فرنسا ستزيد المظاهرات ضدهم وتكثر
المتظلمين لأوروبا منهم ولا يبعد ان يأتينا الصيف الآتى
بالبراهين الجمة على ذلك وكل آت قريب :

*
* *

وقد قامت البلاد وقعدت ووقعت في هرج ومرج
اذا استصدر اللورد كرومر أمراً عالياً بتأسيس محكمة
مخصصة لمحاكمة من يعتدى من الاهالى على ضباط وجنود
الانكليز فكتب المترجم هذه الرسالة ونشرتها الاهرام يوم
الاثنين ٤ مارس سنة ١٨٩٥، وهذا نصها :

صواعق الاحتلال

لله من صواعق تصب علينا بغير حساب . ومصائب
ترمى بها بلا أسباب . وبلايا تتدارك علينا تدارك قطرات
السحاب . ورزايا تتصدع بها القلوب والالباب . حتى أصبحنا
نتقلب بين أنياب هذا الشر وأظفار ذلك السوء ولا نعرف

ولكن ليهداً المحتلون بالا ويسكنوا خاطراً فلقد علم
المصريون كل ما يضره لهم أبناء التاميز ولا يزيدهم الوعيد
الاثباتا في العمل وقوة في الوطنية

وإذا كان رجال الاحتلال يعتبرون كل من تودد الى
فرنسا مذنباً فليعلموا من الآن ان الامة كلها مذنبه وان
عقلاءها أكثر الناس ذنباً فكنا عارف لفرنسا اخلاصها
لمصر وصدقتها للدولة العلية وكنا شاكر للمسيوديلونكل
وزملائه على اهتمامهم العظيم بالمسألة المصرية وعنايتهم العظمى
بمصر والمصريين

ولا عجب اذا كانت آمالنا موجهة لفرنسا وهى هى
التي تبرعت بدماء جنودها الاعزاء للامريكيين في (بولك تاون)
ولليونانيين في (نافارين) وللباجيكيين في (انفرس)
والايطاليين في (ماجتاوسولفيرينو) ورحبت بالارلنديين
سنة ١٦٨٨ وأحسننت للبولونيين بعد عام ١٨٣٠ وبالجملة
برهنت المرة بعد الاخرى على انها ظهيرة الحرية نصيرة
الاستقلال

مصر لما كتب رده على حديثي المشهور مع الكولونيل
بارنج حيث قال (لو كان ذلك الكاتب مصرياً لعاقبناه بما
يستحق) كأنه يريد وضع مادة جديدة في قانون العقوبات
يقول فيها (كل مصرى نقل الى الجرائد حديثاً جرى له
مع سيد من الانكليز يعاقب بالطرْد أو بالاشغال الشاقة)

وأى حكمة وراء قول المقطم لسان حال معتمد الدولة
البريطانية في مصر ان المصريين لو كانوا على رأى الجرائد
العربية الفرنسية (يريد بذلك على ما أظن المؤيد الاغر
والاهرام الزاهرة) لاستعمل الانكليز معهم الشدة والقسوة
بدل الملاطفة واللين . مع علم السادة المحتلين جميعاً بأن الامة
المصرية بأسرها على رأى هاتين الجريدتين الصادقتين

يظهر لى ان الحكمة هى الوعيد والتهديد ودليل ذلك
قوله ان نابليون كان يعامل المصريين بالشدة كأنه يريد
المقارنة بين عنصرين يفصلهما قرن طويل وبين فريقين جاء
أحدهما فاتحاً والآخر قاصداً الاحتلال المؤقت والجلاء

السريع

عقابهم أشد العقاب تعذيباً لهم وعبرة لغيرهم مما حرك الشيخ
العليل الى اصدار أمره الى صنيعته أرتين باشا بتحقيق هذا
الامر وتقرير العقاب الصارم

وماذا أتى اخواننا ضد الانكيز حتى يطالب السير بالمر
(الاقتصادي) الغاء الارسالية المصرية بأسرها وجعلها أثراً
بعدعين ثم يعود فيطلب ابقاءها ومعاقبة المسيبين لزيارة المسيو
فور عند ما علم (وياللعجب وطول الخجل) ان حضرات
الاجلاء (زبكيكيان وشيروجيان وتجيران) يتعلمون في
الارسالية على نفقة حكومتنا السنية (أعزها الله)

فأى سر مصون مستتر وراء هذه الاعمال اذا كان
الانكيز لا يزالون يرددون وعودهم الجميلة ويطرغون بنعمة
ذكرها بل أية حرية يتكلمون علينا بها وهم ان رأوا من
المصرى احساساً شريفاً قاموا عليه بالويل والثبور وطلبوا
عقابه العقاب الاليم وان أبصروا كاتباً يكتب الحق ويسطر
الصدق طلبوا نفيه عن الديار وابعاده عن الاوطان كما ظهر
هذا الميل (العادل الشريف) عند جناب مكاتب التيمس في

في باريس لرئيس الجمهورية الفرنسية فانما تعتبر هذه الزيارة عند كل عاقل بمثابة زيارة أدبية واجبة على كل من تربى وتعلم في فرنسا مصريا كان أو غير مصرى اذ أن شريعة الآداب تأمر كل انسان بالاعتراف بالجميل فمواطنونا لم يأتوا بتوددهم للمسيو فور شيئا آخر غير القيام بهذا الواجب الادبى الذى حق عليهم لاسيا وان المسيو فور اشتهر بحبه لمصر والمصريين وميله لخير وطننا العزيز

واذا قلنا ان المهنيين للمسيو فور من أبناء وادى النيل طابوا منه المساعدة فى حل المسئلة المصرية حلا عادلا عاجلا فلا خلاف فى ان احسن شىء فى خطابهم هو هذا الطاب وفضلا عن كونه من حقوق كل مصرى فهو يزيد انكلترا شرفا ورفعة حيث ان المطالب لها باحترام وعودها والوفاء بعودها يعتبر حسن الاعتقاد بها وبشرفها بخلاف الساكت عن مطالبها فانه اما جبان واما سيء الظن بها

فماذا افترى اذاً مصريو باريس حتى اهتزت الدنيا وقام الانكايير وقعدوا وارغوا وازبدوا طالبين من مريض الوزارة

جماعة من كرام الشبان تعنيفاً شديداً مثل الذى عنفتهم به
جرائد الاحتلال لا يكون الا اذا اقترفوا ذنباً عظيماً. وبعيد
عن الصواب اعتبار احتفال المصريين بعيد سيدهم الاعلى أو
زيارتهم دولة محبة لنا ذنباً من الذنوب بل بالعكس تدل مثل
هذه المظاهرات على الاريجيات الشريفة والمبادئ الجليلة
القائمة بنفوس هؤلاء الشبان الذين هم رجال المستقبل

والغريب أن جريدة الخوارج التى تمتاز عن أخواتها
فى كل شىء بالكذب والسفاهة لم تكف بتقييح المظاهرات
الوطنية التى تظاهر بها المصريون فى باريس بل قالت ان
الحضرة السلطانية لم تجاوب بجواب ما على الرسالة البرقية
التي أرسلها اليها المحتفلون بعيدها الجليل تهنئة وتبريكاً. على أن
الحقيقة كما علمنا وعلم الخبيرون مخالفة لذلك كل المخالفة إذ أن
سفير الدولة فى باريس شكر للجميع شكراً عاماً وللمسيو
ديلونكل شكراً خاصاً مما يدل على أن رجال الاستانة قدروا
هذا العمل قدره كما قدره رجال باريس

وليس من الخفمة والطيش كذلك زيارة المصريين

الاتفعال والتأثر لا أتمالك من ابداء الاعجاب والا كبار
ليقرأ كل مصرى هذه المقالة وليترحم على من كتبها
وهو فى العشرين من عمره ليرد عداء المعتدين وليحارب
من اسودت قلوبهم وابيض شعر رؤوسهم فى محاربة مصر
والمصريين

وقد نشرت هذه المقالة فى عدد الأهرام الصادر يوم
السبت ٢٣ فبراير سنة ١٨٩٥ وهذا نصها :

التهديد الباطل

ما عهدنا جرائد الاحتلال أشد حنقا وأعظم غيظا من
هذه الايام التى قامت فيها قيامتها ضد الشبيبة والشبان
فنسبت لهم الغرور والجنون ولاعمالهم الطيش والخفة ولا
تعرف لهم ذنباً عندها الا أنهم احتفلوا مرة بعيد جلالة
السلطان وزاروا مرة أخرى جناب الموسيو فور رئيس
جمهورية فرنسا كأن القيام بمثل هذه الواجبات الادبية يعتبر
فى شرعة الانكايز جريمة من اكبر الجرائم . والا فتعنيف

الوجهاء في انحاء القطر وكان المترجم يسافر كل أسبوع أو أسبوعين مرة متنقلا في الاقاليم تلبية لنداء مواطنيه الذين أحبوه حباً جماً وتعلقوا به تعلق الوطني الصادق بمن يخدم وطنه باباء واخلاص

وقد رسم لنفسه خطة دراسة المسئلة المصرية الى غاية شهر ابريل على ان يظل في تلك الاثناء يكتب ما يكتب من الرسائل السياسية مهوره بالتوقيع الذي اختاره لنفسه حتى اذا ابتداء عمله الوطني الجليل شهر اسمه مرة واحدة

وقد كان تولاه الله برحمته يقرأ على اذ ذاك كل مقالة قبل ارسالها الى الاهرام شأنه في كل أعماله فكنت أعجب بها اعجابا كبيرا مع ان الاخ على الدوام غير كبير مهما أوتى من العلم والذكاء وكيف ما كانت منزلته بين الكتاب والعلماء

قرأ على رحمه الله مقالة خاطب بها المحتلين الذين لا يجدون السعادة الا في شقائنا ولا الهناء الا في بلائنا أولئك الذين لبسوا لباس الباطل ليخدعوا به من لم يثبتوا على دين ولم يتكون لهم يقين . فكنت لفرط ما أجد من

مصرى أمين»

*
* *

ثم استمر المترجم في عمله وهو دراسة المسئلة المصرية بكل عناصرها وموادها منفذاً ذلك الترتيب الذى رسمه لنفسه تنفيذاً دقيقاً. وقد كثرت معارفه فى هذه المسئلة كما كثر أصدقاؤه ومريدوه والمسترسلون الى خطته السياسية من كبراء ووجهاء وعلى الاخص اعضاء مجلس الشورى الذين كان يجتمع بهم كثيراً ويداولهم فى الشؤون الوطنية طويلاً وليس غريباً ان تكون المسئلة المصرية بالغة من التمكن فى فؤاده مبلغاً عظيماً بحيث انها كانت تشغل منه فضاء التصور وتملاً مجال الخيال على حد قول الشاعر :

واذا نطقت فأنت أول منطقي

واذا سكت فأنت فى اضمارى

وكانت حركة الحزب الوطنى قد قويت فى البلاد واتسع نطاقها بازدياد عدد الذين انضموا الى صفوفه القوية العاملة المباركة شيئاً فشيئاً ولا سيما من أعيان الاقاليم وكبار

صاحب الالهرام الجليل حملة اللئيم على الكريم ولم يعلموا انه
صدق في خدمة الوطن العزيز فاجتمع حوله المخلصون
الصادقون

وما عساهم يكتبون ويردون والحديث لا يزال حديثا
وشقيق اللورد كرومر أرفع وأعظم من ان ينكر اليوم قولاً
قاله بالامس

على انهم لو كانوا كما يدعون شيعة الحق وأنصار الصدق
لكان الاجدر بهم ان لا يتعجلوا في الرد قبل ان يترجموا
الحديث الى الانكليزية بغير ما اعتادوه من تحريف أقوال
الجرائد الوطنية ويرفعوه الى سيدهم ب... ليوصله الى أخي
اللورد كرومر حيث هو الآن ليرى فيه رأيه فان قال
بصدقه وهو مالا نرتاب فيه سكتوا عن الرد ان لم يبروا
بإظهار الحق والا نشروا لنا جواب حضرته تكديماً. واذ
ذاك لا نقصر عن تذكير جنابه بالمكان الذي جمعنا واليوم
الذي دار فيه الحديث مذيّلين كل ذلك باسمنا غير خائفين
تبعه الصدق في القول والاخلاص في الوطنية شأن كل

لأن الدفاع عن الحق العام أهم وألزم من الدفاع عن الحق
الخاص وشستان بين حقوق الافراد المدنية وحقوق الامم
السياسية

ثم عاد الى مناقشة الجرائد الاحتلالية فكتب الى
صديقه المأسوف عليه بشاره باشا تملا كتابا بمناسبة مقالة
المقطم تلك وقد نشرته الاهرام في عددها الصادر يوم
الاثنين ٤ فبراير سنة ١٨٩٥ وهذا نصه :

صديقي العزيز مدير الاهرام

لم يكن يدور في خلدى من قبل ان نصراء المحتلين في
مصر على هذا الجانب العظيم من الحق والجهالة وانهم يرون
في السناهة والوقاحة أحسن الرد على كل قول صحيح وفكر
سليم فما نشرت الاهرام مقالتي الاخيرة المعنونة (حديث
ذو شأن) حتى هاجوا وماجوا وزلزلت بهم الارض زلزالها
وجاءونا بردود يحسبون انها تكذب قولنا صادقا فجاءت على
عكس ما يرون اثباتا لحديثنا الذى لا ريب فيه

وأعجب شئ من هاتيك الردود انهم حملوا على

الخدوية والامة المصرية في وطنيتها وقوميتها ذلك الطعن الذي يشهد عليه كل عدد من أعدادها منذ صدرت الى الآن فهذا دأبها منذ منيت بها مصر ! تعيش بين أظهر المصريين وتطعن عليهم في آن واحد غير راجية لهم وقارا ولا حاسبة لهم صفة ولا اعتبارا

والظاهر ان تلك المقالة الرنانة قد أثارت ثائرتهم واقامتهم وأقعدتهم فبرزت تلك الجريدة التي سميناها تكذب الحديث وتتهم ذمة كاتبه اتهاماً صريحاً وتعدته من قبيل « تزوير الحجج والسندات » ولقد كذبت وافترت افتراء مينا

ولكنها لم تستطيع بعد ذلك أن تتعرض لهذه المقالة أو تشير اليها بكلمة

وقدم المترجم في تلك الايام طلبه الى لجنة قبول المحامين امام محكمة الاستئناف فقبل امام المحاكم الجزئية ولكنه لم يترافع في قضية لفرد طول حياته بل اكتفى بالقضية العظيمة التي كانت مطروحة بين يديه وهي قضية الوطن المقدس .

أظهر افصاح . ولا يعدم القاريء اللبيب حكما صادقا على
نيات نصراء الحرية وزعماء المدينة كما ان وزراءنا (أنابهم الله)
يعلمون منه ما يقوله الانكايذ عنهم وماذا أفاد تهاونهم
وموافقهم على ضياع البلاد ولكن ليس المقام الآن مقاما
نذبهم فيه الى ما وصل اليه مركزهم واحترامهم بل لنا معهم
كلام آخر في وقت آخر والسلام»

*
* *

وما نشر المرحوم هذه المقالة أيضا بامضاء « مصرى
أمين » حتى هاجت جرائد الاحتلال وماجت وفي مقدمتها
المقطم الذي أرغى وأزبد ورد رداً كله سب ووطن

رد المقطم في عدد (١٧٨٢) الصادر يوم الثلاثاء ٢٩ يناير
سنة ١٨٩٥ بعنوان « حديث خرافة » رداً كله سب وثلب
كما قلنا اذ شق على تلك الصحيفة أن يكون لمصرى صوت في
مناقشة أخى عميد الاحتلال تلك المناقشة التي أعجب بها قراء
الاهرام أيما اعجاب ولا تعد تلك المطاعن غريبة من جريدة
قضت عشرين عاما وهي تطعن على الدولة العلية والأريكة

فأجاب مبتسماً . ان بقية الوزراء لا يهمهم الا قبض
رواتبهم العظيمة وبقاؤهم في أعلى المناصب لا يخالفون للانكياز
رغبة بل يقدسونهم من صغيرهم لكبيرهم خوفاً من السقوط
والعزل

فتنفست عندئذ الصعداء وقلت . لا تغتر يا حضرة
الميرالاي بوجود بعض الخونة فينا واعلم ان بلداً فيه رجال
يعرفون معنى الوطنية معرفة رجالكم لها لا يموت أبداً بل
يعيش معززا على الذرى والمقام ولربما أحيا فرد واحد أمة
بأسرها وفي تاريخ الدول وانقلاباتها أقوى دليل على ما أقول
ومصر في هذا العصر غنية برجالها مباركة بأبنائها لها ان تؤمل
منهم الظفر القريب ان شاء الله

فبهت الميرالاي وقال . انى أقف معك في الحديث
عند هذا الحد فلقد رأيت ان حميتك تملى عليك القول ووطنيتك
تحقق لك آمالك (البعيدة)

هذا هو الحديث الذى جاهر به انكيازى خطير بما
لم يستطع المحتلون المجاهرة به من قبل وان كانت فعالمهم أفصحت

فأجاب ضاحكا . واذا كان ملكا لكم فلم لم تستردوه
ولم ضاعت واد لاي وكسلا؟

— كان ذلك بدسائسكم ومعارضتكم لنا في استرجاعه
ولكن متى خرجتم يسهل علينا استرداد ملكنا

— ان ملككم مضت عليه المدة ولم يعد لكم بل أصبح
متاعا لمن يستولى عليه وجزى الله نوبار باشا كل خير فلقد
سهل في الماضي سلخه وسيسهل لنا قريبا ملكه ملكا نهائيا
فاستولتني دهشة عظمى وقلت له . ألى هذا الحد
تطمعون في نوبار باشا؟

فأجاب . وبأكثر منه . ان نوبار رجلنا ومحبنا وقد
أطلق عليه السياسيون في أوروبا اسم (نوبارستون) دليلا
على شدة اخلاصه لنا

وماهى فائدته من خدمتكم؟
انه يؤمل استقلال أرمينيا على أيدينا ولا يخفك ما في ذلك
فقلت والدهشة في ازدياد . ولكن أما تخافون بقية

وزرائنا؟

خاذلة للطامعين ناصرة لذوى الحقوق

أظنك يا حضرة الميرالاي لا تقدر علي اثبات ان المصريين
ليسوا من الفرع الانساني وانهم غير أهل لان ينالوا من
أوروبا حريتهم واستقلالهم الادارى المثبت فى المعاهدات
(التي كنتم أول المصدقين عليها) المؤيدة بالقرمانات

فقال والغضب باد علي وجهه . ان أوروبا فى شغل عنكم
وفرنسا التي وجهة آمالكم نحوها لها من سوء أحوالها وكثرة
مستعمراتها ما يجعلها علي الدوام عاجزة عن ان تخدم مصر
خدمتها للولايات المتحدة وتساعد العباس مساعدتها
لواشنطن

علي اني لو وافقتك وقلت ان أوروبا ستنصركم وتجبرنا
علي الانجلاء فذلك لا يكون الا بعد ان يبيع فلاحكم أرضه
ويسوء حاله ونملأ جيوبنا مالا فضلا عن اننا نكون ملكنا
السودان وهو كما تعلم روح بلادكم

فقلت . وكيف تملكون السودان والسودان لا يزال

ملكنا لنا

فقال. اصرفوا عن أوروبا أملككم فانا نرضيها بالارض
الكبيرة والاملاك الواسعة « كأن انك لترا قد ملكت الارض
وما عليها » ونضمن لها في مصر مصالحها وديونها

لنتفق جدلاً على ذلك ولكن هل نسيت أن في حمايتكم لمصر
ووضع يديكم عليها ضياعاً للموازنة الأوروبية التي تعمل كل دولة
للمحافظة عليها. ومهما قدمتم من الهدايا لبعض الدول (على أنكم
لستم المتصرفين في كل أرض) فهل تحسبون انها تقوم لديها مقام
(مصر) طريق الشرق الأقصى وأعظم المستعمرات الأوروبية
أم نسيتم ان من العار على أوروبا ان تساعدكم على انتهاك حرمة
المعاهدات وتترككم تستعبدون أمة اعترفت أوروبا نفسها
بكمال استعدادها ومحاكاتة لأعظم الممالك المتمدنة مدنية
ونظاماً. ولم تساعدت فرنسا الولايات المتحدة وطردتكم منها؟
أكانت مصالحها هناك أكبر من مصالحها هنا بل لماذا
قامت أوروبا مرة واحدة مساعدة لليونان على استقلالهم
وانفصالهم تمام الانفصال عن الدولة العلية. ولماذا قررت
بلجيكا وإيطاليا وغيرهما وأقامت نفسها وصية على الأمم الضعيفة

فثار منى الفكر عند سماع هذا القول واجبته ان لمصر
أن تؤمل من أوروبا نجاحها وخلصها ولكم أن تتحققوا من
بطلان آمالكم وضياع أمانيتكم فلقد كشفت أفعالكم
(الناطقات بنياتكم) الغطاء عن هذه المقاصد الخبيثة التي
أضمرها غرائقيل وسالسبرى وغلادستون ومن حاكهم في
سياستهم ولم يعد سياسى من السياسيين يغتر بما تقولون بل
تحقق الكل من انكم (لا تصدقون في خدمة الاوطان)
ولذا استشعر القريب والبعيد بان الاحتلال في آخر ساعاته
قضت عليه عدالة القرن التاسع عشر ومدنيته بالموت الدائم
فاطمئن خاطرنا يا حضرة الميرالاي واعلم أن الانجلاء
قريب عاجل

فازداد ضحكك وقال . ومن لكم يا ترى من السفراء
في أوروبا حتى قلم بقرب الانجلاء
لنا أوروبا بأسرها التي تناديها مصالحها العديدة بان تنصرنا
عليكم كيما تنصر تلك المصالح التي سعيتم من يوم احتلالكم
البلاد في تقويض أركانها

الامر وبان السر وعلم الناس انكم كذبتهم الكذب الصراح
على أوروبا ومصر بل ماذا تكون عاقبة أمركم اذا أجبرتم
على الانجلاء خلافا لما تهمون به من امتلاك وادينا العزيز

فضحك اذ ذاك ضحكا عالياً وقال . ما أسلم نياتكم
معشر المصريين وأقربكم الى الحالة الفطرية منكم الى الحالة
الحضرية أتظنون ان الانكايز (وهم أحق الناس بكل نعمة
وخير) ينجلون عن مصر ويتركون لكم أو لغيركم برها
العزيز وخيرها العميم . أم تظنون اننا نؤخذ بأقوالنا وأفعالنا
ناطقات بحقيقة نياتنا وماذا على رجالنا اذا كانوا حققوا لكم
ولاوروبا (الاحتلال المؤقت) و (الانجلاء القريب) ومبدؤهم
(الكذب في خدمة الاوطان) واستعمال الخداع في السياسة
(وماهي الا حرب سلمية) استعماله في الحرب والطعان
وهل تصدقون بأن أوروبا تنجدكم وتساعدكم ضدنا انها آمال
بعيدة وأوهام يحق لكم ان تتركوها وتعلموا انكم في حماية
الانكايز وان سيادة الترك أصبحت في النسيان ودخلت من
زمان في خبر كان

وبعض الكتاب الذين لا تظلم سماء السياسة الحاضرة يقولون ان للدولة العلية بعض السلطة على مصر ولكن الذين وقفوا على حاضر الامور وماضيها لا يجملون دخول مصر تحت حكم الانكليز دخولا لم يبق معه شك لعاقل من العقلاء

فسخرت عندئذ من قوله هذا المبني على حبه لجنسه وشغفه باتساع نطاق المستعمرات الانكليزية وقلت له . ان وزراءكم وكبار رجالكم قالوا المرة بعد المرة ان احتلالكم بمصر ليس الا احتلالا مؤقتا ينتهي بعد اصلاح الحال وتأيد سلطة الامير وعاهدونا وعاهدوا أوروبا على ذلك مقدمين المواثيق الغلاظ والعهود الشداد بأن جنودكم ستنجلي عنا بسلام (احتراماً للتاج الانكليزي وشرف البرلمان) مما يؤيد حقوق الدولة العثمانية على مصر المؤيدة من قبل بالمعاهدات الدولية والقرمانات الشاهانية فكيف بك اليوم تقول عكس هذا القول وتجاهر بنقيض ما جاهر به عظام رجالكم وكبار وزراءكم . وماذا يكون شأنكم اذا افتضح

حديث زو شأن

جمعتني والميرالاي بارنج (شقيق اللورد كرومر) مصادفة من أحسن مصادفات الحياة استطلعت فيها رأيه بشأن المسألة المصرية وما ينويه لها الانكاي من النيات (الحسان) فأحييت ايرادهم مادار عليه الحديث خدمة للقراء الكرام واظهاراً لرأى رجل من كبار رجال الانكاي فضلاً عن انه أقربهم الى معتمد الدولة البريطانية في مصر

بدأني حضرته بالكلام على خلاف عادة الانكاي فقال
هل أنت مصرى أم عثمانى
فأجبته مصرى عثمانى

فقال وسمة التعجب بادية عليه وهل تجتمع الجنسيتان في أحد؟ فقلت ليس الامر جنسيتين بل في الحقيقة جنسية واحدة لان مصر بلد تابع للدولة العلية والتابع (كما لا يخفى على جنابك) لا يختلف عن المتبوع في شىء من أحكامه فتبسم قليلاً وقال . نعم ان مؤلفي الكتب الجغرافية

أعمالكم المخالفة لمصلحة البلاد ووصفها الاحتلال بالرفعة
والكمال

*
**

نشر المرحوم هذه المقالة بامضاء « مصري أمين » وقد
كان لها أكبر وقع لأنها جمعت أغلب الوعود الانكليزية
والعهود البريطانية وهو ما يهيم كل مصرى معرفته والوقوف
عليه لنقيم بها على الدوام الحجة على قوم أصبحوا فى التاريخ
أكذب من مسيلمة

وقد اختار المرحوم ان ينشر هذه الوعود قبل الحديث
الذى جرى بينه وبين الكولونل بارنج شقيق اللورد كرومر
حتى يثبت للعالم مقدار تلاعب الانكليز فى وعودهم ومبلغ
شرفهم فى أقوالهم

أما الحديث فقد نشرته الاهرام فى يوم الاثنين ٢٨
يناير سنة ١٨٩٥ وهذا نصه :

ومنها تأكيده المستر مورلى لمجلس العموم يوم ٨ فبراير
سنة ٩٢ بأن رأيه بشأن مصر هو عين رأى أسلافه وأنه
لا يري غير « الانجلاء »

وأخيرا نذكر جملة غلادستون الشهيرة التى يحق لكل
مصرى ان يحفظها على قلبه ويجاوب بها أعداء الحق فى كل
آونة وهى « ان حفظ مصر شىء جميل ولكن الاجمل
والاشرف الوفاء بالوعود »

هذه أيها السادة المحتلون وعودكم الشريفة الصريحة التى
لا تستطيعون نكرانها ولا تقدرتون على تحوير معانيها لم تقولوها
عبثا ولم تقوهوا بهامصادفة بل قدمتموها لنا ولا وروبا ضمانة
على الانجلاء . فهل لكم ان تحترموا شرفكم العزيز وتنجلوا
عن الديار بسلام أم عزمتم العزم الاخير على استخدام ذلك
الشرف فى اغتيال البلاد كما يشير به عليكم الخونة الاشرار
وترك التاريخ يسود لكم صفحاته بعد ان حلاها بحامدكم
وفضائلكم أجبيونا بحق ماتعزون ولو على السنة أبواقكم التى
كانت أول من كشف الستار عنكم وعن دسائسكم بمدحها

في لندن يوم ٣ نوفمبر سنة ١٨٦٠ « انكم تخطئون كثيراً اذا
حسبتم اننا نبغى البقاء في مصر الى أجل غير مسمى اذا اننا
لا نبحث الا عن الخروج منها بشرف فضلاً عن ان جنودنا
التي فيها تنفعنا كثيراً في الهند كما أشار بذلك أمير قوادنا »
ومنها قوله في مجلس العموم يوم ١ اغسطس سنة ١٨٩٠
مامعناه « ان بقاءنا في مصر الى أجل غير مسمى يقلل من
احترام الوعود التي جاهرت بها حكومة جلالة الملكة وتعهدت
بالخضوع لها »

ومنها جوابه الذي أجاب به على طلب قدمه اللورد
كارنارفور في مجلس العموم يوم ١٢ اغسطس سنة ١٨٩٠ بشأن
امتلاك مصر امتلاكاً دائماً وجاء فيه « أظن أن صديقي
لا يحسب حساباً كبيراً للوعود المقدسة التي نطقنا بها ولا للقانون
الاوروبي »

ومنها خطابه الذي ألقاه يوم ٢١ سبتمبر سنة ١٨٩١ في
مدينة كبريدج وقال فيه بشأن مصر « ان احتلال مصر احتلالاً
دائماً يسبب لنا أعظم المشاكل السياسية »

العموم يوم ٥ مارس سنة ١٨٣ « يلزمنا ان نعلم اننا لسنا في
مصر سادة بل أحياء ونصحاء للحكومة المصرية وانه ليس لنا
فيها مصالح خصوصية ممتازة عن مصالح بقية الممالك المتمدنة »
ومنها اجماع مجلس العموم على استحسان مقاله المستر
غلاستون نفسه يوم ٩ نوفمبر سنة ١٨٣ من تحقيق قرب
الجلاء وسحب الجنود الانكليزية من مصر

ومنها قول اللورد دربي في مجلس العموم عام ١٥ « انا
ذهبنا الى مصر ووعدناها وعداً صريحاً بأن لا نمكث فيها
فيجب علينا احتراماً للتاج الانكليزي وشرف البرلمان
ان نخرج منها »

ومنها اعلان المستر غلاستون عند انتخابه رئيساً
للوزارة الانكليزية سنة ١٥ أن من أول مشروعاته « سحب
الجنود الانكليزية من مصر »

ومنها قول اللورد سالسبوري عام ١٦ « لنحترم قداسة
وعودنا وننجل »

ومنها قول هذا اللورد للمسيو وادنجتون سفير فرنسا

جلالة الملكة ويخالف معنى الوعود التي وعدنا بها أوروبا «
ومنها قول هذا المستر نفسه في مجلس العموم يوم ١٤
نوفمبر سنة ١٨٨٢ جواباً على سؤال وجهه اليه المسيو
نورثكوث بشأن مصر « ان احتلال مصر ليس الا مؤقتاً
وستحدد الوزارة الانكليزية شروطه مع الحكومة المصرية .
وهو يشابه احتلال الدول الاربع انكلترا والمانيا والروسيا
والنمسا لفرنسا عام ١٨١٥ الذي انتهى بسرعة وعلى
أحسن حال »

ومنها المنشور الذي أرسل من لندن يوم ٣ يناير سنة ١٨٨٣
لكل الدول وجاء فيه « ان حكومة جلالة الملكة اضطرت
تلقاء الحوادث الاخيرة الى تسكين الهياج العسكري الذي
قام في مصر وتأييد النظام والسلام فيها وقد بلغت هذه الغاية
وترغب سحب الجنود الانكليزية التي لا تزال باقية منها ضماناً
للراحة العمومية وذلك متى سمحت حالة القطر وتأيدت
سلطة الخديوى »

ومنها قول المستر غلادستون زعيم الاحرار في مجلس

يوم ٢٥ يوليو سنة ١٨٨٦ في البلاغ الشهير الذي تعهدت فيه الدول جمعاء « على ان لا تستولى أى دولة منها على أرض من الاراضى المصرية ولا تبحث عن امتياز خاص ولا عن فائدة تجارية لرعاياها في كل اتفاق يقع بشأن تسوية مسألة مصر »
وزيد على ذلك ان المصدق على هذا البلاغ (البروتوكول) من قبل انكلترا هو اللورد دوفرين المشهور بحذقه ومهارته ومنها مقاله اللورد غرانفيل في مجلس العموم يوم ٣٠ يوليو سنة ١٨٨٢ في خطابه المتعلق بمصر الذي جاء فيه ما يأتى « ان سائر الوزراء الانكليز متفقون على ان لا طمع لنا في مصر وان الجنود البريطانية لم ترسل الا لتؤيد النظام وترد الي الخديوى سلطته التي نزعنا منه . وأخيراً فالوزارة عازمة عزمًا أكيدًا على أن تعرض للدول الأوروبية التسوية النهائية للمسئلة المصرية »

ومنها قول المستر غلادستون في مجلس العموم يوم ١٠ اغسطس سنة ١٨٨٢ « اني اؤكد بأن انكلترا لا تقصد احتلال مصر احتلالاً نهائياً اذ أن ذلك يضاد مبادئ حكومة

الذى تسعى اليه انكلترا هو ان تحقق لمصر سعادتها واستمتاعها التام بالحرية التى قررتها الفرمانات الملوكية المتتابعة « وفى موضع آخر « ومن المهم ان أوكد لكم ان غرضنا هو ان تبقى مصر متمتعة باستقلالها الادارى الذى منحه لها الفرمانات السلطانية »

ومنها ان اللورد ليون سفير انكلترا فى باريز رفع فى ٢٨ يناير سنة ١٨٨٢ مذكرة الى ناظر خارجية فرنسا بناء على أمر صادر له من رئيس الوزارة الانكليزية جاء فيها « وان حكومة جلالة الملكة لا تطمع مطلقا فى ان يكون لها بمصر نفوذ خاص »

ومنها ان هذا اللورد نفسه قال للموسيو فراسينه ناظر خارجية فرنسا فى بلاغ رفعه له فى ١٠ يوليو سنة ١٨٨٢ ان ضرب الاسكندرية لا يعتبر من قبلنا الا دفاعا قضت به الظروف وليس وراءه أدنى غاية

ومنها تصديق دول انكلترا وفرنسا والمانيا والنمسا والمجر وايطاليا والروسيا (أى الست دول العظام) فى تريايا

الجليل الشأن الرفيع البنيان

ولئن ذكرتهم بهذه المواثيق الجميلة التي أخذوها على
أنفسهم بعد أن ذكروهم ببعضها المخلصون من الكتاب فذلك
لأنى أراها أمضى سلاح لنا ضدهم وأصلح درع نلاقيهم بها
في كل احتجاج وجدال

وماهى فى الحقيقة الا ضمانات قوية يقيمها كل مصرى
حججاً دامغة على من أوصلوا مصر بسوء سياستهم الى هذا
الدمار وجعلوا الشرف البريطانى على شفير هار

فمن هذه التصريحات الشريفة المملوءة بسلامة النية
وحسن الضمير خطاب اللورد غرانفيل الشهير الذى أرسله
وهو رئيس الوزارة الانكليزية فى ٤ نوفمبر سنة ١٨٨١ الى
السير ماليت معتمد الدولة البريطانية فى مصر حين ذاك أى
قبل ان تظهر للثورة نار ويقام للاحتلال شعار فان هذا
الخطاب أوضح بأجلى بيان ان انكلترا تضمر لمصر كل خير
وتود من أصدق فؤاد ان تراها فى ثوب العز والرخاء كما
يفهم هذا من قوله فى بعض المواضع « ان الغرض الوحيد

فتح الاندلس نظم أوقاته ووضع للعمل خطة وعنى بدراسة
المسئلة المصرية دراسة دقيقة وقد أعد سلسلة مقالات سياسية
لينشرها في جريدة الاهرام وقد نشرها وأولاها آخر ما
نشر في الجزء الثانى تحت عنوان « حتام تجاهرون بعكس
ما تضررون »

أما المقالة الثانية فقد نشرها في العدد (٥١١١) الصادر
من جريدة الاهرام الغراء في يوم الجمعة ٤ يناير سنة ١٨٩٥
وهذا نصها :

الوعود الصرىحت

ذكرت الانكليز في رسالتى الاولى بأشهر سيئاتهم
الاحتلالية وأذكرم اليوم بشرف الوعود وأتمن العهود التى
قالوها ضمانه للانجلاء آتيا بها وعدا بعد وعد وعهدا بعد عهد
عسى تنفع الذكرى ويعلم السادة الاحرار انهم بمحافظتهم على
هذا الاحتلال الثقيل قد وطأوا باقدامهم وداسوا بأرجلهم
أعز شىء يتباهون به ويفتخرون. أعنى بذلك الشرف البريطانى

وسيقفون على الميسور ادراجه من أعماله العمومية ولذلك
صحت نيتنا على اقتطاف نف منها كما تقدمت الإشارة
الى ذلك

ولما كانت علاقة المترجم ببعض أشخاص مما له علاقة
كبيرة في عمله السياسى باعتباره خطيباً وطنياً وصحافياً عاملاً
وكاتباً مصرياً كان من المحتم علينا أن نذكر ما دار بينه وبين
خصومه السياسيين من الاخذ والرد ومن عاصروه من
الصحافيين من الوثام تارة والانقسام تارة أخرى غير متخذين
أنفسنا حكماً لان حكمنا هنا غير مقبول شرعاً

أما علاقة المرحوم بسمو الخديوى المعظم فكانت
كعلاقة سمود بكل مصري مخلص ليس فيها سر غريب ولا
اتفاق بعيد ولا شىء خارق للعادة مما تخرص به المحتلون
كثيراً وتكهنت به جرائدنا هنا وهناك زماناً طويلاً .
وسيمر تحت نظر القارىء عند المناسبات شىء من أبناء
المهجوم والدفاع بينه وبين ابواق الاحتلال

قلنا فى آخر الجزء الثانى ان المترجم بعد ان نشر رواية

وإفياً ليكون ذلك توطئة لهذا العمل الكبير الذي نرجو الله تعالى أن يمدّه بروح من عنده ليعود علينا بالفائدة المأمولة والعائدة المسئولة وقد شرحنا في آخر الجزء الماضي شيئاً من هذه الطريقة ولن نغفل الإشارة إلى ذلك كلما عرضت مناسبة كان من عادة المترجم أن يحتفظ بما يرد عليه من كتب ومجلات وجرائد وكتب خصوصية سواء من الأقرباء أو الأصدقاء فلا يمزق شيئاً من كل ذلك . وقد وجدنا نفسنا بعد وفاته أمام تلال من الصحف والكتب عدا ما اقتناه هو من مئات الكتب ونقائس المؤلفات كما أننا وجدنا أكثر خطبه وبعض مقالاته مكتوبة بخط يده . ولما كان غالب الكتب الخصوصية غير مشتمل إلا على جميل وبعض فقر تدور حول محور السياسة المصرية رأينا أن نقتطف منها الأهم فإلهم حسب ما استطعنا أن نرتبها حتى لا يطول علينا الشرح ولا يجد القارئ في نفسه سأمًا ولا ضجراً

وإنه ليس من الوفاء أن نغفل إفادة القراء بنتف من هذه الكتب ليقفوا على طراز كتبه الخصوصية كما وقفوا

فكان لها بين جمهور السامعين تأثير بليغ ووقع حسن وقد
رحبت بها اذ ذاك الصحافة الفرنسية التي اتصل بها خبرها
ونقل اليها أثرها

والتفّ حوله جمهور كبير من أبناء البلاد الذين أعجبوا
كل الاعجاب باستقامته ونبيل قصده وشرف غايته فكان
هذا الالتفاف مشجعاً ومنشطاً

وفيه عرف كيف يلفت الرأى العام الاوربي الى مصر
وبالجملة فقد كان هذا العام أول عام حمل فيه أعداء مصر عليه
حملات دينئة وأخذوا يحاربونه بالاضاليل والباطيل وهو
هازىء بهم ماض في سبيله بثبات وشجاعة لا مثيل لهما فيمن
رأينا في العالمين

ولما كان الغرض من وضع سيرة المترجم على النمط
الذي علمه القراء هو تلقين الناشئين دروس الارادة والثبات
والشجاعة والحزم والعزم والجد والاجهد في خدمة الاوطان
مهما كان الخصم عنيداً والاجهاد عنيفاً شديداً : كنا في حاجة
الى شرح الطريقة التي سنتبعها في هذه السيرة المباركة شرحاً

الخطية من بعض رجال السياسة الذين كاتبهم أو حادتهم
في هذا الصدد

ونشر الرسائل السياسية التي كلها حجج دامغة وبراهين
قاطعة على سداد نظره وبعد غوره وصدق فراسته ولطف
حسه وحسن استنتاجه كما أنه نشر المقالات العمرانية في
اغراض ومطالب شتى تدل على عقل راجح وجهد مكافح
وجاهد لأول مرة جهاد الأبطال الكرماء امام العالم
الأوربي اذ قدم العريضة المشهورة لمجلس النواب الفرنسي
وانشأ يكاتب ويحدث دهاة الرجال والساسة الأقيال وينشر
مايعن له من السوانح السياسية في أشهر الجرائد وأوسع
المجلات انتشاراً

ووقع التعارف بينه وبين جماعة من كبراء الرجال وأساطين
السياسة فلم يكن يخلو اجتماع له مع واحد منهم حتى تكون
مصر أول الحديث وآخره لاقياً في سبيل الاقناع ماهو من
نصيب المخلصين المجاهدين

وخطب أول خطبة له باللغة الفرنسية في مدينة طولوز

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَعْمَالُ السَّنَةِ وَالْحَجَرِ النَّبِيِّ

الْثَّانِيَّةُ

١١٩٥

يحق لنا أن نسمى هذا العام من عمر المترجم بعام « مبدأ حياته السياسية الكبرى » لأنه فيه:

عنى بدراسة المسألة المصرية عناية فائقة مستعينا في ذلك بما حصل عليه من الكتب السياسية التي تبحث في هذا الشأن وما أتيح له ان يقتنيه من المذكرات الخطية وغير

مُصْطَفَى كَامِلُنَا

فِي ٣٤ رُبْعًا

سِيَرُهُ وَأَعْمَالُهُ مِنْ خُطْبٍ
وَأَحَادِيثٍ وَمَسَائِلَ
سِيَّاسِيَّةٍ
وَعَقِيدَاتِيَّةٍ

« أحرار في بلادنا
كرماء لضيوفنا »
سيد الفقيه

الجزء الثالث

﴿ الطبعة الأولى ﴾

﴿ ثمن كل جزء خمسة قروش صاغ ﴾

« حقوق الطبع والنشر والترجمة محفوظة »

سنة ١٣٢٦ هـ — ١٩٠٨ م

(مطبعة « اللواء » بشارع الدواوين ثمة ٢٩ بمصر)

www.alkottob.com



﴿ مصطفى كامل باشا ﴾

﴿ في الحادية والعشرين من عمره ﴾

www.alkottob.com

www.alkottob.com

www.alkottob.com

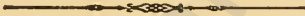
www.alkottob.com

www.alkottob.com

www.alkottob.com

جزء صفحة

مقدمة الجزء الثالث	٢	٣
سفر واضع الكتاب الى سواكن (مايو ١٨٩٥)	٤٩	٣
من خدمة الجيش ورد	»	»
استقالة	٢٢١	٣
الاستقالة		



جزء صحيفه

- ٣ ١٩٠ قول جريدة (البتى مرسييه) لمدام جوليت
آدم عن ذلك
- ٣ ٢١٧ قول جريدة (الطان) عن حديثه فى الفاء
الارسالية المصرية
- ٣ ٢٣٢ قول جريدة (الاكير) فى رسالته « انكلترا
والاسلام »

﴿ مواضع شتى ﴾

- ١ ٢ المقدمة لواضع الكتاب
- ١ ٥ عظماء الرجال لسعادة محمد بك فريد
- ١ ٥٤ سيرة والد المترجم
- ١ ٦٣ سيرة صاحب الترجمة
- ١ ١٠٦ عظة للآباء
- ٢ ١ مقدمة الجزء الثانى
- ٢ ٢٩ عودة واضع الكتاب من سوا كن الى القاهرة
(مارس ١٨٩٣)

﴿ أقوال الجرائد الخارجية عن المترجم ﴾

جزء ٢ صفحة

٢ ١٤٥ قول جريدة (غازيت دى طولوز) عن نجاحه
فى امتحان الحقوق

٢ ٧٨ قول جريدة (الجولوا) عن العريضة واللوحة
المقدمتين منه لمجلس نواب فرنسا

٢ ٧٩ قول جريدة (الاكستراجبلاط) عن ذلك

٢ ٨٠ قول جريدة (برلينر تاجبلاط) عن ذلك

٢ ٨١ قول جريدة (دى روما) عن ذلك

٢ ٨٢ قول جريدة (ذى ستاندرد) عن ذلك

٢ ١٠٨ قول جريدة (الطان) عن حديث بينه وبين

جريدة (الجرنال)

٢ ١٣٣ قول جريدة (الدييش) عن خطبته فى طولوز

٢ ١٣٧ قول جريدة (الاكستراجبلاط) عن ذلك

٢ ١٨٣ قول جريدة (النوفيو فريميا) عن كراسة

« الاحتلال الانكليزى »

﴿ خطب المترجم ﴾

جزء ٤٦ صفحة

- ٣ ٤٦ خطبة في وليمة أقامها للمسيو ديلونكل
بالاسكندرية
- ٣ ١٠٩ خطبة في طولوز
- ٠ ١٩٧ خطبة على المصريين في باريس

﴿ تأليف المترجم ﴾

« ورسائله في الجرائد الاجنبية »

- ١ ١٥٥ أعجب ما كان في الرق عند الرومان (كتاب)
- ١ ١٨٧ مجلة المدرسة (منتخبات منها)
- ٢ ١٦٧ رواية فتح الاندلس
- ٣ ١٦٧ أخطار الاحتلال الانكليزي (كراسة)
- ٣ ٢٢٤ « انكلترا والاسلام » رسالة في مجلة (نوفيل ريفيو)

﴿ أحاديث المترجم ﴾

جزء صفحة

٩٨	١	حديثه مع المغفور له الخديو السابق
١١٨	١	» » » » على باشا مبارك
١٣١	١	» » » » » » » »
٠٤٩	٢	» » » » » » » »
١٥١	٢	» » (غازيت دى طولوز)
١٠٥	٣	» » جريدة (الجورنال)
١٥٥	٣	» » ساح انكليزى
١٦١	٣	» » جريدة (الاكستراجبلاط)
٢١١	٣	» » » » (الاكلير)
٢٣٤	٣	حديثان بينه وبين جريدة (الجولوا)
		و (الجورنال)

﴿ من المترجم ﴾

جزء صفحة

٢	٤٦	كتاب منه الى شقيقه	واضع الكتاب	الكتاب
٢	٩٨	»	»	»
٢	١٤١	»	»	»
٣	٥١	»	»	»
٣	٥٩	»	»	»
٣	٩٤	»	»	»
٣	٩٧	»	»	»
٣	١٤١	»	»	»
٣	١٤٤	»	»	»
٣	١٥٩	»	»	»
٣	١٦٥	»	»	»
٣	٢٢٠	»	»	»

جزء صفحة

١٥٥	سفره الى فيينا	٣
١٦٦	عودته الى باريس (أغسطس سنة ١٨٩٥)	٣
١٩٧	احتفاله بعيد الجلوس السلطاني (في أغسطس سنة ١٨٩٥)	٣

﴿ كتب خاصة الى المترجم ﴾

٨٧	كتاب اليه من موظف كبير	٣
٩١	تلميذ صغير	٣
٩٦	الضباط المصريين	٣
٢٠٩	سفير الدولة العلية العثمانية بباريس	٣
٢١٩	شقيقه واضع الكتاب	٣

جزء صفحة

- ٢ ٠٤٥ رحلته الى أوروبا (يونيو سنة ١٨٩٣)
- ٢ ٤٨ عودته من أوروبا (أغسطس سنة ١٨٩٣)
- ٢ ٥٥ تعرفه بعظماء المصريين
- ٢ ٦٠ رحلته الى فرنسا (يوليو سنة ١٨٩٤)
- ٢ ١٢١ احتفاله بعيد جلالة السلطان بباريس (أغسطس ١٨٩٤)
- ٢ ١٣٦ عودته الى القاهرة (سبتمبر سنة ١٨٩٤)
- ٢ ١٣٨ رحلته الى أوروبا (اكتوبر سنة ١٨٩٤)
- ٢ ١٥٤ عودته الى القاهرة (ديسمبر سنة ١٨٩٤)
- ٢ ٠٣٢ دراسته المسألة المصرية
- ٢ ٤٤ سفره الى الاسكندرية لمقابلة المسيو دي لونكل
- ٢ ٦٩ تقديمه العريضة المشهورة الى مجلس النواب
الفرنسى
- ٣ ١٤٧ الوليمة التي أقامها للصحافيين في طولوز
- ٣ ١٥٠ سفره الى برلين وعودته الى باريس (يوليو
سنة ١٨٩٥)

معرض انقرس	١٠٠	٢
واترلو والمذبحة البشرية	١٦٦	٢
الوعود الصريحة	١١١	٣
حديث ذوشان	٢٠	٣
مناقشة جرائم الاحتلال	٣٠	٣
التهديد الباطل	٣٤	٣
صواعق الاحتلال	٤٠	٣
الشرق الاقصى	٥٣	٣
من أين يأتي الخطر	٦١	٣
كلمة الى المدلسين	٩٩	٣

﴿ أعمال المترجم ﴾

تأليفه جمعية الصليبية الادبية	١٢٥	١
سفره الى الاسكندرية وعودته صيف (١٨٩٢)	١٤٣	١
مظاهرة وطنية	١٤٥	١

جزء صفحة

١٤١	٢	امام كلية طولوز
١٤٣	٢	نجاحه في امتحان الحقوق
١٥٦	٢	بينه وبين ادارة كلية باريس
٢٩	٣	قبوله امام المحاكم

﴿ رسائل المترجم في الجرائد الوطنية ﴾

١٤٦	١	نصيحة وطني
١٥٠	١	الحق يعلو ولا يعلى عليه
٠٠٢	٢	المدنية وتعميم التعليم
٠٣	٢	الاعمال بمقاصدها
٠٢٣	٢	الجامعة
٠٣١	٢	المعلمون والتعليم في مصر
٠٦١	٢	البحر
٠٧١	٢	معرض ليون
٠٨٨	٢	بلجيكا وعاصمتها

جزء ٤ صفحة

١	١٨٣	صورة عنوان مجلة المدرسة
١	١٨٦	صورة كتاب بخط المترجم الى شقيقه واضع الكتاب
٢	٠١	صورة المترجم (في الثامنة عشرة من عمره)
٢	١٥٠	صورة المترجم (في التاسعة عشرة من عمره)
٣	٠١	صورة المترجم (في الحادية والعشرين من عمره)
٣	٧٣	صورة اللوحة التي قدمها المترجم الى مجلس نواب فرنسا

﴿ تعليم المترجم ﴾

١	٨١	التعليم الابتدائي
١	١١١	التعليم الثانوي
١	١٢٦	بينه وبين ضابط المدرسة الخديوية
١	١٣٨	التعليم العالي (علوم الحقوق)
٢	٦٠	تركة مدرسة الحقوق الخديوية
٢	٧١	نجاحه في امتحان السنة الثانية بكلية الحقوق بباريس

فهارس

الجزء الاول والثانى والثالث

من تاريخ المرحوم مصطفى كامل باشا

﴿ الصور ﴾

جزء صفحة

- | | | |
|---|-----|---|
| صورة المترجم (في الثانية والثلاثين من عمره) | ١ | ١ |
| صورة واضع الكتاب (في الخامسة والثلاثين من عمره) | ٥ | ١ |
| صورة سعادة محمد بك فريد (في الثانية والاربعين من عمره) | ٥٢ | ١ |
| صورة جزء من واجهة منزل ميلاد المترجم | ٦٢ | ١ |
| صورة مدرسة والدة عباس الاول (التي تربي فيها المترجم التربية الاولى) | ٨٠ | ١ |
| صورة كتاب بخط يد المترجم الى شقيقه واضع الكتاب | ١٣٧ | ١ |

www.alkottob.com

www.alkottob.com

أجمع أنكم حريصون اكل الحرص على مجدكم وشرفكم
والا فيؤخذ عليكم ان تكونوا أبناء التاميز دعاة الصدق
ونصراء الشرف وتجاهرون بضد ماتضمرون



تم الجزء الثاني وسيليه بمشيئة الله قريباً الجزء الثالث
وهو الجزء الذي ستبتدىء فيه حوادثه السياسية الكبرى
حيث قدم فيه العريضة المشهورة لمجلس النواب الفرنسي
وجاهر بالدفاع عن المسئلة المصرية وظهور الحزب الوطني
بالمظهر اللائق به واعلان الجرائد عنه وغير ذلك مما سيراه
القارىء فى الجزء الثالث وكل آت قريب . .



التعليم في المدارس ومعاينة الذين لا ينشرون لغتكم ولا
يستحسنون أعمالكم واستعمال الجرائد المتهكمة على الأمير
والوطن كتبنا للمطالعة . وتدریس علم التاريخ في مؤلفات
أیتیم بها من بلادكم بلاد الحرية والاعتدال (صديقة الاسلام
وحبيبة الدولة العلية) - ملوءة بالطعن على الدين الشريف
والنبي الكريم

أليس فيما ذكرناه من بعض المسائل الشائقة الرائعة
المعروفة عند كل قراء الاهرام والجرائد الصادقة برهان
صحيح على أنكم لا تريدون الا البقاء ولا تقصدون قرع
باب الانجلاء

لنسلم لكم أنكم أصاحتم الشؤون وأيدتم البسطة الخديوية
فما لكم لا تخرجون

أظنكم تجيئوننا على ذلك بانكم لم تتمموا الآن ما
تكلفتم به وانه باق عليكم بعض الشيء - اذا كان قولكم
حقا فلتضربوا لنا ميعادا للانجلاء وهو يسير عليكم فقد خبرتم
الامور وأصاحتم الكثير من الشؤون وبذلك تبرهنون للعالم

أوغندا ثم احتلال وادلاي (التي هي من أملاك الحكومة
المصرية) وأخيرا بالهدية الثمينة التي قدمتموها في الصيف
الماضي الى صديقتكم ايطاليا (يعنى بها كسلا) وكان ما كان من
هياج الرأى العام ومظاهرة مجلس الشورى الوطنية التي
قوبلت بالفرح والاستحسان

هذه نقطتكم السوداء في تاريخ الاحتلال لم تخف لكم
الا تيقظ الناس لاعمالكم والتفاتهم لحقيقة أفعالكم فلا تحسبوا
اننا أمة حمقاء لانهم أسرار سياستكم بل تيقنوا ان ما يكتبه
كل كاتب صادق يكرره الاهلون عن بكرة أبيهم يوماً
بعد يوم

ادعيتم انكم دخلتم البلاد لترقية أهلها وجعلهم أهلاً
لان يتولوا شؤونهم بأنفسهم فهل كان ذلك منكم باغتيالكم
الوظائف السامية وقبض الرواتب الفادحة والتبذير المستمر
الذى أوصل الفلاح الى سوء الحال الذى لم ير له في تاريخ
مصر مثال

وهل رقيتم البلاد ياممدي الهند والهنود بتضييق دائرة

وخالقتم رغبته وعملتم (على انكم لم تفلحوا عملا) على قتل
النفوس الشريفة المشربة بحبه والاخلاص له
بل قولوا لنا بحق مجدكم يا ادعياء الحرية وزعماء المدينة
هل أعدتم الوطن العزيز الى ما كان عليه قبل الثورة بسلخ
السودان عنه وتركه غنيمة باردة لكم ولصنائعكم من بعدكم فلا
تركتمونا نسترجعه ولا صنتم حيا دمكم بل كنتم أول الطامعين
فيه المقتدرين عليه

وكان ساكن الجنان شريف باشا فقه كنه مقاصدكم
وسوء نواياكم يوم أكبرت الناس عمله وشفقت له استحساناً
حيث رفض طلبكم واستعفى مفضلاً اجتناب الاعمال عن خدمة
ما آربكم وترككم تحتالون على محبكم نوبار باشا (ومحب غورست
على الخصوص) الذي قبل الوزارة وسلخ معكم السودان وما
أدراكم ان السودان أرض هي من مصر بمنزلة الروح
من الجسد

وماذا كان منكم بعد ان أجبتكم الى طلبكم وسلخ السودان
كان منكم ان كنتم أول المنتهكين لحرمة باستيلائكم على

أنهم عاملون على تقويض أركان السلطة الخديوية وتقليل نفوذها وخراب البلاد وافقار العباد مما يدل من أفئدتنا حيناً لهم بسخطنا عليهم وولائنا لبلادهم بكرهنا لجنسهم والا اذا كنتم معشر الانكايذ لاتزالون تسمون أنفسكم دعاة الصدق ونصراء الشرف فقولوا لنا بحق مجدكم مامعنى تأييد السلطة الخديوية عندهم أتؤيد سلطة العزيز بتقويض دعائمها وهدم أركانها ومخالفة صاحبها الساعي في كل رغباته ومناقضته في كل أمياله وتهديده عند الحاجة بعزله (كأن الدولة العلية أصبحت مقاطعة من مقاطعات اسكتلندا أو ايرلندا) هذا أميرنا أبو أميرنا عليه من الرحمن الرحمة والرضوان ظن بكم خيراً وسالمكم في أكثر الامور فقابلتم بعد موته ثقته بكم ومسالته لكم بقولكم عنه « ان اللورد كرومر تنازل له عن الامضاء على الاوامر العلية فكان يضع امضاءه بدل امضاء حضرة اللورد » مما كان له اسوأ تأثير في النفوس وعرف الناس حقيقة ماتكنه ضمائرهم وتخفيه سرائرهم وقد بلغ منكم جبكم للتعدي على سلطة الامير ان تظاهرتم مرارا ضد العباس

حتا مر تجاهرون

﴿ بعكس ماتضمرون ﴾

أبدأ كتاباتي في الاهرام برسالة عامة على مناقضة
الانكيز لاقوالهم بأفعالهم واستشهد فيها ببعض الأدلة التي
يتحدث بها الناس كافة جاعلا اياها مقدمة رسائل آتية أدرجها
على التابع والله الموفق

أثبتت الفلاسفة والحكماء في سائر الاعصر والازمان
ان النقيضين لا يجتمعان والضدين لا يتحدان مما رسخ في
الاذهان رسوخ الاهرام ولم يستطع أحد مخالفة هذا القول
الصحيح الا أبناء التاميز الذين تلقوا الحكمة والفلسفة على
مكيافل فيلسفوف الطليان فانهم أرادوا بما أتوه في مصرنا اثبات
اتحاد الضدين واجتماع النقيضين فلقد قالوا وملاؤا الارض
قولا « انا دعاة الصدق نصراء الشرف دخلنا مصر لتأييد
سلطة أبنائها واصلاح شؤونها واعادتها الى ما كانت عليه قبل
الاضطراب ثم أثبتوا في تاريخ احتلالهم أكبر اثبات على

نقول ان تلك الرواية قد لقيت من القبول والاقبال في عهد
أهملت فيه آثار العرب وكسدت سوق الادب أجزل
مايناله المؤلفون والمصنفون ووردت عليه كتب الثناء المستطاب
تتري وتلقها الجرائد في ذلك الحين بالاجلال والاكبار
خلا صحافة الدخلاء دخلاء السوء طبعاً

فانهم في كل زمان ومكان شجى في حلق الامة وقذي
في عينها ولا بقاء للباطل الا في غفلة الحق عنه وان له لجولة
الى يوم النشور وتجارة النزور باثرة وأهلها في ثبور وانما يرفع
شأن الوطن ويخدمه أبناؤه المخلصون كما صنع فقيدنا الكريم

*
* *

نقول ولم تكن تلك الدراسة الجديدة وهذا الجدد
التواصل والرغبة العظيمة لتحويل بين المترجم وبين نشر
المقالات السياسية في الجرائد السيارة فقد رتب رحمه الله
سلسلة مقالات لجريدة الاهرام نشرت اولها في يوم الجمعة
٢٨ ديسمبر سنة ١٨٩٤ وهذا نصها :

طالعوا أيها القراء هذه الرواية لتروا كيف يؤلف المؤلف
المخلص . طالعوها بتبصر وامعان فانها ستفيدكم في ذكرين
من جانبين . تفيدكم في التذكير بما كان لتلك الامة العظيمة
من المجد المؤثل والجاه العريض والامل الطويل والسلطان
الكبير . تفيدكم في التحذير من فئة يلبسون لكم ثياب
الاصدقاء وهم لو نظرتم الى باطنهم وحاسبتموهم على أفعالهم
لرأيتموهم من أشد الاعداء كيدا لكم وعملا (لا يقدر الله ذلك)
علي اسقاطكم :

توب الرياء يشف عما تحته

فاذا اكتسيت به فانك عار

هذه كلمة موجزة عن لنا أن نقولها علي أثر نقل رواية
فتح الاندلس ولعلنا قد بلغنا بها الغرض . كلمة قلناها علي أثر
نقل رواية وزع منها في الاسبوع الذي صدرت فيه ستة
آلاف نسخة وأمسي محبوبها اليوم ينشدونها فلا يجدونها
ويطلبونها فلا يبصرونها ونظننا بذلك قد أدينا شيئا مما علينا
لعشاق هذه النفائس وطلاب تلك الآثار . وقد فاتنا أن

عليه عاقل

نريد أن تظهر في البلد روايات نافعة مؤثرة تتدرج بمن
يخضر تمثيلها من طبقات الامة في سلم الرقى درجة درجة .
نريد أن تكون في البلد روايات مفيدة ذات أثر في ترقية
المصريين ترقية أدبية . فان النذر القليل الذي سئمه أسماعنا
ومجته طباعنا من هذه الروايات علي قلته وقصوره عن
الغرض لا يكفي أمة تريد أن تمشي في طريق الرقى بلا انقطاع
أميالا متعاقبة ومراحل متتالية . فاعطوا أمتكم أيها الكتاب
القادرون روايات تشخيصية وضمنية مؤثرة تعطكم أجرا
من المال والثناء على السواء وتكون لكم عليها المنة الغراء
واليد البيضاء

رحم الله المترجم وأجمل في جنان الخلد بين الصديقين
والمجاهدين جزاءه لقد كان ينوي أن يجعل هذه الرواية في
ظبعتها الثانية نموذجاً يحتذىه القصصيون . ولو فسح له في الأجل
لكان أماننا منها رواية كبيرة الحجم كما كانت تطلب مراسعنا
العربية في ذلك الا وان ولكن الله أراد وله في ذلك حكمة ...

ذلك الاشارة كثيرون . ونحن فيما نكتب في كتبنا وبتكلم
في خطبنا عن الدخلاء لانعى كل أجنبي عن مصر ومعاذ الله
أن يكون ذلك من قصدنا في شيء وانما نعنى فريقياً بعينه نعنى
هؤلاء الذين يسيئون الوساطة بيننا وبين غيرنا فيجنون على
مصر جنائبات متكررة ويأثمون الى المصريين آثاماً متتالية .
نعنى هؤلاء الذين لا هادى لهم من ذمهم يهدى فيتبع ولا
وازع لهم من وجداناتهم يزع

وانا لا نعجب من ضالة العاطفة الوطنية في ذلك الوقت اذ
طلب المؤلف من المراسع العربية أن تمثلها فأبت منتحلة في ذلك
أو هي الاسباب وأوهن المعاذير وانما نعجب أشد العجب
من سكوت القادرين الآن على التأليف والتصنيف ووضع
الروايات ذات المغزى الوطنى مستنبطة من وقائع الدهر
وحوادث التاريخ وفيها أمثال فلان الكاتب وفلان القصصى
وفلان المؤرخ الى ناس آخرين من أهل الفضل لو أرادوا
أن يصنعوا خيراً لصنعوا وكانوا من المشكورين الماجورين
فان سكوت هؤلاء عن مثل هذا العمل المبرور أمر لا يحمد

النفس ونحن عنه غافلون

انا لاندل علي فضل هذه الرواية وما يمكن أن تحدثه
من اليقظة في نفس قارئها بأحسن من نقلها برمتها . وما فعلنا
ذلك الا تلبية لنداء الجمهور الذي يطلب أن يكون كل اثر
أدبي ماثلا أمامه في هذا التاريخ الذي هو تاريخ للنهضة الوطنية
المصرية والحياة القومية العالية . وقد نفذت نسخ هذه
الرواية منذ سنين ولم نعثر علي النسخة التي نقلناها هنا الا
بشق الانفس وبجث الايام والليالي

فليقرأها القراء فانهم يقرأون فيارسم مجد دارس
ويتحذرون من أهل الكيد والدسائس وهم يكادون في هذه
السنين يكونون معروفين لدى الامة رسما واسما وجسما بما
كان لهم من المواقف السيئة التي حاولوا فيها أن يحولوا بين
هذه الامة ورغائبها بما يفترون من الا كاذب ويتمسكون
به من الاباطيل والاضاليل

واذا كان عباد الوزير قد خان من أحسنوا اليه خيانة
فاضحة وجنى جناية عظيمة فأمثال عباد بيننا كما تقدمت الي

كثيرا . وقد بلغ من عنايتهم به وافراطهم في حبه أن القايمين
به من أرقى الناس منزلة وعقلا وقد يعاد تمثيل الرواية معين
من المرات متى صادفت في نفس الشعب هوى مكيناً وكان
لها فيه وقع جميل فمتى نبلغ هذا الشأن ؟

ان التحذير من عاقبة وجود الدخلاء أمر واجب على
كل غيور . فانهم يجرون وراءهم على البلاد التي تطؤها أقدامهم
وباء وبلاء . لانهم لا يهتمهم من مصلحة البلد شيء بل لا يهتمهم
شقي به أهله أو سعدوا عزوا فيه أو ذلوا وانما يهتمهم بطون
يملاؤها وأكياس بالمال يترعونها وأغراض غير شريفة
يقضونها . وهؤلاء الفئة من الناس يدسون للامة التي يحلون
بينها السم في الدسم ويكيدون لها كيدا ولا يخشون فيها عهدا
ولاذمة ولبأس مثل الخائنين

ولا شك ان من يقرأ هذه الرواية بتدبر وامعان يجد
فيها عبرا حجة وحوادث مهمة . وليس فتح الاندلس بالحادث
التاريخي الذي يستهان به ولا كيد الوزير عباد للاسلام مما
ينساه أحد . وكم بيننا من أمثال هذا الوزير في دناءة الطبع وخسة

الشاعر العربي ولله دره :

بنى كما كانت أوائلنا * تبني وتعمل مثلما فعلوا

بل ان في اعادة سيرة ما كان لهذه الامة العربية

الكريمة من المجد الباذخ والشرف الشامخ لحضاهذه السلائل

على الاقتداء بما كان عليه الاسلاف من رفعة الشأن وتقوذ

الشوكة والسلطان . وفي التحذير من شرور وسطاء السوء

ودخلاء البلاء انذار للامة التي منيت بهم بأن تأخذ منهم

حذرهما وتتدبر دونهم أمرها

ولو أتيح لمراسح التمثيل العربي في هذه الديار أن

تتوفق الى الاتفاق مع جماعة من خيرة الكتاب على

استخلاص العبر التاريخية وصوغها في قالب روائي بكيفية

تحدث في الانفس التأثير المطلوب لكان ذلك من أعون

الذرائع على ايقاظ الهمة واحياء الامة ولعلها تتوفق الى ذلك

عاجلاً أو آجلاً

وقد تنبه الكتاب الغرييون الى ما في التمثيل من أثير

الفوائد فجعلوه وسيلة من وسائل الاصلاح ولذلك يعنون نه

طيب الله ثراه وجعل الجنة مأواه :

« عن لي أن أكتب رواية أظهر لقومي فيها دسائس
الدخلاء على الامم الذين يتردون برءائسها ويتخاطبون بلغتها
ويخالطونها مخالطتها بعضها فيكونون كالسهم في الدسم بغية
منهم في اسقاطها من أوج مجدها الى حضيض ذلها شارحا غير
ذلك فضائل الامة العربية وأخلاقها الكاملة وعظيم تمسكها
بالمكارم مما جعلها في حصن حصين من شرور الدخلاء
ومكايد الاعداء الالقاء » الخ الخ

بهذه الكلمات القليلة . بهذه الاسطر الموجزة . بهذه
المعاني الشريفة . بهذه الروح العالية . وضع المترجم للرواية
خطة جيدا لو اتبعت فيما يؤلف من الروايات لانها الخطة
الفضلى والطريقة المثلى . وأى خطة في تأليف الروايات أرفع
وأقع وأحسن وأمتن من التذكير بمجد سالف والتحذير من
بلاء محقق خطير ??

ان في التذكير بالمجد الغابر لحثا للابناء علي محاكاة الآباء
وايقاظاً لروح التشبه والتمثل فيهم ليكونوا علي حد قول

والاهمية بالمكان الذي لا يخفى فضله على أحد
يكتب الكاتب في أى غرض من الاغراض ويخطب
الخطيب في أى مقصد من المقاصد فلا يفهم الاول الا قليل
من القراء ولا يفهم الثاني الا قليل من السامعين فلا تزال
الحاجة ماسة الى ما يكون تأثيره عاما في كل الطبقات وهو
التمثيل . وهذا الضرب من التربية يكون أكمل وأتم
وأفيد اذا كانت الروايات الموضوعة لهذا الغرض مما يذكر
بمجد قديم أو ينبه الى خطر محقق . ورواية فتح الاندلس
التي نشرناها هنا برمتها حرصا على غورها ودرورها أن تتلمسها
الايدي فلا تجدها قد جمعت بين هذين الغرضين في سلك
واحد بطريقة تقبلها الاسماع والطباع .

فقد اشتملت على التذكير بمجد ماض هو مجد الامة
العربية وعلى التنبيه الى خطر محقق هو وجود دخلاء
الشر ووسطاء السوء فانهم قديماً وحديثاً أصل من أصول
المصائب الكبيرة ويحمل بناهنا أن نعید قول المؤلف بنصه
وفصه في مقدمة الرواية بياناً للغرضين الآنف ذكرهما . قال

العمر التي يكون فيها الناشئ على الغالب غير ملتفت الا الى
غرض واحد: كان يؤسس الجمعيات ويؤلف الكتب والروايات
ويلقي بدائع الخطب والروايات ويكتب روائع المقالات ويطلب
العلم ويناقش رجال السياسة ويرد افك المارقين ويدرس المسألة
المصرية دراسة دقيقة ويضع للمسألة خطة وطنية ثابتة. أقول
من ينظر الى أن المترجم كان وهو في طور الحادثة يضع ذلك
كله في آن واحد يكبر معناتك المقدره الفائقة ويكبر كذلك تلك
النفس العظيمة السامية أيما أكبار

وقد بقي أن نوفي حق رواية الاندلس بكلمة موجزة
فقد علم القراء أنها نسجت علي منوال رواية شهيرة لاحد
محرري بلجيكا. لان كلتا الروايتين كما قلنا تشرح مقدار الغبن
الذي ينال الامم المقهورة من الامم التي تطمع فيها وكيف أن
الدخيل فيها لا يهمه الا الطمع والجشع خربت البلاد أو
عمرت شقيت أو سعدت. ولا يخفى أن للروايات في أوروبا
أثرًا يوتر وشأننا يذكر وحسبك أن التمثيل ركن من أركان
التربية العملية العامة في كل زمان ومكان بل هو من الخطورة

التاريخ الاسلامى تالخيصا يحفظ معه الجوهر ثم تخلص منها
العظات والعبر

وقد لاحظ بعض مدرسى التاريخ أن هذه الطريقة
تنجم كثيراً في معالجة النفوس المستعدة للاستفادة وكيف
لا تكون الحال كذلك ??

الا انه ظاهر بالبداهة أن افراغ الدروس التهديية في
هذا القالب يفيد فائدة عظمى . يفيد لأنه يحدث في قلوب
الناشئين تأثيراً مخصوصاً بمن يدرسون سيرته تأثيراً يظهر في
قولهم وعملهم ظهوراً على قدر ما أوتوا من الفطنة والتمييز .
وما على فضلائنا الا أن يجربوا هذه الخطة فيضعوا في التربية
كتباً تنشئ رجالاً كاملين بانتخاب ترجمة بعض الاعلام
المشهورين في التاريخ الاسلامى وصوغها في شكل يقر
الاعين ويفتح لتلقيها الصدور

وانا نذر هذا الاقتراح لعل الايام تحمته وما ذلك على
همة من نعرفهم بعزير . وثلثت الي ما كنا فيه فنقول :
من ينظر الى ان المترجم في حداثة سنه أي في القطعة من

تشبيها مافاتهم أن يرود أصلا ويتدارس أولئك الاجيال
القادمون سيرة مصري رفعه اخلاصه وجده وورفعته ووطنيته
وأريحيته الى مصاف العظماء الفاتحين

ولو أن الناشئة اليوم تقبل على قراءة هذا التاريخ كما
هي مقبلة الآن دراسة عملية بشوق ولذة وامعان لظهرت
منهم طبقات تدهش العالمين . ونقول والخجل يمسك القلم
في يدنا عن الجري على القرطاس ان كتابا كهذا جدير أن
يحدث في النهضة الحالية قوة عظيمة ويبعث فيها من القدرة
أملا عظيما . وقد خطر لنا أثناء تدوين هذا الكتاب خاطر
نأمل أن لانعدم في ألبائنا وفضلائنا من يعمل على تحقيقه
تحقيقا لأمنية عظيمة وفكرة حسنة . فانه يجمل بالفضلاء من
مدرسى اللغة العربية في المدارس الحرة أن تتألف منهم لجنة
لوضع كتب في التربية على غير ذلك النسق المعروف المتداولة
كتبه بين أيدي ناشئتنا بلا فائدة كبيرة . والطريقة التي
نستحسن أن نوضع عليها تلك الكتب طريقة التلخيص
والتلخيص : تلخص سير بعض الأعلام المشهورين في

وتقرئه سير الابطال البواسل وتريه آثارهم في صدور الاسفار
أو على وجه البسيطة لتدب الى نفسه الحماسة والشجاعة .
وإذا شئت أن يكون ابنك كريماً فقف أمامه مواقف العطاء
والسماحة وعلمه كيف يعطف على البائسين ويحنو على
المساكين ويحسن الى المستضعفين لا بالاكراة ولا بالاغراء
ولكن بالقدوة الصالحة تنطبع في نفسه ملكة الكرم
ويتدرب على البذل والعطاء من الصغر فتألفه في الكبر .
والا فان الاعتماد على القول دون الفعل أمر قليل الجدوى
سبق لنا من القول ما لا نرى بدا من تكريره كلما
سنحت الفرصة وهو أن القدوة الصالحة لها سلطان على
النفس . فمن شاء أن ينشأ ابنه علي ملكة من الملكات أو
فضيلة من الفضائل فليكن أمام ابنه من يريد هو أن يكونه
نعم ان الناشئين من أبناء هذا الجيل ليس فيهم الا من
عرف شيئاً عن المترجم في حياته فهو متبع فيه خطواته ولكننا
نكتب هذا الكتاب لغرض أسمى وأعم . نكتبه للجيل
الحاضر والأجيال المصرية المقبلة فيري هؤلاء فوق الطرس

أحسن وأشرف تمثيل : ولا يكون في غربته ان أتيح له أن يطلب العلم المجرد من شوائب السياسة الاحتلالية وأهواء الساسة الانكاز في بلاد الحرية مثالا لكرم الخلق والذكاء الفطري والجد الغريب ?? ومن ذا الذي يدرس أبناء ذلك الجهاد الشريف العنيف أيام كان يؤدي الامتحان الأخير أمام كلية الحقوق في فرنسا وأمامه من المصاعب والعراقيل جبال فوق جبال ولا يحاول أن بثت أمام العراقيل والعقبات ??

انا نكفل لمن يقرأ قصة من هذه القصص بتدبر وامعان وحسن نظر أنه يتأثر بما فيها من الموعظة الحسنة والعبرة النبالغة . وفي اعتقادنا أن أنجع الطرق في تربية الناشئين طريق القدوة فان لها سلطانا على النفوس كبيرا رب ابنك لا بالعصا ولا باللسان ولكن بتكرار العمل الصالح أمامه والفتات نظره الى الحسن للأخذ به وعن القبيح للاعراض عنه . فاذا شئت مثلا أن يكون ابنك جنديا شجاعا باسلا فيحسن بك أن تدربه على الشجاعة تدريباً عملياً

ويعتبرهم فيما نكتب ويكتبون

ولا شك أن الفتوح التي يقدر أن ينالها الكاتب في
أى غرض من الأغراض إنما تكون بمقدار ما يحدثه في نفس
القارئ من التأثير . هذا التأثير الذي هو الغاية المقصودة
من الاستعانة بالحقائق الثابتة على تدوين هذا التاريخ

من ذا الذي يقرأ مثلاً ما وقع بين المترجم وبين المغفور
له وزير العلم الكبير على مبارك باشا من المحادثات : ولا
تنفعل نفسه ويتمنى أن يكون له مثل ذلك اللسان في قوة
البيان وذلك الجنان في الجرأة للحق والشبات فيه ومثل تلك
الفصاحة في الأخذ والرد والامناع والاقناع ?? ثم من ذا
الذي يقرأ ما أصاب المترجم من الجهد ومزيد النصب وهو
مكب على الدرس والبحث والتمحيص والمرض ينهك قوته
ويهد من أركان جسمه هذا غير مبال بشيء : ولا يقبل
بنفس شيقة وقلب مملوء شغفا على الدراسة والمطالعة ?? ومن
ذا الذي يطالع سيرة المترجم وهو مهاجر في طلب العلم سائر
على الطريقتين الأقوم ممثل أمته المحبوبة بين سائر الأمم

يكن فيها من قبل . يحس بدافع قوي يسوقه سوقاً الى السير
على نسق التشبه والتمثل . يحس بقوة غير مأموسة ترج به
في معترك الجهاد بشوق وثبات . يحس بجاذب يملك عنان
قلبه فيجمع عواطفه حول نقطة واحدة حسبما يقوم في نفسه
يحس بشيء طبيعي يقود ارادته وهمايته الى عمل جديد .
يحس كان نعمة لذيذة تضرب على أوتار قلبه فيتمایل ذات
اليمين وذات الشمال . يحس كأن قوة سحرية سارت في
جوانحه فتنبعث فيها حرارة لم تكن بها من قبل : وأخيراً يحس
بأن نفسه تيقظت من اغفائها وعزيمته تخلصت من رقادها
فيمد يديه يتلمس سبباً من الاسباب يرفعه الى مصاف المخلصين
العاملين

هذا ما يحس به القارئ فيما نظن . والتاريخ اذا لم يترك
مثل هذه الآثار في نفس دارسه كان قليل الجدوى . واذا
كان بعض الكتاب الافرنج يوصل الى احداث هذا التأثير
بصور من صور الخيال فنحن نريد أن نصنع ذلك بمجالى
الحقيقة وعرض مناظرها البديعة . وهذا هو الفرق بيننا

المترجم من المهمة السامية والعزيمة الراسخة رسوخ الاطواد
أو حديثاً ينبئك بما فطرت عليه تلك النفس الكريمة من
العظمة والعلو ونبل القصد و شأناً ينبه في صدرك قلباً حساساً
ان كنت من أهل الاستعداد الفطرى أو الاستعداد الكسبي
للنبوغ أو أمراً يثير في قلبك عاطفة شريفة ويهزه هزة لطيفة
أو مشهداً يصور لك حياة النابغين المخلصين في خدمة الاوطان
أو آية من آيات العظام أو فكراً عالياً من الافكار التي
يكون تحقيقها مقياً لدولة ومقعداً لدولة أو عملاً من كبار
الاعمال التي تدني منال الآمال ??

بل اقرأ بين السطور وطالع تضاعيف الصحائف ألا
ترى فيم بين سطر و سطر سرّاً من الاسرار الغالية وفيما بين
صفحة و صفحة أثرّاً من الآثار الخالدة العالية وفيما بين فصل
وفصل قطعة من قطع الحياة الشريفة وآية من آيات الطموح
المحمود ??

انا نثق ان القارئ يقلب الصفحة الاولى من صحائف
هذين الجزأين ثم لا يكاد يتممها حتى يحس في نفسه بمؤثر لم

نفسها بنفسها كما يدل القمر على ذاته بلا لائه ويلفت اليه
النظر بسناه وسنائه

هذا من حيث المقالات وكثير ما هي فيما نشر وفيما لم
ينشر بعد . وقد جعلنا ما علقنا عليه منها مثالا لما كنا نحب أن
نورده عقب كل قول لو أعان المقام ولكننا سنفعل ذلك على
قدر الامكان لا زيادة في البيان فهي على ما عرف القراء
ولكن مبالغة في اظهار ما فيها من سديد المرابي والمرابي
وانا في هذا المقام ونحن نكتب تاريخ البطل المصرى
المجاهد أشرف جهاد في القرن العشرين يحق لنا من باب
الانصاف أن نقول كلمة مسهبة فيما مر بنا من عناصر هذه
السيرة النافعة الحميدة

قلب نظرك في هذين الجزأين وطالع أى صفحة تقع
تحت بصرك ترى غير نادرة تعلم العصاميين كيف يسودون
أو لطيفة بملها تغذى الالباب أو أثراً يترك في نفس القارئ
أثراً أو جملة تتحلي بها صدور الطروس أو فقرة يمكن أن
يتعدها البليغ أو حكاية تدل على مبلغ ما كان قائماً بنفس

عين ما يصح أن تحصب به وجوههم في الحاضر والمستقبل
حصباً . وكتاباتة في سيئات الاحتمال وما له من المآرب
السيئة والاغراض الممقوتة من أحسن ما يقال اليوم وأصح
ما يكتب . وكتاباتة في حث الوطنيين على الاخذ بالاصالح
واليقظة لما هم فيه والاجتماع حول غاية واحدة هي انقاذ
الوطن من بين مخالب الطامعين فيه والغاصبين لحقوقه من
أفضل ما توقعظ به العزائم والهمم قديما وحديثاً . وكتاباتة
في الذود عن كرامة مصر والنضال عن حقها المغصوب
والمطالبة بملكها المسلوب من أفضل ما يمكن أن تجرى به
الاقلام في هذه الايام

وبالجملة نقول ان هذه الكتابات لما كانت من الاصابة
وصدق اللهجة وسداد النظر بالمكن المكين وبحيث لا يمكن
من يتفي عليها الا أن يردد صدى أو يعيد معاني معينة رأينا
أن من اللاتق أن تثبتها كما هي بلا زيادة ولا نقص مكتفين
بماهي عليه من الوضوح والجللاء وحسبنا من التقريظ
والاطراء ونحن في مقام المؤرخ أنها تقرظ ذاتها وتدل على

وقعت بلا نقص ولا زيادة حتى اذا انتهينا من ايرادها كما هي
علقنا عليها بما يعن لنا حتى لا يكون الكلام جافاً وحتى تعي
أذهان القراء ماتعي من روائع الحكم وبدائع العبر وهذا هو
المقصود من كتب السير

اشتمل هذا الجزء على جزء من سيرة المترجم وفيه ما فيه
من مقالة حكيمة ورواية وطنية ومرام في شريف الاغراض
سديدة ونح صادقة وآثار كريمة ومناقب غالية

أما المقالات فقد قل أن نعني بالتعليق عليها وذلك لأننا
نرى المقالة وافية بالغرض من وضعها وليست في حاجة الى
ان يزداد عليها كلمة . لان الالفاظ فيها آخذ بعضها برقاب بعض
والمعاني ظاهرة ظهور الشمس في رابعة النهار وما كتبه المترجم
في أول عهده بالكتابة هو ما يصح أن يكتب اليوم وغدا بلا
تبديل ولا تغيير . وذلك لانه قد أوتي من صدق الفراسة
وبعد النظر ولطف الحس وحسن القياس والاستنتاج ما بنى
منه على أساس متين وجرى فيه على نسق مطرد

فان كتاباته عن دسائس الدسائين ونفاق المنافقين هي

الدولة العلية السياسية وباجلثة كل ماله علاقة بمصر والاسلام
رأته يوماً وقد اعتلت صحته فنصحته أن لا يشتغل
كثيراً فقال لي ان الشغل لم يتعب ولكن بين سطور الكتب
التي أقرأها شرا كما نصبها الدول الطامعة فينا مما يؤلم القلب
ويبعث الى الوجه اصفراراً . والى القوى انحطاطاً

*
* *

يحسن بنا الآن وقد قرأ الرواية قراء هذا التاريخ فصلا
فصلاً وأحاطوا بما فيها كلمة كلمة أن نفق وقتنا نستنتج مما
مر بنا من أبناء هذا الجهاد الشريف ما يمثل للذهن من
العظات والعبر التي هي روح التاريخ وجوهره وتيجته ومخبره
فان قص الحوادث وسياق الفصول وسرد الأعمال مجرداً
ذلك كله عن الملاحظة والاستنتاج ليس وراءه الا تقرير
حقائق تاريخية ولذلك أردنا أن نورد هنا فصلاً نعقب به على
ما تقدم في هذا الجزء من التاريخ لنخلص الى قرائه نتيجة
مفيدة وعبرة جديدة

وهذا شأننا فيما كتبنا وما سنكتب . نورد الحادثة كما

في الساعة الثامنة ويدخل توا في قاعة المطالعة ويستمر بين
قراءة وكتابة وتقييد مذكرات الى الظهر ثم يتناول الغذاء
وينام الى الساعة الثالثة ثم يستأنف المطالعة حتى الساعة
الخامسة وبعدئذ يزور اخوانه وأصدقاءه ويعود في
الساعة السابعة ليقرأ مرة أخرى الى الساعة التاسعة ثم تتناول
جميعاً طعام العشاء . ويقضي بعد ذلك في السمر مع من يشرف
من الزائرين (وما كانوا بقليل) حتى منتصف الليل

انتقلنا بعد ذلك من منزل الوالدة الكائن بالحجر الى
منزل آخر استأجرناه كأئناً خلف قسم المنشيه بعمارة خليل
أغا وقد اختاره المرحوم في هذه الجهة ليكون قريباً من
جمعية التي أسسها باسم « جمعية احياء الوطن » وهي جمعية
سرية تعمل لخير مصر من الطريق الادبي وكان فيها
الكثيرون من الموظفين وغير الموظفين الذين هم الآن أعضاء
في الحزب الوطني المبارك

استمر المرحوم على هذه الدراسة السامية ليقف على
أحوال مصر الادبية والسياسية والعمرانية . وتفصيل تاريخ

بما أملاه عليه قلب كبير ! ان هذه الكتب التي ترد علي من طلاب المدارس الذين اشترروا روايتي وقرأوا بغيتي ليست الا ميراتاً سيكون له في التاريخ ثمن كبير . لان الناشء ماتعود التمليق فهو اذا كتب فانما يكتب الحق واذا نطق فبالصدق . . . فبارك الله فيهم فهم الذين سيردون للبلاد مجدها ويعيدون لها عزها . . . لأن هذه الحركة التي مارأيناها في صغرنا ونحن اليوم قوادها وواضعوا أساسها الصالح الحق ستكون منجية لمصر مخلصه للمصريين . . . فأمن قلبي علي كلماته ودعوت الله ان يهبنا من لدنه صبراً ورشداً ؟

*
* *

ذكرنا عند وصول المرحوم من أوروبا انه جلب معه كمية وافرة من الكتب وقد رتبها في مكتبه ترتيباً حسناً ووضع لنفسه نموذج حياة سار عليه حيث كان يعمل كل يوم بلا استثناء ثماني ساعات في هذا المكتب . ذلك انه كان يستيقظ في الساعة السادسة صباحاً فيؤدي صلاة الصبح ثم يتناول الفطور ويقصد كوبرى قصر النيل للرياضة ثم يعود

*
**

هذه هي رواية فتح الاندلس التي يفهم لغتها السهلة كل مصرى ويفتدى بما فيها ويعمل بحكمتها كل منصب نفسه للارشاد والوعظ أو لقيادة الرأي العام بارك الله في الناشئين فانهم بذور ناضجة قد غرست اليوم لتكون رجال الغد... هؤلاء الناشئون قد أقبلوا على الرواية اقبالا لم يسبق له مثيل وأخذوا يرسلون للمرحوم كتب الشكر لأنهم عرفوه من مجلة المدرسة التي كان يجد فيها الطالب الصغير والمتعلم الكبير راحة وشفاء كانت هذه الكتب التي أمطرها الناشئون على المرحوم سبباً من أسباب تشجيعه فعول على هذه الغاية مما قوى ساعده وساعد قلبه الكبير على اقتحام هذه انفاوز والعقبات بهذا الجسم الصغير...

قال لى المرحوم فى هذه الاثناء ونحن على المائدة ان مطر النقود على من كتاب الفقه أو رواية وضعها أو مجلة حررتها لم يكن بأطرب وأنعش من كتاب حرره أمل صغير

متكلم - مخاطب

كافة الانحاء وكفناكم به عقابا
موسى - كاظم والحجاب. اذا نخذوهم وأودعوهم السجون

﴿ يأخذهم السجانون وينشد الحاضرون ﴾

ظهر الحق وبان * وتبدي للعيان
فانظروا ياقوم واحكوا * مارأيتم في الزمان
ان خير الناس شهم * صادق ثبت الجنان
(يلتفت الحضور لطارق)

طارق ذكرك يبقى * ماتبدي النيران
لك حمدا وثناء * بلسان الامتنان
﴿ يقولون ذلك وينزل الستار ﴾

(متکلم - مخاطب)

﴿ يقول ذلك ويلتفت لطارق ﴾

موسى - طارق

لك من أمتك يا طارق أعظم الشكر على
مأديت لها من الخدمة الجليلة وما
أوليتها من الشرف العظيم واني لأقر
على رؤوس الاشهاد بعجزى عن
توفيتك حقك من الثناء والاجلال
وكفالك مجداً أنك أول مسلم
ملك الاندلس وجلس على كرسيه
انى وحقك يا أمير لا أرى فى عملي هذا
الا عملاً يجب على كل مسلم تحقيق
ان يعمله

طارق - موسى

الحضور - طارق

موسى - الخائنون

جزاك الله يا طارق عن الاسلام خيراً
وأما أنتم يا خائنى الدولة والدين فقد
رأفت بكم وحكمت بالنفى عليكم الى
الابد مع اعلان ذلك الحكم فى

(متكلم - مخاطب) تعلمون أيضا حفظ- بحم الله كيف ان

الغرام يلعب بعقول الرجال كما لعب

حب مريم بعقل عباد وكيف ان

الدخلاء أمثاله هم أشد الأعداء ضررا

بالامم الذين يدخلون عليها وحسبكم

دليلا على ذلك ان هذا اللئيم

الذي أفضنا عليه من أنعمنا ما جعله في

عداد رجال الدولة المعدودين وعظماؤها

المحسوبين قد كاد يضر بدولة كدولتنا

بنيت على أساس متين وغير ما ذكرت

تقرؤن في صفحات هذه الحوادث

مالعظماء الرجال في الامم من جليل

الاعمال مما أخذله مثلا ما أتى به طارق

فانه وودل حقيقة علي أنه خادم الاسلام

الصادق وفارسه الجدير بأن يكون

مثلا لجميع الفرسان في سائر الأزمان

(متكلم مخاطب)

يليان الى الآن ان فيها لتبصرة
وتذكرة لاولى الالباب

منها تعلمون ان كل ملك ضعف رأى
الشعب فيه وتولاه رجل لا يعى
للكارم مقاما ولا يحسب للشرف
حسابا يضيع كما ضاع ملك الاندلس
من يد لدريق الذى كثر فسقه وفجوره
وعم فساده حتى اشتكى منه العالم
والجاهل والكبير والصغير من شعبه
وأهل بلاده واستسلم جميعهم لنا على
اننا نخالفهم دينا وعادة وخلقا ومن
تلك الحوادث تعلمون مزية الحزم
والعزم والتثبت فى الامور وعدم
الاسراع. تلك الصفات التى امتازت
بها الامم الاسلامية عن غيرها مما
رفعها عن سواها منزلة واعتباراً ومنها

(متكلم - مخاطب)

﴿دهشة عظيمة وسرور عام وغوغاء ضعيفة ونظر شرر

من الحضور الى الخائنين واصفرار شديد في وجه هؤلاء﴾

موسى - الخائنين الى هذا تخونون وتظنون اننا عنكم

نأمنون والله لأجعلنكم عبرة الايام

وحديث أبناء الزمان مدي الاعوام

أحد الحاضرين - موسى نعم ان مثل هؤلاء المجرمين

والغادرين الخائنين لأحق المذنبين

بأشد العقاب وأقساه وأجدرهم بأن

يكونوا ذول الزمان مثلاللغدر والخيانة

والكفران بالنعمة

لاشك في ذلك

الحضور

ياقوم قد ظهر الحق وزهق الباطل

ان الباطل كان زهوقا انظروا أعانكم

الله على نصره دينكم الى الحوادث

التي مرت أمام أعيننا من يوم شكاية

موسى - الحضور

(متكلم مخاطب)

الرسالة وقدمها بربرى قتله نسيم بعد

ما قدمها حتى لا يعلم للامر سر فتكدر

الامير موسى كدرا عظيما لظنه صدق

الرسالة وعزم على اللجوع بالجنود

غير ناظر الى أقوال عباد المختلفة التي

دلت في الحال على أن له يداً في

الدسيسة وبينما الامير يعزم وعباد

يرجوه الرجوع عن عزمه اذ جاء

رسولكم وقدم خطابكم المبشر

بنصركم على عدوكم فسر كل المسلمين

لذلك وخصوصاً الامير الذي وقعت

شبهته في عباد لاسيما عند ما علم بموت

الجندي الذي جاء بالرسالة الاولى

فسجنه وأتي بجيشه الى هنا حيث

قابلكم والسلام

(متكلم-مخاطب)

طلبه بل دعاكم اليه وأمركم
بالاستعداد للسفر وخيرا ما فعل
الامير . فلما خاب مسعاه أخذ يدبر
مع نسيم حيلة لارجاع الجند فافتكر
نسيم اول الامر في تسميم الامير ليكون
لعباد حق ارجاع الجيوش فقبح له
عباد هذا الراى لما فيه من
الاخطار فخطر بباله عندئذ تسميم
طارق فخطاه عباد ايضا واتى هو
بحيلة دلت على أنه عريق في المكر
والخداع متدرب على الافساد
والايقاع وهى ان يصطنع رسالة
يسندها الى السيد محمود رئيس الفرقة
الاولى ويقول فيها ان طارقا قدمات
والاوفق ارجاع الجنود لاستيلاء
الحزن على قلوبهم فاتفقا عليها وكتبا

(متكلم - مخاطب)

دسيسة لقومه عند الحاجة فهو مهما
ارتفع مقامه في الاسلام وعظم فانه
يرى الدم الرومي الجارى في عروقه
يدعوه دائماً لخيانة المسلمين والسعي
في هدم دعائم ملكهم وتخريب ديارهم
وما زال يرى من نفسه ذلك حتى أتاه من
بلاد الروم رجل اسمه نسيم وهو هذا
(يشير الى نسيم) وغانية خادعة اسمها
مريم وهي هذه (يشير الى مريم)
بقصد رجائه أن يسعى في منع الحرب
الاندلسى فاخذت البنت تغالزه وهو
يغازلها حتى وقع حبها في قلبه فطلبت
منه كما طلب منه نسيم أن يمنع الحرب
فوعدهما بذلك وأخذ يسعى عند
الامير في منع الحرب فلم يجب الامير

﴿ بعد ذلك يلتفت موسى لعارف ويقول له ﴾

متكلم - مخاطب

موسى - عارف . هات ما عندك يا عارف

﴿ يقرأ عارف التقرير ﴾

(قائد الجيش وأمير الجنود)

نظراً لثقتي بما لك من الاخلاص
الديني الحقيقي واعترافاً بما لك على من
الايادى البيضاء ارفع لك تقريراً عن
حادث يتوضح من تلاوته كيف ان
الدخلاء في البلاد يضررون أكثر من
ضرر أشد الاعداء قوة وأقوى
الاصحاب نفوذاً ووسطوة وهو ان
الوزير عبداً ليس بعربي الاصل
بل انه دخيل على المسلمين قد تربى
بينهم لايخدمهم بصدق بل ليكون

(متكلم - مخاطب)

طارق - اسحاق . دعه يدخل (يدخل عارف)

موسى - عباد . من معك يا عباد

عباد - موسى . حبيبان يا مولاي

موسى - عباد . أما اشتركا معك فى الائم

عباد - موسى . أنا لست آئما يا مولاي

موسى - عباد . الآن تعلم انك آثم (يقول ذلك

ويلتفت الى اسحاق الحاجب)

موسى - اسحاق . ادع لنا يا اسحاق كل الموجودين

بالقرب من هذا المكان من علماء

وغير علماء ليشهدوا ما نشهد من غدر

وخيانة وصدق وكرامة

اسحاق - موسى . لأمرك الطاعة يا مولاي (يخرج

ويتكلم موسى مع طارق بصوت خفى

لحين عودته مع كثير من فضلاء الامة

حيث يستقبلهم موسى وطارق واقفين)

(متكلم - مخاطب)

الحاجب السمع والطاعة

﴿ بعد ذلك يدخل حاجب آخر ويقول ﴾

(بالباب كاظم السجان)

موسى - الحاجب دعه يدخل هو ومن معه . ماأظن

الخائن الاحضر

﴿ يدخل كاظم وخلفه عباد ونسيم ومريم ﴾

موسى - كاظم . هذا عباد ومن هذا الرجل وهذه

المرأة

كاظم - موسى . هما حبيبان له دخلا عنده بعد ان

أعلمتهما ان من يدخل عنده لا يخرج

خبستهما حسب أمركم

موسى - كاظم . خيرا ما فعلت لاشك انهما شريكاه

فى الاثم

﴿ يدخل اسحاق الحاجب ويخاطب طارقا ﴾

اسحاق - طارق . بالباب عارف

(متكلم - مخاطب)

الساعون في ارجاع الجيش الناصبون
لنا اشراك المكاييد

طارق - موسى
هم ثلاثة عمدتهم اقرب الناس اليك
عباد طارق - موسى

طارق - موسى
نعم عباد

موسى - طارق
هو ذاللتيم محل ظنى من يوم ورود

خطابك المبشر بظفرك والله لا ذيقنك
يا عباد من العذاب امر كاس. ارفعك
فتخوننا ونعظمك فتسعى في دمارنا.

ومن الاثنان الاخران ياطارق

طارق - موسى
هما رومى ورومية اتيامن بلاد الروم

لرجائه فى منع وقوع الحرب

موسى - طارق
انى اود ان اسمع التقرير من صاحبه

طارق - موسى
لك بعيتك يا اميرى

طارق - الحاجب
ادع لنا عارفا يا اسحاق

(متكلم - مخاطب)

لم تبسم ؟

موسى - طارق

قد وصلتني يا أميرى أول الامس

طارق - موسى

الاخبار كلها وعلمت مفصل حادث

موتى

كيف ذلك ومن أوصل اليك

موسى - طارق

الاخبار

ان الذي أوصل الى الاخبار هو

طارق - موسى

رجل كنت خلصته مرتين من يد

عباد الوزير قد تجسس على الذين سعوا

في ارجاع الجيش وعلم كنه نواياهم

ورفع لى بها تقريرا

يا لهذا الاتفاق الغريب أحمدك

موسى - طارق

ربى على جزيل نعمائك لقد ارتاح

الآن ضميرى وهدأ بالى لانكشاف

هذه الاسرار الخفية . ومن هؤلاء

متكلم - مخاطب

اني وحقك يا أميري لم يكن لي
نصير حقيقي في هذا الفتح الا الله
سبحانه وتعالى فانه جل شأنه لا ينصر
الا الحق وأهله

طارق - موسى

موسى - طارق حقيقة ياتارق ان الباطل لا نصير
له وان الحق نصيره الله ولذلك كانت
أمتنا أشرف الامم جميعاً لما لها من
عظيم التمسك بالفضيلة والتعلق
بالشرف

طارق - موسى

ولا جرم اذا دامت أمتنا هكذا
عزيزة في مجدها قوية في عزها وورفعتها
وأظنك ياتارق لا تدري من
أمر الدولة شيئاً ما نظراً لبعدهك عنا
وانقطاعك للغزو والفتح

موسى - طارق

(يتبسم عندئذ طارق)

من العمل الجليل

متكلم - مخاطب

موسى - طارق

طارق - موسى

وما ذار أيت من هؤلاء القوم يا طارق
رأيت منهم سرورا عظيما وانسراحا
كثيرا بعد ما عاملتهم بسنة نبينا من
تأمينهم على ديارتهم وحريةهم وأموالها
ونسائهم وأولادهم وقد شرح لى
الكثيرون منهم مظالم لذريق العديدة
وكيف انه كان يهتك أعراض نسائهم
وبنائهم جهرا ولا يخشى أحدا

الحمد لله الذى من علينا بفتح هذه
البلاد النضرة الزاهرة فانه فتوح أنعم
به من فتوح أعلينا فيه كلمة الله ورفعنا
عن هذا الشعب الضعيف أنواع
المظالم التى كان يثقل كواهلهم بها
لذريق الفاجر

موسى - طارق

الفصل الخامس

﴿ وهو الاخير ﴾

الملخص

يرفع الستار عن موسى وطارق بطليطلة
يتحدثان في شأن الفتوح منتقلان من
موضوع الى آخر حتى يصل بهما
الكلام الى ذكر خيانة عباد فيعرف
طارق موسى بأنه عالم بالامر وان
عربيا قد تجسس على الخائنين رفع له
تقريراً بكل ما اتفقوا عليه فيسر
لذلك موسى ويكلف صاحب التقرير
بقراءته امام الجميع في مواجهة عباد
وزميليه فيقرأه عارف ويحكم موسى
على عباد ونسيم ومريم بالنفي ويهنيء
طارقا بين كل الحاضرين على ما أتاه

متكلم - مخاطب

بعد أخذ رأى أ كابر المؤمنين ان
أنيبك عنى والياً على المغرب مدة
غيا بى فأحسن موالاته قومك واجعل
ذكرك حميداً بينهم واياك ان تعمل
بغير الكتاب والسنة ومتى سافرت
بجيشى أرسل الوزير عبادا المسجون
صحبة أربعين جندى الى طليطلة
لننظر فى أمره امام طارق
لأمرك الطاعة يا مولاي

عبد الله

﴿ بعد ذلك يهم موسى للخروج حيث ينشد كل

الحاضرين ﴾

سر بالسلامة والهناء * وارجع الينا بالنساء
واحكم وفز ياذا السناء * واسلم ودم طول الزمان

متكلم - مخاطب

نعم مارأى الامير رأى ثاقب وفكر صائب

الحضور

اذا فلتدع لنا عبد الله يا حبيب

موسى - حبيب

سماً وطاعة « ويخرج »

حبيب

ان ضميرى يحدثنى يامعشر الفضلاء

موسى - الحضور

انه لا بد أن تكون لعباد يد في

دسيسة عملت لارجاع الجنود

يظهر عليه ذلك يامولاي

الحضور

انظروا اخوانى أساتذة الامة وعلماء

موسى

الشعب كيف كان حزم طارق

وتديره وكيف كانت خيانة عباد ان

كان كما نظن . لله الفضيلة وأهلها

(يدخل عبد الله وحبيب)

موسى واقفاً - عبد الله اعلم يا ولدى انى عزمت على الرحيل

بقصد الاحق بطارق فى طليطلة

وتكلمة الغزو بصحبته وقد رأيت

متكلم - مخاطب

لانى ما أتيت اثما

أتيت أو لم تأت ستعلم الحقيقة

وهل تعرف لأى البلاد سيسير

طارق وكيف يكون بقية الغزو

نعم انه بعد ان قتل لذريق وانتصر

على قومه أرسل الفرقة الاولى لقرطبة

والثانية لغرناطة والثالثة لمالقة وسار

هو بالفرقة الرابعة الى طليطلة عاصمة

ملك الاندلس

« يطرق موسى قليلا »

اعلموا يا فضلاء الامة انه قام بخاطرى

ان أسير بجيش لأحق بطارق حتى

يتم لنا الفتح فى الاندلس وفى غيره

من بلاد الافرنج وان أولى بدلا

عنى على المغرب ولدى عبد الله فماذا ترون

موسى

موسى - الرسول

الرسول

موسى - الحضور

(متكلم - مخاطب)

لا يخليك من الشبهة شيء حتى
تجلى الحقيقة وأما الآن فأنت
موضع الظن لاني كنت أرى منك
انك أول عامل على ارجاع الجيوش
﴿ يطرق عباد رأسه ﴾

موسى - كاظم « السجان » يا كاظم

كاظم
بين يديك يا مولاي

موسى
خذ عبادا وضعه في بيته وضع عليه
الحرس ولا يخرج منه الا باذني واياك
أن تدخل عنده أحدا ومن دخل
لا يخرج بل يبقى معه مسجوناً والا
فماذا ترون يا معشر الفضلاء (يلتفت
مخاطباً الحضور)

الحضور
مارآه الامير الصواب

عباد
اني يا مولاي لأستحق السجن

(متكلم - مخاطب)

- لعباد « أين الجندي يا عباد
عباد « يقول مرتجفا » مات بعد ان
سلمك الخطاب يا مولاي
موسى مات بعد ان سلمني الخطاب
عباد نعم يا مولاي
موسى ومالك تقول القول مرتجفا
عباد ان بي هزة برد
موسى لا وحقك انها هزة رعب وخوف
وضياع أمل . الآن علمت ان في
الامر سرا وانه لا بد أن تكون لك
يا عباد يد في دسيسة عملت لارجاع
الجنود
عباد « مرتجفا اكثر من ذي قبل »
حاشا لله يا مولاي اني خدمت الدولة
بصدق وأمانة

متكلم مخاطب

ما جاء الصباح أقبل جيش لذريق
وهو محمول على سريره وفوق رأسه
مظلة فلما علم طارق انه طاغية القوم
هجم عليه حيث التقى الجيشان فقتل
طارق لذريق بسيفه ولم تلبث جنده
بعده الا قليلا حتى انهزموا عن
آخريهم وولوا الادبار وتم لنا الامر
كما نروم ونشهى

موسى وكل الحضور الحمد لله رب العالمين

موسى ولما كنتم فى الطريق هل أرسل
لنا السيد محمود كتاباً مع مندوب
من قبله

الرسول انه لم يرسل قط . ولم يرسل السيد

محمود وطارق رئيس الجيش ؟

موسى الآن آن للحق ان يظهر « لتفت

متكلم - مخاطب

القرار وتركنا عصا التسيار في البحار
وبعد ذلك بدأنا في الفتح فأخذنا
بالتوالي شدونة ومدور وعطف
وقرونة واشبيلية وفي هذه المدينة
علمنا ان جيش لذريق صار على مقربة
منا ولذلك قام بيننا القائد الهمام طارق
ابن زياد وألقى خطبة بليغة قال في
أولها «أيها الناس أين المفر البحر من
وراءكم والعدو امامكم» مما جعل لها
تأثيرا عظيما في قلوبنا وقد حثنا فيها
على الصبر والجلد وشوقنا الى نيل
النعيم فرك من قلوبنا الساكن
وبعث فينا روح النشاط والحمية وما
فرغ من خطابه حتى انبسطت نفوسنا
وتحققت آمالنا وبتنا ليلتنا حتى اذا

متكلم - مخاطب

موسى

كن آمنا أيها الصادق الأمين فسوف
تنجلي غياهب الامور وتنكشف
الاسرار حيث يعلم الغادر الخائن
ولنسمع الآن من هذا الرسول
الكريم كيف كان النصر وكيف كان
الفتوح

موسى - الرسول

(ملتفتا اليه) قص علينا ما كان من

يوم ما تركتم القيروان الى الآن
اننا يامولاي بعد ما ركبنا البحر

الرسول

وتركنا القيروان سمرنا مسيرة اسبوعين
كاملين حتى وصلنا الجزيرة الخضراء
فبتنا بها ليلة وتركناها وبعد مغادرتها
بيوم وليلة وصلنا شواطئ الاندلس
فبتنا هناك ليلة حتى استقر بنا

(متکلم - مخاطب)

أركانہ وزہت بہ الامصار
لما بدا نور الكتاب وینت
آياته ویدت لنا الاسرار
لما علمنا ان طارق سالم
من كل ما جاءت به الاخبار
يلقي بحد السيف لذريق العدا
مهما تعاظم جيشه الجرار
أفنى الجموع وجأشه مثبت
والسيف منه قاطم بتار
مرحى لطارق ما أجل نخاره
سيجلاه التاريخ والاعصار
كما أن السرور يامولاي قد عم قلوبنا
والفرح ملاً أفئدتنا فانه لا بد لنا
من معرفة سر الامر والوقوف على
حقيقته

حبيب

(متکلم - مخاطب)

الکتاب لموسی

« یقرأ » من طارق بن زیاد الى أمير

موسی

المغرب موسی ابن نصیر

أبشرك أمیری لتبشر المسلمین

اخواني باننا قد فتحنا الاندلس

وأبدنا جنود الاعداء وقد وقعت

المعركة أمس بوادی لوكه حيث قتلت

طاغية القوم لذريق والسلام

كتب بوادی لوكه في ۱۶ شعبان عام

۹۲ من الهجرة النبوية

(سرور عام وغوغاء ضعيفة وزيادة

اصفرار في وجه عباد)

عاد النهار وعادت الانوار

موسی

وبدا لنا بعد الظلام منار

والبشر أقبل والهناء توطدت

(متكلم - مخاطب)

الصادقة عن ان يموت ببلده بين
أهله وأقاربه

﴿ يدخل حاجب ويقول ﴾

مولاي بالباب رسول معه كتاب
للأمير من قبل القائد الهمام طارق
بن زياد

من قبل طارق بن زياد ! أطارق حتى ؟
طارق !!!

(يصفر وجهه ويقول بصوت

منخفض - يا خيبة المسعى

كم للزمان عجائب وغرائب

تسي العقول وتدهش الالبابا

بالامس طارق مات بين جنوده

واليوم قد أهدى الي كتابا

«دعه يدخل» يدخل الرسول ويقدم

موسى للخاجب

(متكلم - مخاطب)

ما كان موسى في الوري الا لان

يعلى معااهده وان لقي النوب

اني الى جيشي اسير ومهجتي

قبلي تسير ولا تخاف من العطب

ستعود غيرته ويرجع بشره

وينال دين الله منا المرتقب

ان طائر الخوف يخفق بجناحيه على

قلبي واني ارى كما رأيت اول الامر

ان وقوع الحرب غير واجب

لا لا يا مولاي لاتعدل عن رأيك

فان فيه الخير للاسلام والشرف

للبلاد

لا شك اني لاحق بجنودي

لان مثلي خير له ان يموت

في الاغتراب تحت ظل الخدمة

عباد

حبيب

موسى

(متکلم - مخاطب)

ولاشك أن الحكيم المتبصر لا يقطع
الآبار جاع الجنود و عدم ذهابك لان
فيه فضلا عما ذكرت ضرراً بالامير
نفسه

وسى - عباد
اعلم يا عباد أن في ذهابي منة عظيمة
وراحة كبرى وخدمة للإسلام
لا تقدر ولا تحصى ولا شيء من
الاضرار يحيط بهذا الامر فان كنت
تخشى من وقوع الرعب في قلوب
الرعية فلا أخالك تدري من
أمورها شيئاً ما وان كنت تخاف
علي فاطنك تجهل أمري جهلك لا امر
دولتك

لا تخدم الاوطان الا بالنصب
ويدوم فنيا المجد مادام التعب

(متكلم - مخاطب)

(مستمع - متحدث)

اذهب واياك والتأخير

عباد

لا تخف (ثم يخرج) « ويستقبل عباد

نسيم

الامير حيث يدخل هو ومن معه »

(يقول بعد جلوس الامير) على أى

عباد - موسى

شئ عزم الامير

ما عزمت الا على السفر والالحوق

موسى

بالجنود لا قوم بأمر الفتح بنفسى

لك الله من مولى يعمل لله فى لله

حبيب - موسى

ويهون الخطوب للاسلام ويسهل الصعب

طلباً لعزده ومجده لاشك ان مارأيت

يامولاى من الرأى لاحسن مايرى

الخبير وأحكم مايقطع به المتبصر فى الامور

انى لا أرى فى ذلك يامولاى الاكل

عباد - موسى

ما يقلقل أركان المملكة ويوقع الرعب

فى الرعية ويهدم صروح الامن والسلام

(متكلم - مخاطب)

موسى نعم انى ذاهب الآن الى دارى

وسأعود بعد قليل

عباد أن هذا الامر يدعو الى الاسراع لا

الى التواني والانتظار

موسى بعد قليل أعود (يخرج ويلحق به كل

من بالمكان ما عدا عباد فانه يبقى متلفتا

حتى يأتيه نسيم)

عباد - نسيم اعلم يا نسيم ان الامر كان على وشك

التمام لولا معاكسة الشقي حبيب ولكنى

سأنيه بعد قليل بحسن مسعاى وما

عليك الآن الا أن تخبر حبيبتى بذلك

وأن تقتل سليمان الجندى الذى استخدمناه

في حياتنا لئلا يتضح السر

السمع والطاعة

نسيم

(كل ذلك وعارف يراقبهم ويسمع أقوالهم)

متكلم - مخاطب

والخطب مدلهم والاسى مقبل والصبر
مدبر كيف أعمل الآن فى أمر
ارجاع الجنود ان أرجعتهم قالت،
الاعداء ما كان عندهم الا طارق
فضلا عن انهم يطمعون فى بلادنا وان
أبقيتهم فشل أمرهم وذهبت ريحهم
لتمكن الحزن من قلوبهم

والله لقد كان يحدثنى فؤادى بأن
هذه التجريدة تعسة الطالع ولذلك
أشرت عليك يامولاى برفع الحرب
وعدم ايقاعها وانى أرى الآن أنه
لا بد من ارجاع الجنود

ليس للامير أن يقر على شىء
الآن وهو محاط بالكدر والاسف
بل يلزمه التدبير

عباد

حبيب

(متكلم مخاطب)

﴿وتسكب عيناه الدموع﴾

تصبر يامولاي فان الصبر من عباد
الامور بمنزلة الرأس من الجسد ولا
تملاً قلبك من الاسف فان يكن
مات طارق فقد مات شهيد خدمة
دينه وبلاده يرجو لاميره ان يعيش
ممتعاً بالهناء والصفاء

(مولاي)

حيب

(ادفع بصبرك حادث الايام)
وترج لطف الواحد العلام
لاتيأسن وان تضايق كربيها
ورماك ريب صروفها بسهام
فله تعالى بين ذلك فرجة

تخفي على الابصار والافهام)

ياوزيري ان المصاب عظيم

موسى - لوزيره

(متكلم - مخاطب) ليس في الامكان أن أصف لك

يامولاي مااستولى على قلوب الجنود

من الاسى والحزن من ساعة ماوارينا

التراب قائدنا الهمام وفارسنا المقدم

طارق بن زياد عقب مرضه . واني

أرى كما يرى اخواني رؤساء الفرق

ان الاولى ارجاع الجيوش الى

القيروان لان الاسف عام والكدر

شامل ويخاف على الجيش من

الانهزام في الوقية مادام على هذا

الحال والسلام»

آه وامصيتاه أطارق مات

موسى

(الأيها الموت الذي ليس تاركى

أرحنى فقد أفنيت كل خليل

أراك بصيرا بالذين أحبهم

كأنك تنحو نحوهم بدليل)

(متكلم - مخاطب)

مولای . بالباب ساع يقول انه من
قبل السيد محمود رئيس الفرقة الاولى
من حملة الاندلس ومعه كتاب باسم
مولای الامير

دعه يدخل

موسى

ياترى ما بهذا الكتاب ولم أرسله
السيد محمود؟

عباد

ولم أرسله السيد محمود ولم يرسله
طارق؟

موسى

﴿ يدخل الساعى ﴾

سلم الكتاب للوزير عباد
اقراءه لنا يا عباد

موسى

موسى

(يقرأ الكتاب) من محمود رئيس

عباد

الفرقة الاولى الى أمير افريقيا موسى
ابن نصير

ويكلفه بارسال عباد بعد سفره
بيومين مع بعض جنود يجرسونه)

متكلم مخاطب)

ما عندك من الاخبار يا عباد موسى
لا شيء يا مولاي الرعية بخير عباد
وهناء والامن ضارب اطنابه على
سائر ارجاء البلاد

ان سفر الجنود يا عباد قد اخذ من موسى
قلبي مأخذاً كبيراً واني افكر
كل وقت فيما سيكون

اني والله اتوجس خوفاً من هذا عباد
الامر ولا ارى فيه صلاحاً مطلقاً

أظن انهم وصلوا من مدة الى الجزيرة موسى
الخضراء

لعلهم وصلوا اليها عباد

(بعد ذلك يدخل الحاجب ويقول)

الخطاب فيتكدر موسى كدراً شديداً
ويذهب الى بيته ليدير امراً وعند
ذلك يكلف عباد نسيما بقتل ذلك
الجندي الذي قدم الرسالة خوفاً من
ظهور السر فيجيبه لذلك ويخرج
ثم يأتي موسى ويظهر للوزيرين
انه عزم على الرحيل واللحوق بالجنود
فيحاول عباد منعه فيأبى ويبتاهم
يتحدثون في هذا الامر اذ يأتي
كتاب من طارق يبشر فيه المسلمين
بالنصر فيسر موسى جداً وكذلك
كل الحاضرين ومن ثم يتغير لون عباد
ويظهر من فعله وكلامه انه سبب
الديسة فيأمر موسى بسجنه ويستعد
للسفر واللحوق بالجنود ليم الفتح مع
طارق ويولى ابنه عبد الله على المغرب

(متكلم - مخاطب)

وأعظم شراهة واكبر غباوة ومن
السهل على الانسان ان يستخدمهم
في مثل هذه الأمور

الحمد لله على هذا التوفيق . هيا بنا

مريم

يا حبيبي نخرج من هذا المكان الآن

لئلا يطلع أحد على سرنا

هيا بنا. ...

عباد

﴿ يخرجان وينزل الستار ﴾

الفصل الرابع

يرفع الستار عن الامير موسى ووزيره

المخلص

حواله ولا يلبثوا غير قليل من الزمن

حتى يأتي الرسول المصطنع ويقدم

(متكلم - مخاطب)

لا امر مهم للغاية وهو ان ذلك الجندي
يكون من البربر الحديثى العهد
بالاسلام لانى أظن ان العرب
لا يجسر أحد منهم على خيانة بلاده
لهذه الدرجة

حقيقة ان العرب لا يجسر أحد
منهم على القيام بهذه المكيدة لانهم
اشتهروا بين سائر الامم بشدة
حرصهم على مصالح بلادهم وعظيم
اخلاصهم لأوطانهم فضلا عن ان
العرب أهل ذكاء وحنق شديدين
فاذا كلفنا أحدهم بهذا العمل لاشك
انه يفهم من أول لحظة اننا سنقتله
بعد قيامه بأموريته بخلاف البربر
فانهم أقل من اجلايف العرب نفساً

عباد

متكلم - مخاطب

نسم طارقا الا اني رأيت ان الخطر
حليف الفكرتين فاستصوبت ان نأتي
بجندی نكتب له رسالة وننسبها الى
الرئيس محمود ونقول فيها ان طارقا
مات ولا بد من ارجاع الجنود لان
الحزن مستول على قلوبهم وعند
ما يقدمها ذلك الجندي للأمير أشير
عليه بارجاع الجنود فيضطر لارجاعهم
وهناك نقتل الجندي حتى اذا عاد
الجيش ورأى الامير ان طارقا حي
وسألنا عن الجندي نقول انه مات
وبذلك لا يعلم للأمر سر

لله هذه الحيلة ولله عباد لقد اطمأن
الآن خاطري على وطني وارتاح
ضميري لهذه المكيدة الجميلة الا اني
أرى انه من الواجب على أن انبهك

مريم

(متكلم - مخاطب)

- ماذا عملت يا حبيبي عباد
مریم
- عملت كل شيء يرضيك ياسيدي
عباد
- عجل بالله عليك وأخبرني فاني بشوق
مریم
- مزید لسماع ما عملت
مریم
- كل ماجرى اني لم أنجح في طلبي عند
عباد
- الامير وعن قريب سيسافر الجيش
مریم
- سيسافر الجيش
عباد
- نعم سيسافر ولكنه سيعود عما قليل
مریم
- كيف ذلك أخبرني بكل سرعة بالله عليك
عباد
- اعلمى يا حبيبتى انه لما خاب مسعاى لدى
الامير اجتمعت قبل حضورك بزمن
قليل مع نسيم ودبرنا حيلة يالها من
حيلة
مریم
- ما هذه الحيلة
عباد
- افتكر نسيم أن نسيم الامير أو

(متكلم - مخاطب)

لا. لا. ان شئت فأرسلها اليّ ولا تخبرها
أنت

عباد

الامر أمرك (ويخرج)

نسيم

﴿ يتمشى عباد ويقول ﴾

حكم الهوى في البرايا لا مرد له
فلا يخالفه الا أخو اللمم

قد كنت قبل الهوى أرضى بما رضيت

به المكارم من مجد ومن شمم

واليوم أرضى بما يرضى الغرام به

من ذلة أبعدتني عن ذوى الهمم

والله لولا الهوى في الناس ما عشقت

نفسى تقهقراً أهل الفضل والكرم

لكن حكم الهوى يقضى على بأن

أخون سادة هذا العصر في الامم

﴿ بعد ذلك تدخل عليه مريم ﴾

(متكلم مخاطب)

الجنود والافوق ارجاعهم ويقدمها
للأمير ويخبره بأنه آت بها من قبل
الرئيس محمود وعندئذ أشير على الأمير
برجوع الجند فيضطر لقبول المشورة
ويأمر برجوعهم وبذلك ترفع الحرب
وإذا رجع الجند ورأى الأمير ان
طارقاً حتى وليس بميت ماذا يكون
لاشئ. يكون اننا بعد عمل الحيلة نقتل
الجندي ونخفي جثته فان سأل الأمير
عنه نقول مات وبذلك لا تعلم الحقيقة
لله درك يا عباد ان هذا الرأي لا صوب
ما يرى

نسيم

عباد

نسيم

الحمد لله على ذلك

عباد

يلزمني الآن ان اذهب الي السيدة مريم

نسيم

لاخبرها بهذا الاتفاق

(متكلم - مخاطب)

ان طارقا لا يطيع أمرى مطلقاً لما
بيننا من الخلاف القديم
كيف لا يطيع امرك وأنت تكون
عندئذ صاحب الشأن

نسيم

أنا واثق بأنه لا يطيع واذا سئل عن
ذلك احتج بانتظار أوامر الخليفة

عباد

اذا كان الامر كذلك فلنرسل طارق
من يسمه ليموت ومتى مات تذهب ريح
الجنود وينفشل أمرهم ويضطروا للعودة
وهذا أيضاً رأى ضعيف

نسيم

عباد

إذا فماذا ترى أنت

نسيم

اني أرى اننا نأتى بجندى ونكتب
له رسالة ننسبها الى السيد محمود رئيس
الفرقة الاولى ونقول فيها ان طارقا
مات والحزن مستول على قلوب

عباد

(متكلم - مخاطب)

نسيم - عباد . لا بد لنا من تدير أمر والا ضاع

أملنا وعدنا الى بلادنا خائبين دون

ان نبلغ مراداً

عباد - نسيم . حقيقة يانسيم اننا ان لم نعمل حيلة

لمنع الحرب انتصر طارق على لذريق

وقومه وانتهى الامر

نسيم - عباد . انى أرى اننا ندس للامير سما فى

الاكل فيموت وبذلك يكون لك

ان تدعو طارقاً وجنوده ليعودوا

لانك تكون وقتئذ صاحب الامر

والنهي

عباد - نسيم . لا . لا . ان هذا رأى ضعيف لان سم

الامير صعب المنال وربما ينكشف

السرو وتعلم حقيقة الامر وموت الامير

بجأة ليس بالامر اليسير فضلا عن

(متكلم - مخاطب)

ويدبران ما يدبران وأنا هنا اختفى
لأسمع ما يقولان وهما لا يعلمان ومتى
وقفت على حقيقة أسرارهما وكنه
نواياهما وتم ذلك عندي رفعت لطارق
به تقريراً والله لا يفلح كيد المنفسدين
(ثم يحتفي وبعد قليل من اختفائه
يأتي عباد وبصحبته نسيم)

لعلك تكون عملت لنا عملاً ساراً
اني وحقك بذلت أقصى جهدي في
منع وقوع الحرب فلم يقبل الامير بل
دعا اليه طارقاً ورؤساء فرقه وقسما
من جنوده وأمرهم بالاستعداد للسفر
وهم سيسافرون بعد أيام قلائل
كيف ذلك وما العمل
اني والله في غاية الحيرة

نسيم - عباد .

عباد - نسيم .

نسيم - عباد .

عباد - نسيم .

(متكلم - مخاطب)

عارف

مأحسن الانتقام من اللثام . لاسيما
اذا كان فيه خدمة للاسلام . الانتقام
الانتقام . لا يقوم به الا كل قادر
عزيز ولا يحجم عنه الا كل عاجز
ضعيف . نعم نعم قد جاءت الفرصة
ياعباد لا يقاعك في جهنم العذاب .
أما كفاك ظلمك وعدوانك على
الأفراد وسجنك لهذا يوماً
وطردك لذلك آخر حتى قمت اليوم
اجابة لداعي هوائك الفاسد تقصد
بالدولة الخراب وتريد لجنودها
الخذلان . والله لأرينك من العذاب
اشكالا وألواناً وأجعلتك عبرة للناس
انساناً انساناً وهكذا يلقي كل خائن
يريد بناضيراً . الآن يأتي عبادونسيم

(يخرج الامير والكل خلفه وينزل
الستار)

الفصل الثالث

الملخص

يرفع الستار عن « عارف » الذي
تجسس في الفصل الاول على عباد
ومريم ونسيم ويظهر انه عالم بما يجريه
عباد من الدسائس وانه سيبلغ كل
ما ينوي عليه هو ورفقاؤه الى طارق
انتقاماً من عباد الذي طالما ضره وخدمة
للاسلام ثم يختفي ويحضر عباد ونسيم
ويدبران دسيسة لارجاع الجنود
وبعد ذلك يخرج نسيم ويرسل مريم
فيخبرها عباد بما اتفق عليه مع نسيم
فتسر لذلك وتأخذ عباداً وتخرج

متكلم - مخاطب

فهلماوا باتبهاج
نقتل النذل الجبان
ونولى الدين ملكا
زاهراً مثل الجنان

فيجيبهم موسى واقفاً

يارجالي ان شكرى
لا يوفيه الزمان
فلا تهم أهل فضل
وكمال وبيان
ولا تهم أهل رمح
وحسام وسنان
فانصروا الدين بسيف
ونبال وطعان
وعلى الله فسيروا
في سلام وأمان

متكلم - مخاطب

ياأميرى وعن رؤساء فرقى وجنودى
مايسرك ويرضى خاطرک ويرضى
أمير المؤمنين ويهيج كل فرد من أفراد
الامة الاسلامية وفقنا الله لما فيه
خير بلادنا وسعادة أوطاننا وعز ديننا
انه سميع مجيب

(بعد ذلك ينشدر رؤساء الفرق والجنود)

سيرى لذريق منا

قوم حرب وطعان

سوف يلقى ما يلاقى

من نكال وامتهان

سوف يلقى قوم نصر

في لظى الحرب العوان

تخطف الارواح خطفاً

بحسام وسنان

متكلم مخاطب

الاسيوفهم فاستعد للسفر وتوكل على
الله (ثم يجلس)

فيجيبه طارق . أيها الامير الجليل

لقد اخترت للحملة التي نيط بها فتح
الاندلس رجلا لا هم له الا نصرة
الاسلام واعلاء كلمة الايمان ولو
جرت وراء ذلك أنهر من الدم وبحار
من ماء الجماجم . وانى والغيرة العربية
والحمية الاسلامية لباذل جهدى فى
اعلاء شأن دينى بتلك البلاد
وقتل طاغية القوم لذريق
وتشتيت كلمة ملكه وهدم دعائه
واننى أعد سعيد الحظ موفقاً للخير
لتكليفى بهذه المهمة التى طالما تاقت
نفسى للقيام بمثلها ولسوف يبلغك عنى

وتحقق قول الرسول عليه الصلاة
والسلام (زويت لى مشارق الارض
ومغاربها وسيلبغ ملك أمتى ما زوى
لى منها)

واذانت المرام وفتحت البلادفا من
الناس على أموالمهم وأولادهم وعوائدهم
وحريتهم شأن الكرام الفاتحين
والمسلمين المعتصمين بحبل من الدين
متين . وأنت تدرى ما فى ذلك من
الخير اذ أن الرفق بالمغلوب أمضى
سلاح للمؤمنين الصادقين وانا لنؤمل
فيك ما بعثنا بك اليه فانت قائدماهر
ورؤساء فرقك كلهم بك مقتدون
وجنودك أبطال شجعان لانخار لهم
الا نصرتهم على عدوهم ولا ساعد لهم

(متكلم - مخاطب)

الحرية قد اخترناك يا طارق قائداً
للحملة التي ستفتح الاندلس باذن الله
ففس الجنود أحسن سياسة وعاملهم
أجل معاملة واعدل بينهم واختر لهم
ما تختاره لنفسك واجعل القرآن
مرشدك في كل الامور ودليلك
وهاديك في حلك وترحالك فاحكامه
الحكيمة وأنواره الساطعة الباهرة
ترشدك أنت ووجدك الى ما فيه خير
المسلمين والاسلام

فاستعد يا طارق وسر بعد اسبوع
كامل متكلاً على الله وتزود قبل
سفرك واستكمل استعدادك حتى
يظهر دين الله الخفيف في تلك البقاع
وتنصر الاسلام في هذه الاصقاع

متكلم - مخاطب

تعلم جيداً ما كان من معاداة يليان
امير سبته للميكة لذريق سيد القوطيين
وصاحب ملك الاندلس نظراً لكونه
هتك عرض ابنته واستحل أمراً
تحرمه الشرائع كلها وتقبحه العوائد
الحسنة والاخلاق الفاضلة ولا يصح
لادنى الافراد مقاماً أن يأتيه لالملك
كبير كذريق وتعلم ما كان من أن
يليان استنجد بنا ودعانا لفتح الاندلس
مما حملنا على مخاطبة أمير المؤمنين في
هذا الشأن واليوم دعوتك الى
لاعلمك ان أمير المؤمنين حفظه
الله قد فوض الامر اليه ففضلنا
الفتح والجهاد. ونظراً لثقتنا بغيرتك
العربية وحميتك الاسلامية ومهارتك

متكلم - مخاطب

لذريق اكبر داع للسعي في فتح هذه
البلاد

حيب - موسى .

كيف لا وأمير سبتة كله حقد على
لذريق نظراً للفظائع التي ارتكبها
هذا الامير القوطى مع ابنته ولا شك
انه سيرشدنا الى اسرار كثيرة
يكون من ورائها النفع العميم

هذه حقيقة جليلة

موسى

(بعد ذلك يدخل عباد وطارق
ورؤساء فرقه وقسم من جنوده
فيقوم موسى واقفا ويصافح طارقاً
ورؤساء فرقه بيده ويقول مخاطباً
طارقاً)

موسى - طارق . أيها البطل المقدم

(متكلم - مخاطب)

عباد - موسى .
اني لم اقل برأبي يامولاي الا حرصاً
منى على حياة جنودنا وشرف بلادنا
وسوف يعلم الامير ان رأئي صائب
متى ذهب الجيش وعاد

موسى - عباد .
سوف يذهب الجيش يا عباد ويعود
بفوزمين . قم وادع لنا القائد الهمام
طارق بن زياد ورؤساء فرقه الاربع
وقسم من الفرسان أتباعه حتى تأمره
امامهم بالاستعداد للرحيل

عباد - موسى .
الامر أمرك (ويخرج)

موسى - حبيب .
حقيقة ياسيد حبيب ان فتح
الاندلس الآن يعد فرصة عظمي
لاني تحققت من صدق يليان أمير
سبته الذي كانت شكايته لنا من أميره

(متكلم - مخاطب)

اتحادهم مع بعضهم لا بد ان ينالوا الفوز
والنصر

موسى - ملتفتاً الى عباد . هذا هو الحق الواضح يا عباد انه لا يليق

بنا ان نرفع الحرب بعد ما وعدنا بليان

بفتح الاندلس وتخليص البلاد من

أيدي الطاغية « لذريق » الذى عم

فساده وكثر فسقه واعتسافه كيف

لا وانا لو رفعناها لقاتل الناس عنا

اننا كالأطفال لا تثبت عند رأى ولا

نقف عند مرام . الاجدر بك يا عباد

ان تعدل عن رأىك وان تتبع القائل

لا تكن كالشرار يعلو ويهوى

ويزيل الغبار منه اللهبيا

بل تثبت ان شئت درك المعالى

واجعل الحزم صاحباً وحيبياً

متکلم - مخاطب

وان جندنا أشد من جنده فضلا عن
ان الحرب عندئذ لا تكون بيننا وبين
القوطيين (سكان الاندلس) فقط
بل تكون بيننا وبين كل الافرنج
لان غير القوط منهم لا يرضى بوقوف
القوط امامنا وانهم لانهزمنا لنا بل لا بد
من ان يمد لهم يد المساعدة حتى
ينصرهم علينا

وأنت ماذا ترى يا حبيب

موسى - حبيب .

اني أرى ان رفع الحرب خطأ محض
لان فتح الاندلس الآن يعد فرصة
عظمى لاعلاء كلمة الله ومهما تكن قوة
الافرنج في الحرب وثبات جأشهم
في القتال فان جنودنا باخلاصهم لدينهم
وقوة حزمهم وعظيم عزمهم وقويم

حبيب - موسى .

(متكلم - مخاطب)

وابلغ مناك بعزيمة * تأوى الى رأى سديد
واهلك عداتك أهم * للملك أول من يبيد
وانصر بسيفك ديننا * في ظل مولانا الوليد
أبقاك رب العرش في * عز واسعاد مديد
وأطال عمرك بالغاً * في كل وقت ماتريد
موسى - عباد . هل أجابت الخلافة العظمى والامامة الكبرى

على خطابنا المتعلق بمحاربة لذريق يا عباد

عباد - موسى . نعم يا مولاي قد أجابت

موسى - عباد . بم أجابت

عباد - موسى . أجابت بتفويض الامر الى نظركم السامي

موسى - عباد . اذاً لنا ان نوقع الحرب أو نرفعها

عباد - موسى . نعم يا مولاي

موسى - عباد . وماذا ترى أنت امن الصواب ايقاعها أو رفعها

عباد - موسى . اني أرى ان رفعها هو الصواب لاننا لسنا واثقين

من ان أقواتنا أوفر من أقوات العدو

الفصل الثانی

الملخص :

يرفع الستار عن الامير موسى بن
نصير أمير المغرب بالقيروان وعلى
يمينه وزيره الاول عباد وعلى يساره
وزيره الثاني حبيب والجنود مصطفة
تدعوه بالظفر والنصر فيسعى لديه
عباد في منع وقوع الحرب فيأبى
ويدعو اليه طارقا ورؤساء فرقه
وقسمامن جنوده فيأمره بالاستعداد
للسفر فيجيبه لذلك طارق وتنشد
الجنود نشيداً حماسياً يجيبهم عليه
موسى وبذلك ينتهى الفصل

(متكلم - مخاطب)

عش بالهناء ممتعا * يأيها الشهم الرشيد
وارفع منار بلادنا * بالعزم والحزم المحيد

الجنود د موسى

اننا يا مولاي لم نستعجل في الطلب
أبدا لانك تعلم اننا ما غادرنا بلادنا
وتكبدنا هول البر والبحر حتى
وصلنا الى هنا الا لهذه الغاية الشريفة
كن آمناً يا نسيم على بلادك وأذهب
الآن الى السيدة مريم واعلمها اني
ذاهب في هذه الساعة الى الامير
وسأبذل جهدي في منع وقوع
الحرب سهل الله علينا كل أمر عسير
سر على التوفيق نبح الله مقاصدك
(يتفارقان وتنزل الستار)

نسيم

عباد

نسيم

﴿ ملحوظ ﴾

أثناء كل ما يجري في هذا الفصل يمر خاف المتكلمين
رجل متجسس اسمه عارف

أوطانك وتجيب دعوة أقاربك
وأهلك فتعجبت لذلك كثيرا وكدت
أن لا أصدقها لولا علمي بصدقها

حاشا لله أن أكون أظهرت لها اني
لاأساعد بلادي أولا أجيب دعوة
أهلي وأقاربي ولكني حققت لها ان
الضير بعيد عن بلادنا فلم تسمع مني

كيف ذلك يامولاي هب ان الضير
بعيد عن بلادنا أنسيت ماالسكان
الاندلس معنا من الروابط والعلائق
القومية والدينية

عباد -

نسيم

عباد

اني لم أنس يانسيم كل ذلك ولكنكم
قد استعجلتم في طلبكم فاني وحق من
أحب وأهوى لفاعل مايرضى وطن
أجدادى ويريح خاطر كم وخاطر
أهلي وعشيرتي

كيف حالك ؟

الحمد لله

وكيف ترى البلاد العربية

أراها مشرقة بأنوارك

حفظك الله وكيف تجد أهلها

أجدهم قومًا لا يهمهم إلا إعلاء شأن

دينهم ونصرة بلادهم ولو كان وراء

ذلك الموت الذؤام

أما قابلت السيدة مريم قبل حضورك

هنا

نعم انى قابلتها فى الطريق

وكيف رأيتها

رأيتها مقطبة الوجه خلافا لعادتها

ولما سألتها عن سبب ذلك قالت انك

أظهرت لها عدم رغبتك فى قبول

رجائها وانه لا يمكنك ان تساعد

نسيم

عباد

نسيم

عباد

نسيم

عباد

نسيم

عباد

نسيم

(متكلم - مخاطب) شاء وأحلوني مكانة علياء وعودوني

بعوائدهم وربوني على اخلاقهم
وفضائلهم ياربي كيف العمل (ثم يتفكر
قليلاً متمشياً ويقول)

ليس لي والله الا ان استعمل الخداع
مع العرب وأقبح لهم الحرب وما
ينجم عنها وأحسن لهم منعها وبذلك
اكتسب رضا الجانبين تبقي دولة
العرب كما هي والقسطنطينية كما هي
(ثم يسكت متفكراً ويقول)

نعم ان هذا هو الرأي الصواب
(بعد ذلك يدخل نسيم وهو الذي
أتي بصحبة السيدة مريم من
القسطنطينية)

أسعد الله نهاري سيدي الوزير الكريم
أسعد الله نهاري أيها الاخ العزيز

نسيم - عباد

عباد - نسيم

(وقوف وتمش)

خائناً لبلادي . يالها من كلمة أصابت
فؤادي ألى هذا الحد بلغ كدرها
وتعاظم غضبها تالله لارضينها وأخلص
بلاد الاندلس من أيدي هؤلاء
الطماعين (ثم يهيم بالخروج ولكنه
يرجع متفكراً ويقول)

آه ولكن هم العرب أسيادي وأرباب
نعمتي وأصل مجدي وسعادتي كيف
اخونهم تالله ان هذا يعد لؤماً كبيراً
ياربي ماذا اعمل . ان قمت للعرب
بالواجب أغضبت حبيبتى مريم ولربما
كان ذلك سبباً لضيق بلادي وهو
مالم أحبه ولا أحبه طول حياتي وان
قمت لاوطاني العزيزة بما يجب علي لها
خنت قوما انزلوني من بينهم منزلة

متكلم - مخاطب عزيمة ألا تؤاخذك سيرتك ويوبخك

ضميرك على عظيم تقصيرك عن اداء

الوطنية حقوقها والجنسية فروضها

وواجباتها. كيف تقول ان القسطنطينية

في مأمن من العدو وانت تعلم اننا ما قطعنا

البوادي والبحار وركبنا متن الاخطار

أنا ومواطني نسيم الا لندعوك لهذا

العمل الجليل الذي يحفظ لك في تاريخ

بلادك أعظم شرف وأكبر مجد ويخاد

لك في نفس كل رومي تذكراً لا تمحوه

الايام وذكراً باقياً لا تنسخه الا عصار

والاعوام

عباد - مريم . لا تغضبى على يا حبيبتي واصغى لما أقول

مريم - عباد . دعنى فما كنت اخالك هكذا خائناً للبلادك

(وتخرج)

(بعد ذلك يخاطب نفسه مندهشاً بين

عباد - مريم . ما كنت أظن ياسيدي ان الفكر يصل

بك الى هذا الحد وان التأمل يبعدك

عن النظر في مرآة الحقائق فاني

وحقك وائق كل الوثوق بان العرب

لا يتجاوزون الالبة ولا يفتحون غير

الاندلس وأنا أعلم منك بأسرارهم

مريم - عباد . عجباً لك يا عباد ما أحبك للبلاد العربية

وما أشدك وفاء لها وما أعظمك جفاء

لبلاك الاصلية ومواطنك الاواية

التي أنشأت آباءك وأجدادك الاولين

أنسيت يا عباد ان لك أهلاً وأقارب

ترجو ان تمنع حرب الاندلس

وتستغيث بك اما تغيثهم وهم ذوو

القربي وأقرب الناس اليك

وأحبهم لديك أنسيت ان لك دماً

يطالبك بحقوق كبيرة وواجبات

متكلم - مخاطب . جنوده وهو يخاف عليهم كثيرا
مریم - عباد . جرد عن فكرك هذه الظنون واعلم
أن هذه الامة الفخمة العالية البنیان
المشيذة الاركان التي أرهبت كل
انسان لا تهاب الاندلس ولا غيره .
تلك أمة كالحديد لا يقطعه الا
الحديد واني لنا بقوم من الحديد
يقدرون على مقاومة رجال هذا
الشعب العظيم . الاولى بك يا عبادان
كنت مخلصا للقسطنطينية ولمريم أن
تتلافى الامر وهو صغير قبل أن
يتسع الخرق على الراقق وتقول يومئذ
عند ما ترى أهلك واقاربك وبنى
وطنك فى السجن يستغيثون ولا مغيث
لهم ويستعينون ولا معين لهم ياليتنى
أطعت حبيبتي مریم وسمعت نصيحتها

متكلم - مخاطب . الى غيره ولو كان وراء ذلك أشد

المصاعب وأكبر المتاعب

عباد - مريم . لا تخافى ياسيدتى على القسطنطينية

وكونى آمنة مطمئنة فانى واثق بأن

العرب ان فتحوا الاندلس

لا يتجاوزون جبال الالبيّة أبدا

مريم - عباد . من ذا الذى يحقق لك هذا القول

والامور مرهونة بأوقاتها

هم يقولون اليوم انالانبعى الا الاندلس

ولكنهم سيقولون فى الغد انما نبغى

أن تكون لنا الارض متاعا من

مشارقتها الى مغاربها

عباد - مريم . لا تظنى يا حبيبتى هذا الظن البعيد

واعلمي أن الوليد ابن عبد الملك أمير

المؤمنين الحالى لا يرضى بفتح غير

الاندلس لانه أشد الامراء حبا

مواطن خير ما تهدي البنون لها

دفع لضر واعلاء لبنيان

هذي بلادك يا عباد في خطر

فاحفظ معاهدهما من هدم أركان

يرجوك ذوالروم دفعا للحروب عسى

تطيب اندلس يا عين انساني

فان أجبت فيوم الوصل مقرب

وان رفضت فاني عنك في شان

عباد - مریم . مالك يا حبيبي تخافين على الغرب

وأهله على ان ملك بلادك في

القسطنطينية وهي لاشك بعيدة عن

الضير

مریم - عباد . كيف تقول ذلك وانت أعلم مني بأن

العرب قوم الطمع أصدق صديقهم

وحب الفتوح نبراسهم ودليلهم ان

فتحوا بلدا لا يقفوا عنده بل يتجاوزونه

ملكـت قلبي ففضلت الغرام على
ما كنت فضـلته في كل أزماني
لك الفؤاد جودي بالوصال فما
أحلي الوصال على قلبي ووجداني
لك الحياة وما في الجسم من رمق
ومن ذماء ومن دمع وأشجان
لك الوزير وزير الملك ممثـل
فمتعـيه بما يمسى به هاني
حسبت أن الهوى يجدي فهمت به
فما أفاد وما للوصل أدناني
فهل ترين وراء الحب منزلة
تدني اليك فان الحب أقصاني
نعم وراء الهوى يا صاح منزلة
تدنيك مني ومن وصلي واحساني
وهي الوفاء لا وطان بها نشأت
آباؤك الغر من فازوا بعرفان

فتجاوبه

اليه تعظيماً للأدب ونصرة للعلم والتأليف مصطفى كامل

الفصل الأول

(ملخص الفصل) يظهر في المرسح الوزير عباد (وهو

رومي الاصل) وزير الامير موسى

ابن نصير ويغازل بنتا رومية اسمها

(مريم) أمت من بلادها صحبة رجل

اسمه (نسيم) بقصد رجاء عباد في

منع وقوع حرب الاندلس فيأبى

عباد أولاً فتغضب وتخرج من عنده

ثم يأتي نسيم ويتكلم مع عباد الى

ان ينتهي الامر برضاء عباد

(متكلم مخاطب)

عباد - مريم

يا زهرة الغرب ان الحب أضنانى

وحسن قدك أعيانى وأفنانى

الاندلس لأنه من أجمل الفتوحات الاسلامية التي فاز المسلمون فيها فوزاً ميبيناً وقد أحطت في هذا الموضوع الحقيقة بالخيال غرضاً لاظهار المقصود بكامل مظهره

واني فيما أتيت لسبت بالاول بل ان كثيراً من كتاب العرب الاقدمين والغربيين والامريكانيين المعاصرين اختطوا هذه الخطة ارشاداً لأممهم فكتبوا القصص والحكايات وألقوا الروايات من تشخيصية وغير تشخيصية وصار لها من التأثير في النفوس والمنزلة في القلوب ما جعل الناس يختطفونها اختطافاً ويطلبون تشخيصها المرة بعد المرة حتى يشاهد المقيم وكذلك السائح في أوربا أو في امريكا عدة من الروايات بلغ تشخيصها فوق الالف والالف مرة وهذا عندهم ليس بمستغرب لكثرة وقوعه بينهم وتواتره من شهر الى شهر وعام الى عام

فهذه يا أفاضل الكتاب وأماجد القراء روايتي التي كتبتها باحساسى الصادق أقدمها لكم مطبوعة ولم أر ان أقدمها بشخصة الا بعد قراءتكم لها واستحسانكم لمبدئها وغايتها واني أرجو كل من طالعها ورأى فيها محلاً للانتقاد ان يرشدنى

﴿ بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ ﴾

« المقدمة »

الحمد لله الذي ضرب الامثال للناس وجعلها تذكرة لقوم يعقلون وصلاة وسلاماً على سيدنا محمد نبي الحق الصادق الوعد الامين وعلى أصحابه وأحبابه مصاييح الهداية المرشدين (وبعد) فلما كانت حاجة الشعوب الى التأليف والتصنيف تختلف باختلاف الزمان والمكان وكان أجدر المؤلفات بالنظر ما يهدى الأمة منها الى طرق الخير والرشاد ويبعدها عن سبل النقي والفساد عن سبلى ان أكتب رواية أظهر لقومى فيها دسائس الدخلاء على الامم الذين يتردون بردائها ويتخاطبون بلغتها ويخالطونها مخالطتها البعضها فيكونون كالسم في الدسم بغية منهم في اسقاطها من أوج مجدها الى حضيض ذلها . شارحاً غير ذلك فضائل الأمة العربية وأخلاقها الكاملة وعظيم تمسكها بالمكارم مما جعلها فى حصن حصين من شرور الدخلاء ومكاييد الأعداء الالذاء وقد اخترت من الموضوعات التاريخية موضوع فتح

الثورة سيئة المقدمة والنتيجة معها وهي أخطر ما يكون على
الامم والاطوان

ولم يستعن المرحوم في هذه الرواية بقلم غير قلمه بل كل
نثرها وشعرها من نتاج قريحته . وأما ما لقيت من الاقبال
وسرعة الانتشار فقد وزع مناسطة آلاف نسخة في وقت
أهملت فيه آثار العرب وكسدت صناعة الادب
وها هي الرواية بنصها وفصها :



صغيرة والواقع أن العاطفة الوطنية لم تكن قد استيقظت بعد في النفوس وهذه الرواية تمثل شهامة العرب وشجاعتهم وخيانة الدخيل للوطن الذي لم يمتزج تبر ترابه بدقائق أجسام آبائه وجدوده وتبين كيف أن ألا عيب المرأة وخذعتها قد تكون سببا في قعود أمة وقيام أمة

وقد نسج المرحوم هذه الرواية على منوال رواية للمسيو كستيني أحد محرري بلجيكا التي رسفت في قيود الذل والاستعباد تحت النير الهولاندي زمنا طويلا . نعم نسج على منواله فيها من الوجهة الادبية تماما لان تلك تشرح مقدار الغبن الذي ينال الامم المستعمرة من الامم المستعمرة لها . وأن الداخل على الدوام طامع وهو عبد قوله (ليس للطمع من حد) وقد كان مؤلف الرواية المشار اليها أحد ممثليها الذين مثلوا بعد ذلك دورا كبيرا في مذبح سنة ١٨٣٠ التي وقعت بين البلجيكين والهولانديين وانتهت باستقلال بلجيكا

وأما هذه فانها عظة من حقيقة وقدوة من واقعة مشاهدة مما دعا فيها المرحوم الى ما يخل بالامن لانه كان يعتقد أن

الوالدة تترب قدومنا وهي في أظهر ما كانت عليه من الحنان فلما وصلنا الي المنزل وتبادل القادم من السفر وجميع أفراد الاسرة فروض السلام وقضيت حقوق الشوق أخذ اخوانه يزورونه ويزورهم : هم يزورونه مهئين معجبين بنجاحه وفلاحه وهو يزورهم مثنياً على لطفهم شاكرًا لهم فضل تشجيعهم وحسن العطفهم عليه

وبعد ان انتهى من التزاور مدة يومين شرع يضع رواية كلها دروس وطنية وحكم اجتماعية وقد اختار لها موضعا وطنيا تاريخيا من اكبر المواضع وهو فتح الاندلس وبهذا الاسم وسمت الرواية وقد نشرت في ١٧ دسمبر سنة ١٨٩٤

ولما كانت من أهم الروايات موضوعا ووضعا ولم يكن بها عيب الا صغر حجمها صحت عزيمة المترجم على تكبيرها بما أراد أن يضيف اليها من العبر والعظات ولكنه كان اذ ذلك مشتغلا بما هو أهم واكبر من ذلك وقد طلب من المراسح العربية أن تمثلها فعملت بأنها

لا تحفل بأمثال هذه الصغائر وانما هي تنظر الى ماتريد من
كبار الاهواء والمآرب

انا نرى ونسمع كثيراً ان المثين من الطلاب يقفون
مواقف الامتحانات وقد أفنوا أيامهم في الحفظ والدراسة
ولكنهم لا ينجحون واذا استقرينا أسباب سقوطهم وجدناها
في الغالب التهيّب والهلع امام صعوبة الامتحان ولو انهم ثبتوا
قلوبهم وهدأوا روعهم ولم يبالوا بشيء من الصعوبة لفازوا
فوزاً مميّناً

وقد سافرنا في اليوم التالي الذي هو يوم الجمعة ٧ ديسمبر
في الساعة التاسعة صباحاً فودعنا على المحطة ذلك الجمع الذي
كان حافاً من حولنا ثم ركبنا القطار ووصلنا الى العاصمة حيث
كان يستقبلنا بالمحطة جمهور من الاصدقاء والخلان في مقدمتهم
خالنا المرحوم الدكتور محمد افندي فهم وبعد التحية والتسليم
ركبنا الى المنزل فوجدنا الاسرة كلها مجتمعة تنتظرنا كما ينتظر
السارى طلوع القمر وكانت تلك السيدة المنجبة الشريفة
الصالحة التي اختارها الخالق تعالى للدار الآخرة أعنى المرحومة

لأنكرتم علي حديث ما صنعه معي من قبل ولكنهم يعتبرون
العمل الاول واجباً علمياً والثاني اعجاباً بالذكاء وتشجيعاً
للعاملين فنعمت الاخلاق أخلاقهم وحبذا الحال حالهم «

هذا مقاله المرحوم في ضيافة حضرة حمدي بك فكرر
له الحاضرون التهنية وأعجبوا به اعجاباً كبيراً وقد كانوا
عرفوه جميعاً من رسائله التي بعث بها الى جريدة الاهرام
في وصف المعارض وبعض مدن أوروبا مما نشرناه في هذا
الجزء

وان القارئ ليري من الحديث المتقدم عظة باهرة هي
لطف الاحتيال على جلب الآمال بالوسائل الشريفة المشروعة
وفيه عدا ذلك ما يستتجه الفطن اللبيب فلو كان في موقف
الامتحان شخص آخر ورأى مارأى المترجم من الأغنيات
والاعتراض وتلك الصيحات والاشارات لخذلته نفسه وما
وفي له حسه ولكنه تغاضى عن كل ذلك واضعاً نصب عينيه
غرضاً واحداً هو نيل الشهادة المؤذنة بفوزه ونجاحه لا قيافى
هذا السبيل مالتى من المتاعب والمصاعب والنفوس العظيمة

اتقانا لهذه المعاملة القاسية .

هذا بعض ما لقيته من المعاكسة ولكنها لم تجد نفعا
اذنلت أغلب الدرجات الحسنة فنجحت بفضل الله تعالى وحصلت
على هذه الشهادة التي تعبت في سبيلها تعباً لا يستهان به .
واني أيها الاخوان اذكر لكم أمراً ما كان يدور
بخدي وما أظنه دار بخدكم بعد الذي سردته عليكم وهو ان
ذلك المدير الشرف الذي عاملني تلك المعاملة الجائرة رغبة في
المحافظة على كرامة كلية قضى حياته فيها قد بعث في طلبي
بعد ان نجحت في الامتحان وهنأني أحسن تهنئة وسألني ان
أعتبر ما صنعته معي غيرة على سمعة فرنسا وشرف كليتها .
لأن هذا الاستثناء الذي عوملت به لم يقع قبل الآن لأجنبي
في جميع تاريخ الكلية ثم دعاني لتناول العشاء مع أسرته فليت
الدعوة بكل ارتياح وقضينا ليلة لطيفة السمر حضرها أيضا
ذلك الاستاذ الذي كان منضمافي معاكستي الى هذا الرئيس .
وانكم لو رأيتم ما كان يوجهه اليّ في سهرة العشاء
ذلك الرئيس الجليل من البشاشة واللاطف ورقة الحديث

عضوين منهما هما الرئيس الشرف وأحد مساعديه في معارضة قبول طلب تأديتي الامتحان امام كلية طولوز ولما كان مارأيته منهما ينقل المرء من الحلم الى السخط ومن الرضا الى الغضب فأني أجد من اللذة ان أقصه عليكم لتعرفوا مبلغ تمسك بعض أولئك القوم بأرائهم ولتروا كيف انهم متى اعتقدوا اعتقاداً خدموا ذلك الاعتقاد بكل وسيلة ولو ضحوا في ذلك كل شيء فقد جلست امام الاول وهو الرئيس الشرف فأخذ يسألني في القانون الدولي أسئلة كنت أراها سهلة فأجيب عليها جواب الواثق المستبشر بسرور وانشرح صدر ولكن كنت قبل ان أكاد أفرغ من الجواب على كل سؤال أجد من ذلك الاستاذ عتاً غريباً ومغالطة ظاهرة واعتراضاً غير لائق وتوقفا يخرج الصدر بل كنت أراه يضرب الارض بقدميه صارخاً في وجهي مشيراً بكتلا يديه ليغير خاطري ولكن الله تعالى ألهمني السداد فلم أجبه على عمله ولم أظهر له تألماً ولا استياء بل صابرتة وحاسنته حتى سود علامتي وانتقلت من أمامه الى زميله الذي لم يكن ازائي أقل منه

حتى يسوء العاقبة وربما قضت النتيجة علي حياتي . ولكن هذا القلب الصغير (وقد أشار الى قلبه رحمه الله) غلب شيطانا رجيا . غلب اليأس والقنوط وتمسك بالرجاء وقوة الحق التي هي من قوة الله وكان يذكر حكمة القائل « اذا أردت أن تتغلب فأقدم ثم أقدم » . أغلقت بعد ذلك باب مسكني علي ورسمت لنفسى خطة العمل ليل نهار حتى أزود رأسي بما أوصل معه ان يبدل غضب المعارضين لتأديتي الامتحان صلاحا ورأفة وقد واصلت العمل حتى اذا جاء ميعاد الامتحان دخلت اليه ضعيفا نحيفا ضئيلا فلما ذكر اسمي امام القسم الاول من اللجنة التي كان يرأسها المدير العامل نظر الى جنبه مبتسما مندهشا قائلا « انك ضعيف يا مسيو كامل » فأجبت بكل خضوع « ان من يرد امتلاك قلعة عليه أن يضحى شيأ من صحته » فارتاح لهذا الجواب وبعد أن قضيت الامتحان أمام لجنته في ثلاثة علوم كنت فيها أري من המתحنيين موافقة علي كل جواب ورفقا في المناقشة وتلطفا في الاختبار انتقلت لتمضية القسم الآخر من الامتحان امام اللجنة الاخرى فلقيت العكس في المعاملة من

عند ما قررت السكينة قبولى فى الامتحان شعرت بأن
عناية الله فوق كل عناية وان شابا مثلى لم يرتكب معصية
ولم يرد بكده الا خيرا للوسط الذى يعيش فيه من بلد
وامة وأهل لن يجرمه الله من ثمرات مجهوده

بعد ذلك أيقنت فى نفسى عند ما علمت ان المعارضين فى
قبولى أعضاء فى لجنة الامتحان انهم سيعا كسونى ليستقونى
فى الامتحان ولو انى كنت أثق بدمتهم لغزارة علمهم وكبر
سنهم ولكن النفس البشرية مهما ارتفعت فانها أمارة بالسوء
فكرت فى هذه النتيجة وقلت ان عقبة باريس قد زالت
بأحالة الاوراق على طولوز وعقبة المعارضين بمجلس ادارة
كلية طولوز قد اختفت امام موافقة الاغلبية والان توجد
عقبة الامتحان الكؤود وانى مهمما حضرت الدروس وحفظت
المتون وعلقت الشروح فان الاستاذ الكبير كالبجر الزاخر
لا يستطيع جدول صغير من الماء ان يلاطمه أو يقف امامه
فكرت فى هذا كله فى وقت اشتدت فيه محاربتى
لشيطان النفوس فهو يريد ان يحل اليأس بقلبي محل الرجاء

بل تمسكت بقدرة الله وعنايته وبذلت كل مسعى في سبيل
هذه البغية حتى أتاح الله لى استاذين من اساتذتى فساعدانى
على تمضية الامتحان أمام كلية طولوز . ولما كان كل رئيس
يرى من الواجب عليه أن يحافظ على كرامة العمل الذى
يرأسه . لم تقبل نفس الرئيس الشرف للكلية ولا اباؤه ان
أقضى هذا الامتحان فى هذا العام لانه عد رفض كلية باريس
له وقبوله من كلية طولوز تساهلا يعد تحقيرا لهذه الكلية
ولكن العناية الالهية التى تريد أن لا تردنى خائبا والتى
لا تتبدل سنتها فى أى وقت من الاوقات قد نشرت على
ظلمها الوارف وتغلب الرئيس العامل للكلية على الرئيس
الشرف وتقرر أن أمضى الامتحان

لا يغيب عنكم انه عند احتدام الجدل بين الفريقين
كنت فى شغل شاغل وحيرة كبيرة اذا أنا لم أنل بغيتى لاني
عاهدت والدى وأخى الاكبر ان أمضى هذا الامتحان حتى
ان وثوقى من نفسى وشعوري بان الله معى دفعانى الى زيادة
التأكيد له بأني سوء عديه بكل سهولة

كثيرا فوصلنا الى منزل حضرة الدكتور في شارع راغب باشا وهناك نزلنا في قاعة مفروشة بأثمن الرياش والاثاث. وقضينا تلك الليلة في ضيافة ذلك الفاضل الشهم الكريم الدكتور حسن بك حمدي الذي أعد لنا من صنوف التكريم والحنافوة ما هو خليق باطفه وكرمه . وقد جلس المترجم في صدر الماكان يروي لنا الاحاديث عن أسرار رقى الغرييين وبلوغهم ما بلغوا من العزة والسؤدد ويدلنا على مافي السياحة من الخير وأثمن الفوائد كشهود آيات الرقى العمراني وغذاء القلوب بالوطنية الصحيحة وما شا كل . وقد قص علينا تفاصيل الامتحان الاخير للحقوق فقال مامعناه :

« ان المرء اذا كد واجتهد باخلاص كان له من عمله اكبر نصيب ولا بد أن ينجح مهما صادف في طريقه من العقبات خذوا مثلا ما وقع لي في هذا الامتحان الاخير . فقد وطدت النفس علي نيله مهما كلفني ذلك من المشاق ومهما لقيت في طريقي من العقبات . فقدمت الطلب الى كلية باريس فرفضتة ولكن هذا الرفض لم يتعدني ولم يدخل اليأس علي قلبي لحظة

السروور اذ ظفرت بلقيا أعز عزيز على وأسمى الناس مكانة في
عيني وأرسل هو دمتين جالتا فوق صفحتي خده وما عرف
للبكاء سبيلا لكنه قضى بهما حق الشوق والحنان

وقد أعاني حضرة الدكتور في نقل الغمش وجئنا
بالحمالين فحملوه وفيه صندوقان كبيران حافظان بالكتب
القديمة والحديثة في تاريخ المسألة المصرية وسياسات الامم
وفيهما عدا هذا وتلك مذكرات بعضها من كبار السياسيين
وبعضها من مكتبة باريس الرسمية وبعضها من نظارة الخارجية

وبديهي أنه كان في ذهني أسئلة عديدة أعدتها لالقيها
عليه فأول ما سألته قبل أن نسير الى البيت عن الحالة التي كان
عليها البحر أثناء قدومه فقال لي انه كان هادئا ساكنا أقل
ضيوفه بالتجلة والتكريم وأهم ما ذكره لك مما كان أنه جرت
محادثة سياسية هامة بيني وبين الكولونيل بارنيج شقيق اللورد
كرومر الذي قدم على هذه الباخرة ذاتها وسأشر هذه

المحادثة في جريدة (الالهرام) الغراء

ثم ركبنا العربات وكلانا يريد أن يقص علي أخيه شيئا

وقد ورد الى بعد ذلك خطاب من المرحوم جاء فيه
مايأتي :

« ربما وصلت الى ثغر الاسكندرية في يوم الاربعاء ٥
ديسمبر المقبل أو يوم الخميس ٦ منه فأرجوك انتظاري به ..
باريس في ٢٥ نوفمبر سنة ١٨٩٤ مصطفى كامل »

*
* *

فسافرت يوم الثلاثاء ٤ دسمبر سنة ١٨٩٤ الى الاسكندرية
ونزلت ضيفا على حضرة العالم الفاضل الدكتور حسن بك
حمدي . وكان حضرته يرافقتني الى شركات البواخر كل يوم
لنسأل عن قرب وصول الباخرة التي تقل عزيزنا الغائب
حتى اذا كانت الساعة الثامنة من صباح يوم الخميس ٦ دسمبر
أقبلت الباخرة وكان المترجم بين ركابها فلحظناه ولحظنا فأخذت
القلوب تتناجى والايدي تتحرك بتحيات اللقاء . وكانت
الباخرة كلما قربت من الشاطيء ذراعاً زادت نار الشوق
اشتعالاً فلما رست صعدت اليها مع حضرة الدكتور وتعانقت
أنا وأخي عناقاً لا أنساه الى الآن . وقد بكيت من فرط

يحتقرون الحكومة المصرية الحاضرة ويرون التوظيف فيها
أو الاستغلال بظلمها جريمة لا تغتفر وكيف لا يكون الأمر
كذلك والموظف منفذ لإرادة الغاصب لا ثمن وأقدس شيء
لديكم وهو الدستور . ولا أبالغ لك إذا قلت ان حراس جهنم
ربما كانوا أخف وطأة على الذين دخلوها من الرؤوس
الانكليزية التي دخلت في مصالحنا وهي جاهلة للغتنا وعوائدنا
وأعمالنا ؟؟



هذا كلام مصطفى كامل المصرى الذي القاه بترو
وتبصرة ولو انه احتد في الجزء الاخير حدة تدل على قوة
الوطنية عند المصريين وانهم استفادوا كثير من الدروس التي
تلقوها على أساتذة منا . . . » اه

مانشرت الغازيت دى طولوز هذا الحديث حتى تناقلته
الجرائد الفرنسية المصورة وغيرها وهذه أول مرة ذكر فيها
اسم المرحوم على صفحات الغرب بهذا الاظناب الذي شرف
جنسنا ورفع ذكاءنا فوق مراتب الذكاء البشرى

فانه تلقى العلوم في النمسا والصحافة الاوربية تعرف عنه
كل حسن

وقد سألتني عن حالة الامتحان عندكم . فاسمح لي
ياجناب الفاضل أن أشكر لكرم عنايتكم بالامتحانات وتمسككم
بالحق في كل شيء وتدقيقكم المحمود في منح الدرجات حسب
كفاءة مستحقيها حتى لا يظهر الخامل على النابه ولو اني شعرت
بتعب من بعض الممتحنين ولعل تألمهم من تمضيقي الامتحان
أمام كليتهم بعد أن رفضته كلية باريس قد تغلب فيما يظهر لي
على عدلهم . واني لأصدق اذا قلت اني أستحق درجات كلها
بيضاء . واذا اختصرت في ايضاح هذه النقطة فذلك لاني
لا أود الاسترسال في هذا الموضوع بعد أن طوقت
طولوز جيدي بمنة لا أنساها أبداً

اما السبب في تمضيقي سنتين في سنة فهو لاني وعدت
شخصاً أحترمه بذلك ولان ارادتي رغبت في هذا العمل حتى
أخرج من قيد الطلاب الى ميدان العمل . . . لاني متى
عدت الى مصر انضم في الحال الى صفوف المحامين لاني ممن

وها هو الحديث الذي جرى بيننا وبينه :

« وجهنا اليه سؤالاً عن درجة احترام المصريين لنا وميلهم
إلينا - وعن حالة امتحانه الأخير - والسبب في قضائه سنتين
في سنة - وماذا يريد أن يعمل بعد بلوغه مرسى بلده - فقال
لنا بصوت عال وطلاقة نادرة ولغة صحيحة سهلة وسرعة
مدهشة مانصه :

« ان المصريين لا يحترمون أمة من الأمم الاوربية
المسيحية كما يحترمون فرنسا لأنها برهنت في كل أطوارها
التي لها علاقة بتاريخنا أنها بارة بالانسانية لا تريد الا الاخاء
بين الأمم ونشر مصاييح العلم فوق رؤس العباد . فقد جاء
إلينا منكم عدد كبير بدعوة من محمد علي باشا الكبير رأس
الأُسرة الخديوية فلم يعمل على دس الدسائس وبذر بذور
الشقاق بين أفراد الامة وعناصرها بل نشر العلم باخلاص
وما زال ينشره الى اليوم بواسطة جمعياتكم . بخلاف الانكليز
فانهم دخلوا بلادنا باسم الخديوى والأمن فانقلبوا الى الضد
محاربين سموه الذي يندر أن يوجد أمير شرقي تعلم كما تعلم

www.alkottob.com



مصطفى كامل باشا
في التاسعة عشرة من عمره

وان مدينة طولوز لتفتخر بأن تسجل في عداد الذين
تخرجوا من كلياتها شابا كهذا الشاب نقي الفؤاد متصفا بكل
ما يزين المرء من علم وأدب ورأى صائب
وان سكان طولوز ليميلون الى معرفة « مصطفي كامل
المصري » ومحادثته ولكننا نعلم انه سافر بعد ان حادثناه فنكتفي
بأن نقدم للقراء صورته هذه

أوجدت في المصريين هذا الذكاء

فأمة كهذه الأمة لها شهرة تاريخية كبيرة فضلا عن ميل
أبنائها إلى فرنسا ورغبتهم الأكيدة في الحصول على العلوم
الحديثة من منابعها الفائضة لا بد وان تسترجع مجدها بفضل
هؤلاء الأبناء الذين نعجب بهم كثيرا ونجلهم اجلالا كبيرا
وانه ليس في وسعنا بعد الذي شاهدناه من ذكاء
« مصطفى كامل » الا ان نهنيء مصر به ونرجو له النجاح
التام في العمل الذي يريد به خدمة بلاده

لان الفيرة التي شاهدناها على مجيئه والطلاقة التي تشير الى
مستقبله الباهر والتي تدل بأوضح بيان على انه من الذين
وهبوا قوة الخطابة لا بد ان ترفعه الى مصاف مشاهير
الرجال .

ثم لا ينس القارئ انه ظاهر على سيما مصطفى كامل
الصفاء التام في القول والفعل وان قلبه لا يزال طاهرا كريما
وفوق ذلك فان آدابه الشرقية الجميلة وتحيات نظراته الساحرة
قد هذبت علمه الغربي تهديبا لم نره في حياتنا الا قليلا

(لم تكن الدرجات التي تعطى للطلاب في كلية الحقوق
بفرنسا أرقاماً كما هو الشأن في مصر وغيرها بل هي علامات
تسمى كرات وهي علي هذا الترتيب من أعلي الي أدني :
(١) بيضاء (٢) بيضاء حمراء (٣) حمراء (٤) حمراء سوداء
(٥) سوداء (٦) سوداء داكنة :) وهذا الشاب لم يكن
من الذين قيدوا في الكلية من مبدأ دراسة الحقوق بل هذه
أول مرة له فيها . ومن يعلم أنه أمضى في شهر يوليو الفأنت
امتحان السنة الثانية أمام كلية باريس بنجاح باهر يدهش
دهشاً كبيراً لهذا الذكاء النادر . ومع ذلك لا يعجب قراؤنا
فان تاريخ مصر يحوى الكثير من النظريات العلمية الكبيرة
التي تدل علي مبلغ تقدم العلوم والمعارف عند المصريين وسمو
مداركهم من زمن بعيد . وهوؤلاء اخواننا الفرنسيون الذى
عاشوا في مصر واختلطوا بأهلها وأبنائها بصفهم أساتذة في
مدارسها قد صنفوا التأليف الكثيرة علي دفائن الذكاء المصرى
حتى رفعوه فوق كل ذكاء

والظاهر أن اعتدال الاقليم سبب من الاسباب التي

لان مصر وهى جنة الدنيا لا تستحق ان يداس شرفها
بالاقدام ونصبح فيها نحن أبناءها الاعزاء ممقوتين غرباء
وانى أوكد لك انى ماسررت بفوزي في هذا الامتحان
الا لأرضى سيدي البار أخى الرحيم حسين افندى واصف
وسأخبرك بمشيئة الله عند وصولي الى مصر بما لقيته من
المعاكسات أثناء تأدية الامتحان

دمت لمحبك المخلص

مصطفى كامل

*
* *

وما ظهرت نتيجة امتحان طلاب كلية طولوز حتى
نشرت « غازيت دى طولوز » مقالة فى عدددها الصادر يوم
الجمعة ٢٣ نوفمبر سنة ١٨٩٤ أثنت فيها على الذكاء المصرى ثناء
عاطراً اذ قالت ما تعريبه :

« بين الذين نجحوا فى كايئنا الحقوقية شاب مصرى لم
يتجاوز التاسعة عشرة من سنى حياته هو « مصطفى كامل
المصرى » فقد نال فى الامتحان لأول مرة أربع كرات بيضاء

حمدا كبيرا وقد اشفق أخوه الأكبر على حالته فكتب إليه على جناح البرق ان يتروض في باريس قليلا حتى ترجع إليه صحته وتعاوده قوته قبل ان يعود الى مصر فصدع المترجم بالأمر وسافر الى باريس لاطالبا للرياضة التي كنا نرجوها له من سويداء القلب خوفا على صحته وتفانيا في حبه ولكنه قضاهما في البحث والتنقيب وراء الكتب التي تشرح المسئلة المصرية بعد ان وقف على أسماء أشهر الكتّاب الذين رسم في مخيلته وجوب التعارف بهم

لم يمض على تلغراف البشرى بنجاحه أسبوع كامل حتى وصل الى منه كتاب طويل جاء فيه مانصه :

« واليوم أحمد الله حمدا كبيرا وأشكره شكرا جزيلا أن فك قيد أسرى ومن باطلاقي في ميدان الحرية فقد أصبحت حاملا لشهادة الحقوق . وقد عولت بمشيئة الله على الانتظام في سلك رجال المحاماة لأدافع عن حقوق الافراد . ولو أتاح لي الخير وأبلغني ماأتمنى لا كون المدافع عن حقوق الأمة بأسرها امام العالم أجمع .

جزاه الله خير الجزاء

هذا وسأبعث لكم ان شاء الله بتلغراف مبشر بالنجاح
متى تم ذلك والله المعين

طولوز الثلاثاء ٣٠ أكتوبر سنة ١٨٩٤

*
* *

انتظرنا بعد ذلك بضعة أيام فجاء منه كتاب آخر كتبه
في يوم الجمعة ٢ نوفمبر سنة ١٨٩٤ قال فيه :

« ربما ظهرت نتيجة امتحاني في يوم ١٧ أو ١٨ الجاري
فانتظروا منى تلغرافا في مساء أحد هذين اليومين »

ولا تسل عما قام بنفوسنا جميعاً من فرط الشوق لتلقي
أبناء الخير عنه فقد انتظرنا بصبر نافذ ورود التلغراف الحامل

الينا اكرم البشائر وفيما نحن مجتمعون في ليلة بيت سعادة
الأخ الاكبر واذا الخادم يقول « تلغراف بشرى .. »

نفرجت اليه مسرعا واستلمت الرسالة ثم قدمتها الى حضرة
الاخ ففضها ونحن سكوت ثم تبسم معلنا نجاح المرحوم في

امتحان الحقوق الأخير نجاحا باهراً فحمدنا الله على ذلك

لبشدة ألمي واعتلال صحتي لأنك تعرف الميثاق الذي أخذته
على نفسي امام سيدي وأخي وكيف أعود الى مصر بلا
نتيجة وأقابه ؟ ان هذا لخزي كبير !

رفضت كلية باريس طلبي وبحسن مسعى هذين
الفاضلين حولت أوراقى الى كلية طولوز وقد قبل طلبي
امامها بعد جدال عنيف وقع بين مديرها الشرف بها والمدير
العامل سأحيطك به علما عند وصولي سالما فائزا اليكم

ولذلك تراني لم أعرف من طولوز غير مسكني حيث
اكديليل نهار وقد سقم جسمي ولكني سأغلب بمشيئة
الرحمن على كل شيء للوصول الى بغيتي. وقد عزمت أن أستمر
كذلك أزود القريحة بما هو مسطور في كتب السنة الاخيرة
لاني شاعر بحرب هائلة سيثيرها المدير الشرف على عندما أقم
بين يديه في الامتحان أو بين يدي من عضدوه في رأيه من
الاساتذة الممتحنين . فادع الله معي وأطلب من السيدة الوالدة
الدعاء الصالح حتى اجتاز هذه العقبة وأعود اليكم بقلب يجسر
بكل شرف ان يقابل ولي نعمته أخاه الاكبر بل أباه الصادق

في الامر طويلا ثم ساعده اامام كلية طولوز فنقل اوراقه اليها اولا ثم عرض طلبه على مجلس ادارتها وقد اشتد الجدل بين مديرها الشرف ومديرها العامل فالاول كان يرى في قبول طلب مصري لم يؤد الا امتحانا واحدا اامام كلية طولوز حطا من كرامة الكلية وعلى الاخص بعد ان رفضت طلبه كلية باريس التي لم تكن اقل من كلية طولوز قدرا . واما الثاني وهو المدير العامل فقد عضد الطلب تعصيذا كبيرا حيث صودق عليه باغلبية اصوات مجلس ادارة الكلية .

هنا قاسى المرحوم شدا ئد هائلة دفعته اليها قوة الارادة والاعتماد على النفس اذ قصد مدينة طولوز بعد ان اجيب طلبه واستاجر مسكنا لم يبرحه مدة عشرين يوما كاملة وهى الايام الباقية على ميعاد الامتحان وقد بعث الي بكتاب من مدينة طولوز طلب فيه ااشياء خاصة وقد جاء فيه مانصه :

« اما مسئلة امتحان السنة الاخيرة فقد صادفت في سبيل بلوغها عقبات كادت تودى بحياتي ولولا اني استعنت بالمسيو دروزاس والمسيو مولر ما وجدت لها حلا غير فنائى

ناظر مدرسة الحقوق الفرنسية في مصر والمسيو مولر استاذ الاقتصاد السياسى بها وشكا اليهما الأمر واستعان بهما بعد ان شرح لهما مركزه أمام شقيقه الأكبر واخوانه الذين كاشفهم بعزيمته فأظهر له عطفًا مشهورًا وأشفقًا على صحته ان تمس من جانب نشاطه بسوء فنصحاله بأن يؤجل الامتحان للسنة التالية حتى لا يخالف قوانين الكلية ولا يجهد نفسه اجهادا لا ينجم عنه الا الأثر السيء في صحته .

لو كانت هذه الصدمة الجديدة صدمت قطعة فولاذ لا هامة نفس لتأثرت وتصدعت ولكن الصعوبة في بعض الاحيان تشوق المرء الى اجتيازها لاسيما اذا كان الواقف أمامها مثل المترجم فإنه لم ييأس ولم ينهزم أمام تلك المصاعب بل أعاد الكرة وأح على أستاذه كل الاحاح وصرح لهما بأنه ان لم يكن يؤدى الامتحان في هذا العام فالخطر على صحته محقق اذ هو لا يؤثر الحياة على العود الى مصر بغير النتيجة التي قصد باريس من أجلها

ولما رأى استاذاه الفاضلان تمسكه بقضاء حاجته فكرا

الشائعات أمام الأهواء والاعاصير مكبرا ارادة هي العظمة والقوة بحيث لاتعوقها العوائق ولا تصدها المقادير .

أقول لامغاليا ولا غرض لى الا الصدق حاكيا ان تلك المصاعب لو قامت فى سبيل تيار زاخر لحولته عن مجراه وصدته عن مسراه ولكنها كانت أمام نفس ليست من طراز هذه النفوس . قامت تلك العوائق أمام نفس « مصطفى كامل » تلك النفس التى لاتنهزم فماذا صنعت ؟ كان موقف المترجم من أخرج مايكون اذا اجتمع عليه وعد واجب الوفاء وأمنية محتومة القضاء وصعوبة تقف بين الحيرة والوجل بنجوم السماء ولكنه لم يكل ولم يمل فكان مثله مثل القائد الحربى أحاطت به صنوف البلاء وصفوف الاعداء فلم يكن له بد من أحد موقفين اما الفرار اذا وجد اليه سبيلا واما التسليم اذا أجدها التسليم فتبلا ولكنه استطاع بمهارته الفائقة وعزيمته الصادقة ان يكتشف سبيلا للنجاة مما كان محذوقه من المشاق والمصاعب . فانه لجأ الى ذهنه فأعمله فيما هو بصدده فهدته صائبة الآراء الى استعانته به واستمداد معونة استاذيه الكبيرين السيد دروزاس

حسن الاستعداد الفطرى أو الكسبى أو من حيث هما معا بحيث تحدث فيها ألقاظ اليأس واستصعاب الامر ذلك الاثر فتفعل به انفعالا يجوز بها العوائق ويذني منها منال المقاصد قابل المترجم سعادة شقيقه وولى أمره وطلب منه ان يأذن له بالعود الى أوروبا ليجوز الامتحان فرضى بذلك وسافر ثانية اليها فى ٩ اكتوبر سنة ١٨٩٤ بعد ان خففنا عنه الحزن قليلا ورافقته الى الاسكندرية داعيا له بالنجاح وعند وصوله الى باريس قدم تواء الى مدير الكلية طلبا لتمضية امتحان السنة الاخيرة فدهشت ادارة الكلية لهذا الطلب لاعتبارات كثيرة أهمها ان ذلك مخالف لقوانينها التى لا تسمح لطالب أجنبي مهما كان جاهه ان يقضى امتحانين لسنتين فى سنة واحدة أمام كلية باريس فضاقت الدنيا فى وجهه لما لم يجد طلبه قبولاً من مجلس ادارة الكلية - ولكن هل قوى اليأس على فؤاده الكبير ؟

كلا

اكتب « كلا » وأنا معجب بعزيمة أثبت من الرواسى

في شيء بل قضينا المدة حزناً وأيننا وبكاء ونحيباً
ولما وصلنا الى البيت هدأنا روعه وخففنا عنه ألم
المصاب قليلاً وقصصنا له تاريخ مرض المرحوم ووفاته
أخبرني المترجم بعد ذلك انه كان أخذ على نفسه عهداً
أمام أخيه بأن يمضى الامتحان الاخير في شهر نوفمبر
ولكنه لم يحضر منه شيئاً الى الآن وأنه بين عاملين
يتجاذبانهم ومؤثرين يتقاضيانه عامل الحزن الشديد على
أخيه العزيز وعامل الوفاء بما أخذ على نفسه من عهد وقضى
بإنجازه من وعد ولكنه لا بد ان يتغلب على الاحزان ويمضى
رغم المصاعب ذلك الامتحان حتى لا يقال انه تقهر أمام
ارادة صاحبة كاشفها الكثيرين من اخوانه المصريين
المقيمين في باريس وقد بلغ من ظنهم صعوبة تمثيل تلك الارادة
عملاً محسوساً ان أحدهم وهو حضرة الفاضل كامل بك
فيضى قال له بصريح اللفظ (ان هذا مستحيل) فكانت
هذه الكلمة مؤثرة في فؤاده تأثيراً بليغاً
وكذلك ينقلب التحذير اغراء متى كانت النفس من

جاء منه تلغراف آخر هذا تعريبه

« اني مريض للغاية وفي حالة خطرة وسأبرح مرسيلا
السبت على الباخرة كليوباتره فأصل الاسكندرية الخميس
صباحاً ارسلوا أخي علياً ينتظرنى

« كامل

فسافرت ليلة الخميس الى الاسكندرية ونزلت بأحد
فنادقها وفي الصباح قصدت شاطئ البحر وسألت عن
الباخرة كليوباتره فقيل لى انها وصلت فى الفجر ونزل منها
كل الركاب فقصدت مكتب سكرتيرها وسألته هل بين
أسماء الراكبين كان « مصطفى كامل » فقال نعم فسألته عن
صحته فقال انه ضعيف جداً فاشتغل بالى به وعدت الى مصر
فلم أجده قد وصل اليها ولكنى استلمت منه تلغرافاً بقدمه
فى المساء فانتظرته على المحطة وكدت لأعرفه من التغيير
الذى طرأ عليه بسبب حزنه على أخيه . فأخذ يقبلنى وأقبله
وكل منايكى بكاء مرأحتى استبكينى الرائين من هذا المنظر الاليم
تركنا المحطة وركبنا الى البيت فلم يخاطب أحدنا الآخر

وكان الله أراد أن تكون هذه الرسالة آخر ما يسمعه
المرحوم من أعمال أخيه « مصطفى كامل » حيث فاضت
روحه الشريفة في الساعة الثامنة مساء ذلك اليوم يوم السبت
٨ سبتمبر سنة ١٨٩٤

وقد جاءني الناعي بالخبر فكنت أفارق الحياة لولا
لطف الله وفكرت في الحال في أخي صاحب الترجمة كيف
يكون وقع هذا الخبر عليه وما حسبته قد وقع فانه ما وصل المؤيد
باريس واطلع عليه المرحوم في قهوة السلام (Café de la Paix)
حتى سقط من طوله ولولا عناية اخوانه به وفي مقدمتهم
عمر بك لظني وأحمد بك زكي لساعات العقبى
أرسل المترجم في الحال تلغرافاً لسعادة شقيقه
الاكبر هذا تعريبه

« أصحیح مانشر عن أخينا عبد الفتاح

كامل »

فأرسلنا اليه الرد

« عليك بالصبر »

المقيمين في باريس لمأدبة حضرها النائب الشهير المسيو دي لونكل
وقد مدح جلاله السلطان في عدة مقالات مدحا
شائقا وقد كررنا جميعا جملة مرات « ليحيي الخليفة لتحيي
تركيا . ليحيي الخديوي لتحيي مصر » وقد أرسلت بذلك
تلغرافا للسيد جمال الدين بالاستانة »

الى هنا يقف القلم ولسان الحال يقول
ما كان في وسعي فقد آتيته واعدني أتيت بعض الواجب
باريس في أوّل شهر سبتمبر سنة ١٨٩٤

*
* *

مانشر المؤيد في يوم السبت ٨ سبتمبر هذه الرسالة حتى
أخذتها وقصدت المرحوم الدكتور لاقرأها عليه وأشرح
صدره بعمل أخينا الصغير ولما دخلت عليه وجدته في الم من
وطأة المرض فاردت أن أخفي الجريدة لألاطفه ولكن
سألني عما فيها فاخبرته فطلب مني ان أقرأها فابتدأت بقراءتها
وكنت كلما أصل الى نقطة من نقط الوطنية كان يظهر لي
ارتياحا كأن في كلمات المترجم بلسا مرضه

والحضرة الخديوية واجباً فقد أرسلت بالامس رسالة برقية بلغت كلماتها ١١٦ كلمة لمحبة مصر والمصريين « السيد جمال الدين » ليقدمها للاعتاب الشاهانية واليك تعريها :

« السيد جمال الدين بنيشان طاش بالقسطنطينية

بمناسبة عيد جلوس جلالة مولانا السلطان قد دعوت عموم المصريين المقيمين في باريس لمأدبة حضرها الموسيو ديلونكل النائب الشهير المعزوف بحبه لتركيا ومصر وقد مدح جلالة السلطان في جملة مقالات شائقة منها واحدة قالها الموسيو ديلونكل وهي في غاية الاهمية وقد كررنا جميعاً جملة مرات لتحيي تركيا . ليحيي الخديوى . لتحيي مصر »

ولما علمت اليوم ان سمو خديويتنا مقيم بكورفو أرسلت له تلغرافا بلغ ١٠٩ كلمات واليك ترجمته :

« سمو خديوى مصر بكورفو

مولاي الجليل

بغية منى في اظهار اخلاصنا للعرش الشاهاني دعوت أمس بمناسبة عيد جلوس جلالة السلطان اخواني المصريين

لتحى دولة « عثمان » التي بلغت

من السمو مكان الشمس والقمر

وليحى للملك بدر الملك موثنا

« عبد الحميد » حميد الرأى والفكر

ولتحى « مصر » وأهلوها بحكمته

ويبلغ « النيل » مايرجو من الوطر

وليحى « عباسنا » المحبوب مرتقياً

اوج المعالى بحسن الفكر والنظر

وعلى ذلك تم الاحتفال بين التهليل والتصفيق والسرور

والإبتهاج وعندئذ جاءني أحد محررى شركة هافاس

التلغرافية وأخذ منى كل التفاصيل لنشرها في الجرائد

ولما حان وقت الانقضاء استأذن حضرة النائب

فشيغناه بما يقتضيه مقامه السامي وذهبنا جميعاً الى السفارة

العثمانية فلاقانا حضرة سكرتيرها أحسن الملاقاة وأكرمنا

أجل الأكرام حيث مكثنا بها قليلاً ثم عدنا من حيث أتينا

ولما كان ارسال نبأ هذا الاحتفال الى الاستانة العلية

الفاضل الشيخ محمود أبو النصر وألقى خطاباً بليغاً ذكر فيه ما كان للدولة العلية من القوة والمكانة في الاعصر الماضية وما سيكون لها في آتي الايام من المستقبل الكبير بهمة سلطاننا وخليفتنا الكريم ثم أثنى على النائب الفاضل وشكره شكراً جميلاً وحمد مصر وشيبتها ونهضتها ودعا للخليفة بطول العمر والبقاء واسمو العباس بالحياة الطيبة ونيل الآمال . ثم قام بعده حضرة النائب وألقى خطبة أنعم بها من خطبة أثر بها في قلوبنا وجمع نحوه أفندتنا فهو والحق يقال خطيب مصقع حزم الكل بقوته وعظيم تأثيره واني سأفرغ خطابه رسالة خاصة اذ انه يشتغل الان بكتابته بقلمه المجيد

وما فرغ من خطابه الرشيق حتى قمت وشكرته بالفرنساوية شكراً يليق به وبمقاله وكذلك شكره حضرة مواطننا الفاضل « حلوه أفندي » وكافة الحاضرين

ولما أخذت الحفلة غايتها وجاءت الساعة الرابعة بعد الظهر قمت واختتمتها بالآيات الآتية

المصريين على الاجتماع وعيد اظهار حبهم واخلاصهم لخليفتهم
وعيد تشرفهم بالاجتماع مع نائب فاضل كامل يكفي قبوله
لدعوتنا على الدلالة بانه من المحبين لنا المخلصين لمصرنا تلك
فهي وحقكم أعياد عديدة ظهرت في شكل عيد واحد اتفقت
فيه الاحساسات وتوافقت الشعائر فلا بدع ان قلنا جميعاً «ليحي
الخليفة ليحي الخليفة»

واني أقتصر في هذا المقام على ان أقول لكم اننا معشر
الشبان مستقبل أوطاننا وبيدنا سعادتنا وشقاؤنا وان لمصرنا
حياة ستلبسها بعد قليل من الزمان فان شئتم ان تسعدوا هذه
الحياة فلتتحدوا جميعاً ولتعملوا بسكون وحكمة حتى ننال
بغيتنا ونسعد بلادنا

هذا واني أسألكم ان تشكروا هذا النائب الذي
باجابته لدعوتنا أثبت مكانة حبه لنا واخلاصه لبلدنا وان
تقولوا «ليحي الخليفة لتحى تركيا ليحي العباس لتحى مصر
أبد الزمان»

وما جلست بعد الخطاب حتى قام صديقي الاستاذ

فكان لها أحسن تأثير بيننا إذ دلت حقيقة على ان عموم
المصريين وان ابتعدوا عن بعضهم ونأى مزارعهم فأنهم
متجدون قلباً واحساساً

وما جاءت الفاكهة في آخر الطعام حتى قمت واقفاً
وقلت بلغتنا الشريفة العربية « وحضرة النائب يفهم لغتنا
حق الفهم »

أحبائي الاعزاء

انى أهنيكم وأهنىء نفسى بهذا الاجتماع السعيد الذى
نتقاسم فيه سرورنا بمجىء عيد جلوس جلاله سلطاننا الاعظم
على الاريكة العثمانية وانى لأستطيع أن أقدر لكم ممنونيتى
من اجابة دعوتى كما انى لأقدر السرور الذى يخلج فؤادى
وغاية ما أقوله ان ما تشعرون به من الارتياح والانشرح
هو عندى فالاحاساسات واحده والشعائر متوافقة
لاختلاف فيها

وليس عيدنا هذا فى الحقيقة عيداً واحداً بل أعياد
متعددة عيد جلوس اعظم الخلفاء العثمانيين وعيد اتحاد

اليوم ٣١ أغسطس « حتى شرفني المصريون بالملابس الرسمية في داري التي كان يخفق عليها العلم العثماني الجليل فاستقبلتهم بما يليق بمقامهم من التجلة والاحترام وما جاء وقت الزوال حتى جاءت العربية المقله لحضرة النائب المفضل « الموسيو ديلونكل » فاستقبلته من باب البيت وصعدت معه الى قاعة الاستقبال حيث قدمت له اخواني واحداً بعدواحد فشكرهم وأظهر ممنونيته من التعرف بهم ثم انتقلنا الى قاعة الاكل فأجلستهم في المحلات التي أعددتها لهم ودارت أصناف الطعام ودار حلو الكلام وبينما كنا نتحدث مسرورين من هذا الاجتماع السعيد واذا برسالة برقية وردت باسمي من حضرة مواطننا الكامل محمد بك حسنى يكن بالنيابة عن جميع المصريين المقيمين الآن في ديب واليك تعريها

« ان قلوبنا معكم ترسل الدعاء للسفارة التركية ومصر

وجلالة السلطان وسمو الخديوى

« بالنيابة عن المصريين »

(حسنى)

لمصر وأهلها وقد أعقبني الكثير من الخطباء المجيدين أذكر منهم صاحبنا الفاضل محمد أفندي أسعد فانه موافقة لرغبة صاحب الحفلة قام وألقى خطبة شائقة بدأها باللغة الفرنسية وختمها باللغة الشريفة العربية داعياً لجلالة السلطان الاعظم واخديوى الاكرم وكذلك قام حضرة الماجد حسين أفندي صبرى وناطق بمثل هذا المعنى والناس منشرحون من رؤية المصريين في صدر القوم يظهرون اخلاصهم انفرط لجلالة الخليفة ومزيد تعلقهم بسدته الشريفة أبقاه الله حجة للانام وكعبة للاسلام وقد انتهت الحفلة على مايرام بعد ما قام حضرة الفاضل محمد أفندي أسعد ونادى بصوته العالى « باد شام جوق يشا » فنطق الكل بما نطق حضرة به مصنفين له مظهرين الفرح والرضاء

وقد انتقل القوم بعد ذلك الى قاعة أخرى أعدت للرقص والغناء وهكذا دام الحضور فى السرور والانشرح قائمين قاعدين حتى أشرقت الشمس وتنفس الصباح وما جاءت الساعة الحادية عشرة من اليوم التالى « أمس

حرفياً :

« ليسمح الحضور لصاحب جريدة مصرى جاء باريس
زائراً أن يظهر بالاصالة عن نفسه وبالنيابة عن كافة مواطنيه
احساسات الحب والاحترام المتبادلة التى تربط المصريين
بالفرنساويين وان يؤكد لكم كل التأكيد ان المصريين
لا ينسون جميلاً بل يذكرون كل ما يؤديه لهم الغير من الخير
وانا معشر المصريين نعدسعداء الطالع لرؤية فرنساويين
يحتفلون بمزيد الانشراح بعيد خليفتنا المحبوب السلطان الجليل
القدر « عبد الحميد خان الثانى »

واني باسم جميع المصريين الذين علقوا بجلالته كل آمالهم
أسألكم أن تشربوا على صحته واني واثق من انكم توافقوني
كل الموافقة اذا سألتكم ثانية ان تعقبوا الشرب على صحة
اخليفة بالشرب على صحة أميرنا الهمام « عباس حلمى باشا »
هذا ما ذكرته أمام العموم وما كنت أتم جملة حتى توضع
الراحة على الراحة ويدوى التصفيق من كل مكان بعلاوات
الاستحسان ويعلم الله ان استحسانهم لما أقول حب منهم

مرات عديدة نالت فيها الاستحسان التام والتصفيق العام
وما بدىء بالفأكة حتى ابتدأت الخطابات وقام الخطباء
البلغاء من كل جهة يذكرون محامد الحضرة السلطانية ومكانتها
في الشرق والغرب وما لها من بعد النظر في السياسة متخلصين
من ذلك لذكر روابط مصر الحالية الوثيقة العرا مع الدولة
العثمانية مادحين سمو العباس أحسن مدح مثنين عليه أجمل
الثناء وقد كان في مقدمة الجميع المسيو « ميل فو » أحد
النواب السالفين فقام وحمد الحاضرين وشكر الداعين وذكر
السلطان ذكراً جميلاً وتكلم على مصر طويلاً مما كان له
حسن الوقع عند العموم

ثم أعقبه الواحد بعد الواحد حتى وصلت نوبة الكلام
الى وقد كنت أخبرت بذلك من قبل فقام أحد الكتّاب
الفرنساويين المجاورين لى وقال « ليصغ الحاضرون خطابة
صاحب جريدة (المدرسة) المصرى » فوقف كل من بالمكان
وصفق تشجيعاً للخطيب ولقد صعدت على كرسي والقيت
خطاباً بالفرنساوية كنت كتبتة من قبل واليك ترجمته

ووددت لو دام اخلاصه لدولتنا العلية فلم يمض الا قليل حتى دعا مواطنى الذين لم يتأخروا عن الذهاب فى الميعاد المحدود فما جاءت الساعة السابعة الافرنكية من مساء الخميس حتى أقبلت علي محل الاحتفال العربات من كل جانب والمصريون فيها كالبدور يتلألئون نورا وبهاء وهم بملابسهم الشرقية الرسمية زينة الحفلة وزهرة الاجتماع ولم نمكث قليلا بعد دخولنا حتى دعينا للعشاء فدخل النساء ثم الرجال لقاعة متسعة نصبت فيها الموايد العديدة جلس عليها نحو الثلاثمائة شخص كل في مكانه المخصص له وقد كنت تأخرت عن الدخول قليلا لاشتغالى بالتكلم مع أحد رجال المطبوعات فجاء حضرة الكاتب الشهير المسيو شينيل أحد محررى (الجرنال) وأجلسنى أمامه وكان على مقربة من يمينى « نورى بك » أحد كبار رجال الدولة العلية وعلى يسارى جملة من أصحاب الجرائد الخطيرة وقد بدىء بالأكل فى الساعة الثامنة واستمر لنحو العاشرة والقوم يتحدثون حديث الحب والوداد وقد شنت الموسيقى أسماعنا بالسلام العثماني والدعاء المرضى الشاهاني

المليّة ماملأ فؤادى سرورا وجعانى أقضى الليل والنهار
فى تقبيل كتابتهم وأضرع لله سبحانه وتعالى أن يكثر فى مصر
من أمثالهم ويبقى روح هذه النهضة الوطنية سمو خديونا
المحجوب

ولما كئنا نود ان يحضر هذه الحفلة رجل من كرام
الفرنساويين المخلصين لمصر المدافعين عنها حتى يعلم كل
انسان اننا لانسى الجميل أبداً واننا نعرف لمن يحترمنا بمزيد
الفضل دعوت النائب الشهير والمستشرق الفاضل الكريم
الموسيو فرنسو ديلونكل أشهر مشاهير أعضاء مجلس النواب
المعروف عند الجميع بحبه لمصر وأهلها وشدة دفاعه عن مصالحها
وقد كنت تشرفت بمعرفته من قبل فقبل الدعوة حفظه
الله بكل سرور وامتنان

وقد كان زارنى (صاحب جريدة الشرق) عند
حضورى الى باريس وأخبرنى أنه سيحتفل فى مساء الخميس
٣٠ أغسطس سنة ١٨٩٤ بعيد الجلوس المائوس كجارى عادته
السنوية وأنه سيدعو كل المصريين فخدمته أطيب الحمد

خليفة ملك بعد له الرقاب وجمع اليه الافئدة الا وهو جلالة
السلطان الغازى « عبد الحميد خان » اذ لاشك ان المصريين
هم اصدق الامم جميعا للحضرة السلطانية واول المخلصين المقدرين
لحب جلالة الخليفة لوطننا العزيز وخدويونا المحبوب وقد ازداد
تعلقى بهذا الفكر من يوم الى يوم حتى اراد الله اظهاره من
القوة الى الفعل فشاورت جميع المصريين فاستحسنوه كل
الاستحسان واقروا جميعا بأن هذا العمل واجب وانه
لا يلقى من المخلصين عموما والمصريين خصوصا الا رضاء
فشرعت متوكلا على الله وقلت فى نفسى لاشك ان حبنا
لجلالة الخليفة أمر مشهور وان احتفالا مثل احتفالنا سيثبت
لكل انسان ان فى المصريين احساسا صادقا يستطيعون
اظهاره للوجود واعلانه للعالم اجمع دون ان يهابوا عدواً ما كراً
أو حسوداً غائراً

ولذا ارسلت لكل اخوانى المصريين ادعوم لمشاركتى
فى هذا الاحتفال السعيد فلبوا الدعوة جميعا بكل سرور
وانشراح مظهرين لي فى اجابتهم عن الغيرة الوطنية والحمية

الى بروكسل ومنها عدنا الى باريز والسلام

باريس في ٢٢ أغسطس سنة ١٨٩٤

« مصطفى كامل »

كنا نقرأ هذه الرسالة في تلك الليلة والمرحوم يقيم في باريس الاحتفال بعيد جلاله السلطان لأول مرة جرى فيها احتفال من هذا القبيل وقد جاءت تفصيلات هذا الاحتفال العظيم في رسالة نشرتها جريدة المؤيد والاهرام في عددهما الصادر في ٨ سبتمبر سنة ١٨٩٤ كما ان التلغرافات العمومية تناقلت علي لسان البرق نبأ هذه الحفلة مما كان له عوى كبير في الدوائر السياسة وهذه تفاصيل الاحتفال

الرسالة السادسة

﴿ الاحتفال بعيد جلاله السلطان ﴾

« قد جئت هذه العاصمة الزاهرة وعلمت اقتراب موسم عيد الجلوس المأموس وأناأ ففكر في اقامة حفلة خاصة بالمصريين يحتفلون فيها بهذا العيد السعيد الذي يذكرنا جلوس

اقامته الحكومة البلجيكية تخليداً للواقعة وتذكراً (لولنجتون) يصعد اليها بسلم كثير الدرجات صعداً وشاهدنا الساحة زمناً مديداً فلم يكن ليدهشنا فيها شيء لانها لا فرق بينها وبين سائر الغيطان الا أننا تذكرنا غابر الايام وسالف العصور وتلونا في عالم الاقطار صحف التاريخ فبدت لنا الحرب بابشع صورها وأقبح مناظرها ووددنا كما ود قبلنا من طلب للانسان غايات النعيم لو هلكت الحرب وعدم التباغض وأصبح التاريخ يقص أنباءهما كما يقص نبأ تمود وعاد ولكنها أمنية بعيدة التحقيق فلقد أمسى هذا البلاء الدائم والشقاء القائم ذا قانون مسطور وناموس مشهور يقرأه القارىء في علاقات الدول وروابط الممالك في القانون الدولي فهو قسم ليس بالشيء اليسير

ولقد لبثنا بهذا الميدان الجدير بأن يسمى (خزان الدماء) مدة ساعتين ونحن نعيده نظرة ونغير الليث نظرات ثم عدنا الى المحطة والاطفال تجرى خلف العربة تطلب الاحسان (كالشحاذين في طريق الاهرام) حتى اذا ما بلغناها سافرنا

الصحیح ولم تدر حقيقة وجودها الا مساء يوم واترلو فان
تلك الساعة الحمراء (ويسميا الحمراء لاجرار الافق بها)
أوقفت كل دولة أوروية على أنها كفرنسا مستقلة لا يجسر
ذوأمل مثل نابليون على مهاجمتها)

وبديهي أن أوروبا بعد انهزام نابليون لم تعد تهاب
القتال أو تخاف المذابح البشرية فلقد ختمت جمعاء بمذبحة
واترلو التي سالت فيها الدماء مختلطة ببعضها اختلاط الماء بالماء
ومن ثم اكتسبت واترلو شهرة لا تجارى على انها
أرض جرداء وان كانت اليوم خضراء فلقد أصبحت ملتقى
السياح يأتونها من كل صقع وبلد بقصد رؤيتها ونظر ساحتها
وقد زاد تواتر الزوار اليها من يوم وصفها الكاتب الطائر
الصيت (فيكتور هوجو) في مؤلفه الميزيرابل (البؤساء)
ولذا عدت زيارتها واجبا لاسيما وينها وبين بروكسل
مسافة يقطعها البخار في نحو أربعين دقيقة

وصلتها بعد الظهر بساعتين صحبة رفيق العزيز وقصدنا
ميدانها فاذا هو ساحة كبيرة خضراء في وسطها تمثال ليث

وزمن الشقاء والغناد واستغفر لربه من دم اسالته الاطماع
وأهرقته محبة النخار فسمع اذذاك من دوى المدافع وصوت
المواقع انه أراد من الشقاء هناء وطلب من الدماء علاء
فاعتدى على الانسان فى كل بقعة ومكان حتى شكته لربها
صم الكائنات وصوامت الموجودات فبعث وهو الرحيم على
عباده الى (واترلو) رجالا اسعدوا الامم بانهمز ام مشقيها وأراحوا
العباد بالتغلب على متعبها ومبايها فهرب من الفرنسيس رجال
طالما هرب الدهر امامهم وفر من وجوههم خيفة الايقاع
به والاعتداء عليه على أنه مجرى الايام وممر الحوادث

نفسف هذا البدر العالى والكوكب المتلالى فى يوم
مشهور كان من اكبر أيام التاريخ وأعظمها فيه فازت أوروبا
المتحزبة بالقدح المعلى على حين الخذال فرنسا على يد رجلها
الخطير وفارسها الشهير الذى طالما نصرها واعلى شأنها ولولا
واترلو لباتت به فرنسا سيدة أوروبا المستعمرة لها النافذة
الامر فيها المتصرفة فى أقسامها تصرف المالك الحر فى املاكه
ولقد صدق من قال وأحسن المقال (لم تعرف أوروبا مركزها

الكبير والطود الخطير الذي اهتزت له الارض من مشارقها
الى مغاربها ولهجت بذكره الالسننة أصغرها واكبرها
فانتقته الحروب فارسها والنصرات نائلها والاطوان حاميتها
وناصرها وجرت الايام طوع بنانه والحوادث رهين مراده
فلم تستطع مخالفة ولم تقدر على معاكسة بل دام رب السيف
والقلم وامير الممالك والعواصم أمره الامر وارادته الفعل
والنهي وجرت مشيئته كمشيئة الاقدار وبغيته كبغية الايام
والامصار حتى ظهرت له (واترلو) بوجهها العبوس وميدانها
المشئوم المنحوس تعلقه بافول بدر سعوده وتندره بغروب
شمس علائه جئدت له الجنود والجيوش وجمعت الاسنة
والرماح وقابله مقابلة العدو الالذ والخصم الاشد ونظرته
نظرة الدهر لعطاء الرجال وكبار الابطال واحتقرته احتقار
الفيلسوف لرجال الحرب أمثاله ومهرقي الدماء اشباهه
فهزمت منه أقوى الرجال قلباً وأشد الفرسان مراساً وأعظم
العظماء فكراً ورأياً فطأ تلك الساعة رأسه وعلم أنها ساعة
الانقلاب واز الزمن زمان متناقضان زمن السعود والاسعاد

جاء يوم السبت اول سبتمبر سنة ١٨٩٤ حيث كان
المرحوم الدكتور في حالة تبشر بشفاؤه فتاقت نفسه لمطالعة
جريدة الاهرام فانتظرت وصولها ليلا وأحضرتها اليه وبعد
ان قلبتها رأيت فيها رسالة للمترجم على « واترلو والمذبحه
البشرية » فقرأتها على المرحوم فاخذ القلم وكتب لاخيه كتاباً
شكره فيه على مشاركته على العمل أما الرسالة فهي بنصها

الرسالة الخامسة

(واترلو والمذبحه البشرية)

« حبيت اليّ واترلو أن أحدثك اليوم بحديث الاولين
وأبنائك نبأ السالفين وأقص عليك أحسن قصص التاريخ
فاذكر لك حوادث الرجال مع الايام وحوادث الايام مع
الرجال وأشهدك هذه الاعمال الغراء وتلك المآثر السماء التي
فاخرت الشهب والسماء وحفظت لذويها لدى التاريخ ما يحفظ
مجد هذه الايادي البيضاء من أن يراق عليه دم الحسد وانكار
العلاء واطرد معك الحديث الى ذكر نابليون ذلك الرجل

الجنود في جميع حرركاتهم وسكناتهم

هذه رسالتي على معرض انقرس كتبتها ليقف القراء على ما بهذا المعرض الخطير من المعروضات ولم أستطع الشرح والتفصيل لضيق الوقت ولان كل شيء في المعرض يحتاج وحده لرسالة كاملة ولست أقصد في رسائلي شيئاً آخر غير ما يراه العيان علي قدر الامكان حتى تكون الرسائل كصور المصور تظهر للرأي من الاشياء مظهرها الصادق قياما بواجب السياحة الذي يفرض على السائح (كما يقول العلامة بسكال) ان يقرن واجب الرؤية بواجب الكتابة والاعخبار

والقارىء لهذه الرسالة الرابعة يرى ان أوروبا تمثل في هذه المعارض الخطيرة اكبر الاعمال وأشرف الخصال الدالة أوضح دلالة على مقام الانسان واما الشرق (وياللاسف وطول الخجل) فلا تمثله الا قهوات للرقص جمعت في باطنها أسفل الناس وواضع المخلوقات والسلام

انقرس في ١٣ أغسطس سنة ١٨٩٤

مصطفى كامل «

وشدة غرامهم بالصناعة

وأمام قسم المانيا قسم انكلترا وهو فائض بالمصنوعات الحديدية والمعدنية التي نذكر منها أنواع العجلات والفوليسبيد التي لا توجد في غيرها والتي لا يستعملها في الغالب الا أهلها وآلات الكتابة ومطابع اليد التي تصدرها لأغلب البلاد وبه غير ذلك المشروبات الروحية بأنواعها ونخص بالذكر منها الوسكي المملوء به قسمها وهي مشهورة بصناعته من عهد بعيد ويلى هذا القسم البريطاني قسم كندا وكل مابه من محصولات زراعية عديدة الانواع

وتنتهي المخازن كلها بقسم الفنون الحربية الذي يأتي بعد قسم كندا ويشتمل باطنه على المدافع القديمة والحديثة والاسلحة والآلات الحربية التي لم يخترع الا للجمع بين حماية الانسان وسفك دمه . وفي وسطه ترى عموداً من الاسلحة القديمة على جوانبه تماثيل أربعة فرسان من فرسان العصور الخالية

وبجوار هذا القسم العسكري ترى منظرًا حربيًا بصور

الباب العام لكل المخازن ولا يرتاب القارىء في أن
معروضات هذا القسم اكبر وأعظم من معروضات غيره فهو
حقا المقصود بالذات فلقد تقدم فيه وحده ٤٠٠٠ عارض
وعرضت فيه أنواع الفحم الحجري (ولا يخفى عن القراء ان
بلجيكا تعد في مقدمة البلاد التي يستخرج منها الفحم الحجري)
والمعادن المتنوعة والعربات الجمّة وأمتعة الزينة التي تفوق
الحصر والعد والرواح المقطرة أحسن تقطير وقصارى القول
ان فيه أجمل المصنوعات البلجيكية وأدقها

وفي آخر هذا القسم أمام الباب العام للمخازن أقيم
القصر الهوائي الذي طالما حدثتني نفسى برؤيته والتمتع
بالاقامة فيه ولو بعض دقائق ولكنى عند ما وصلت اليه
تنفست الصعداء وعلتني حسرة وكآبة لعدم فتح أبوابه لأن
فتركته متمثلا بقول القائل « ما كل مايتمنى المرء يدركه
وسرت في هذه المخازن الهائلة متنقلا من بلجيكا الى
المانيا حيث رأيت فيها مجموعة من الآيات في غيرها من أحقر
المصنوعات وأخطرها مما يدل على اجتهاد أهل هذه البلاد

ويلى كل هذه الاقسام من جهة اليمين قسم النمسا
والمجر وبه غير رسم (فيوم وتريسنا وبحيرة بلاطون) كافة
أنواع الملابس النمسوية (التي تلبس منها) والحلل والجواهر
النفيسة

ومن جهة اليسار قسم الدولة العلية وبه الطباق الاسلامبولية
الجيدة والمنسوجات التركية الثمينة وبعض المصنوعات
الشرقية

ثم قسم ايطاليا وأخر مابه التماثيل الصغيرة التي من
الرخام الابيض والحرير المختلف الانواع ثم قسم روسيا ويشتمل
على أجناس الفراء الثمينة التي يعتبرها الروسيون أنفس مصنوعاتهم
وبجوار هذا القسم قسم فرنسا وبه أعظم مصنوعات
مدائها المشهورة فهو يشتمل على أمتعة المنازل وأشياء الزخرف
والزينة وأنواع التماثيل ولعب الاطفال وبالجملة كل شيء
امتازت به فرنسا عن غيرها ولا تنس الحريري اليوناني فانه زينة
القسم وحليته

ويليه قسم بلجيكا وهو موضوع أمام القبة التي بها

ثم قسم المستعمرات الفرنسية وبه معروضات الجزائر
وبعض بلاد الشرق الاقصى

ويأتي بعد هذا قسم أمريكا وبه من لوازم الاثاث
وأدوات الكتابة والطبع شئ كثير

وعلى يمينه معروضات لسبيريا والعجم وبلغاريا وعلي
يساره معروضات اليابان ومقاطعة الكسمبرج واسوج
ونروج ويلى كل هذه المعارض التي يضيق المقام عن شرح
معروضاتها قسم السياحة وبه العدد العديد من الخرائط
والرسوم والاعلانات المتعددة من قبل كافة الشركات البحرية
وبه منظر يشتمل على عشرين صورة تقريبا تمثل صور المراكب
والسياح فيها وقاعات النوم والاكل وصور السفان الكبيرة
والصغيرة وهي في وسط البحر تلعب بها الامواج وصورها
وهي داخلة الميناء وخارجة منه وما يشابه ذلك مما يلذ البصر
ويطرب الفكر

وعلى يمين هذا القسم البحري ترى قسم اسبانيا والبرتغال
وعلى يساره سويسرا ورومانيا

اليسار بين أشجار دانية ظلالها متدلية أزهارها تراها في الليل
وقد انتشرت الاضواء بين أغصانها وتوزعت على فروعها
كأنها عرائس رصعت صدورهن بالدر والمرجان وزينت
بزينة المهرجان فحفظت الابصار بحملها وسلبت العقول بدلها وجمالها
متى زرت كل المعارض الصغيرة (أو المعروضات على
رأى بعضهم) تجد أمامك آخر ضلع اليمين في زاوية المخازن
وبه قسم الآلات والكهرباء وهو أكبر الأقسام اتساعاً قدرت
مساحته بـ ٢٢٠٠٠ متر مربع ومتى دخلت من بابه سمعت
دويًا أشد من دوى المدافع وشاهدت نوراً وناراً يظهران
من كل جانب ويبرقان من كل ناحية ولا عجب ان كان
هذا القسم أهم أقسام المخازن وأكبرها فانما هو أول قسم
يمثل الصناعة البلجيكية ورجحانها على غيرها وخصوصاً في
سبك الحديد وصناعة الآلات الضخمة

ويلى هذا القسم قسم هولاندا ومستعمراتها وبه عرضت
الشكولاتا وأنواعها واللوز الهندي والهندباء والقهوة والسكر
وما يحاكي ذلك من الأشياء التي تفردت بها البلاد المنخفضة

مختلفة ومساكن سودانية عديدة وبحيرة جميلة وأعشاب كثيرة
وكهوف من النقش كبيرة

وعلى يسار هذه القرية بنيت سراى الكونغو وهى
لم تفتح للآن

وعلى يمين القرية ترى متحفًا للفنون الجميلة خلفه متحف
آخر لا يمتاز عنه إلا بكثرة نقوشه ورسومه المعروضة من قبل
أهم الدول الأوروبية

وتحت المتحف الأول معرض الحيوانات البحرية المختلفة
والاسماك المتنوعة السابحة فى المياه كسباحتها فى البحار

وخلف هذه المناظر الجميلة ترى قبة طائرة كقبة المعرض
اليوناني بجوارها مكان متسع الأرجاء والانحاء أقامه أحد

الضباط الأمريكان المسمى بويتون وجعله أشبه بالجبال
الروسية من حيث ارتفاع بعض نقطه وانخفاض البعض الآخر

إلا أن هناك بركة تسير فيها السفن صاعدة نازلة كأنها
العجلات فى جبال الروس

وكل هذه المعروضات والمناظر موضوعة كمعروضات

وعلى يمين هذا العمود الشاهق الارتفاع ترى مكاناً
فسيحاً تباع فيه مصنوعات أمريكية من أدق مصنوعات
العالم الجديد وعلى مقربة منه ترى حى مدينة انقرس القديمة
المعتبر عند البلجيكين أكبر آية فى المعرض لكونه يمثل لهم
هيئة مساكنهم وأسواقهم ومطاعمهم وزينهم وشكلهم فى
القرن السادس عشر

والداخل فى هذا الحى يرى شكل مدينة انقرس القديمة وأبنيتها
المنخفضة الغير المنتظمة وكنائسها العتيقة ومدافنها ومساباتها
(وبرصها) وأسواقها وما يشابه ذلك مما يمثل الايام الغابرة وأهلها
أحسن تمثيل لاسيما عند ما يرى الزائر كل ما بالحى من رجال
ونساء زينهم الزى القديم وخطابهم اللغة الفلمنكية المهجورة
وخلف هذا الحى ترى منظر جبال الالب وعلى قممها
الثلج المستديم وتحته الرياض النظرة والحقول المزدهرة مما
يستميل فكر السائح لزيارة هذه الجبال التى يسجد لها متها السحاب
وبعد هذا المنظر البهيج ترى قنطرة نصف مستديرة
تحتها قرية الكونغو وهى قرية سوداء تشتمل على أكواخ

رأس زاوية المخازن) وهي سراى كبيرة جميلة بها قاعة متسعة
معدة للاحتفالات الرسمية التى تقام فى المعرض (أقيم
فيها أخيراً احتفال الجرائد) وهي تسع ستة آلاف شخص
وبجوارها مطعم (أو مقضم أو مقشم كما تشاء) هو أكبر
مطعم فى المعرض

وامام هذه السراى ترى عموداً مرتفعاً تحقق عليه الراية
البليجيكية كتب عليها بالفرنساوية (كريخ) أقامته الشركة
المسماة بهذا الاسم اعلاناً للعموم بانها أول شركة بليجيكية
تستخرج عصارة اللحوم وهذا العمود يبلغ ارتفاعه فوق
الستين متراً وقد علمت ان ما انفق عليه يكفى لان يكون
رأس مال لشركة مهمة مما يدل على ثروة شركة (كريخ)
وانه لا يضرها اتفاق مبلغ طائل كالذى صرفته على اقامة هذا
العمود لتوقف الناس على قدرها وأهميتها

وقد سميت الشركة بهذا الاسم نسبة لطبيب بليجيكى
شهير اشتغل زمناً طويلاً فى البحث عن وسائل تحسين
عصارة اللحوم

شيئا آخر غير الرقص والغناء

وبجوار الشارع المصرى قهوة رقص مراكشية امامها
حتى الجزائريين والتونسيين وبه ملعب جزائرى وباعة
تونسيون وجزائريون وفي وسط هذا الحي أقيمت فسقية
كهربائية تضاء كل ليلة

ويأتى بعد حي الجزائر المعرض التاريخى للبلاد البلجيكية
وبه اثنا عشر منظرا يرى منها الزائر ان البلجيكيين يعتبرون
مبدأ تاريخهم ثورة عام ١٨٣٠ التي نشأ عنها استقلال بلادهم
وتمتعهم بحريتهم وأهم هذه الصور صورة هياج الناس من
مبدأ الثورة بملعب (المسكوكات) وصورة دخول ليوبولد
الاول ملك البلجيكا السابق الى مدينة بروكسل من باب
(لاكن) وصورة تحليفه اليمين وصورة الاحتفال بالسنة
الخامسة والعشرين من حكمه الى غير ذلك من المناظر التي
تمثل أعظم حوادثهم وأكبر أيامهم

هذا أهم ما يراه الزائر في جهة اليسار وأما جهة اليمين
فاحق شيء بالذكر فيها سراى الاعياد (الموضوع في تجويف

والسكنات

وبعد المعرض الانامى يأتي الشارع المصرى وبه الباعة
المصريون وسائقو الحمير الذين يتعاطون الحشيش فى كل
وقت حتى فى هذه البلاد الغربية وبه غير ذلك قهوة رقص
مصرية رحب بنا أهلها كل الترحيب وان تكن زارتنا الحسرة
من زيارتها ورؤية بناتها

هذه هى مشتملات الشارع المصرى وأما هيئته العمومية
فمصرية لا تختلف عن هيئة أكثر شوارعنا القديمة

ولا شك ان الزائر لهذا الشارع يهزأ بنا ويسخر منا
حيث لا يرى أمامه الا نقيصة تنطق بتأخرنا وتعلقنا بدنايا
الامور مما يجعلنا نستنهض همم كبار تجارنا لتشريف هذه
المعارض المهمة وعرض مصنوعات البلاد وأنسجتها عوضا عن
عرض هذه النقائص الظاهرة للعيان

وامام الشارع المصرى معرض للزجاج وبجواره سراى
شرقية بها قهوة رقص عربية (كأن الشرق لم يشتهر الا
بالرقص) أقيم امامها محل بدوى به بنات عربيات لا يأتين

يبيعها جماعة من أصحابها وبجوارهما ملعب (سورى) كما عينا
المصرية يليه منظر خلوات أفريقيا الوسطى وبها ترى السائح
الشهير (استانلي) جالساً بين الاعشاب الجملة والاشجار المختلفة
يتحدث مع أمين باشا الالماني فى شأن العودة الى مصر
والاهلون منتشرون رجالا ونساء

وعلى يمين هذا المنظر الافريقى ترى ملعباً اناميا كالملاعب
المقام فى معرض ليون زرتة فى الليل مع رفيق وحضرنا فيه
تمثيل رواية لاأضن على القراء بذكر ملخصها الذى وزع
علينا بالفرنساوية وهو (رزق أحد ملوك بلاد الانام بنتا
جميلة أرادها زوجها لاحد أبناء الملوك المجاورين له وكان لهذه
البنت أخ يبغض هذا الملك وابنه فدبر لهما مكيدة ودعاها
لوليمة اختتمها بسجنهما والاستعداد لاعدامهما لولا ان جاءت
أمه واستغفرت لهما عنده وطلبت العفو عنهما فعفا وأقيم
مهرجان الزواج كما أراد زوجها) هذه هى أجل رواية لديهم
يعتبرونها مثالا للبلاغة حضرنا تشخيصها وسمعنا كلامهم
المقطع الذى يجتمع مع لغة الحيوانات العجم فى أغلب الحركات

المعروضات بحسبها وجمالها

وأما معرض انقرس فيمتاز بالحركة الدائمة فيه وكونه في الحقيقة معرضاً دولياً تنقسم مخازنه (التي تشابهه من معرض ليون القبة الجامعة لاحتوائها على أهم الأشياء المعروضة) الى جملة أقسام في كل قسم منها معروضات دولة من الدول حتى صارت ككتاب يقرأ الزائر فيه مكان كل دولة أوروبية من التقدم في التجارة والصناعة فهي تعتبر المعرض نفسه وما تعداها يعتبر زوائد كزوائد المعرض الليوني

ولهذا المعرض الدولي البلجيكي جملة أبواب منها باب متسع هو أهمها متى دخل منه الانسان رأي أمامه قبة صغيرة جميلة الشكل مختلفة الالوان بها باب المخازن الموضوعه بجوار بعضها تحت سقف من الزجاج محكم الرقع المكونة جميعها زاوية منفرجة عرضت في انفرجها زوائد المعرض ذات اليمين وذات اليسار

وأول شيء يراه الزائر على يساره من هذه الزوائد هي الترك وحى السوريين وبهما بعض المحصولات التركية والسورية

الارتقاء ولتجى العلوم والعلماء

تلك توطئة للكلام عن معرض انقرس الذي سارت
من أجله الركبان وطبق ذكره الممالك والبلدان فزاره من داني
المواطن وقاصيها عدد يفوق عدد سكان انقرس على كثرتهم
وتزاحمهم مما جعله أسمى مركزاً من معرض ليون الذي لم
يعبه الا قلة القصاد وان كان يماثل معرض انقرس في اتقانه
بل ربما فاقه في بعض أجزائه

وكلا المعرضين كبير الاهمية عظيم الشأن جم الفوائد
والمنافع لا يكاد يختلف أحدهما عن الآخر في المكانة لولا
وجود مميزات تميز كل واحد منهما فلقد امتاز معرض ليون
بقبة السماء الجامعة لشتات المعارضات وأنواع المصنوعات
وبمعرضه الاستعماري الذي في زيارته دراسة ثابتة لأحوال
الشرق وصنائعه وتجارته مما يتعسر رؤيته في معرض آخر
ومما جعل المعرض الليوني أكثر بهاء من معرض
انقرس البحيرة الجميلة التي جاءت في وسطه تسير فيها المراكب
بالزوار فتزدهم في هذه اللجة البيضاء بعد ان تزدهم

وتقدماً وعلاء وجعل أهلها يؤملون دوام الحال بل ازدياد
الفخر والمال ماداموا أصدقاء العلم أوفياء للعمل
كل ذلك في هذا العصر المضيء عصر ازدهار العلم ونمو
الاختراع ولم تتعد نحن مانحن عليه من الخمول والسكون ولم
تعد حركة التقدم والفلاح الى قوم العز السالف والذل الحاضر
بل دام النشاط في بنيه يحافظون عليه ويحافظ عليهم ودامت
الدعة في أهلها يرحبون بها وترحب بهم والبشرق يبكي الديار
والاوطان حتى هب من مصر الرخاء وبلد الهناء حب الجنوح
الى العمل فقامت الافكار بانشاء معرض وطنى انشرفت له
الصدور وان لم يكن بالمعرض المشكور الا انه بداية الخير
وعنوان الرجاء

فليهنأ المصرى به وليجتهد في اقامة معرض تفتح له
أبواب المدح والثناء وترتل فيه آيات الحمد والاستحسان حتى
تنشط « مصر » من عقالها وهى عادة الشرق والغرب وتقوم من
رقادها وهى عروس العلم والادب فتم اذ ذاك الخيرات
والبركات ويقول الشرق لا يام الهناء عدت وعاد الرجاء فليعيش

الرسالة الرابعة

﴿ معرض انفرس ﴾

« اهتدت أوروبا في العصر الحاضر الى المعارض اهتداءها
لاعلاء شأن التجارة والصناعة وزيادة البحث والتنقيب في
وسائل الارتقاء واطاعة الافكار بأنوار العلوم والمعارف
فأنشأتها في كل صقع وواد واقامتها في كل بلد وناد وظهرت
كل دولة من الدول تنافس اخواتها بصنائعها المتفردة بها
وتجارتها المميّزة لها عن غيرها فازدحمت المعارض بالزوار
وضاقت الفسحات على رحبها حتى فازت بالشرف الرفيع
والفخار الكبير فسرّت الامم ببلوغها مرامها من الكسب
وعلو الصيت ونال المعارضون مطالبهم من الشهرة والارباح
ونزه الزائرون منهم النواظر في هاتيك المناظر العديدة
الانواع المتسابقة نحو الاحكام والابداع الناطقة بدقة
الصناعة ومهارة الصانع فنشأ عن ذلك حب الدأب على
العمل والولوع بالتسابق والمجارات مما زاد أوروبا ارتقاء

اليها برسالة على بلجيكا وعاصمتها . أدامك الله لاخيك المخلص
مصطفى كامل

*
* *

وما جاء شهر أغسطس حتى كان شقيقنا المرحوم الدكتور
عبد الفتاح فتحى طريح الفراش أثر اصابته بمرض التيفوس
ولما كان شديد التعلق بالمرحوم كثير الحب له كان يكرر
علي كثيرا أن اكتب اليه طويلا وأن لا أخبره بمرضه
حتى لا يتكدر في غربته ولا يجزع وكان المترجم يسألني
كذلك فى خطاباته العديدة عن صحة شقيقه فكنت أتحايل
فى كل خطاب على اخفاء مرضه حتى جاء يوم الثلاثاء ٢١
أغسطس فقرأت للمرحوم الدكتور القسم الاول من
الرسالة الرابعة التى كان بعث بها المترجم جريدة الاهرام على
معرض انقرس فكلفنى أن اكتب للمرحوم شكرا من
قبله وأشرح له انه مريض قليلا فكثبت اليه كتابا وقد جاء
منه الرد وكاه تعطف أخوى وحنان نادر أما وصف المعرض
فقد نشر بعددي الاهرام ٤٩٩٨ و ٥٠٠٠ وهذائمه :

مسائل خصوصية عائلية ما نصه :

« رأيت في مدينة بروكسل عاصمة بلجيكا » وهي
المدينة الزاهية الزاهرة (ولكنها على كل حال لم تكن في
نظري أحسن من مصر الا أن حكومة هذه أهلية تعمل
بقلب أهلي . وحكومتنا مختلطة تعمل بقلب الانكليزي)
كل ما تصبو اليه النفوس الكبيرة من عز وسؤدد لبلادها
ووطن آبائها وأجدادها . وقد علمت بعد الخبرة أن رقي
القوم هنا مسبب عن صفتين لازمتين لكل أمة تريد أن
تنهض بنفسها الى سلم الرقي . وهما حب الإطلاع . والاعتماد
على النفس . فان الناس هنا وعلى العموم في كل أوروبا
يبحثون ليل نهار عن أسرار الطبيعة معتمدين على أنفسهم
(ومن جد وجد) . فسل الله معي أيها الاخ المحبوب ان
نصبح سادة في بلادنا لتعود مصر الى ما كانت عليه من
رفاهية ومجد حتى نقدم للعالم معارض أنخر مما رأته وتنظم
مدائننا نظاما فوق ماشاهدته . ان الله على كل شيء قدير
وفي الختام أرجو ان تقرأ جريدة الاهرام فتدبعت

يرى من هذا المنتزه بقعة من الارض خضراء بها الاشجار
الجميلة الزاهرة من كل جانب فيحسب انه قد فصل عن هذا
العالم وانتقل الى عالم آخر كله جمال وبهاء ولست بقادر على
وصف هذه البقعة السندسية كمال الوصف فانها هي الاتقان
أو فوق الاتقان وانى لى بلوغ هذا المبلغ من البيان ولست
في بديع الانشاء بسحبان

وأما غابة اكبر فلا تختلف في صفاتها وحسن نظامها
عن غابة بولونيا بل ان شئت فقل انها غابة بولونيا الباجيكية
وغاية القول ان هذه العاصمة على صغرها تفوق بنظافتها
وجمالها جميع العواصم أوربية وغير أوربية والسلام
بروكسل في ٢٢ يولييه سنة ١٨٩٤

مصطفى كامل «

*
* *

في هذه الاثناء أرسل الي رحمة الله كتاباً كما أرسل
كذلك لكل شقيق من أشقائه
وقد قال في هذا الكتاب بعد التحية والتسليم وذكر

حية وبها غير ذلك من الاحجار المختلفة والمعادن المتنوعة
ماستلزم رؤيته أياماً عديدة

ومتحف الاسلحة وبه من المدافع والرماح وآلات
الحرب المختلفة مايقف منه المدقق على ناموس القتال وعداد
في كل زمان ومكان

وأما كنائس المدينة فكثيرة العدد جداً وكلها شاهقة
جيدة البناء . ولا عجب اذا كانت كنائس البلاد البلجيكية
أرفع وأعظم من كنائس سواها فقد اشتهرت بين الامم
المعاصرة المجاورة لها بتمسك أهاليها بالدين تمسكاً زائداً

وللمدينة متنزهان شهيران متنزه (لا كن) ومتنزه
(غابة الكمبر) أما متنزه لا كن فموقعه وحيد في المدينة
وهو معتدل الهواء جميل الوضع عليه سراي للملك يقيم بها في
فصل الصيف ولكنه لم يسكنها منذ أربع سنوات لانها
حُرقت بأكملها ولم يبق منها الا أثر صغير يدل عليها وامام
هذه السراي تمثال ليوبولد الاول أبو الملك الحاكم وخلف
هذا التمثال غيظ الملك ومتى وقف الانسان امام التمثال فانه

وبالمدن تماثيل حجة أقيم أغلبها لعظماء الرجال الذين
خدموا استقلال البلاد البلجيكية سواء كانوا من أبنائها أو
من غير أبنائها وأشهر هذه التماثيل عمود المؤتمر وهو عمود
مرتفع على قاعدته أربع تماثيل وداخله سلم حلزوني تبلغ
درجاته ١٨٤ درجة توصل الى قمته التي يرى منها الانسان
المدينة كلها وقد شيد هذا التمثال تذكراً للمؤتمر الذي عقده
أكابر رجال الثورة البلجيكية عام ١٨٣٠ وأعلنوا فيه
استقلالهم وانفصال بلادهم عن هولانده

ولهذه العاصمة الزاهرة كما لغيرها مكتبة بها من الكتب
المطبوعة ٣٠٠٠٠٠ كتاب ومن المكتوبة ٢٠ ألف

وبها من المتاحف العدد العديد نذكر منها متحف
التصوير والنقش القديم والحديث الجامع لغرائب الصور
العتيقة والحديثة ولكن أغلبها صور دينية متقنة أحسن
اتقان

ومتحف التاريخ الطبيعي وبه عدد كبير من الحيوانات
المصبرة بين كبيرة وصغيرة ومفترسة وداجنة وكلها تحسبها

هيبة العدالة ومكان الانصاف سراى مساحتها ٢٦٠٠٠ متر
مربع وارتفاع قبها وحدها ٩٧ مترا وثمنها قدره ٥٠ مليوناً
من الفرنكات بابها فرید فی احكام بنائه وعظيم ارتفاعه يرى
الداخل منه على اليمين سلماً بأوله تمثال ليكورغا الشاعر
اليوناني وديمستون خطيبها وعلى الشمال سلم آخر يبدأ بتمثال
أولييان الشارع الروماني وشيشرون خطيبها وفيلسوفها. يصعد
الصاعد من السلمين الى ساحة السراي المشتملة على سبع
وعشرين قاعة مخصصة للجلسات ومائتين وخمس وأربعين
نوظفي المحاكم وأرفع قاعات الجلسات مقاما وبناء وأعظمها
اتساعاً وارتفاعاً قاعة الاستئناف الاولى والثانية وقاعة النقض
والابرار وقصارى القول ان هذه السراى فريدة عقد آثار
بلجيكا اذ انها آية من اكبر آيات الصناعة فى القرن التاسع عشر
وأما معرض عام ١٨٨٠ فموضوع خارج المدينة امام
ساحة الخمسين وهو لا يختلف فى الاتقان عن أعظم الآثار
الجسيمة اقامته الحكومة عام ١٨٨٠ دليلاً على اتمامها نصف
القرن الاول من استقلالها ونيل حريتها

موقعه من المدينة

وبالبلد آثار قديمة كثيرة العدد أهمها سراي الملك القديمة ودار المحافظة وهما متقابلتان يدل بناؤهما على حالة البناء والصناعة في العصور الوسطى ودار المحافظة قاعة عامة من بناء القوط وأخرى للزواج من الجسامة والرونق بمكان والآثار الحديثة أجدرها بالذكر البورصة وسراي العدالة ومعرض عام ١٨٨٠

أما البورصة فيميزها عن سواها من الآثار أنها في أحسن موقع وأكبر شارع من المدينة تتوارد عليها من كل صقع الالوف من التجار والسامسة

وأما سراي العدالة فان قلبي عاجز عن وصفها وشرح جمالها وجمالها فهي سراي ضخمة عالية بها من العمدة الشاهقة والمسالك الفسيحة والقاعات العديدة ما لا يعلم عدده الا من أعطي الانسان هذه اليد القادرة على خلق مثل هاتيك الآثار التي تسلب الانظار وتحير الافكار وماذا أكتب لك عن سراي هي مظهر الجلال والاحترام وموضع

آثارها شماء تناضح في علوها السماء بها من الرياض والحدائق من الشمال الى الجنوب . ومن الشرق الى الغرب خطوط السكة الحديدية وعربات الترامواي وبالجملة فهي مدينة بدیعة في جمالها رشیقة في حسنها واعتدالها لا يرتاب السائح ان رآها في انها قطعة من باريز لولا هدوء حركاتها وسكون تجارتها في أهم أقسامها

وهي تنقسم الى قسمين كبيرين أو الى مدينتين متميزتين الأولى المدينة المنخفضة أو القديمة وفيها مركز التجارة والصناعة والثانية العالية أو الحديثة وبها مساكن العائلات الشريفة ومنازل كبار الموظفين وسائر الاغنياء وفي منتصفها متزه جميل به فسقتان وخلفه مجلس الشيوخ والنواب وجميع النظارات وامامه سراي الملك (وهي محكمة البناء متقنة الصناعة) وسراي مجمع العلوم والفنون المشيدتان خلف الساحة الملكية المقام وفي وسطها تمثال (جو دوفر وادوبويون) الشهير بنصراته في الحروب الصليبية وامام هذا التمثال فندق (البدفو) الذي اخترناه منزلا لنا مدة اقامتنا لحسن

فهي التي سعت لها عند الدول حتى وهبتها الاستقلال التام والحرية الكاملة وذلك بمقتضى مؤتمر عقد بمدينة لندن عام ١٨٣٠ ومن هذا الحين ظهرت الدولة الباجيكية بين الدول الأوروبية دستورية حيث أصبحت كأتم الدول نظاماً لها مجلس شيوخ ومجلس نواب ومحاكم منتظمة نبراسها العدالة ووجهتها الحق والانصاف

ومن يوم ان تم لها هذا الظفر العظيم ابتداء الباجيكيون في تنظيم بلادهم كما تهوى نفوسهم وقد تم لهم ذلك حتى أصبحت كل مدينة من مدائنهم قررة النواظر ومسرة الخواطر وأخصها بالذكر مدينة بروكسل عاصمتهم ومحط رحالهم فلقد بلغت من النظافة وحسن الرونق مبلغ باريز على عظمها وكبرها وتفردتها بين مثيلاتها بالحسن والجمال ولذلك يسميها أهلها وأغلب زائريها باريز الصغرى أو بنت باريز

وصلتها بعد ان تركت العاصمة الكبرى بست ساعات ومعى فاضل من كرام الشبان فرأينا منها عاصمة حقيقة بالزيارة فسيحة شوارعها متوسطة الارتفاع مساكنها جميلة

في مقدمة المخلصين حكومة الجمهورية المعترفين بخدمتها للعلم
والاختراع

واني أرى ان حبهم للفرنسيين يعد واجباً من أقدم
واجباتهم فلطالما نصرتهم فرنسا وأعلنت من شأنهم وخدمت
بلادهم في القرون الخالية وفي هذا القرن الحاضر الذي لم تتم
السنة الثلاثون فيه حتى كانت بلجيكا دولة مستقلة ومملكة
منظمة قائمة بذاتها بعد ان رأت من الهولانديين أنواع العذاب
عاشت بلاد بلجيكا دهرًا طويلًا تحت سلطة الرومانيين
والفرنساويين والاسبانيين وتجزأت مقاطعات صغيرة حينا
من الزمن ثم عادت لفرنسا بعد ثورة ١٧٨٩ ودامت خاضعة
لسلطتها الى ان فصلتها عنها معاهدة فينا سنة ١٨١٥ وضممتها
لهولاندة يحكمها أميرها وتسوسها قوانينها ونواميسها الى أن
قامت عام ١٨٣٠ كما يقوم الأسد بعد طويل نومه وعميق رقادها
وثارت على الظامة حكماها مطالبة بحريتها وحقوقها التي سنها
لها ناموس الوجود وقانون المعيشة والحياة
وقد رأت عندئذ من فرنسا العضد القوي والسند المتين

والصناعة وشواطئها مرسى السفن العديدة التي تنقل منها
الى البلاد الاخرى ما اشتهر من بضائعها بالحسن والاتقان
وهي كسائر البلاد البحرية ذات حمامات جميلة بل تمتاز
عن جميعها بحمامات أوستند التي ينزل بها في فصل الصيف
أعظم الملوك والامراء وأكابر الموسرين والاعنياء طلباً
للمتعة بياهاها ومشاهدة مناظرها الجميلة وحباً في استنشاق
هوائها والتروض في رياضها الفيحاء فهي سلاية لب من
زارها خلاية لعقل من حل وأقام بربوعها وقد عشقها ليوبولد
لاول ملك بلجيكا السابق فبنى فيها قصراً بالغ الكتاب في
وصفه وتبيان وضعه وحسنه

وقد بلغ أهل هذه البلاد البلجيكية من دماية الاخلاق
ووداعة الطباع مبلغاً ميزهم عن سائر الامم الاوروبية وجعلهم
محبوبين مكرمين بين الجميع فتراهم يعززون الزائر لديارهم
ويبالغون في اكرامه حتى يدفعه حسن الاستقبال الى طول
الاقامة في بلادهم والاستئناس بهم وبمعاشرتهم وهم يتكلم
أكثرهم اللغة الفرنسية ويحبون الفرنسيين حباً يضعهم

أسبوع آخر حتى نشرت الأهرام الرسالة الثالثة في عدديها
٤٩٨١ — ٤٩٨٤ بتاريخ ٣١ يوايه و٣ أغسطس من السنة
المذكورة وهذا نصها

الرسالة الثالثة

﴿ بلجيكا وعاصمتها ﴾

« بلاد البلجيكا هي من البلاد الصغيرة التي اشتهرت في
الوجود بموقعها الجغرافي الجميل الذي جعلها ميدانا تتسابق فيه
رجال التجارة والصناعة فلذا كانت أول بلاد في العالم مزدهمة
بالخلائق حيث فيها مع صغر مساحتها ستة ملايين من النفس
أى ما يقرب من سكان القطر المصري ولتجارتها وصناعاتها شهرة
ذائعة وصيت بعيد وبها من معامل الحديد والفحم الحجري
والورق ما لا يعد ولا يحصى وبها من أشياء الخزف
ما زدهمت به سفن التجارة البحرية السابحة بين شواطئها
وشواطئ هولانده والدنمرك وانكلترا
وبالجملة فداخلها مجال المجارات والتسابق في التجارة

مشرقه الى مغربه ومن شماله جنوبه ولا أزهاره وأشجاره
البدیعة المتعددة فان كل ذلك وما يشابهه يدل على نخامته
وعظمته المعروضة للقراء الكرام

ولم أستطع في اليوم الذي أقمته بهذه المدينة التي تعد ثمانية
باريز رؤية شيء آخر غير المعرض الا مقتل رئيس الجمهورية
فقد شاهدته ساعة سفري ووقفت به لحظة تخيمات فيها الرجل
البريء المحبوب راكباً عربته والشقي كازيريوها جماعاً عليه بخنجره
والدم يسيل منه وهو دم اخلاص الوطن ومحبة الشعب
الطاهرة وهناسنحت لي فكرة وهي انه ان دام الحال على
هذا المنوال فلا شك ان القرن العشرين سيكون مسرحاً
لفظائع الفوضويين ومجالاً لأعمالهم التي رأينا مقدماتها ولسنا
ندري ماذا تكون نتائجها والسلام

ليون في ١٢ يوليو سنة ١٨٩٤ مصطفى كامل «

*
**

وقد أعجب الناس بهذه الرسالة الثانية اعجاباً كبيراً
وأخذ اسمه يذكر في المجالس بالاجلال والاعجاب . ومأمراً

من الخشب يحسبها الزائر أفيالا حقيقية تجر العربات ولكنها
تسير بفعل الكهرباء

ويلى هذه السكة الحديدية قرية سودانية متى دخلتها
حسبت انك فى وسط السودان والاطفال (السود طبعاً)
تأتبك وتسلم عليك بكل لطف وبشاشة ولكنك لا تلبث
قليلاً حتى تدهش عندما ترى الكثير منهم يكلمك بالفرنساوية
وينطقها بمنطق لطيف يستوجب الغرابة لاسيما متى علمت انهم
لم يتعلموا كل ذلك الا فى زمن المعرض وعلى يمين هذه القرية
قرى أخرى داهومية وسنغالية وأمامها قرية أنامية وملعب
أنامى لم أسعد برؤيته لأنى زرته وقت الظهر أى قبيل سفري
الى باريز بساعتين حيث كان الاهلون يأكلون وقد شاهدت
أكلهم العجيب لاسيما كل الارز وهو من الغرابة بمكان

الى هنا يقف القلم عن التحرير لان ما ذكر وحده يكفى
لمعرفة قدر هذا المعرض الفريد الفاض بالعجائب والغرائب
ولست بدا كرجماله فى الليل وهو مضاء بالكهرباء
من اوله الى آخره ولا عربات الترمواى الجميلة التى تقطعه من

الوجود ولا حضارة في المجتمع البشرى مادام الناس هكذا
يفترس بعضهم البعض الآخر

وفي أسفل هذا المنظر ترى يهتزن مصورا في جهة
جالسا على كرسيه ورجاله وأتباعه من حوله وفي جهة أخرى
تراه يقتل أمه لتذهب الى الجحيم وتخبر أباه بأنه سيسلم نفسه
للفرنساويين

وثالثها منظر تتويج قيصر روسيا وهو منظر جميل جداً
ترى فيه القيصر واقفاً والتاج على رأسه وخلفه أعضاء عائلته
الملوكية وأمامه القسيس الأكبر وبجواره عظماء رجال الدولة
والخلق مزدحم واجند مصطفى بكثرة على أتم نظام مما يمثل
هذا التتويج كمال التمثيل

وبعد رؤية هذه المناظر البهية المنارة كلها بالنور الكهربائي
يحبس الانسان نفسه انه انتقل الى الشرق حيث يرى أمامه
قرية عربية وملعباً تركياً يشبه ملعب عبد العزيز كمال الشبه
ويرى بجوارهما مكاناً أشبه بسكة تمبكتو وهي عبارة عن شريط
من الحديد على شكل دائرة وعليه عربات كبيرة تجرها أفيال

فرنسا العام وبه ترى الخيام مضروبة والاسرة موضوعة في
عربات المرضى المختلفة. وعلى جانبه يرى الزائر ثلاث قناطر في
غاية الرونق والبهاء

أولها منظر حرب الليل بين الالمان والفرنساويين سنة
السبعين وبه يرى الانسان القتلى والجرحى مصورين وهم
عديدون والقوم يقتتلون كالوحوش وربما قتل الجندي أخاه
الذي من جنسه ظاناً أنه عدوه مما تمجه نفس كل امرئ عرف
ماهية الانسانية

وثانيها منظر واقعة دجبا وهي الواقعة الشهيرة التي سألت
فيها الدماء أنهاراً بين فرنساويين والداهوميين وقتل فيها
القائد الطائر الصيت (فوراكس) وبها ترى العبيد وهم
كالوحوش بل أضل منها يهجمون على كل شيء امامهم حتى
على المدافع لا يرهبون النار ولا يخافون الموت والفرنساويون
امامهم لا ييأسون بل يطعنونهم الطعن البليغ في كل جزء
من الجسم والدم يسيل من كل الجملات بحيث ان الشاهد
لهذا المنظر لا بد ان يعترف في الحال بان لامدنية في

كثيراً عن معروضات سراى الجزائر
وبجوارها خيام عربية بها العرب جالسون وبجانبهم
الجمال كأنهم فى الصحراء

وامام سراى تونس ترى قهوة رقص تونسية زرتها فى
الليل فلم أر فيها الا كل قبيح مستهجن

ويلى السراى التونسية سراى الانام التونكيين وهى
سراى حمراء جميلة جداً مرسوم عليها صور القبيلة الضخمة
وحراسها من الاناميين (وهم يختلفون كثيراً فى تقطيع الخلقه
عن الصينيين) ويشاهد الزائر لهذه السراى فى جهة اليمين
المنسوجات والحبوب وانواع العاج معروضة بترتيب حسن
وفى الوسط المكتبة الاستعمارية الجامعة لكل المؤلفات
والتقارير المتعلقة بالمستعمرات وقد استفدت من زيارتها جملة
فوائد . وفى جهة الشمال يرى معرض الكمبروج وبه من أنواع
الحرير والدخان وخشب الصبائة والاساحة والعاج وأجلة
القبيلة ما يدهش الا نظار ويزيد فى تيار الافكار
وبجوار سراى الانام التونكيين يوجد محل اتحاد نساء

المتوعة النفيسة وتحتوى على الاسلحة العربية والطيور
الشرقية المصبرة والاقمشة البهية . وهذه السراى بنيت على
مثال سراى (مصطفى باشا) أحد حكام الجزائر السالفين
والحاكم العام يقيم بها الآن فى زمن الصيف
وعلى باب السراى رأيت الحرس من الجزائر وقد
تكلمت معهم بالعربية فأول شىء سألوني عنه تقليدنا للافرنج
فى الملابس فأجبتهم جواباً فى الحقيقة غير مقنع وتركهم
وخرجت

وبجوار السراى سوق يبيع فيها بعض الجزائرين أقمشة
وأشياء متنوعة جزائرية
ويلى هذه السراى سراى المستعمرات الصغيرة وهى
تشملى على معروضات السودان والكونغو وغينا والجوادلوب
وليس بها شىء مهم يستحق الذكر بل كل ما فيها أمتعة
سودانية كالمهودة لدينا

وتأتى بعدها سراى تونس وهى عربية الشكل جميلة
الوضع بجوار بابها مأذنة فى غاية الظرف ومعروضاتها تختلف

وعشيرته ويأسف على بلاد ضاعت من يد أبنائها بالحق
والحسد وذهبت غنيمة الغريب بسبب الفشل وحب الذات
المستحکم بين أهلها القائم بقيام الليل والنهار بين أفرادها أقول
ذلك ولا أنكر على القارئ الكريم أسفى وحزنى عند رؤية
هذا المعرض الاستعماري وان كنت رأيت منه معرضاً جميلاً
جليلاً حقيقاً بالرؤية والزيارة

وكما ان أبناء فرنسا يفرحون برؤيته وأبناء الشرق
يحزنون لرؤيته فلاعجب اذا اشتركت الفلاسفة مع أبناء
الشرق في حزنهم وأسفهم فهم يرون دائماً في الفتوح جريمة
لا تغتفر وفي الاستعمار اثمًا يبقى مابقيت الساعات والايام

معرض الاستعمار الذي وقفنا امام جسامته ونخامته
موضوع على شارع واحد بحيث يسهل على الزائر رؤيته
بدون تعب وانتقال كبير وأول ما يرى فيه سراى الجزائر
وهى بشكها العربي الجميل وهيئتها الشرقية البديعة تشمل
على أنواع الصوف والرخام والجلود والابسطة والثمار
والحبوب الجزائرية وعلى ما في هذه البلاد من الاخشاب

وفي كل هذه المناظر الاربعة الصور مصنوعة من الشمع
المضاء بالكهرباء وغير هذا المعرض معرض المساعدة العمومية
والاقتصاد الاجتماعي ومعرض الآلات الزراعية التي ترى بجواره
ملبناً به ثور من غرائب المخلوقات يزن وحده ٣٥٠٠ كيلوجرام
ومما يحاكي هذه المعارض الصغيرة من الالهية معرض
السكك الحديدية وبه ترى الشريط الحديدي والقطارات مختلفة
وكذلك معرض الفحم الحجري. ملك شركة (لالوار)
فانه في غاية الالهية ويسر النزول في باطنه ولكنه يتعب النفس
ويوجد غير هذه المعارض معارض أخرى متفرقة حول
القبة الجامعة لم أزرها لضيق الوقت ولعدم أهميتها
ولننقل الآن الى المعرض الاستعماري. لاشك انه
يحق لأبناء فرنسا عند زيارة هذا المعرض الاستعماري ان
يظفروا بخارهم بأوطانهم ولاغرو ان ازدادت محبتهم لبلادهم
برؤية أملاكهم ومستعمراتهم فهم يرون فيه حقيقة قوتهم
وكبير فتوحاتهم وعظيم نصراتهم كما انه يحق للشرق عند
زيارة هذا المعرض ان يبكي بلاده وأوطانه ويندب قومه

للموسيقى وجملة قهوات ومطاعم معدة للزائرين
وخلف القبة رأيت أشياء جمّة أهمها معرض (جاكار)
وجاكار هذا هو مخترع آلة نسيج الحرير فهو صاحب اليد
البيضاء على مدينة ليون بل على العالم أجمع يراه الزائر في اول
منظر وهو يشتغل بتحسين آلة النسيج اختراعه ويراه في منظر
ثان جالساً على كرسيه يندب ابنه الذي قتل مدافعاً عن وطنه
وفي منظر ثالث يراه واقفاً والصناع تريد قتله والقائه في
نهر الرون لانه باختراعه آلة النسيج حرّمهم من كسب معاشهم
فبعضهم قابض عليه والبعض الآخر يضربه بالحجارة وبينهم
بنت تريد طعنه بمخنجرها وخلف الجميع صديق له يريد تخليصه
من بين أيديهم مما يثبت قول علماء الاقتصاد السياسي من ان
الاختراع تقليل عدد الصناع وان الصناع أعداء الاختراع
وفي منظر اخير ترى جاكار واقفاً في حجرته الصغيرة
الحقيرة يستقبل لازار كارنو الشهير (جد فقيد فرنسا سدى
كارنو أحد رؤساء الجمهورية) مما يبرهن على ان رجال
الصناعة والاختراع هم دائماً موضوع التجارة والاحترام

على القارىء اللبيب ان مدينة ليون هي أشهر مدن الدنيا
بمنسوجاتها الحربية فلذلك لا يلزمنى أن أقول ان هذا
المعرض هو أجمل شيء فى مجموعة المعرض الليونى او أن
وجود نظيره فى معرض آخر من المستحيلات . ويليه معرض
الملابس ومتعلقاتها فمعرض الصباغة فمعرض الاوراق والطباعة
فمعرض الفوتوغرافية والموسيقى فمعرض العجلات والفولوسبيد
فمعرض الكيمياء وآلاتها المتنوعة فمعرض العدد والآلات
فمعرض المعادن فمعرض الميكانيكة العامة فمعرض الاواني
فمعرض الاثاث فمعرض الاغذية فمعرض التقطير فمعرض
الانسجة

هذه هى المعارض الجزئية المشتملة عليها القبة الفريدة
ولا شك أن الزائر يندهش من جسامه هذه المعارض كلها
لا سيما عند زيارته لمعرض الحرير فانه يرى حقيقة أهمية مدينة
ليون وكيف أنها تفوق مدن ايطاليا والنمسا وغيرها فى
صناعة الحرير بصناعتها المنفردين بهذه الصنعة الجميلة وآلاتها
المتعددة التى لا توجد فى غيرها من المدائن وخارج القبة محل

بالخطوة البعيدة والشأو الكبير . فما هذا الرجاج الكبير المحم
البرقع المتقن الصنع الذي من وراء رؤيته الحيرة العظمى بل
ما هذه القبة العالية البنيان المشيدة الاركان الدالة بأظهر بيان
على مقدره يد الانسان . قبة فريدة في جمالها وحيدة
في جلالها حوت من المعروضات البدائع والغرائب
واشتملت على المعجزات والعجائب فلتفتخر مدينة ليون بقبتها
التي أصبحت تنافس من باريز برج اينفل

ولعمري انها الآية من الآيات التي يعجز تلمى عن
توفيتها حقها وتقديرها حق قدرها

وهذه القبة دائرة محيطها واسع داخلها خمس دوائر
متوازية متناسبة مع بعضها كل التناسب في وسطها فسقية جميلة
يرتفع في مركزها عمود أحسن تشييده يصل الى نصف فراغ القبة
وهي تنقسم الى ستة عشر قسماً في كل قسم منها معرض
قائم بذاته نكتفي هنا بذكر هذه المعارض تاركين التفصيل
لوقت آخر

اول المعارض الجزئية معرض الحرير ولا يخفى

واضعاً يده على البيانو

ويلى معرض العمى والخرس معرض الحديقة النباتية
المدرسى لمدينة ليون فمعرض مدرسة الزراعة ومدرسة الطب
فمعرض مدرسة التجارة العليا وتنتهى هذه المعارض كلها
بمعرض مدرسة المارتينيز البالغ من الجمال أحسن مبلغ فترى
باحدي جهاته تلامذة من الخشب فى غاية التناسب جالسين
على كراسيهم وييدم الكراسيات يكتبون عليها ما يلقى عليهم
الاستاذ وفي جهة أخرى ترى تلامذة يحضرون الاحماض
والغازات ومدرس الكيمياء يلاحظهم الى غير ذلك مما يسر
الزائرین عموماً والمشتغلين بالتعلم والعلم خصوصاً
وبجوار هذا المعرض ترى محلاً لاصحاب الجرائد به
صور المشاهير منهم وخلفه مكتبا للبريد والتلغراف
متى زرت كل هذه المعارض وأتممت زيارة مدينة ليون
ونهر الرون ترى نفسك واقفا امام القبة الكبيرة المشتملة
فى باطنها على المعروضات الحقيقية المختلفة الانواع والاجناس
ومتى جعلنا الزائر وجهته يري منها صنعا بديعاً يشهد للصناعة

أما قسم مدينة باريز فقيه معرض المصنوعات المدرسية
والاشغال الدراسية ومن جملة العدد والآلات الطبية التي
بجوارها رجل من الشمع جالس على كرسي وأمامه مرآة
يحسبه الزائر حيا وهو في الحقيقة ميت محنط . وقد زرت
هذا المعرض في الصباح وكنت وحدي داخل القاعة فحسبت
هذا الرجل حارساً للمكان ولاكني بعد ان زرت كلما بالقاعة
رأيتة كما هو لا ييدي حرا كما فأخذت أتقدم منه شيئا فشيئا
وهو لا يتحرك مطلقاً حتى صرت بجواره فسألته بالفرنساوية
عن متوسط عدد الزوار في اليوم فلم يجب فلمسته بيدي فلم
يتحرك فعلمت عندئذ انه ليس بحي وانما هو شبه حي فتركته
وخرجت معجباً بقوة التخنيط التي جعلتني أحسب الميت حيا
مدة ساعة من الزمان

وأما قسم مدينة ليون ونهر الرون فاحسن ما بهما المعرض
التاريخي للمدينة ومعرض مدرسة الفنون الجميلة المشتمل على
مدرسة العمي والحرس بما فيه من كتب تعليمهم والواحيهم
التي يقرأون فيها وهنا نرى تمثال شاب أعمي يكتب وآخر

يمينه كما قلنا جملة سبل بينها طريق متسع عظيم هو طريق
معرض اليمين ولا يلبث الزائر ماشيا فيه حتى يرى من الجانبين
أبنية مرتفعة ومساكن مختلفة أوالوسط فيرى فيه فسقية في
غاية الظرف بها تماثيل مصنوعة تخرج من أفواهها المياه بشكل
بديع ومنظر جميل وهنأرى أمامك قبة عالية هي بيت القصيد
بل هي المعرض المقصود بالذات وأماما بقي فزوائد أضيفت كحلية
ولننظر قبل الوصول إليها فيما على يميننا وما على يسارنا
أما اليمين فأهم مابه معرض صيني وياباني صغير به مصنوعات
الصين واليابان ما تعودنا رؤيته في بلادنا من الأقمشة البهية
ذات النقوش البديعة المصورة لأهلها آكلين متخاطبين
متزهين وما يشابه ذلك من بدائع الشرق الأقصى
وبجانبه معرض الفنون الدينية وبه من الكتب والصور
والتماثيل ما يضيق العد عن حصره . وخلفه قبة طيارة تصعد
الى السماء بمن يريد من الزوار رؤية المعرض كله مرة واحدة
ومشاهدة منظره من أعلى . وأما جهة الشمال فأجسدر شيء
بالذكر فيها قسم مدينة باريز ومدينة ليون ونهر الرون

معرض ليون هذا موضوع في حديقة مجاورة للمدينة هي عادة متنزه سكان ليون وفي وسطها بحيرة جميلة يسمونها بحيرة التيت دور (رأس الذهب) فيها جزر صغيرة غاية في البهجة والحسن وقد وضع المعرض بكيفية بها جاءت هذه البحيرة في وسطه فصارت بهجته كما أنها بهجة الحديقة

فمتى وقف الانسان أمامه رأى بانه ضخماً عظيماً مكوناً من عمودين أتقن صنعهما بحيث ان الرأي لهما يحكم قبل دخول المعرض أنه من الاهمية بمكان وبجوار الباب يرى تمثالاً أقيم لآبناء نهر الرون (الذي عليه مدينة ليون) الذين أحسنوا الدفاع عن الاوطان في حرب السبعين

ومتى دخل الزائر من هذا الباب العظيم يرى أمامه البحيرة وعلى يمينه سبلا عديدة وعلى يساره شارعا متسعا أما جهة اليمين ففيها المعرض الصناعي التجاري الدولي وأما جهة الشمال ففيها المعرض الاستعماري

ولنزرأولاً معرض اليمين ثم تتبع زيارته زيارة معرض الشمال متى جعل الانسان أمامه البحيرة وخلفه الباب رأى على

الوضع مبلغاً كبيراً فقتضيت فيه الليلة حتى اذا ما أشرق وجه
الارض قصدت المحطة ومنها سافرت على القطار السريع
قاصداً مدينة ليون مركز المعرض الدولي الاستعماري الذي
ذهب من أجله أطيب الفرنسيين عنصراً فريسة الفوضى
وقد وصلتها في الساعة الثانية بعد ظهر يوم الجمعة ولبثت
فيها يوماً كاملاً لازمني فيه ما جد من أفاضل المصريين تمكنت
معه من زيارة المعرض زيارة تامة كشفت لي التمتع عن بعض
أسراره العديدة التي تطلب للوقوف عليها كلها أياماً معدودات
وقد أعجبتني من هذا المعرض التريد كل شئ فيه فلم يلح
لي انتقاد ما بل رأيت كاه محكماً في صنعه مرتباً في وضعه يسر
الناظرين ويرضى العارضين

وبما أنني فرضت على نفسي الكتابة في سياحتي وتصوير
ما يراه العيان الى القراء الكرام تصويراً يظهر لهم حالة المدينة
الاوروبية والحضارة الغربية رأيت أن أخصص رسالتي هذه
للكلام على المعرض بعبارة الإيجاز لان المتمام لا يدعو
الى الاطباب

وقد نشرت جريدة الاهرام نبأ هذا النجاح بحلقات
عددها ٤٩٧٦ الصادر في يوم الاربعاء ٢٥ يونيه سنة ١٨٩٤
وهذا نصه :

« جاءنا من باريز ان حضرة الاديب البارع مصطفى
أفندي كامل صاحب جريدة المدرسة قد أتم امتحانه الثاني
في علم الحقوق بنجاح باهر يشهد بكائه واجتهاده ويسر جميع
أصدقائه فمننا لحضرتة خالص التهنية »

وقد أرسل جريدة الاهرام الرسالة الثانية من رسائل
سياحته في هذا الصيف فنشرتها في عدديها ٤٩٧٢ و ٤٩٧٣
الصادرين في ٢٠ و ٢١ يوليه من السنة المذكورة وهذا نصها

الرسالة الثانية

﴿ معرض ليون ﴾

« بلغت هذه العاصمة البديعة مساء السبت بعد ان
تركت البحر في منتصف ليلة الجمعة حيث تركت فيه العناء
والنصب وطلبت الراحة في نزل بلغ من جمال الرونق وحسن

مما يدل على انها أصبحت لازمة من أهم لوازم الوجود التي
لامندوحة عنها وياليت للباخرة جريدة (ولو هزلية) تسليتنا
عن مطالعة الجرائد السياسية وقد ابتعدنا خمسة أيام كاملات
عن أخبار المعمورة بأسرها فلا ندرى منها شيئاً ما

كتب بياخرة الجيروندي في ٥ يوليو سنة ١٨٩٤

(مصطفى كامل)

صاحب جريدة المدرسة

*
* *

مانشرت هذه الرسالة حتى أخذ أصدقائه يعجبون به
عجاباً كبيراً وينتظرون من مواهبه العالية أن يقوم لبلاده
بأعظم خدمة كما ان كل مصري كان يترقب جريدة الاهرام
ليقرأ فيها رسائله التي فيها معنى الحياة وروح الصدق وقوة
الشهامة ومحبة الاوطان

نجح رحمه الله في ١٤ يولييه سنة ١٨٩٤ في امتحان السنة

الثانية بمدرسة الحقوق وقد جاءنا منه تلغرافاً يعرب عن
هذا النجاح فحمدنا الله على ذلك وسألناه أن يهبه من لدنه فوزاً مميّناً

ولولا الثلاثاء مارأينا الاربعاء

وأما يومنا هذا خاتمة أيام البحر فمعتدل الهواء صحو
الجو والسماء عديم الموج ساكن الماء ليس بأقل من سابقه
لظفا وحسنا مررنا في صبيحته من بوغاز (بونيفاسيو)
وشاهدنا شواطىء جزيرتي قورصا وسردينيا

وهانحن الآن امام شواطىء فرنسا البديعة الجمال ولم
يبق الا القليل حتى نهاجر من هذه الجزيرة المتحركة الى تلك
الارض الثابتة التى عرفناها أرض الجمال والبهاء ذات الهيئات
الطبيعية الجمّة والمحاسن العديدة

هذه جملة نقدمها للقراء الكرام على البحر وما رأينا
فيه من بؤس وأنس ولم يكن يسلينا فيه شىء آخر سوى
قراءة بعض الكتب ومشاهدة الجزر المختلفة والسفن
المتنوعة التى كانت تمر على مقربة منا

أما منظر شروق الشمس وغروبها فقد كان من أجمل
المناظر التى بهرت السياح في أيام الصفاء
وأما اشتياق الجميع لقراءة الجرائد فهو يفوق كل اشتياق

ولاشك أن الاتحاد مصدر القوة وعنوان الاستقلال
وقد دام البحر هكذا ساكنًا هادئًا يرينا من أنواع
السرور ما لم نكن نظن رؤيته قبل هذا اليوم السعيد وقد
توج ليله البهى بعد ان أرانا شواطئ ايطاليا الجميلة بمرورنا
من بوغاز (مسينا) حيث لقينا منه منظرًا بحريًا جميلًا وبوغازًا
خلق على أبداع مثال حليته مدينتان متقابلتان مدينة مسينا
ومدينة (رجيو) يراها المار ليلًا كأنهما عروسان عليهما من
الخلل والخلى ما يهبج الناظرين ويبهر الرائيين وقد ظهرتا
تتشاطران الخلال وتتنافسان فى الحسن والجمال تسطم منهما
الانوار وهى كالدر المرصع أو كالنجوم الزاهرة فى السماء
تركناهما بعد ان متعنا النظر برؤيتهما ساعة كاملة كاتتا فيها
موضوع الاعجاب بجمالهما الفريد وحسنهما البديع

وأما اليوم الرابع فكانه قام ينافس أمسه ويعاهدنا على
حال اكثر اعتدالا وأعظم جمالا فاصبح لجة من الماء ساكنة
يشقها البخار شقًا ويقطعها قطعًا دون أن تبدى حراكا ولكنه
مهما بالغ فى الاكرام وأحسن فى الضيافة فالفضل للمتقدم

المتسع الارجاء البعيد الانحاء الحقيق بان يسمى صحارى الماء
(كما يسميه أفاضل الشعراء)

واذا كان شاعر فرنسا الشهير (لامارتين) يسمى البحار
مقلة الطبيعة لانها من وجهها كالعين من وجه الانسان فلا
شك ان البحر الابيض المتوسط أحق من سواه بان يكون
سواد هذه المقلة العظمى لانه أعظم البحار أهمية واكبرها
فائدة وتمعاً لما له من الايدي البيضاء على بنى الانسان فهو
رائد التجارة وقائد الامم لطرق الحضارة وأصل شجرة التمدن
الذى يتكرم باهداء ثمرتها النضرة للبلدان التى يختارها حسب
ما يرى عند افراد الامم من نشاط وغيره

أذكر ذلك وآسف شديد الاسف من ان هذا البحر
العزيز الخيرات صاحب القوة والملك الكبير غضب على وطننا
العزيز غضباً طويلاً فلم يعترف لابنائنا بفضل ولم يشهد لهم
بكمال حتى يهبنا الحرب الحقيقية والمدنية الصادقة ويعيد
لنا مافات في سالف الاوقات من المجد الكبير والمقام
الخطير ولعلنا ننظر لهذا الداء بعين الاعتبار فنداويه باتحادنا

تردها المعهود واحمرارها المشهود وقد استمر ليل هذا
اليوم الثاني مخلصاً في وداده رؤوفاً في معاملته ولم يكفه رعاه
الله لطفه الذي حمدناه عليه الحمد الجزيل بل أوصى علينا اليوم
الثالث فظهر كريم السجايا جميل العواطف رخاء ريحه صحو
جوده ساكن ماؤه يكاد ينسينا ما لاقيناه من شديد التعب
وعظيم النصب

وفي هذا اليوم الذي تعدد نعمة كبرى علينا ظهرت خلائق
كان اخفاها الدوار في غرف النوم وكلها آمنة مستبشرة
آمنة مطمئنة لا شيء يكدرها سوى ذكر اليوم الاول وصبيحة
الثاني ولهذا نرى معنى جواب كل فرد منهم ان سأله عما
لقي من النصب

هول شديد مضى ما عدت أذكره

طول الحياة لئلا يرجع الكدر
دليل على ما كان من الهول الهائل ولكنه والحمد لله
قد فات ولا شئ ان ما فات يدخل في عداد الرفاة لا بعثه
الله ولا أحياء . وهنا يرى الانسان حقيقة جلال هذا البحر

للحظّات بل دام يصعد بالباخرة نحو السماء فلا نرى الا ماء
وينزل بها نحو الماء فلا نرى الا سماء حتى أذعن كل السكان
الى دواره وناموا متفرقين بعضهم على السطح والبعض
الاخر في غرف النوم ان رأيتهم حسبتهم سكارى وماهم
بسكارى ولكنهم في بحار الدوار تائهون لا حراك بهم ولا هم
يفقهون

تلك حالة أغلب السياح في اليوم الاول وفي شطر من
الثاني والجارية لا يراها من عوالم الوجود الا عالم الماء والسماء
وما انتصف يوم الاثنين وأخذت الغزاة تبعث أشعتها
العمودية حتى ظهرت جزيرة كريد بجبالها الشاخطة المتوجة
بالثلج المستديم الذي يراه السائح وقت الظهر وقد انعكست
عليه أشعة الشمس الذهبية كأنه جبل من التبر الخالص

وقد دنت لنا هذه الجزيرة الغنية بشهرتها وثروتها عن
الذكر فسر حنافيها الطرف وأجلنا النظر والبحر بجوارها على
أتم سكينه ونحن في حماها على أكمل نعمة

وما احتجبت عن النواظر حتى غربت الشمس بعد

التي تقلنا فاذا هي كما عهدنا مثلتها في السنة الماضية بلد متسع
يبلغ سكانه نصف ألف فيه كل ما يحتاج اليه الانسان من رفيق
موافق وجليس أنيس وكتاب يشفي الهموم ويطرده الاحزان
وما كل ومشرب كما تهوى نفوس الآكلين والشاربين
ومبيت لا يتعب كثيراً فهي أشبه شيء بجزيرة متحركة يصح
ان يطلق عليها اسم جزيرة الجيرونند وعلى من يسكنها أمة
الجيرونند (باسم الباخرة) الا أنها أمة مختلطة يستحيل أن
تربطها رابطة من الروابط غير رابطة دوار البحر ولعب
الاحشاء ولكن الباخرة على كمال استعدادها بها عيب عظيم
وأظنه عاماً في كل الجوارى المنشآت وهو أنها متى
توسطت هذا البحر المتلاطم بالامواج لعبت ذات اليمين
وذات الشمال كما تلعب الارجوحة بالاطفال وبلعبها تلعب
أمعاء من أقلته من ذكر وأنثى

وليعذرني القارئ الكريم اذا لم أستطع تمثيل حالة البحر
في اليوم الاول وفي نصف الثاني فقد كان شديد الموج عظيم
الرياح مضطرب الحركة قوى السلطان لم يصف لحظة من

تسلب عقولنا وتخب مداركنا عند مشاهدة ديارنا الزاهية
وربوعنا الباهية تغيب عن أعيننا شيئاً فشيئاً حتى تختفي تحت
حجاب من الماء سميك وينعدم وجودها من بين الصور
العينية بعد ان كانت واقعة تحت المرأى لا يحجبها عن العيون
حجاب لعمري ان اختفائها مما يدعو لسكب الدمع وضياع
الرشد وباختفائها تختفي عنا أوطان يعز علينا فراقها فيها
نشأنا ومنها ظهرنا وبخيرها تمتعنا واليها ترجع آمالنا فهي محط
رحالتنا ومقصدنا طول الحياة بها أعز أنواع البشر لدينا وأحبهم
اليهاهي بلادنا بلاد الخيرات التي لاتعادلها بلاد ولا تحاكيها
ديار عذب مأوها عزيز برها نقي هواؤها طيب مناخها
تزكناها والحنين عام والحسرة شاملة وودعناها حيث
أودعناها فؤادا مخلصا وقلبا صادقا وسألناها ان تبتقي دائماً
كما عهدناها شفوقة علينا ذاكرة لنا حتى نعود اليها سالمين كما
غادرناها بنعمة منها وافية

احتجبت عنا هذه المواطن العزيزة بعد ساعتين من
خروج السفينة من البوغاز فأجلنا الطرف في أنحاء هذه الباخرة

ألا أيها البحر العظيم بنا اتعد

فصير تجلى للعيون بهاؤها

تمهل فصير موطن العز والندى

ومصر (أخا النعماء) جم هناؤها

بلادى حماك الله من كل غادر

وأبقاك للدنيا فانت سناؤها

أغادر منك الشجر والقلب شيق

وعيني يجارى هاطل الغيث ماؤها

فرفقا بمن في البر والبحر مخلص

يرى مصر شمساً لا يحاكي ضياؤها

عليك سلامى يا ديار تحية

تدوم وأشواقى اليك انتهاؤها

لابدع اذا كانت الاسكندرية بجميل منظرها وجليل

مظهرها تستوقف الابصار عند مغادرتها وتخطف الانظار

ساعة الخروج من بوغازها لاسيما انظارنا أبناء النيل حيث

ليلة في الثغر وفي يوم الاثنين ٢ يوليو ركب المترجم احدى
بواخر الشركة الفرنسية قاصداً بلاد الحرية فودعناه وودعنا
داعين له بالنجاح والسعادة

كتب رحمه الله رسالة وهو على ظهر هذه الباخرة
بعث بها الى جريدة الاهرام وقد نشرتها بعددها ٤٩٦٧
الصادر في ١٤ يولييه سنة ١٨٩٤ وهذا نصها :

الرسالة الاولى

(البحر)

أودع أوطانا يسوء وداعها
وأترك أمصاراً يسر لقاءها
واركب بحراً بره موطن الندى
وأمته عم البلاد سخاؤها
يذكرني منه الصفاء مراتعاً
بها نفس ذى الآمال تم صفاؤها

الحقوق مناقشة تمسك فيها كل منهما برأيه وغضب له فأسر
عاصم باشا في نفسه أن يعاكس المترجم

ولما جاء الموعد أدى الامتحان في كل علم على ما يرام
ولكنه أعطي في ذلك الفرع درجة لا تؤذن لمن يعطاها
بالانتقال من سنة الى سنة أعلى ولا حظ الاساتذة جميعاً أنه
ظلم ظلماً مبيحاً. فأبى شمه الا أن يترك مدرسة الحقوق
الخدوية ويمضى امتحان السنتين الباقيتين له في مدرسة
الحقوق الفرنسية في سنة واحدة وهي سنة ١٨٩٤ لينال
شهادة الحقوق قبل أقرانه طلاب المدرسة الاميرية بسنة
وكاشف أخاه بهذه النية فأقره عليها على ما فيها من الاضرار
بصحته ولكن الارادة القوية تصنع كل شيء ولا تعوق المرء
عن عمله مهما كلفه من ضياع الصحة والنفيس

ثم قصد السفر الى فرنسا فرافقه الى الاسكندرية يوم
الاحد اول يوليو سنة ١٨٩٤ حضرات أشقائه حسين بك
والمرحوم الدكتور عبد الفتاح فتحي وكاتب هذه السطور
ومعنا الكثيرون من الاقربين والاصدقاء وقد أمضينا

لزيارته كأننا كان لهم قريناً في المدرسة أو رصيفاً في العمل ولا عجب فان الله تعالى اذا أراد تبجيل امرىء وهبته عقلاً كبيراً وقلباً شريفاً وروحاً عليّة تجبب الناس فيه وتجذبهم اليه ومما قصه علي رحمه الله أنه كان يأخذ الجرائد معه في المدرسة ويتهز لقراءتها فرص الفسحة وبعض الحمص حين يحتدم الجدل والمناقشة بين التلميذ والاستاذ . وقد ناداه مرة حضرة استاذة الكبير صاحب الفضيلة العلامة الشيخ حسونه النواوى (شيخ الجامع الازهر حالا) ليفسر قضية من قضايا الشريعة الاسلامية فاعتذر من عدم الجواب لاشتغاله بما بين يديه من الجرائد اشتغالا عاقه عن الاصغاء لصوت حضرته فمشى الاستاذ الى حيث كان جالسا وراه منكباً على مطالعة ما معه فقال له أراك تشتغل بالجرائد كثيراً فهل تريد أن تكون بعد الدراسة صحافياً فسأله المرحوم المعدرة ولم ينثن عن متابعة القراءة

وقد وقعت بينه وبين المرحوم حسن باشا عاصم بمنزل المرحوم لطيف باشا سليم قبيل الامتحان العمومي لمدرسة

وكان يقول له أديب وقته المرحوم الشيخ على الليثي انك
أوتيت ذكاء يقرب منك البعيد ويظهر لك الخفي وحجة بها
تسكت من ناقشك وتفتح من جادلك ويقص عليه أحاديث
الصبا وسير عدل الملوك في صفائهم وجورهم في غضبهم ونحو
هذا مما حجب اليه التعلق بكبار الاعمال

وعرف أيضا في تلك الاثناء سعادة الهمام المنفضال محمود
باشا شكري فالتقت نفسيهما وتبادل الاثنان الاحترام : فهذا
يكبر في ذاك وقار الابوة وذاك يكبر في هذا نجابة البنوة
وقد رسم المترجم لنفسه اثناء اختلافه الى من تقدمت
معنا أسماؤهم خطة من يسمع ليتعلم فكان يسمع أحاديثهم طويلا
ولا يتكلم الا قليلا حتى اذا درس الامور ومارس ما هناك
أصبح هو المتكلم وغيره السامع . وقد استفاد فوائد جلييلة
من هذه المحاللة لان ساعة واحدة في مجلس من أمثال تلك
المجالس تفيد المستفيد ما لا يصل اليه في سنين

ومن دلائل ما كان يلقاه منهم جميعا من الاحترام
والاجلال انه كان اذا غاب عنهم أياما قلائل قصدوا بيته

عظيم الامل كريم السجايا جليل المناقب فاضلا غيوراً ووطنياً
مخلصاً وقد حفظ له التاريخ سيرة عاطرة وصفحة مذهبة وله
من المناضلات لمصلحة الوطن في مجلس الشورى ما يشهد له
بصدق الغيرة وبعد النظر . وتعرف كذلك بنجمله الوطني
الماجد والسرى الامثل عبد اللطيف بك الصوفاني الذي
يشبه أباه الشبه كله في صفاته الممتازة . كما عرف غير من
تقدم ذكرهم المرحوم حسن باشا عبد الرازق عضو الشورى
عن مديرية المنيا معرفة وثيقة العرى وطيدة الدعائم واختلط به
اختلاطاً كبيراً وكان يحترمه كثيراً لانه وقف منه على حقيقة
وطنية باهرة . كان يجتمع بهؤلاء الرجال كلهم أو بعضهم كل
يوم ويناقشهم في مسائل عديدة ولسان حال الجميع اذ ذاك
جريدة (المؤيد) التي كانت الجريدة الاسلامية الوحيدة كما
كانت على جانب عظيم من الوطنية وصدق الجهاد والاخلاص
في الخدمة مدافعة عن مصالح الامة لا بأحرف من مداد بل
بأحرف من نار تارة وبأحرف من نور تارة أخرى
وقد أحبه كل الذين عرفوه وعرفهم على حداثة سنه

فانضم المرحوم الى هذا المجتمع العظيم وهو في السنة
الثامنة عشرة فرحاً مسروراً لانه كان لا يزال من طلاب
العلم وأولئك علماء مشهورون فأخذ يكتب في الجرائد
المقالات وينشر الاحاديث وكانت هذه وتلك شغله الشاغل
وتعرف المرحوم ببعض أفاضل المصريين كسعادة
اسماعيل باشا صبرى الذى كان وكيلاً لمحكمة الاستئناف
الاهلية وقتئذ وأصحاب السعادة الغيورين الاماثل محمود
بك سالم الذى كان قاضياً بمحكمة المنصورة المختلطة واسماعيل
بك الشيمى الذى كان قاضياً بها اذ ذاك ومحمد بك مجدى
القاضى بمحكمة الاستئناف الاهلية ومحمد بك فريد أحد
وكلاء النائب العمومي (رئيس الحزب الوطنى الآن) وصاحب
الوجاهة محمود بك أنيس وحضرة المرابي الفاضل محمد بك
خلوصى وغيرهم من كبار رجال الحكومة وصفوة رجال
الامة . وتعرف كذلك ببعض أعضاء الشورى كالمرحوم احمد
بك الصوفانى الذى كان وكيلاً للمجلس وقد عرفه المصريون
جميعاً كما عرفه الفقيد وعرفناه رجلاً كبير القلب على الهمة

اعمال السنة والجمعة

الأسبوع

١٨٩٤

في هذه السنة والى الفقيه زيارته لصديقه فؤاد بك
سليم بمنزل المرحوم والده في سوق السلاح حيث كان مجتمع
أعضاء الحزب الوطنى لأنه كان من ذوي النفوس الكبيرة
العالية فضلا عن تضلعه من العلوم والمعارف على اختلاف
أصنافها ونظره البعيد فى عواقب الامور الى ما تحلى به من
الصفات الكريمة والمزايا السامية العظيمة ولأنه (أى المغفور
له لطيف باشا سليم) كان يرى أنه لا بد من تكوين حزب
منظم يعمل لصالح البلاد ويدافع عن سمعتها وكرامتها أمام
أوروبا عامة وفرنسا خاصة . وكان هذا الحزب العظيم يضم
بين أعضائه الصحافى الماهر والخطيب المنبوه والقاضى العادل
والقانونى البارع وكلهم كانوا من خيرة رجال مصر

لأن كثرة النقود ربما أفست عليّ أمرى فضحك المدير
وقال : « ان العاقل يغلب الشيطان » فاذا كان جييك مملوءاً
بالنقود و ارادتك قوية بحيث تعتم بصها نفسك من الزلل
المعرض له من كان مثلك كنت مثال الكمال أما اذا كنت
مستقيماً وأنت صفر اليد من المال فالفضل في هذه الاستقامة
لجيبك لا لرأسك . ثم لم يكديمضي على ذلك شهر الا وقد
زيد مرتبي مائة فرنك في الشهر فأصبح خمسمائة فرنك وقد
أدركت أن الاستقامة أكبر رأس مال . وما أعظم رجلاً
يملك مالا وعفة في آن . ثم التفت المرحوم الى المترجم وقال له :
انصح لمن تقابله باتباع ما أنت عامل به من هذه النصائح
الحكيمة وقص على اخوانك حكايتي هذه فانما الحسن من
القصص ما كان محيياً للفضيلة مميئاً للذيلة : ثم أمر وكيه أن يرافق
المترجم الى مكتبته الخصوصية ليختار منها أي كتاب شاء فسار
اليها واختار كتاب (نفع الطيب) وانصرف مثنياً شاكراً
مشيحاً بنظرات الاكبار

فأجابه : نعم . فقد أعطاني أخي الذي يحبني حبا جماً فوق
ما كنت أريد من المال حتى انى عدت ومعى الشىء الكثير
مما أخذت مع أنى قضيت مدة اقامتى هناك فى أحسن
الفنادق وركبت فى زهابى وايايى أحسن البواخر فضلاً عن
انى اقتنيت كثيراً من نفائس الكتب التى تعيننى فيما أنا بصدده
ولم أنفق فى غير ذلك درهماً لانى طالب علم وأدب لعاشق
لهو وطرب

فارتاح ضمير ذلك الوزير الكبير لهذا الكلام العذب
وقص على الحاضرين حكاية تشبه ما سمعوه فقال :
« أرسلتنى الحكومة المصرية فى عهد المغفور له محمد
على باشا رأس الأسرة الخديوية مع من أرسلت الى أوروبا
لأدرس فنون أركان الحرب وجعلت لى مرتباً شهرياً قدره
أربعمائة فرنك فكنت أحمل فى جيبي مئتين وأبعث الى أهلى
بالمئتين الأخرين ولما وجدت النقود كثيرة فى جيبي ملت
الى رؤية محلات اللهو وكاد الشيطان يوقعنى فى شركها
فقصدت مدير الإرسالية فى الحال وسألته أن ينقص مرتبى

وقد سر الوزير سروراً كبيراً وأكبر الحاضرون -
وفيهم من لم يكن يعرف المترجم بعد تلك الفصاحة التي كانت
تفيض على لسانه وتلك الغيرة التي كانت تفيض من قلبه فقال
له الوزير :

أصبت يا مصطفى فيما قلت . ولا تنس أيضاً أن أمم من
أمم أوروبا لم تصل الى ما وصلت اليه اليوم الا بعد أن أهرقت
دمائهم في سبيل الحرية فسرت في الحقول ومنها تغذت
النباتات التي يأكلونها وبها تضيخت الارض التي يسكنونها .
فذلك الدم الذي يجري في عروقهم سواء كان من النباتات أو
من أصولهم انما هو دم الحرية المشتراة بالانفس ودم المجد المفدى
بالارواح . واننى يا بنى أمتى من صميم فؤادى أن يكون كل
الذين يسافرون الى أوروبا من أبناء مصر مثلك يغوصون
على الحقائق ليعودوا الى وطنهم المحبوب مزودين بها ويطالبون
بمحقوق البلاد لا يخشون مستبدا غاشما ولا يخافون مغتصبا ظالما .
ثم قال له : هل كان في جيبيك نقود كثيرة عند

ما سافرت ??

التشجيع عند العامل من أى طبقة كان ولذلك تري كلا منهم مجتهداً في عمله فلا تشرق الشمس في صباح كل يوم الا وقد انضجت القرائح اختراعاً أو أقامت الايدي عملاً جليلاً أو خطت العقول نهجاً صالحاً لمشروع صالح . أما نحن وصبراً جميلاً يامصر فكما تعلم اذا طلب أحدنا من الحكومة طلباً تعادى الطالب واذا رأت فكرة حميدة تشتغل بتحقيقها الامة خلقت العرافيل وأوجدت الموانع حتى لتكاد هذه الامة العزيزة أن تحتنق بغاز هذه السيطرة الغاشمة ومن شأن السلطة الاستبدادية أن تقتل المواهب والممكات وتخنق روح النبوغ في الطبقات المستنيرة حتى تحكم خشباً مسندة لا أشخاصاً يعقلون . وقد انفرجت مسافة الخلف بين الهيئة الحاكمة والهيئة المحكومة بهذا السبب وصارت الامة في ناحية والحكومة في ناحية . ولكن هذه الحالة لن تستمر طويلاً وان لكل باع مصرعا »

قال هذه الجملة الاخيرة وقد ظهرت الغيرة والحمية على وجهه في صورة تدل على ما قام بنفسه اذ ذاك من الحماسة والتوقد

ألقى هذا السؤال وقد غمز بطرفه بعض القربيين منه
كأنما هو كان ينبغي أن يسمعونهم من حيث لا يتوقعون صوت
المرجم وهو يرتجل القول ارتجالاً ويرسله على البديهة ارسالاً:
فهرض من مجلسه وقال مامعناه :

« تسألني يا سعادة الوزير لماذا تقدموا هم وتأخرنا نحن
وأنت العليم بسبب التأخر عندنا وأسباب التقدم عندهم ??
إنهم تقدموا الآن الحكومات هناك تشعر بما على عاتقها

من المسؤولية امام الأمم فلا تهضم لهم حقاً ولا تخلف معهم عهداً
ولا تضن عليهم بمعونة ولا تستهين بما عليها من الواجبات
وسعادة الوزير يعلم أن الهيئة الحاكمة في كل مملكة من ممالك
أوروبا قطعة من الهيئة المحكومة بينهما تأثر مشترك وحب
متبادل . والحكومة خادمة للشعب لاسيدة عليه وكفى .

فالكل هناك يعملون لمصلحة الوطن ووسائل التشجيع
والتنشيط عندهم موفورة فالصانع المخترع يجازى والزارع المجتهد
يجازى كذلك كما يجازى المؤلف المبكر والعامل المبتدع وكل
من يقوم بعمل عام . والمكافأة كما لا يخفى على أحد رأس مال

من التحصيل بسرعة ويعود الى وطنه المحبوب فيخدمه بما
أوتي من عزم متين ورجاء مكين

وقد زار على أثر عودته المرحوم علي باشا مبارك وكان
بيت هذا الوزير الكبير كما سلفت لنا الإشارة اليه منتجعاً
لرواد الفضل وشرعة لوراد الأدب . فلما دخل عليه هناك
بنجاحه الذي اتصلت به أنباؤه ثم سأله في ذلك الجمع المكون
من خيرة رجال العصر قائلاً :

ماذا رأيت يا مصطفى في أوروبا ؟ رأيت الناس هناك
يسرون على رؤوسهم وأرجلهم في السماء وهل أرضهم من
تبر وأرضنا ترب أم هم خلق آخر غير هؤلاء الخلق ؟؟

فأجابه المترجم جادا لاهازلاً : كلا يا سعادة الوزير - فأنى
رأيت الناس هناك يسرون كما نسير ولعل أرضنا أزكى من
أرضهم ترباً وأوفر خصباً وهم من حيث التكوين خلق مثلنا
... وإنما (وأراد أن يسترسل في بيان ما هناك) فقال له
الوزير :

أتعرف إذاً لماذا تقدموا هم وتأخرنا نحن ؟ ؟

عاد رحمه الله من أوروبا في ٢ أغسطس سنة ١٨٩٣ مع
الكثيرين من الذين سافروا معه لتمضية امتحان الحقوق في
باريس وقد حدثنا أكثرهم أنه كان هناك في حياته الاجتماعية
مثال النزاهة والكمال منصرفاً عن اللهو غير ما طرفه الى
مستنكر ضئيل بقوته العقلية وقوته الجسمية أن ينفق أقل
جزء منها في غير التحصيل ولم يكن همه بعد أن يفرغ من
دراسته كل يوم الا أن يزور مكتبة أو يتفقد معهداً أو
يحادث ذارياً فيما يتعلق بأمور بلاده وما هو قائم بنفسه
نحوها من الاماني العظيمة والآمال الكبيرة وهو في كل
حركة وسكنة ناظر بمنتهى الاعجاب الى تقدم القوم في فنون
الحضارة ورفيهم في المعارف والعلوم متمن لمصر العزيزة
ما يتمن لها كل وطني صادق الحب مخلص الولاء مقتبس في
غدواته وروحاته ما كان يأمل أن يفيد به أمته ووطنه فائدة
كبيرة . وكان في أثناء هذه المهجرة في طلب العلم لا يفتأ
يذكر مصر ويمجد مصر ويدل على شرف مصر وهو اليها
جم الحنين موفور القسط من الشوق يتعجل الايام ليفرغ

ديار العلم لترى نشاط القوم ومعدات حياتهم مما أسأل الله
أن يهيبه قومنا وبلادنا الى مثله

انك تعلم أيها الشقيق العزيز أن تعداد الامة الفرنسية
كتعداد أمتنا العزيزة خمس مرات ولكن لو علمت ان عدد
طلاب الحقوق هنا في هذا العام بلغ سبعة آلاف طالب
فرنساوى وعندنا مائة وأربعة وثلاثون فقط لعرفت سر
ارتقائهم وندبت سوء حظنا والسبب راجع الى اهمال حكومتنا
أمر نشر العلم الذى هو ميزة الانسان عن كل المخلوقات
يدمنا تحتم الحكومة الفرنسية أن يكون التعليم الابتدائى اجباريا
انى تعرفت هنا بطلاب روسيين وبولونيين ويابانيين
فرايتهم جميعا منكمين على العلم ولكنى أوكد لك ان المصرى
أقوام عارضة وأعلام ذكاء ولا ينقصه الا الارادة التى هي
أس النجاح

انى سأعود بمشيئة الله على الباخرة الفرنسية فى ١٧
أغسطس المقبل لأكون عندكم فى ٢٣ أو ٢٤ منه «

باريس فى ٢٩ يوليو سنة ١٨٩٣

يوم الجمعة ٢٦ يونيو سنة ١٨٩٣ ليقتضى الامتحان الاول بمدرسة
الحقوق الفرنسية في مدينة باريس وسافر معه شقيقته سعادة
حسين بك واصف . وقد كنت في جبل الطور وكان أخونا
المرحوم عبد الفتاح افندي فتحي مريضاً اذ ذاك . ولما وصل
الى باريس استقبله على المحطة هناك الكثيرون من أصدقائه
وفي مقدمتهم صاحبها العزة محمد علي بك دولار (مدير ادارة
الاقواق الآن) وكامل بك فيضى (القاضى بالمحاكم حالا)
وقد رافقاه الى شارع مالبرانش (Rue Malebranche) حيث
نزل في فندق شهير مع اخوانه الطلاب وهذا الشارع من
الشوارع التى يسكنها الطلاب . وقد بعث الى من باريس
بكتاب وصل الى فى الطور (وكنت أود أن أشره برمته
لولا أنه تأكل ولم يبق منه الا القليل) وهذه صورته :

« لم أكتب لك قبل تأدية الامتحان لاني اكتفيت
بما كتبتة لسيدى العزيز وأخى البار الرحيم ولاني رأيت
ان أبلغك نتيجة امتحاني فكتبت هذا لابشرك بنجاح باهر
وبجودة صحتي وكنت أود أن تكون معي في هذه الديار

يدهش نبوغه الفائق وجلاله المصدوق كل حسود مكابر .
فليقولوا فينا ما يقولون وليكتبوا عنا ما يكتبون فان أماننا
من تاريخ المترجم وشدة تعلق المصريين بحبه ما ينطق باصرح
عبارة وأظهر قول أننا قوم أهل لكل تكريم
ثم ايه يا مصر لقد نشأ بين ربوعك وظهر وسط
جموعك من كنت حديثه العذب في الغدو والرواح وشغله
الدائم في القيام والقعود وموضع تكريمه كلما كتب مناظلا
او خطب مفاخرأ فمجدي ذكره الى آخر الزمان



أكثر المرحوم بعد ذلك من القاء الاسئلة الكثيرة
على من يعرفهم من الذين سافروا الى فرنسا أو درسوا بها
ليقف قبل سفره اليها على أحوالها حتى يكون مزوداً ببعض
ما يساعده على المعيشة فيها والوقوف على أسرارها حيث كان
موعد سفره اليها قاب قوسين أو أذني

وقد سافر المرحوم لأول مرة الى أوروبا وهو في الثامنة
عشرة من عمره على احدى بوأخر الشركة الفرنسية البحرية

ينتظر من مثله الانهض به ناشط الكاهل وكذلك القوى
الآمل فلا جرم بعد هذا أن كان حجة بالغة على من يهتمون
بطبيعة المصرى بالكسل والخمود والانصراف عن الجد الى
الهزل وما شاكل من النقائص ولقد قام بين ظهرانينا من
قبل ولا يزال يقوم من بعد من يدلون العالم أجمع على أن
قول اللورد كيرومر الذى هو أخبث عدو وألد خصم للامة
المصرية « فطر المصرى ذكى القواد » هو لا غيره فى كلامه
القول الصحيح الصريح حتى ولو كان اراده منه فى صورة
تشعر بالتهمك وقلب الكلام

سائلوا تاريخ النابغين فى الامم الشرقية هل كان حقيقة
عقيا فلم يرد فيه من أسماء الكبراء وعظماء النفوس من
يكادون يبلغون ما بلغ اليه المترجم من العظمة والهمة والدعوة
الى الحياة وبث معانيها فى صدور اليأسين ??

لقد حاولوا أنصفنا الله منهم أن يلصقوا بنا كل تهمة
بل هم لم يعفوا من تهمهم شيئاً فى مصر حتى طقسها وطبيعة
أرضها وقد حسبوا أن النيل المبارك لا يظهر تحت سمائه من

وما كان في مقدرة مصرى أن يصنع في تلك السن
أكثر مما تقدم ذكره بل حسب العامل وقصاراه أن يؤدى
صنفا واحداً من أصناف هذه الاعمال اذ لكل سن دائرة
من العمل قل أن يتخطاها وانما الموفق من يجوز حدودها
ويجوز معها حدود سواها

ايه يا أعداء مصر وسمعا يا حساد جلالها هذا فتى منها
نهض بالامس والالسن معقودة عن التحرك والاقلام
مضروب عليها ان لا تسطر والخواطر في أسر من الرعب
ولكنه أطلق لسانه فكان كما قال المتنبي :

ودع كل صوت غير صوتي فاني

أنا الصادح المحكى والآخر الصدى

واخترت قلمه من غمده فكان كما قال القائل :

أيصيني صرف الزمان وفي يدي

قلم كتاب الليث حين يضم

وأرسل وهو غض الشباب صوته بين سطور مجلته

ورفعه حتى اخترق نوافذ غرف جمعيته ولم يترك شيئاً كان

ثم ماهذه المزايا السامية التي رفعت صاحبها الى مصاف كبار رجال التاريخ؟؟

الا ان نفساً تعين صاحبها على اظهار ماتقدم بيانه من الأعمال في مثل تلك السن التي يكون الشاب فيها أقرب الى الهزل منه الى الجد والى السأم من العمل أقرب منه الى الرغبة فيه لنفس ممتازة لا كسائر النفوس واذا لم يتفاضل الناس بالأعمال التي هي مزايا النفوس وبالهمم التي هي مزايا القلوب فلم يبق مما يتفاضلون به غير المحتد والمال وما شا كل قد يخظر لانسان أن يقوم بعمل ويمنى نفسه بقرب نجاحه ويتعالى بالزمان والمكان والسعة والضيق وما أشبهه وينتحل لنفسه ألف عذر وعذر فيرضيها وترضيه وايكن الوطن العزيز ليس في حاجة الى من يقولون القول لا يتبعه فعل بل نحن كما قال الامام علي كرم الله وجهه «أحوج الى رجل فعال منا الى رجل قوال» وما بالتعلات والاماني تخدم البلاد ولاكن تخدم بالروية والاقدام والنهوض بأعباء الاعمال الجسام

الله من قوة العزيمة وقوة النشاط أن يؤلف ويخطب أو يدرس
ويكتب أو ينشئ مجلة ويؤسس خطة ويكون جمعية ولكن
أين من يجمع بين هذه الاعمال كافة في ظروف مثل تلك
الظروف كان فيها كل عمل منها خليقا أن يعاون عليه صاحبه
بضروب التشجيع والاقبال ??

انا نذكر كل ذلك كله فيضطرب القلم بين الأنامل من
لوعة الحزن ونار الأسى وأخيراً نلجأ الى الصبر الذي هو
الدواء الشافي والملجأ الاخير

نذكر أن الامة التي لا يزال رزؤها بفقد المترجم جديدا
قد فقدت بوفاة بطل أبطال الوطنية المصرية فتى كان في
السادسة عشرة من سني حياته يكتب ويخطب وينشئ ويؤلف
ويضع خطة ويعقد جمعية ويدرس دراستين ليلية ونهارية فنكبر
على القضاء هذا المصاب الأليم

ليت شعري ماهذه الهمة التي كانت تملأ ذلك الصدر
الرحب وما ذلك العزم الذي كان مستقرا في تلك النفس التي
كانت لا تكمل ولا تمل ولا تستكبر كبيرا ولا تستبعد بعيدا

وانه اذا لم يكن فى استطاعة الانسان أن يعيد الايام الخالية
بذاتها ليجتلى ما يشاء فى مرآتها فان فى مقدور البصيرة الباصرة
والذاكرة الحاضرة أن تصور ما فيها تصويرا يقربها من الازهان
ويذني منالها من الافهام الى الحد الذى يعين عليه الامكان
ليت شعرى من أى طراز هذه النفس وماذا يقول
الواصف لتلك الهمة وبأى قلم يكتب آسف كاسف البال
يذيب الحزن والحزن يكاد يذيبه ويدعو الماضى والمكرمات
تجيبه وأى كتاب يسمع وصف أحاديث تلك المفاخر والهمم
وأبناء تلك المآثر وغوالي الشيم ؟

الهم أعنى بحولك وطولك ووفقتى بامدادك واسعادك
عسى أن أستطيع قضاء حق التاريخ فانه المقضى اذا ضاعت
الحقوق ولا حول الا بك ولا قوة الا بعونك

رأى القارىء مما مر به كيف أن مصريا فتيا استطاع
فى آن واحد أن يجمع بين أعمال كثيرة كل منها جدير أن
يتعاون على اظهاره وينقطع له اكثر من رجل . نعم ان فى
معاصرنا من شيب وشبان كثيرين يستطيع كل منهم بما أتاهم

أعد أيها التاريخ على الذاكرة عهد تلك المقدرة النادرة
والاحاديث العاطرة فان نابتة اليوم تحب أن تستفيد من
آياتك الصادقة وعظمتك الناطقة وكرر على السمع أيها اليراع
ذكرى عظمة أصبحت تتناقل سيرتها الركبان ويضوع غيرها
في كل آن

أعد أيها التاريخ على الذاكرة حديثاً لا يزال عندي
جديداً وان مضت عليه السنون وكرر أيها اليراع على السمع
أعذب ما يروى وأحسن ما يسمع وأطف ما يقال وأفضل
ما يكتب وكن فيما تكتب كما عهدت أولاً وآخر ذلك الناقل
الامين فالاحاديث أمانات

أعد أيها التاريخ على الذاكرة ذلك الذكر المحب فما
أحلاه عندي وما أطيب وكرر أيها اليراع على السمع كرام
الانباء فان من قارئك كرام الابناء وجل في ميدان الحقيقة
ما تجول فانك والله عليك شهيد ما زلت الصادق المصدوق
أجل : كرر على السمع أيها اليراع وأعد على الذاكرة أيها
التاريخ فالمقام مقام دراية مأمولة الفائدة مرجوة العائدة —

هنا : بعد أن وضعنا تحت نظر القارئ الكريم نموذجاً من رسائل المترجم في السياسة وأشرنا الى ما كان يلقى من الخطب في الجمعيات التي أسسها وجئنا بنص كتاب له صغير في موضوع تاريخي خطير ونشرنا فصولاً من مجلة المدرسة في مواضيع شتى نتمنى هنيئاً لنستجلي بهامة تلك النفس ونعيد على الذاكرة صورة تلك المهمة المتمثلة في ذات والقوة العظيمة التي أودعت انساناً واحداً ليعرف من يشاء أن يعرف كيف تسنى لشاب وهو في السادسة عشرة من سنى حياته أن يؤلف كتباً ويؤسس جمعيات ويلقي خطباً ويكتب رسائل وينشئ مجلة وهو مع ذلك يطلب علم الخقوق في مدرسة نهائية وأخرى ليلية ويناقش الخصوم وينفذ الدعاوى ويجمع قلوب أهل طبقة على وحدة الهوى ويشغل بتمهيد السبيل لوضع أساس هذا البناء العظيم

أعد أيها التاريخ على الذاكرة حديث هذه السيرة الفيحاء فانك أنت الامين على السير وكرر أيها اليراع على السمع ذكري تلك المهمة الشماء وأفض فيما شاء الله من العظات والعبر

ألقوا») لما سمع أن في النشء المتخرجين من هذه المدارس
نافعة واحداً أو متعلماً ذا مواهب عليّة ومدارك سامية . .

ونحن لا نريد أن نطيل في بيان مافي هذا النظام من
الخلل والاضطراب الذي لا ينشئ ملكة ولا يعين على ظهور
موهبة فهذا كله ظاهر معروف . ولو جمع ما كتب في هذا
الموضوع أمس واليوم في هذا الصدد لبلغ أن يكون مجلدات
ضخمة . ولكن نريد أن نقول ان هذه الحكومة ستدوق
من فوضى هذا النظام مرارة لاتساع فاذا شاءت الامة أن
تحسن صنعاً فلتضاعف همتها في تكثير دور العلم ومعاهد
المعارف فوق المهمة الحالية فان الامة التي لاتخدم نفسها
لايخدمها أحد . وهذه الحكومة التي يقلبها الاحتلال بين
يديه ذات اليمين وذات الشمال محال أن تقترن ارادتها بالخير
والحسنى واذا اقترنت وهذا بعيد لم تجد من نفسها انبعاثاً على
تحقيق الآمال . ولا عجب فانه لاتأثر مشترك بيننا وبينها
وانما هي قطعة شلاء لاتحس بما به نحس ولا تتأثر بما به
تتأثر

وصولنا ان شاء الله الى الغاية المطلوبة فاننا في عصر نحن فيه
أحوج الناس الى أمير مثله قد وهبه الله من الحزم والثبات
ما تتحقق به آمالنا وتنجح مقاصدنا بمن الله وكرمه

*
* *

لا تجد بين المواضيع التي تجرى على أسنة أقلام الكتاب
وأطراف ألسن الخطباء وفي خواطر المفكرين موضوعاً
أجدر من هذا الموضوع بالعناية وأحق بالالتفات . فانه يكاد
يكون الجوهرى بين سائر المواضيع

فانه من الواجب على كل هيئة من الهيئات الاجتماعية
أن تعنى ببيت أشعة العلم في الافهام كل العناية . ونحن اذا
نظرنا نظرة عامة في هذا الشأن عندنا وجدنا ما يضحك ويتكى:
وشر البلية ما يضحك

فلماذا لا تستاء كل نفس لما هو مشاهد محسوس من
النظام التعليمى الحاضر؟؟ انا نقول ولا نخشى لومة لأم انه
لولا ما فطر عليه المصرى من الذكاء المفرد بشهادة التاريخ
والخصوم أنفسهم (قال اللورد كرومر) « فطر المصرى ذكياً

رغبة المصلحين الذين لو سلمت نيابتهم لما كانوا هم الباعث على
اطراد هذا الخلل العظيم بما يلقونه من العثرات في سبيل
تقدم المعارف في هذا القطر وفضلاً عما تقدم فإن هناك طامة
كبيرة على المعلمين الوطنيين وهي جعل رواتبهم قليلة جداً
بالنسبة لرواتب المعلمين من الانكليز الذين
امتازوا بهذه النعم المصرية فقتضوا على الوطنيين باليأس من
اجتهادهم والقنوط من مستقبلهم فضعفت فيهم الآمال وتشبثت
الهمم وسرى اليأس لغيرهم فاقعدهم عن الاهتمام بتضييع الوقت
العقيم للاستحصال على وظيفة التعليم والانخراط في سلك
المعلمين كما هي الحال في المتعلمين أيضاً الذين ينفون زهرة
الدمر في سبيل تحصيل العلوم التي تؤهلهم لخدمة الحكومة
ونفع الوطن العزيز وعند ما يقصدون لها باباً يجدون دونه
من الموانع سداً قد أحكمت وضعه يد الغايات فيتولاهم
اليأس ويستولى عليهم الخمول وهذا مما ليس لتلافى ضرره
المحسوس الا هممة مولانا العباس الذي ارانا من حبه لصالح
أمته ورغبته في ترقية شأن المعارف في البلاد ما لا بد معه من

المصرية لهذا السبب بمثابة مدارس لغات لامدارس علوم وفنون وهو أمر قد نشأ عنه من المضار ما يضيّق دون ذكره وتعداده المجال الآن وسنفرد له كلاماً خاصاً ان شاء الله

ولو سئل المصلحون الذين ينظرون لانتشار لغتهم الانكليزية بين المصريين بعين السرور والابتهاج عن الاسباب الداعية لوجود معلمين من غير أبناء البلاد يقولون بعدم كفاءة المصري لتولى أمر التعليم وعدم أهليته له وهو قول مجرد عن كل عدالة وانصاف اذ الحقيقة تخالف ذلك وهي ان من ترشح سنويا لوظيفة التعليم من الوطنيين قليل جداً بالنسبة لحاجة المدارس الوطنية التي تفتح أبوابها اضطراراً لقبول معلمين من الانكليز وغيرهم مع أنه يمكن تدارك هذا الخلل بزيادة مدرسة أو مدرستين على مدرستي المعلمين الحاليين وهما دار العلوم الخاصة بمعلمي الفنون العربية ومدرسة المعلمين التوفيقية الخاصة بمعلمي العلوم والفنون الرياضية أو توسيع نطاق المدرستين المذكورتين لدرجة تخرجان بها من المعلمين سنوياً من به الكفاية للقطر والاهلية التامة لتولى التعليم وانما ذلك يخالف

نجاح الممالك المتمدنة في أصول التعليم ورقى أهلها في المعارف
والعلوم الى درجة لم تنلها الامم من قبل

ولسوء الحظ ان ديارنا المصرية مع كونها في مقدمة
الممالك الشرقية التي أدخل إليها التعليم من عهد المغفور له محمد
على باشا بطلها المشهور وكان من المنتظر أن نرى نتائجه
التدريجية واصلة في هذه السنين الى حد الكمال مشمولة
بعناية الدولة المحتلة التي لم تبين دعائم احتلالها الا على كلمة
الاصلاح نرى الحالة فيها بالعكس لما هو ملم من الخلل
الظاهر بنظام المدارس مما حرم المصريين من الوصول
الى الغرض المقصود منها والتمتع بفائدتها الحقيقية . اللهم الا
ما يتلقاه أبناءهم من بعض اللغات الاجنبية التي أصبحت بها
المدارس المصرية داراً للمناظرات السياسية لاسناد أمر التعليم
في جلها ان لم نقل في كلها الى معلمين يخالفون التلامذة لغة
ومشربا وقد جعلوا عنايتهم بث مبادئ جنسياتهم بين الاولاد
واجتهادهم في تعليمهم اللغة التي ينتمون (أى المعلمون) اليها
دون النظر الى لزوم اتقان بقية العلوم والفنون فكانت المدارس

المنافع الادبية والمادية التي تعجز عن حصرها العقول وتبتهت عند النظر اليها الابصار وهو مادعا حكومات الشعوب المتمدنة الى الأآ يتركوا واسطة من وسائط اتقان التعليم الاتخذوها ولا وسيلة ناجحة لبث روح المعارف الاستعملوها ولما كان حسن مستقبل البلاد متوقفا على أبنائها المتعلمين ونجاح هؤلاء معقودا بنواصي المعلمين وكما توفرت في المعلم شروط اللياقة التي تؤهله لأن يقوم بتعليم المئين من أبناء بلاده ازدادت بذلك فوائد التعليم وانتشرين بين الامة نفعه العظيم فقد رأت تلك الحكومات ان الواجبات الاولية جعل المعلمين من أفاضل الرجال الذين حنكتهم التجارب وهدبتهم التربية فاستكملوا أسباب الفضائل وأهلوا لنيل هذه الوظيفة المهمة التي يتوقف على استيفاء شروطها في المعلم الحياة الادبية لالوف من الاحداث حتى اعتنوا لهذه الغاية بانشاء المدارس الخاصة لصنف المعلمين ليمارسوا فيها الاصول التي تؤهلهم الى تولي التعليم وتجعل بهم الكفاية للقيام بواجب التربية والتفهم وكان من نتائج ذلك ما نشاهده الآن من

فى ذلك الوقت ياورا لسعادة ناظر الحريرة لانه من الضباط
المستيرين المتمكنين من اللغات الاجنبية الواقفين على أسرار
كثيرة من أعمال الاحتيال الانكليزى

وقد جاءني يوم ارحمه الله وقال لى ان من أكبر أماني
ان يكون لى مدرسة أعلم فيها الناشئين لان المجلة لا تكفى وحدها
لهذبيهم ولذلك قد كتبت هذه المقالة فى جريدة الاهرام
ودفعها الي لاقرأها وقد نشرت فى عددها الصادر يوم الخميس
٢٠ ابريل سنة ١٨٩٣ وهذا نصها :

المعلمون والتعليم فى مصر

ان تعميم التعليم من أهم الاسباب الداعية لنمو العمران
القائمة به حياة الممالك والبلدان خصوصاً فى هذا العصر الذى
أصبح التعليم فيه من الحاجيات بعد اذ مرت عليه عصور
اعتبر فيها من الكماليات حتى اننا لنعرض الممالك المتقدمة
تتسابق فى ميادين المعارف الآن تسابقاً لم نعهد له نظيراً بين
الامم فيما غبر من الازمان لما عاد عليها بسبب ذلك من

مؤلف ومجلة وآماله في المستقبل واهتمامه بالكتابة والخطابة حتى تخيلت اني لست امام أخى الصغير الذي أعرفه من قبل بل امام بحانة كبير وعلامة خطير . وقد قلت له يومئذ على ما أتذكر « اني أود أن اكون معك في عملك هذا حتى لا أحرم من رؤيتك و اكون عضداً لك في هذه الخدمة الوطنية الكبيرة » فقال لي « انه سيأتي يوم يكون فيه كلانا بجوار الآخر نعمل باتحاد نخير هذه البلاد العزيزة وهذه الامة الكريمة المحبوبة »

كان يزورني المرحوم كل يوم بقشلاق عابدين لقربه من مدرسة الحقوق لتتناول الغداء معاً حيث كان يرد الينا من المنزل وكان يناقش الضباط كثيراً في مواضيع سياسية وعمرانية ويضرب لهم أحسن الامثال عن حالة الجندي المصري وما حازه من الفخر في الحروب الاخيرة التي توجت تاريخ المصري بالمجد الدائم وكان يذكر منها حرب الوهايين وكريت وعكة وغيرها وكان اكثر الضباط مناقشة له حضرة اليوزباشى محمد افندي صدقي الطوبجى الذى كان

مصرى لتحي مصر وليحي المصريون وما ذلك اليوم ان
شاء الله ببعيد

وفي مساء يوم الأربعاء ٢٩ مارس سنة ١٨٩٣ ورد اليه
تلغراف منى حيث وصلت من سواكن مع الاورطة الاولى
البياده الى مدينة السويس فلم يتم ليله لشدة فرحه وفرط
سروره بلقيا أخيه وزميله الذي غاب عنه سنتين كاملتين كانت
فيهما تتمثل صورة كل منا أمام الآخر في كل حال

وما وصل بنا القطار في فجر يوم الخميس ٣٠ مارس الى محطة
القاهرة حتي سمعت من يناديني فتركت الواجب العسكري
لاضمه اليّ ضمة الذي يستقبل روحه العزيزة وأمينته المرجوة .
ولم يشأن يتركني وسار معي الى ثكنة الجنود حتى اذا ما نفضت
عن كاهلي ذلك الواجب المقدس عدت معه الى البيت
وقضينا يوما من أحسن أيام الحياة حيث أخذ يسألني عن
طقس السودان وحالة أهله وشهاتهم وعوائدهم وما لقيته
من الاتعاب في مناقشات العدو ثم عرض عليّ أعماله من

من أفراد هذا العنصر لا ارتباط بينه وبين الآخر . ولا تجد شعبا من الشعوب معرضا للفناء مثل الشعب الذي يضيع روابطه ولا يبقى على جوامعه . والتاريخ يحدثننا عن كثير من الأمم التي لم يبق لها أثر في الوجود وفي مقدمة العوامل التي قصرت أعمارها وأذهبت آثارها انحلال الروابط والجوامع فلتعرف هذه الحقيقة الناصعة كل أمة تحرص على الحاضر والمستقبل . ولتكن كل أمة محبة للبقاء والعزة والسمو قوية الجانب بالاتحاد والائتلاف فانه لبقاء ولا عزة ولا سمو لأمة فرطت في جامعاتها بل هي قصيرة العمر وان طالت عليها الايام

ونحمد الله أن أمتنا المصرية عرفت هذا الواجب منذ زمان طويل وظهرت فيها آثار الاحتفاظ بالجوامع في كثير من الشؤون . فنحن نحى هذه الالفة المكيئة بين عناصر الأمة ونأمل أن تزداد آثارها تجليا وظهوراً على مر الايام ويانهاء هذه الأمة يوم يحىء عليها اليوم الذي تكون فيه من الائتلاف والاتحاد كأنها فرد واحد . هنالك يقول كل

الجامعة التي لا فرق لديها بين تباين الاجناس وتعدد المشارب
في جانب اتحاد الغرض الذي يسعي اليه الجميع الا وهو جر
النفع وادفع الضرر

*
**

قال المترجم « من نظر في تاريخ البشر لا يجد أمة عظيمة
قامت على الارض ثم تطرق اليها الضعف والاضمحلال الا
بعلة تفريق أجزائها الملتئمة وانفصال أعضائها الملتحمة » وهو
قول حق يؤيده العقل ويثبته البرهان ويعززه الواقع ولا
بيان بعد العيان

ان الامة التي لا تماسك أجزاؤها ولا تتلاحم أعضاؤها
لا تعيش طويلا ولا تبقى الا قليلا وما بقاء عقد تناثرت
حباته ??

ان الأمة لا تزال بخير مادامت متلاحمة الاعضاء .
متماسكة الاجزاء وكذلك شأن كل شيء . وكما ان الصخرة
العظيمة اذا انحلت عادت ذرات لاقيمة لها فكذلك الشعب
الذي يكون كل عنصر من عناصره منجلا من غيره وكل فرد

العامّة القائمة بقوة الجامعة مقدّمة على المصلحة الخاصّة التي هي في جانب الضعف أقرب الى العدم منها الى البقاء وكلما اتسعت سلسلة الجامعة بما ينضم اليها من حلقات الشعوب كان ذلك أحفظ لمصلحتهم الخاصّة لارتباطها بالمصلحة العامّة التي انما بصيانتها تصان الاولى اذ سلامة الكل سلامة الجزء ومن نظر في تاريخ البشر لا يجد أمة عظيمة قامت على الارض ثم تطرق اليها الضعف والاضمحلال الا بعلّة تفرّق أجزائها المتّمة وانفصال أعضائها المتّحمة مما تهن معه قواها وتنقص عروة اجتماعها فتقع في الخسران وتعلوبها كفة الميزان فتخفّض من سطوتها وتخطّ من قوتها فتججم عن التقدم في مضمار المسابقة لمن عداها من أمم الارض فيتمكن منها الوهن حيث يتمكن منها الدخيل وهناك يعزّ الدواء وتسوء المغبة وليس من باعث على ذلك كاه الا تفرّق الوحدة الجامعة وتمزيق السلطنة الواعية والعامل من نظر الى ذلك بعين الاعتبار فاطرح التعصب الجنسي وتحمّشي الاندفاع مع قوة التجاذب الشعبي مائلا بكلّيته الى حيث تصان المصلحة الوطنيّة المضمونة بقوة

شعوب مختلفي المذاهب والاجناس وقد دعمهم ضرورة الاحتماء بقوة الجامعة الى الانقياد لحكم واحد والارتباط بكلمة جامعة تمسكاً بوحدة المصلحة العامة التي من مقتضاها صيانة الحقوق الشعبية والاستثمار بالاختصاصات الوطنية التي انما تصان في جانب القوة وتعدم في جانب الضعف

وفي هذه الحال يمكن اعتبار الامم كل منها كجسم واحد أيضاً مستقل في نفسه مهما تباينت أجزاؤه وتعددت أعضاؤه فإنه سليم بسلامة تلك الاعضاء ما لم يتعطل عضو منه وينفصل جزء منه كاليد اذا شلت والعين اذا انغمضت فان لكل منهما اعتباراً عظيماً بالجسم لقيامهما بأهم الوظائف التي يترتب عليها جلب المنفعة له ودفع الضرر عنه فاذا فقدتا اضرتا به ضرراً يكون به الى جانب العجز أقرب منه الى جانب القوة فيقف بازاء غيره موقف الساكن حركة الناقص عملاً الواهن قوة . ولا أدني من الخطر على أمة حاول بعض أعضائها الانفصال منها أو احتيل بانفكاك بعض أجزائها عنها بداعي تباعد الجنسية القائلة بتفريق المختلف وجمع المتشاكل فان المصلحة

المشتركة وهي مابه قوام الحياة الادبية وبقاء النوع فقد افرق غاية فتنرق باعتبار ذلك الى شعوب عدة لكل منهم وجهة خاصة هو موليا حتى استلزم ذلك تعدد عناصره ووقوع التباين بين اجزائه وعدم اتفاقها غاية كما هي عليه مبدأ مما جعل كل جزء منها قائماً بذاته منفصلاً عن نوعيته ولما كانت الغاية التي هي داعية التجزؤ النوعي تختلف باختلاف الشعوب والقبائل كما تقدم فقد استحال التوفيق بين مقاصد اصناف الانسان فادى ذلك الى حصول التنافر ووقوع التشاجر فكان من هذا ان رجحت الكثرة على القلة وغلبت القوة على الضعف

وهذا مادعا الشعوب الى تطلب المنعة بقوة التضام والالتئام بالتجائهم الى جامعة عامة تتحد بها الكامة وتشتد العزيمة فتقوى على دفع بعضها البعض وكلما اتسع نطاق الجامعة فتضامت بها حلقات الشعوب المتفرقة كان ذلك ادعي لحفظ نظامهم الاجتماعي وامنع جانبا من ان تمسه يد المتغلبين بسوء ولهذا السبب قد يكون من الامم من تتألف من

وكتب في يوم الثلاثاء ؛ ابريل سنة ١٨٩٣ مقالة

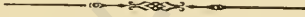
هذا نصها :

الجامعة

من تأمل في المجتمع الانساني وما اشتمل عليه من الاجناس المتباينة والاجزاء المتفرقة وما بينها من التقابل والتضاد والتجاذب والتنافر ثم نظر الى حركته الدائمة وتلاطمه المستمر رآه كالجسم المركب من أجزاء متعددة وعناصر مختلفة هي مع بعضها عن المشاكلة وشدوذها عن التآلف متحدة الحركة متفقة العمل بما يؤول لبقاء الجسم وصيانة حياته حتى انالترى تلك الجراثيم المنتشرة بالجسم الممزجة منه باللحم والدم مع ماهي عليه من الحرب الدائمة والنزال المستمر الذي لا ينتهى بينها الا بظهور القوى منها ودثور الضعيف لم تكن بذلك الا خادماً للجسم من حيث هي مخدومة منه أيضاً بما أعد لها فيه من المستقر الهنيء والغذاء المرىء الا ان المجتمع الانساني وان اتحد حركة باعتبار المبدأ الذي يقصد به جر المنفعة

لا ارادة للمصرى فى الغالب فى جانب ارادة الموظف
الانكليزى صغيراً كان أو كبيراً

ان الاعمال بمقاصدها . والمقاصد مما نرى ونسمع سيئة
جداً فافتحوا عيونكم أيها المصريون واعلموا أن الخضم لدود
ونحن أقوياء بما لنا من الحق الذى يجب علينا جميعاً أن نستमित
فى الدفاع عنه الى آخر لحظة من أعمارنا فانه لن يضع حق
وراءه من يطالب به وسواء أذعن المطالب أو لم يذعن قريباً
فلا بد له فى النهاية من الاذعان



بعد ان كتبت الا التامين على ذلك الدعاء
أراد الاحتلال في مصر أن يصنع كل شيء بالصنعة
البريطانية ويدخل الانكليزية من كل باب . أو ما تراه
يحشرون في المناصب التي احتكروها احتكاراً شباناً منهم
حديثي العهد بالخروج من المدارس الابتدائية في لندن وقليل
منهم من نال شهادة تؤذن بالخبرة والدربة اللازمتين لكل
من يتولى عملاً ادارياً بل هم يرموننا من أولئك الشبان بالعدل
الضاربة في كيان النظام وكيان الادارة ولا عجب بعد ذلك
اذا تقشت الجرائم وسادت الفوضى النظامية في كل مكان
قالوا وأعادوا على أسماعنا مراراً وتكراراً أنهم لا تتجاوز
مهمتهم في مصر اعداد المصريين للحكم الذاتي فأين بواذر ما
صنعوه من مقدمات هذه المهمة الخطيرة ??

انا نرى و« الاعمال بمقاصدها » أن كل شيء يدل على
العكس من ذلك . فالقابضون على أزمة المصالح والمسكرون
لدفها ليسوا من الوطنيين ولا نعتز بتلك المناصب الضئيلة
الاثر في اظهار كفاءة الامة واستعدادها للحكم الذاتي فانه

مجرى أقلامهم الآن لتغير المصير بالاستسلام الى عوامل
اليأس والقنوط جددوا لطبوع الغايات نعمة واختلقوا
لتضليل الاوهام فكرا جديداً وكانهم غفلوا عن ان للمصري
عضداً لا توهم معه قواه ونصيرا لا يغفل عن مصلحته طرفه
عين ألا وهو أميره العباس المعظم ورجال حكومته الكرام
الذين هم أدري بمصالح الامة وأحرص على حقوق البلاد من
ان تمسها يد بسوء خصوصاً ولهم من دولتنا العلية أعظم نصير
بدليل ما هو مشاهد من توثيق روابط الاخلاص بين
أميرنا المحبوب والخليفة الاعظم وما ناله سموه من جلالته
السامية من الالتفات الدال على حرصه أيده الله على المصالح
المصرية وصيانة حقوق الامة والمملكة أعانها الله جميعاً على
ما به رفعة شأن البلاد انه كريم مجيب

*
* *

جزيت خيراً أيها المصري الصادق فقد كتبت فأبدعت
اذ كشفت الستار عما هنالك وافصحت أبلغ افصاح عن
سيئات الادارة الانكليزية في وادي النيل فلم يبق للكاتب

فان السودان لم تلتحم بهذا القطر الا بدماء رجاله ولم تخضع
للراية العثمانية الا بهمة أبطاله وبذل أمواله وهي هي تلك
الاقطار الشاسعة التي هدرت فيها دماء الشهداء لا لتكون
غنيمة باردة للانكليز بل لتكون مدخرا للمصريين وملجأ
واسعاً لراحة الاهلين ومصدراً لثروتهم ومحطاً لتجارتهم
وموردا لاموالهم خصوصاً في مثل هذه الاوقات التي عم فيها
ضنك الفلاح وقلت مصادر الرزق على الضعفاء فاتخذوا
السلب والنهب حرقهم فعانوا فساداً في القطر الذي أصبح مهدد
الامن داخلاً منهم وخارجاً من السودان
فأينما سرت ركب مركباً خطراً

وان قعدت فلا أنجو من الخطر

كل ذلك نتيجة أعمال الانكليز التي لم تكن الا
بمقاصدها ولا يسرهم وأشياعهم المتردين برداء الخيانة والرتاء
الا ان يروا مصر في حالة الضعف والتأخر والمصريين في
وهدة الفقر والخنول حتى اننا لنراهم بعد ذلك الاطناب في
مدح أعمال ساداتهم التي زيفها دورنا الحديث قد حولوا

وتمكنهم من ذلك بأقل كلفة سواء كان بالقوة أو بالحيلة
وعدم اقتدارهم مع توالي سنين عشر على اخضاع شراذم متقطعة
قد جعلت الغارة والسلب دأبها على أطراف الحدود المصرية
ولديهم جيش منظم عظيم من شبان المصريين الذين جعلت
دماؤهم الزكية فداء للاغراض بالسودان وهم مع ما هم عليه
من الشجاعة والاستعداد لا يخرجون عن حد قول القائل
وليس بمأسور فترجو فكاهه

وليس بمطلوق العنان فيرسل

ولعمر الانسانية والحق لو ترك الامر في السودان
لحكومتنا المصرية لأصبح الآن لها أطوع من البنان
ولتمهدت فيه سبل التجارة والامن وانتعشت مصر بارتداد
عضوها المنفصول عن جسدها الذي لا تزال ولن تزال تتألم
له اذ والله لو لم يكن للانكليز سيئة في هذا القطر الافصل
السودان عنه لكفاها ذلك مسودا لبيض أعمالها ودليلا على
نتائج مقاصدها وأفعالها وهي كبيرة لا تغتفر في جانب
الانسانية وجريرة لا أظهر عيبا من صدورها من أمة الحرية

بأقل من عشر سنين يحصل عليها من مدرسة الحرية المصرية
في سنة واحدة أو سنتين . والثاني حصلوا عليه أيضاً بتحويل
مئات من الضباط الخبيرين علي المعاش وترقية سواهم ممن لا
خبرة لهم بأمر الجندية قط حتى اني لاعرف في مصر ثلاثة
اخوة لاب واحد حي كانوا قبل الاحتلال في حالة الخمول لا
يعرفون الجندية فاصبحوا الآن وهم فيها من أهم أركان الانكايز
ثم لم يكفهم ذلك حتى اشرأبوا الى الحرية فاتاحت لهم
الظروف ان تولوا أمرها وجعلوها انكليزية محضة ثم ناطوا
القيادة العامة (السردارية) ومعاونيها برجال منهم فاصبحت
الجندية المصرية آلة في يديها تديرها كيف تريد وتمحو من
دفاتها ما تشاء وتثبت وتقذف بها تارة الى الحدود وأخرى
تفرقها في أطراف السودان بحجة صد الهجمات السودانية
واطفاء شعلة المهذوية التي لا تجمد مرة الا أثرت أخرى
ومن الغريب استيلاء الانكايز بشر اذم قليلة على
الاوغنده وما والاها من الاقطار الافريقية وتوغلهم في تلك
المجاهل لاخضاع برابرتها الاسود لراية الحرية والتمدن

الداخلي من القطر بزيادة اللصوية والجنايات ما لا يحتاج الى بيان لوقوعه تحت الحس ومشاهدته بالعيان

وأما الجندية فانهم منذ الاحتلال أخذوا على أنفسهم اصلاحها اصلاً موافقاً للنظام والانتظام واشتروا ادخال بعض الضباط الانكليز فيها ليم بواسطتهم المرغوب كما هو المعلوم الا أنهم تعدوا مع الاستمرار قاعدة الانصاف في هذا الامر حيث رأوا انه مع وجود احتلالهم العسكري في القطر لا لزوم لوجود عسكري مصري يقوده ضباط وطنيون صادقون لوجوه عدة نضرب صفحاً عن ذكرها الآن فجعلوا يولون على قيادة الفرق من أبناء جلدتهم الضباط الكبار لتكون الجندية طوع أمهرم

ثم رأوا أن من الاحوط للمصلحة جعل الضباط الصغار أيضاً ان لم يكونوا منهم فمن تربوا على المبادئ الانكليزية أو ترقوا بواسطة الانكليز لكي لا يخدموا الحكومة والوطن بل يخدموا الاغراض فالاول تيسر لهم بواسطة المدرسة الحربية فالتلميذ الذي لا يحصل على الشهادة في غير مصر

فشرعوا في عزل من أرادوا من ضباطه الوطنيين واستبدلهم
بضباط انكليز يجهلون أحوال البلاد وعوائد الاهلين وأخذوا
ينازعونه السلطة مع النيابة العمومية تارة والمديرين أخرى
وأخيراً تدرجوا من ذلك الى جعله ادارة مستقلة خارجة
عن سلطة المديرين وضمها لادارة الضبط والربط التي أصبحت
في أيديهم آلة صماء تديرها يد الاغراض كيف تشاء فنشأ عن
عملهم هذا ثلاثة أمور . أولها حصر سلطة المديرين في جباية
الاموال ونزع ما كان لهم من النفوذ بواسطة تسلطهم على
البوليس وناهيك بما ترتب على ذلك من زيادة جراءة الاشقياء
على انتهاك حرمة القانون وعدم تهيب الحكام بسبب ضعف
نفوذ المديرين . وثانيها استحوادهم على قوة البوليس المتوقف
عليها تقرير الامن العام وما ظنك بعد هذا بالامن وما هي
حجة الاحتلال ؟ . وثالثها زيادة الارتباك في الاعمال وعدم
استقرار البوليس على حال من الاحوال لجهل رؤسائه بامور
البلاد ومخالفة نظامه لعوائد الاهلين حتى تسبب عن ذلك
جميعه من الخلل العام في ادارة البوليس وفقدان الامن

المحتلين الا المن علينا بالاصلاح وهو وان حصل في بعض
الشؤون فانما ضرره لا يوازي ما يستفيد منه المصلحون فانا
لو نظرنا الى نتائج أعمالهم التي أجروها في هذا القطر منذ
بدأ الاحتلال الى الآن لا نرى نتيجة أتت بفائدة على
القطر خاصة ما لم تكن أفيد لهم وأعم لمصلحتهم هذا اذا لم
يقابلها من الضرر ما يوازي النفع أو يزيد عنه أضعافاً ولنكتف
الآن بذكر ما ابتليت به جنديتنا والبوليس من ذلك
الاصلاح وما نشأ عن تداخل المصلحين في شؤونها من
الضرر أو النفع لنرى ما هي النتيجة التي عادت على القطر من
هذا التداخل والاصلاح فنقول

فاما البوليس فانهم رأوا ان ادخال الاصلاح عليه
وتنظيمه لدرجة أحسن من ذى قبل لا يتم الا بتدخلهم
الكلى في أمورده واستبدال نظامه الماضى بنظام جديد موافق
للمغرض لا لمصلحة البلاد التي لا تتأتى الا بواسطة رجالها
الخبيرين بأحوالها وعوائد سكانها فسئواله اللوائح المتعددة
ورتبوا النظامات المتباينة وساعدتهم الظروف في التداخل

العظيمة التي ترتكبها هذه الحكومة لا بغل يدها عن تعميم التعليم كما هو الواجب عليها فقط ولكن بمحاولة تقليل عدد المتعلمين من المصريين بتلك الضرائب الفادحة التي تضربها على طلبة المدارس فضلا عن العراقيل التي تقيمها في وجوههم بضيق نطاقها وأسباب أخرى لا محل لذكرها هنا وهي معرضة عما يقال لها ولكل أمر غاية ولكل أجل كتاب

وكتب مقالة في يوم الاربعاء ٨ مارس سنة ١٨٩٣
هذا نصها :

الاعمال بمقاصدها

« لست والله ممن يقول كلمة يريد بها جزاء من زيد أو تقرّباً من عمرو بل هو الحق يضيق به الصدر فيعلنه اللسان وهو واثق سر قوماً فإنه يسيء آخرين لكن لا سكوت مع الحجة ولا عي مع الرهان فاننا معاشر المصريين قد مضى علينا سنون عشر لم نسمع فيها سوى كلمة الصبر ولم نستفد من

القول الفصل ولم يذر بعده مجالاً لقائل ؟

نقول تعميم التعليم . ونكتب في تعميم التعليم . ونتمى
تعميم التعليم . والحكومة المصرية التي يجب أن تسمع هذا
الصوت مثل غيرها كأنما في آذانها وقرفها لا تسمع وكأنما على
قلبها قفل فهي إذا سمعت لا تستطيع أن تعقل !!

علمت هذه الحكومة المضروبة مثلاً في الحكومات
أن تعميم التعليم فضلاً عن كونه واجباً على الهيئات الحاكمة
القائمة به قياماً محموداً يعود عليها بأثير الفوائد إذ هو وحده
الكفيل بتقليل عدد الجرائم وتوثيق عرى الأمن وتوطيد
دعام النظام ولكنها لا تريد أن تقتدى بغيرها من الحكومات
الرشيذة لئلا يأتي عليها قريباً ذلك الوقت الذي تكون فيه
كل الرؤوس عاقلة وكل العيون مبصرة فتبين سيئاتها للناظرين
وإذ ذاك تسقط في نظر الرأي العام من على مجدها ويتولى
هو إقامة حكومة عادلة لا تميل مع الأهواء ولا تنى في نشر
لواء العلم في كافة الأرجاء

وطالما كتب الكتاب وخطب الخطباء ميينين الجريمة

ومقرّاً لأعظم الأمم قوة وأسماها علماً ومدنية حتى توالى عليه
من عصور الشدة والرخاء مالم يتوالى على مركز في
القسم المعمور

ولا شبهة في أن الله تعالى سخر في هذا العصر لبقاء
أهمية هذا المركز وسلامة عناصره وأحياء شعوبه من وهب
من قوة العلم والحكمة وعظيم السياسة والقوة ما جعل
الابصار شاخصة اليه والقلوب والآمال متعلقة عليه الا وهو
نخر آل عثمان وفريدة عقد السلاطين العظام مولانا السلطان
الغازى عبد الحميد خان أيده الله بايده الاسنى وأمدته بعونه
العظيم ومتم الأمة والبلاد بطول بقاءه وأجرى على يديه من
الخير ما به رفعتها ان الله كريم مجيب

*
* *

هذا قول الفقيه في المدنية وتعميم التعليم فماذا عسى أن
أقول في شرحه والقول واضح جلي وماذا أقول في التعقيب
عليه وقد أخذ هو الطريق على من يكتب بعده في هذا
الموضوع اذ وصل بين أطرافه أحكم وصل فجاء قوله فيه

واستعمال وسائل أعم فائدة لما ان الوسائل المتخذة لذلك الآن سواء كانت جبرية أو ترغيبية غير وافية بغرض أمير المؤمنين الذي من مقتضى ارادته السامية تعميم التعليم بين جميع طبقات الرعية بدون استثناء والواسطة لذلك سهلة سنبسطها برسالة تالية ان شاء الله . وأملنا بالله وبعناية الخليفة الاعظم أدام الله ملكه ان نرى قريبا من نتاج حكمته ومزيد سهره علي مصلحة رعيته ما يجعل المملكة العثمانية في مقدمة الممالك الشرقية في مسابقة الامم الاوروبية بدليل ما هو مشاهد في جميع العثمانيين من ترقى الافكار وعظيم الاتباه ومارزقود من صفاء الخواطر وقوة الضمير ولا سيما وهم في مركز مهم من الشرق يساعدهم على نيل الغاية أولا بسبب قرب اتصاله بالغرب وتيسر تلقيه لمواد المدنية مباشرة بدون كثير عناء وثانياً لتوسطه بين بقية الممالك الشرقية والقارة الاوروبية وكونه بهذه المزية نقطة الاتصال التجارية بين الجهتين وهو لذلك مركز كانه من الاهمية في كل جيل من الاجيال ما جعله منبت الرسل ومهبط الشرائع والوحي ومظهر المدنية ومطمح أنظار الفاتحين

وبالاجمال فما ذكرناه هو أقل ما ترتب على تعميم التعليم
وحرية الجرائد في أوروبا فضلا عما نتج عن ذلك من توسع
الشعوب الأوروبية في جميع الفنون العلمية وترقيتهم من
المدنية الى درجة جعلت الشرق بعد ذلك المجد الباذخ في حاجة
للغرب حتى بالضروريات الحيوية وهذا العمر الحق انذار
كان لنا

واننا ليسرنا معاشر العثمانيين ما نراه من جلالة مولانا
أمير المؤمنين الذي أحيا في قلوب الأمة الضعيفة الامل وأعاد
للشركيين أيام الخلفاء الاول من الاهتمام بهذين الامرين
العظيمين وأخصهما تعميم التعليم وتوجيهه العناية الفائقة بإنشاء
المدارس ونشر العلوم والمعارف في جميع أنحاء السلطنة السنية
حتى اننا لندى المدارس التي أنشئت في عهده السعيد على
مصرف الحكومة لا تقل مادة التعليم فيها عن مثلها من مدارس
أوروبا وذلك مما يشرنا بكل مستقبل حسن ان شاء الله تعالى
الا أنه يعوزنا لتدارك خطر المدنية الأوروبية والوصول الى
الغاية المطلوبة سلوك طريق لتعميم التعليم أقرب سرعة

الثانية لأعمال العمال في الهيئة الحاكمة لا يقاومهم عند حد الواجب
وتطهيرهم من درن الغرور فتراهم محاسنين بسببها على كل
ما يصدر عنهم من الأعمال متوخين طرق الحكمة في كل
حركة وسكون فلا يتجرأ أحدهم على أى عمل يخالف مبدأ
الاستقامة ويضر بصالح الشعب والمملكة مادامت الجرائد
الصادقة معدة صفحاتها لقياد أعماله ونقد أفعاله خدمة للحق
وقياما بالواجب حتى تبودلت الثقة لذلك بين الهيئتين
الحاكمة والمحكومة فتساعدتا على كل ما من شأنه جلب المنافع
العمومية والاستمسك بواجب الحقوق الوطنية وأصبحت
الجرائد لدى الشعوب المتقدمة من أهم ما تدعو إليه الحاجة
وتقوم به حياة الشعب الأديبة وتدور عليه رحي السياسة فهي
مجرى أقلام الكتاب ومطمح نظر الساسة ومنعكس أشعة
أفكار العلماء وبها تعلن جلائل الأعمال وتشهر مناقب الرجال
كما ان فيها تعدد الحسنات وتحصر السيئات فهي لذلك
مصباح الاسترشاد ومرقاة الافكار وداعية الرهبة والتهذيب
والباعثة على الرغبة والنشاط

كالمسألة البانامية في فرنسا ومسألة مصارف التوزيع في ايطاليا
ومسألة السلاح في المانيا فانها جميعا لم تصدر الا عن أعظم
رجال تلك الامم المتصدرين في الهيئة الحاكمة الذين لم يتوصلوا
الى المناصب العالية التي وسدت اليهم الا بشهرتهم بالعلم
وكفاءتهم للرئاسة ومع ذلك فحيث تحرر علمهم عن الفضيلة
فعملهم كان مخالفا لها أيضا الا أنهم لما كانوا في هيئة حاكمة
لم تستأثر بالعلم دونه الهيئة المحكومة فقد افتضح أمرهم
وكشف الحق سترهم فجوزوا بعملهم حين لم ينفعهم علمهم
ولو صدر عنهم ذلك في شعب عم فيه الجهل وانفردت حكامة
بالسلطة والعلم فاستعملوهما في سبيل الغاية لما أصابهم شيء
من ذلك مهما تمادوا في سلب الأمة وخراب البلاد

ومما اعتبر من أركان المدينة الغربية وأهم أسباب
انتشار المعارف لدى الشعوب الاوروبية حرية المطبوعات
وأخصها الجرائد سياسية كانت أو علمية فانها قامت بخدمة
المدينة والعلم خير قيام وكانت هي الوصلة الحقيقية بين الحاكم
والمحكوم لبث الاولي لانوار الفضيلة والعلم بين الناس ومراقبة

تضعها يد الاغراض حيث شاءت
اذ من المقرر أن كل هيئة حاكمة لابد ان تكون
عالمة والعلم اذا لم يكن مقرونا بالفضيلة أو العمل يؤدي
بصاحبه الى استعماله في غير وجهته في كثير من الاحيان فاذا
استأثرت الهيئة الحاكمة بالعلم دون الهيئة المحكومة وكان علم
أفرادها غير مقرون بالفضيلة وهو الاغاب يتصرفون بمصالح
الرعية تصرفا لا يحتمل اتيانه بنتيجة حسنة قط

وأما اذا كانت مبادئ العلوم عامة بين أفراد الهيئة
كما هي لدى الهيئة الحاكمة فلا يمكن للاولى ان تستعمل علمها
باية وجهة يتأتى عنها ضرر الثانية مادامت مشاركة لها في العلم
ورقية عليها في كل عمل الا في بعض أحوال خفية ربما يتعذر
وقوف العامة عليها

ولا يستغرب قولنا (وهو الاغلب) اذ قل ان تجتمع
الفضيلة والعلم الا بما استثنى منه أفراد يعدون على الانامل
في كل هيئة حاكمة مهما تنوعت أشكالها ولا حاجة بنا الى أن
نستدل علي صحة ذلك باكثر المسائل الاختلاسية الراهنة

الكثيرة حينما تغيرت الاعمال وساءت نيات الرجال فتقلص
ظل العلم الا لدى الخاصة الذين استعملوه لغير وجهته وحملوه
على غير محمله فشوهوا وجه الفضيلة وكانوا سببا لتداعى
أركان العلم وزوال صولة الملة فتلاعبت بالأمم الشرقية من
ذلك الحين أيدي التفريق وعم بينهم الجهل ومازالت بهم
الحال بين ادبار واقبال حتى قضى على بقية مالديهم أو كاد
بقيام الامم الغربية وظهور المدنية الاروية التي تأسست
على قواعد حفظ لثباتها وأضمن لاستمرارها وأهم تلك القواعد
تعميم التعليم بطرق سهلة ووسائط مقبولة كافلة لحسن مستقبل
الشعوب الغربية حتى كان من نتائجها التدريجية ما نراه الآن
من انتشار المبادئ العلمية بين جميع طبقات الناس من
أولئك الشعوب ومشاركتهم للهيئة الحاكمة في كل عمل مقتضاه
جر المنفعة للوطن أو دفع الضرر عنه ولا يخفى ما يترتب على
ذلك من الاهمية التي أقلها مراقبة أعمال الهيئة الحاكمة
والزامها بالسير على طريق السلامة في جميع الاحوال لئلا
يحدو بها استئثارها بالعلم الى جعل الهيئة المحكومة آلة صماء

اذ لم يترك الخلفاء في عصرهم وسيلة من وسائل تعميم التعليم
الا اتخذوها ولا طريقة لبث أنوار المعارف الا سلكوها
فشيدوا المدارس ورتبوا لها المراتب وتقدموا لاهل الفضل
بترجمة الكتب العلمية من جميع اللغات ورغبوا الناس في الاقبال
عليها والاقتباس من فوائدها فراجت سوق العلوم وأينعت
رياض الفنون وكثرت التآليف والتصانيف فعمت الرغبة
في العلم وتوفرت بذلك مواد القوة للخلفاء فدوخوا الممالك
وعمروا المسالك وأصبحت الامة العربية في أقل من جيل وقد
ملأت الخافقين ديناً و لغة وعلماً وأدباً وسياسة وغير ذلك من
الامور التي هي نتيجة تعميم التعليم ومثابرة الخلفاء على بث
روح المعارف والعلوم بين الناس وانتقائهم لترويج مقاصدهم
وادارة مهام الاعمال خيرة الرجال وأفاضل الناس ومشاركتهم
في كل عمل لفظاً حل العلماء ومشاهير الفضلاء حتى كانت الممالك
العربية في أيام زهوها مخنوفة بأهل العلم مشيدة على دعائم
النجاح مشرقة بأنوار الفضيلة والفضل

نعم ذلك لم يدم للشرق لكن لما طرأ عليه من العوارض

تدرجت في مهدها المدنية حتى بلغت أشدها من الكمال
وقامت فيها للمعارف والعلوم سوق تزاخم فيها الشعوب
الشرقية تزاخم الورود على الماء الزلال فاستكملوا أسباب
الترقى ومهدوا سبل العمران فتوفرت لديهم وسائل القوة
والنجاح فشيّدوا الممالك وعمروا الامصار وأقاموا للتمدن
بقوة الحياة الادبية دعائم ما كانت لتقوى على هدمها
عادات السنين والايام لو لم يكن النقص مقارنا للكمال
والدهر لا يستقيم على حال

اذا تم شيء بدأ نقصه ترقب زوالا اذا قيل تم

حيث عبثت بهم بعد ذلك يد الاستغراق في نعيم الرفاهة
والتلهي عن المعارف والعلوم بالتحاسد الذميم فتطرق الى نظامهم
الخلل وأخذت عوامل الانقسام والتقهقر تتوالى على الشرق
وما زال يضعف نوره وتتراخى قواه حتى ظهور الاسلام وقيام
الامة العربية بخدمة المدنية والعلم خير قيام . اذ عاد مظهر
المشرق وقتئذ بمظهر جديد ودبت في عناصره روح الحياة
فاستقامت له الاحوال وتحلى من المدنية بجلل البهاء والكمال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كان المرحوم مع تحريره مجلة المدرسة واشتغاله بالتأليف وقيامه خير قيام بتأدية واجبه المدرسي لا يثنى له عزم ولا يتأخر لحظة عن نشر المفيد من رسائله الفائضة غير المملوءة حكمة في جريدة الاهرام الغراء فقد كتب مقالة في عددها الصادر في يوم الجمعة ٢٤ فبراير سنة ١٨٩٣ هذا نصها :

الملكية وتعمير التعليم

« مهما بحثنا في تواريخ الامم ونظرنا في آثار الانسان لانجد أمة عظيمة قامت على الارض وتوفرت لديها وسائل القوة والنجاح الا بالعلم ولا نرى أثرا جليلا الا وينبئنا عما لصاحبه من القدرة وما كان عليه من علو الهمم . هذا المشرق لقد مضى عليه في عهد شببته و زمان زهوه ونضرتة أجيال

مُصْطَفَى كَامِلَاتِنَا

فِي ٢٤ رُبْعًا

سِيرَتُهُ وَأَعْمَالُهُ مِنْ خُطْبٍ

وَأَحَادِيثَ وَمَسَائِلَ

شَيْئًا سِنِّيَّةً

وَعَمْرَانِيَّةً

« أَعْرَافِي بَهْرَانَا

كِرْمَاءِ لَضِيْقِنَا »

مبْدَأُ الْفَقِيهِ

الجزء الثاني

﴿ الطبعة الاولى ﴾

﴿ ثمن كل جزء ثمانية قروش صاغ ﴾

« حقوق الطبع والنشر والترجمة محفوظة »

سنة ١٣٢٦ هـ — ١٩٠٨ م

(مطبعة « اللواء » بشارع الدواوين نمرة ٢٩ بمصر)



﴿ مصطفى كامل باشا ﴾

﴿ في الثامنة عشرة من عمره ﴾

www.alkottob.com

أنت بالله عزيز لك بالله انتصار

(نشيد الحدود)

وهو نشيد وضعناه قبل سفر الجناب العالي الى الحدود
ولحنته الموسيقى هنا وضربته وأنشدته العساكر في كروسكو
عندما شرفها ركابه السعيد

السعد أقبل والمننا منذ زارنا عباسنا
والبشر قد وافى لنا بركابه السامى المقام
شرفت يا بدر السعود فاستبشرت أهل الحدود
وبدا على وجه الجنود فرح يدوم مدى الدوام
فاكرم بجندك يا أمير فلامرك السامى أسير
ولقطره أسمى نصير واهناً به يا بن الكرام
واحكم عبيدك والبلاد بالعدل دوماً والرشاد
واسلم ودم ياذا السداد واسعد بمصرک في سلام

﴿ تم الجزء الأول ويليه الجزء الثاني ﴾

سادجة خالية عن كل شيء قابلة لكل ما ينقش عليها فان
نقش الخير عاش الصبي سعيداً موفقاً للخير وان نقش الضلال عاش
عيشة الضالين المضلين عليهم غضب الآله الى يوم الدين والسلام

﴿ باب الاناشيد الوطنية ﴾

مظهر الاوطان مجد وعلاء ونخار
وزمان النيل سعد ورخاء ويسار
رفعت مصر محلا هو للشرق منار
وتحلت وتجلي لمعاليها نهار
قامت الآثار فينا بعد ان طال السرار
كشفت مجداً دفيناً ليس يعلوه غبار
يا بني الاوطان فخراً فمعالكم كبار
وتلقوا العصر حراً لكم فيه اشتهار
جازت النجم الارياك وعلا التاج ازدهار
أنت عباس المليك كيف لا ترقى الديار
لك مصر يا عزيز ولك النيل مسار

الشريف ولا غرابة في أن كل ما خالف مبادئ الدين فهو
قبيح وضلال محض ومتى سار على هذا الطريق الحميد يعيش
حينئذ مهناً البال لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه
وحينئذ يقال انه قد تمهدت له سبيل الهداية وتمت له السعادة
وبلغ ذروة المجد والسيادة

وأما من تربى على المبادئ الفاسدة واشتغل بالرسوم
العاطلة فانه متى شب يشب فاسد الاخلاق عديم التهذيب
تسول له نفسه أن يعمل كل قبيحة ويأتي كل رذيلة فاذا سمع
ولو من بعد ان أناساً متمسكون بأطراف الدين ناهجون في
كل أمورهم منهج اليقين رشقهم بنبال ملامه واستنطق الامر
واستقبح أحوالهم وندد بأعمالهم وربما جاهر لهم بالعداوة
وانا نسوق القول في هذا الموضوع ونحن في أمل أن
ينتبه أولو البصائر الى تربية أبنائهم على مبادئ الدين الحنيف
وتثقيف عقولهم بأحكامه الشريفة وحكمه المنيفة والافهم يكونون
سبباً حقيقياً في خسرانهم طول حياتهم ولا بد أن يتقرر عند
الآباء أن الصبي أمانة عند والديه وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة

الضلالة في عقول الاحداث حيث الاء تنافس في البحث
على اعظم المدارس الافرنجية سواء كانت في داخل البلاد أو
خارجها ويدخلون فيها أولادهم قبل أن ترتكز في مخيلتهم
قواعد الكتابة العربية التي تعلموها في زمن الطفولية فما
يلبث الطفل زمناً غير بعيد حتى يرتد وتضمحل أفكاره

فليعلم كل انسان عاقل أن التربية في الصغر رأس مال
الانسان واليهما يرجع ادراكه ومنها يلتمس الفضيلة في جميع
ما أشكل عليه من أموره ولذا نرى الانسان الذي تربى على
مبادئ فاضلة وتغذى بلبان المعرفة الحقة والاصول الصادقة
ونشأ في حجر الادب والمكارم وتحقق بحقائق الدين وبنى
بنيان عقله على أساسه المتين وعول في كافة أحواله على ما
حجم به وأجازه وأباحه وأجهد نفسه في العبارات القولية
والفعلية يكون انساناً كاملاً مهذب الروح عظيم القدر رفيع
الشأن ومتى أتم معرفة العلوم الفقهية لا بأس من اشتغاله في
العلوم الطبيعية والفلسفية وغيرها باحثاً عن وقائعها وأسرارها
فياخذ منها ما يراه حسناً ويترك ما يخالف مبادئ دينه

في المجاهدين (ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون
واديا الا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون)
واعلموا وتيقظوا ان خالقكم جلت عظمته وعظمت قدرته
يقول (ياايها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت
أقدامكم) والسلام على من اتبع الهدى والباقيات الصالحات
خير وأبقى والعاقبة للمتقوى

﴿ آفة التربية ﴾

(لخصرة النبيه اللبيب حسن افندى شاكر التلميذ)

(بمدرسة دمياط الاميرية)

قد استعصى تذليل أوابد السعادة الابدية والحياة
السرمدية وانحلت قوى الاستعداد لعدم انطباع صور الحقائق
في صحف أفكار أبناء الزمان حيث ضلوا عن طريق أهل
التحقيق والعرفان فاحتجبت عنهم الفضائل والمارف وانعكست
أنظارهم في مرآة الرذائل وذلك لما استحدثوا بسوء التصرف
في تربية أولادهم على المنهج القويم فاصبحوا وقد بثوا روح

حينما أخبرهم بذلك حيث كانوا يرونه بقياساتهم الباطلة
كالمستحيل والله على ما يشاء قدير

فيا ايها المؤمنون بايات الله لا تكونوا من الذين يؤمنون
ببعض الكتاب ويكفرون ببعضه واعلموا ان دينكم الاسلام
سيحيط بأقطار الارض وتتسبط انواره على البسيطة (ولو شاء
ربك لا آمن من في الأرض كلهم جميعاً) وما ذلك على الله
بعزيز . فلا تلقوا اسماعكم الى الذين يصدون عن سبيل الله
ويدعون المؤمنين الى القعود ويمنعونهم عن نصره الدين ويظنون
في الله ظن السوء ولا يقولون الا بالظن ويضربون لـحـم
أمثالا ما أنزل الله بها من سلطان ويبحثون عما لا يعلمون .
فيا اخواني هلموا لنصرة دينكم ولا تغيروا ما بأنفسكم من
المجاهدة في اعلاء ألوية الدين ببذل الأموال والانفس حتى
لا يغير الله ما بكم من الشوكه والعظمة والقدرة والسيادة
ولا تنقضوا عهد الله حتى لا ينقض عهده تعالى شأنه (وأوفوا
بعهدى أوف بعهدكم) فانفقوا في سبيل نشر بساط دياتكم
ما استطعتم (وجاهدوا فيه حق الجهاد واستمعوا قوله تعالى

بل يفتدون أنفسهم في سبيل نشر دينهم حيث يهاجرون من
قطر الى قطر ومن بلد الى بلد متكبدين مشاق الاسفار راكبين
مهاوى الاخطار فرحين نشيطين غير مملين فكم لله من قوم
مجاهدين وهم أيقاظ وكم لله من أناس قاعدين وهم رقود .
عباد الله المسلمين اعلّموا ان الشيطان يعدكم الذل والخيبة
ويلقى في قلوبكم اليأس ويملاً صدوركم من الوسوسة لكي
يخمد حرارة ايمانكم فتقعوا عن نصره دينكم الحق واعلموا
ان قد جعل الله كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا
فلا تتبعوا خطوات الشياطين ولا تكونوا عن نصره دينكم
قاعدين . أيها المسلمون العاكفون على باب اليأس والظنون
أليس الله قد وعدنا النصر أليس الله يقول (ويأبى الله الا
ان يتم نوره) أفليس وعد الله هو الحق . ألا ترون انه قد ظهر
جل ما أخبرنا الله به بلسان نبيه نبي العدل والرحمة . هل
نسيتم الا كاسرة وشوكتهم والقياصرة وقدرتهم فكيف فتح
الله تعالى أبواب قصورهم الشاهقة وحصونهم الشاخنة المشيدة
على المسلمين . والمنافقون كانوا يظنون على رسولهم ظن السوء

بالمهاجرة اليهم ومن لا يقدر عليها فليساعدهم بالمال ليستعينوا
به على نشر دينكم وان بخلتم يبذل قليل من أموالكم في سبيل
رضاء رازقكم وخالقكم فعلى الأقل عاونوهم بأبكار أفكاركم
فارسلوا اليهم مقالات ورسائل تحتوى على أصول دينكم
وتكشف القناع عن وجوه ربات حجال شريعتكم الزهراء
حتى تستنير بأنوار الاسلام قلوب تلك الاقوام الذين لم يعلموا
من دياتكم الامادس لهم أرباب الغايات ووسوس لهم أعداء
الحق ولا تقولوا قد ذهبت أربابه اذ (كل من سار على الدرب
وصل) . يا اهل الغيرة والحمية ان كنتم لا ترون بعين بصائرهم
الجنة وما فيها من نعماء الله الباقية والجسيم وما فيها من نعمات
الله الدائمة ولا ترجون تلك ولا تخافون هذه فلا جرم ترون
بأبصاركم المكاتب والمطابع الدينية التي قد أسست في بلادكم
وتسمعون دوى المبشرين المنتشرين في مدنكم كاتتشار الجراد
في الحمى وتقرءون الجرائد والرسائل الشهرية والاسبوعية
المؤسسة لبث النصرانية بينكم وتشاهدون الجمعيات الدينية
وتظاهروهم في نشر دياتهم وهم لا يؤثرون أموالهم على ذلك

الله الخفيف بعالم التمدن الحديث

وبعد ان بلغ مراده حضرة الميرزا من سفره السعيد
عاد الى مصرنا العامرة وكتب رسالة آتي فيها بما يؤيد صحة
اسلام القونصل وأنه يجب على كل مسلم ينطق بالشهادتين
ان يساعده على قدر استطاعته

ولما كانت رسالة حضرة الميرزا الفاضل في غاية الاهمية
وواجب على كل من له أدني الملم بالقراءة والكتابة ان يطالعها
رأينا ان نتحف القراء بنخاتها لما فيها من الفوائد الجمّة . قال
أكثر الله من أمثاله :

(أيها المؤمنون الذين يعلمون أوامر الله فيعملون بما
أمرهم الله به والذين لا يلهيهم تكاثر الزخارف الفانية عن ربهم
ولا يشغلهم التفاخر بما سيفنى ويزول عن نصرة دين الله
واعلاء كلمته اعلموا وفقم الله ان أبواب الهمم فتحو لكم
أبواب بيت معالم دينكم وسبل نشر معالي شرعكم فسارعوا الى
نصرة دينكم على حسب وسعكم وقدرتكم فمن يقدر منكم على
مساعدة اخوانه هؤلاء بالمهاجرة الى تلك الاقطار فليساعدهم

﴿ الاسلام في أمريكا ﴾

ما انتشر خبر اسلام (الكسندر روسل وب) الذي كان قونصلا من طرف دولته (الممالك المتحدة بامريكا) في منيلا من جزائر فيليبين من أعمال الهند حتى كثر القيل والقال وذهبت الناس في شأنه مذاهب شتى فمنهم من يقول انه يريد باظهار اسلامه ان يدس دسيسة للمسلمين ومنهم قائل انه قد اختل شعوره وغير ذلك مما يحاكي هذه الارجيف التي لا يصح القطع بها مطلقا وقد استمرت الناس تخبط في هذا الامر خبط عشواء حتى قام من المسلمين حضرة العلامة الفاضل صاحب الهمة المشكورة الميرزا عبد الرحيم أفندي الآكهي التبريزي الأهري وتوجه الى أمريكا حيث ألقى عصاه بمدينة نيويورك التي بها القونصول المهتدى وأقام بها مدة ثمانين يوما تباحث فيها معه كثيرا ومع من أسلم غيره وبحث ودقق البحث في أحواله ونواياه حتى علم أنه على هدى من ربه وأنه مسلم يجاهد كل جهده في نشر دين

ليلة ١١ من شهر بؤنه القبطى . ويبلغ النيل بحسب العادة الى نصف زيادته فى نحو ١٥ من أغسطس و ١٠ مسرى ويستمر فى الزيادة الى نحو ٢٠ سبتمبر و ١١ توت وتنتهى الزيادة عادة فى يوم ١٧ توت وهو يوم الصليب ويستقر على ذلك نحو سبعة عشر يوماً تقريباً ثم ينقص بالتدرج وينحصر فى مجراه الاصلى مدة شهر نوفمبر الموافق بابه ثم يستمر فى النقص الى شهر مايو من السنة التالية ثم يبقى على الحالة التى هو عليها تقريباً الى الانقلاب الصيفى .

وأحسن زيادة للنيل فى العادة نحو ٧ أمتار و ٥٥ سنتيمتراً تقريباً فوق عادة انحطاط الماء فإذا كانت الزيادة كثيرة جداً تسبب عنها الغرق وإذا كانت ضعيفة جداً حصل منها الشرق وقد نتج من تحليل ماء النيل بالطرق الكيماوية فى وقت نقصانه أنه يشتمل على مقدار يسير من موريات الصودا وهو خفيف جداً وطعمه لذيذ ولذلك فهو أنقى من ماء نهر السين يباريز خمس مرات

يصب في البحر المتوسط تحت مدينة دمياط ويخرج من هذين الفرعين ترع كثيرة لرى جميع أراضى الوجه البحري .

ويتكون بين الفرعين المذكورين مع ساحل البحر الأبيض المتوسط بين رشيد ودمياط مثلث متسع قاعدته ستون فرسخاً وارتفاعه خمسون فرسخاً . وهذا المثلث يسمى باسم دلتا عند الأوربيين . وأول من سماه بهذا الاسم اليونان لمشابهة شكله لحرف دلتا اليوناني وهو حرف الدال . وهو مكون من مديرتي المنوفية والغربية الآن .

وأما سبب فيضان النيل وزيادته فنزول أمطار دورية ببلاد الحبشة والسودان فإذا لم تنزل الأمطار في سنة من السنين بكثرة نقص فيضان النيل فيها بالنسبة لما نقص من الأمطار . وتبتدىء الأمطار الدورية المذكورة من شهر ملث لكن لا يظهر أثرها في نيل مصر إلا في شهر يونيه الأفرنجي وهو شهر بؤنه القبلي . ومنشأ هذا التأخر طول المسافة التي يقطعها الماء وما يتلعه الرمال بحافته التي يمر فيها إلى أن يصل مصر . ويرى المصريون أن النيل يأخذ في الزيادة عند نزول النقطة

وبلاد النوبة تكثر فيها الشلالات المعطلة لسير السفن
الجارية في النيل المتوسط . فمن (رشيدى) الى (أم دراس)
ثلاثة شلالات ومن (أم دراس) الى ناحية (ضال) سبعة
شلالات ومن (ضال) الى (وادى حلفا) تسعة شلالات
وأكبر هذه الشلالات شلالات (وادى حلفا) .

وأما النيل الاذني أو نيل مصر فيتدىء من جزيرة
(فيه) المذكورة سابقا حيث مبدأ مصر الاصلية . وعلى بعد
ثلاثة آلاف متر تقريبا من هذه الجزيرة جهة الشمال شلال
اسوان وهو آخر الشلالات ومن اسوان يجرى النيل عموديا
تقريبا على مجراه الاصيلي حتى يصل الى دندرة ثم منها الى
القاهرة وينعطف انعطافات كثيرة ويمر بمدن متعددة وقرى
جمعة ويروى جميع أراضي مديريات الوجه القبلي الى نهاية
مديرية الجيزة مباشرة أو بواسطة الترعة الخارجة منه وينقسم
عند القناطر الخيرية الواقعة في شمال القاهرة على بعد خمسة
فراسخ الى فرعين أحدهما وهو الغربي يصب في البحر
المتوسط تحت مدينة رشيد والآخر الشرقى وهو الاكبر

ببلاد الحبشة ويتجه نحو الشمال الشرقى ويختلط بجملة نهيرات متكونة من السيول فيزيد حجمه ثم يدخل بحيرة دنبعة من جنوبها ويحترقها ولسرعة جريانه لا تختلط مياهه بها وبعد خروجه منها يكون شلال (الاطه) ويمر غربي بلاد (سنغالا) ويقطع ثلاث شلالات حتى يصل الى جهة ستار فيروى بها سهولا واسعة وهناك تنصب فيه عدة مجارى . وهذا النهر مع ما ينصب فيه من المياه لو لم يتصل به النهر الابيض لكان ضعيفا وربما كان لا يصل الى أرض مصر بل يضعف في الرمال . فان مياه النهر الابيض تبلغ ثلاثة أضعاف الازرق

وأما النيل الاوسط فيجري مستقيما من الخرطوم محترقا معظم بلاد النوبة الى قرية (جسيري) ثم يرسم قوس دائرة وينتهي الى جزيرة (مقراط) وفي شاطئه الشرقى بالقرب من قرية (ضامر) أو (دامر) ينصب فيه نهر (اطبرة) أو (عطبرة) ثم يجرى من جزيرة (مقراط) الى الجنوب ثم يعطف الى الشمال الشرقى راسما قوس دائرة الى جزيرة (بلاق) أو (فيله) المتقدم ذكرها محترقا بلاد دنقلة

وسميت فيكتوريا نيازا باسم ملكة الانكليز عند اكتشافها
بمعرفة القبودان سبيك الانكليزي سنة ١٨٥٨ ب.م. وحدها
الجنوبي في ٣١ درجة من الطول الشرقي و٧ درجات من
العرض الجنوبي ويصب منها في هذا الحد فرع متكون من
السيول كثير الاوحوال . وعرضها في الجزء الجنوبي منها من
١٢٠ الي ١٤٠ كيلو متراً وطولها يمتد الى شمال خط الاستواء
ويتضح من الاكتشافات الحديثة ان النهر الابيض يخرج
من البحيرة المذكورة بثلاثة فروع ثم تجتمع في فرع واحد يتجه
نحو الشمال الغربي ويكون شلال (جاربو) ويروي بلاد
« باري » ويمر بعد ذلك بغابات وأجمات يتفرع فيها جملة فروع
ويصب فيه جملة فروع آخر متكونة فيها السيول وأهمها
(كيلاك) الآتي من غربي السودان الوسطي بعد انصباب
بحر الغزال فيه و (صوبات) الآتي من شرقي بلاد الحبشة .
وطول مجرى النهر الابيض من منبعه الى الخرطوم حيث
يجتمع مع النهر الازرق يبلغ أكثر من ٢٣٠٠ كيلو متراً
وأما النهر الازرق فنبعه بين الثلوج المحيطة بجبال القمر

من الخرطوم في بلاد النوبة الى مصر فالبحر الابيض المتوسط
ويصب فيه

وينقسم نهر النيل الى ثلاثة أقسام أحدها يسمى بالنيل
الاعلى أو نيل السودان والحبشة وهو من منبعه الى الخرطوم.
ثانيهما يسمى بالنيل الاوسط أو نيل بلاد النوبة وهو من
الخرطوم الى جزيرة بلاق المسماة جزيرة فيله وقصر أنس
الوجود وهي جزيرة في النيل قبلي شلال اسوان بنحو ١٠
دقائق - ثالثها يسمى بالنيل الادنى أو نيل مصر وهو من
الجزيرة المذكورة الى البحر الابيض المتوسط . أما النيل
الاعلى فيتكون من نهريين كبيرين يجتمعان عند الخرطوم
ويقال لاحدهما النهر الابيض وثانيهما النهر الازرق ويسمى
كلا منهما بحراً عند أهالي الجهات المارين بها . فالنهر الابيض
يعتبر كأنه الاصل الحقيقي للنيل وهو يخرج من بحيرة كبيرة
في جنوبي بلاد السودان تسمى بحيرة (أو كيريفي) على
حسب ما تحقق من الاكتشافات الحديثة وهذه البحيرة
تسمى نيازاً أيضاً أى الماء العظيم عند أهالي البلاد المارة بها

الى الكلمات المخطط تحتها ونصح الناشئين بأن لا يلتزموا
السجع في كتاباتهم

الجزء التاسع

(جمادي الثانية سنة ١٣١١)

(منابع النيل)

اطلعنا في العدد الثامن من جريدة «المهندس» الغراء
على نبذة تحت هذا العنوان للعلامة المفضل سعادة علي باشا
ابراهيم ناظر المعارف العمومية سابقاً تأتي بها هنا افادة للقراء
الكرام واثباتاً لما يقوله كل وطني صادق من أن مصر
والسودان توأمان حقيقيان في انفصالهما ضياع لمصرنا العزيزة
قال حفظه الله

ان نهر النيل يتكون من نهري نهرين آتين من أقصى بلاد
السودان وبلاد الحبشة وهما النيل الابيض والنيل الازرق
ويجتمعان عند مدينة الخرطوم ويصيران نهراً واحداً يجري

وأنت لا تعرف الخطأ من الصواب وكيف تدبر أمور أموالك
ومعيشتك وأنت غر جاهل . عليك عليك بالعلم فإنه حلية
العقلاء ووشاح الفضلاء

« النسيب » — حقيقة حقيقة ان ما قلته هو عين الصواب
واني من الآن فصاعداً سأطلب العلم والادب وأعتني بعموم
فروعها خصوصاً باللغة الشريفة العربية حيث انها لغة
أجدادى فأرجوك دوام الحضور عندي لاقتبس من نور
علمك ما يفيدني

« الأديب » — الآن قد حصص الحق وزهق
الباطل ان الباطل كان زهوقاً نعم ان العلم شريف الغاية سامي
القصد فعلينا معشر الاخوان بالاجتهاد في تحصيل العلوم
والآداب لتنال ما ناله آباؤنا القدماء من الشرف الجليل
والمجد الاثيل

(المدرسة) نلاحظ على كاتب هذه الرسالة وكثير من
أمثاله ان الكاتب اذا تكلف السجع يكون قد قتل ذوق
عبارته بنفسه وأمات بهجتها بقامه كما اننا نستلقت أنظار القراء

أقبل على العلم واستقبل مقاصده

فأول العلم اقبال وآخره

« النسيب » — دعنى أيها الاستاذ من العلم ومحاسنه
فانه لا يحتاج اليه انسان مثلي غنى فاني أمتع بمالى وأتقنه على
خدمي وأتباعي ولا ينفعك اليوم الا اجنيه الرنان الذى تجلس
به فى أى مكان وتقضى به مصالحك فى كل الايام ويرتفع به
صيتك بين الانام واصغ لمن قال :

حيالك من لم تكن ترجوا تحيته لولا الدراهم ماحياك انسان
فاترك العلم واجعل فعلك مطابقاً لفعلى

« الأديب » — قاتلك الله جهلت ولم تدر انك جاهل
كيف تفضل النار على الجنة ولكن اذا أراد الله بعبده خيراً
ألهمه الطاعة وألزمه القناعة واذا اراد به شراً حبب اليه المال
وشغله بديناه ولله در من قال :

ياخاطب الدنيا الدنية انها شرك الردى وقرارة الاكدار
دارمتى ما اضحكت فى يومها ابكت غداً تبأ لها من دار
كيف تجالس الامراء فى مجالسهم اذا تباحثوا فى علم

معتبر والعالم بدون غنى بعلمه مفتخر فاسمع من قال وأجاد
حياة النقي والله بالعلم والتقى اذا لم يكونا لا اعتبار لذاته
فكيف تفتخر بعناك وحسبك ونسبك
« النسب » — أستاذي النبيه وسيدي الغير السفيه

مافائدة العلم
« الأديب » — أيها الشاب النبيل ان فائدة العلم تنوير
أذهان طالبيه فهو المؤنس في الوحشة والمحدث في الخلوة
تجالس به الملوک والامراء وهو حلية المرء وكنز لا يفنى بعكس
كنزك فإنه يفنى وقد قيل

لكل شيء زينة في الوري وزينة المرء تمام الأدب
قد يشرف المرء بأدابه فيناوان كان وضع النسب
وقال نبي الرحمة نبينا عليه الصلاة والسلام (خير الدنيا
والآخرة مع العلم وشر الدنيا والآخرة مع الجهل)
العلم أنفس شيء أنت ذا كره

من يدرس العلم لم تدرس مفاخره

بمجلس شورى القوانين والجمعية العمومية العدد الاتي

﴿ اهتمام بعض الناشئين بالانشاء والتحرير ﴾

يسرنا ان بعض الناشئين مهتم بالانشاء والتحرير كثيرا
ومن هؤلاء الناشئين تلميذان نجيبان أحدهما أسيوطي وثانيهما
دمياطي فقد أرسل لنا أولهما بمحاوره بين نسيب وأديب
وثانيهما بمقالة عنوانها « آفة التريية » وقد رأينا ان ندرجهما
على الترتيب كما اننا لانضنّ على غيرهما بهذه المزية متى أرسل
الينا شيئا من منشآته

والى القراء محاوره حضرة النجيب المثقف محمد أفندى
قدرى التلميذ بمدرسة أسيوط الاميرية :

« النسيب » — انا الفتى المحترم أنا الحسين المحتشم
اننى بنسبى مشرف عن جميع الشبان وبجسبى محترم فى جميع
الأكوان

« الأديب » — أخى لا يغرنك هذا الكلام واسمع
منى ما أقول لينفعك مدي الايام : ان الفتى بدون علم غير

المنوفية والدقهلية والشرقية من ستة والبحيرة ووجرجا من خمسة
والجيزة والقليوبية وبنى سويف والمنيا وقنا واسنا من أربعة
ومجلس مديرية الفيوم يتشكل من ثلاثة أعضاء فقط

(شروط عضوية مجالس المديریات) لا يجوز انتخاب

أحد لعضوية مجلس المديرية ما لم يكن بالغاً من العمر ثلاثين
سنة كاملة على الأقل وله معرفة بالقراءة والكتابة وممن يدفعون
مالاً مقرراً على عقارات أو أطيان في نفس المديرية قدره
خمسة آلاف قرش سنوياً على الأقل ويكون دفعه لهذا المال
من منذ سنتين بالأقل ويلزم زيادة عن ذلك ان يكون اسمه
مندرجاً في دفتر الانتخابات منذ خمس سنوات بالأقل وان
لا يكون موظفاً بالحكومة ملكياً كان أو عسكرياً وان
لا يكون عضواً في مجلس مديرية آخر

(مدة العضوية) تعيين أعضاء مجالس المديریات هو

لمدة ست سنوات ويصير تغيير نصفهم كل ثلاث سنوات
ويجوز تكرار انتخابهم ويكون تغييرهم بالقرعة

الى هنا انتهى ما يتعلق بمجالس المديریات وموعدها

الصداقة للحضرة الفخيمة الخديوية والطاعة للقوانين .
والمدير هو رئيس المجلس وله رأى معدود فى مداولاته
ويجب على باشمهندس المديرية الحضور فى جلسات المجلس
وله رأى معدود أيضاً

وجلسات المجلس غير علنية أى سرية ولا تعتبر المداولة
فيه قانونية الا اذا حضره أكثر من نصف أعضائه . ولا
يجوز لاي مجلس مخبرة غيره من المجالس فى تحرير أو نشر
محاضر أو منشورات

(فض المجلس) لا يكون فض أى مجلس الا بأمر من
سمو الخديوى ومتى فض يشرع فى انتخاب جديد يكون
فى الثلاثة شهور التالية لفض المجلس

(تشكيل مجالس المديريات) — تتشكل مجالس
المديريات من عدد من الاعضاء يختلف بين ثمانية وثلاثة
حسب كبر المديرية .

فجلس مديرية الغربية يتشكل وحده من ثمانية أعضاء
وجلس مديرية أسسيوط من سبعة وكل من مجلس مديرية

وباحداث أو تغيير أو ابطال الموالد والاسواق فى المديرية
وما أشبه ذلك

ويجوز لمجلس المديرية ان يبدى رأيه فى عمليات الطرق
والملاحة والرى وفى مشترى أو بيع أو ابدال أو انشاء أو ترميم
المباني والاماكن المخصصة للمديرية أو لاهجالس أو للسجون
أو لمصالح أخرى خاصة بالمديرية وفى تغيير استعمال تلك
المباني أو الاماكن وله أيضا ان يبدى رأيه فى جميع المسائل
التي تتعلق بتقديم المعارف العمومية والزراعة
وأخيراً يجب على مجالس المديريات ان تنتخب أعضاء
مجلس شورى القوانين كما سيدين فيما بعد

(الثام مجالس المديريات) لا يلتئم أى مجلس من مجالس
المديريات الا بمقتضى أمر من الحضرة الفخيمة الخديوية
يصدر بناء على طلب المدير ويتعين فيه ميعاد الاجتماع ومدته
ويجب انعقاد مجلس المديرية مرة فى كل سنة بالاقبل وفى
اليوم المحدد لاجتماع مجلس المديرية يتلو المدير عليه أمر
الانعقاد ويحلف أعضاء المجلس المستجدون امام المدير يمين

ثانياً مجلس شورى القوانين

ثالثاً الجمعية العمومية

وستكلم على كل مجلس من هذه المجالس على الترتيب حتى اذا ماتم الكلام عليها توجهنا بكيفية انتخاب أعضاء كل منها

﴿ الفصل الأول ﴾

﴿ في مجالس المديرية ﴾

(اختصاص مجالس المديرية) يختص كل مجلس من مجالس المديرية بالنظر في جميع الامور التي يكون من ورائها فائدة للمديرية التي هو مجلسها

فلمجلس المديرية ان يقرر رسوماً فوق العادة لصرافها في أشياء تعود على المديرية بالفائدة انما لا يكون قراره تنفيذياً الا بعد تصديق الحكومة عليه

ويجب أخذ رأى مجلس المديرية في المسائل التي تتعلق باتجاه طرق المواصلات براً وبحراً والاعمال المتعلقة بالرى

والتنفيذ فهي بالطبع أمة محرومة من قوة تشريعية مكونة
كغيرها من بعض أفراد تنتخبهم الأمة بأسرها. ولقد قال
في ذلك أحد فلاسفة اليونان ما معناه (ليس لأمة من
الأمم ان تعد نفسها أمة الا ان كان لها مجلس ينوب عنها في
وضع اللوائح والقوانين التي تحكمها)

ولما كانت الأمة المصرية أمة لم تبلغ من الحضارة ما بلغه
الأمم الأخرى الأوروبية والأمريكية كانت قوتها التشريعية
أقل في الاختصاص من قوى هاته الأمم التي عمت الحرية فيها
جميع الأفراد فلها الحق كبقية القوى التشريعية في وضع لوائح
وقوانين ومشروعات انما لا تكون تنفيذية الا بتصديق
مجلس النظار وسمو الخديوى عليها

والقوة التشريعية عندنا شرعت بالقانون النظامى المصرى
الصادر بسراى عابدين في ٢٤ جمادى الثانية سنة ١٣٠٠ هجرية
الموافق أول مايو سنة ١٨٨٣ أفرنكية وهو يشتمل على
تشكيل ثلاثة مجالس

أولا مجالس المديریات

﴿ الباب الثاني ﴾

(القوة التشريعية)

علم القراء مما ذكرناه سالفا ان الهيئة الحاكمة تنقسم الى قوتين قوة تشريعية وقوة تنفيذية وان القوة التشريعية هي أم القوتين لانها هي التي تسن القوانين واللوائح وهي التي تضع نظمات الحكومة الداخلية وبمعنى آخر نقول ان القوة التشريعية تعد كأمر والقوة التنفيذية كما مور يجب عليه اطاعة أوامر أمره

وليس للقوة التشريعية في البلاد شكل واحد فهي تختلف باختلاف الممالك وعلى كل حال فهي تابعة لدرجة حضارة الامة فمتى فازت الامة من الحضارة بالقدح المعلى كانت قوتها التشريعية مستقلة كمال الاستقلال متمتعة بقوة التشريع الحقيقية لاراد لما تسن وتضع وبالعكس هذه الامة التي عم الجهل أبنائها و تحكم الفشل بين أفرادها ترى حكومتها حكومة مستبدة طاغية وملكها ملك يديه كامل التشريع

الجزء الثامن

(جمادى الاولى سنة ١٣١١)

﴿ الجواهر السنوية ﴾

في نظام الهيئة الاجتماعية

سبق لنا ان نشرنا بالعدد الثاني والثالث والرابع ملخص
الباب الاول من كتاب (الجواهر السنوية) تأليفنا وبعد
ذلك لم نكتب منه شيئاً في العدد الخامس والسادس والسابع
فظن الكثير اننا عزمنا على عدم كتابة ملخصه في الجريدة
كما وعدنا بذلك في العدد الثاني الا انه اجابة لطلب العدد
العديد من الافاضل ونظراً لكوننا لم نفتكر أبداً في عدم
نشره بالجريدة قد شرعنا في درج بقيته شيئاً فشيئاً ولذلك
فانا نخصص الكلام في هذا العدد وتألييه على القوة
التشريعية فنقول

هو الى أميركا وان زوجته بعد ان أقامت شهرا ونصفا في
عاصمة الفرنسييس سافرت الى مرسيليا لأجل العود الى
أميركا وعند ركوبها الوابور أشعرت زوجها تلغرافياً بتوجهها
وقد غرق هذا الوابور في أثناء مسيره وهكذا غرقت حرمة
مع خادمتيها

ولدى التحقيق ظهر ان هذا هو السوار الذى اشتراه
المسيو اسميت الى زوجته ولا شك بأن العظمة التى وجدت
في جوف الحوت هى من عظم امرأته وقد طلب مشترى
السوار مع العظمة بقيمة مائة وخمسين ألف فرنك لأجل
ان يكونا عنده تذكارا لحرمة فدفع ثمن السوار مائة وخمسين
ألف فرنك الى الجوهري ودفع خمسين ألف فرنك الى ذلك
التاجر الذى اشترى الحوت وأما ذلك الصياد المسكين فما
أصابه ربح من صيده الا $\frac{1}{7}$ من قيمة الحوت

فدفعوا له قيمة مائة وعشرة آلاف فرنك الا انه تردد بقبول
هذه القيمة لاعتقاده بأنه يساوى اكثر منها ثم عرضه على
جوهري آخر وساله عما يساوى من المبالغ وبعد ان خصه
جيداً ودقق به قال انه يساوى مائة الف فرنك الا انه تبين
له بأن ناقل هذا السوار يجهل قدره وان له سرّاً خفياً أو انه
لا بد ان يكون مسروقاً فعرض الامر لنظارة الضابطة
(الداخلية) فاستحضرتة واستتقطته عن هذا الامر فعرض
المسألة كما هي فما اكتفت بذلك بل راجعت قيود البسابور
(البسابور هي كلمة فرنساوية معناها تذكرة التصريح بالسفر
خارج ميناء القطر) تذاكر المرور وفهم من ذلك بأن حرم
المسيو اسميت أحد أصحاب البنوك في أميركا كانت اشترت
هذا السوار بقيمة مائة وستين ألف فرنك بمعرفة زوجها
فعرضت المادة تلغرافياً على زوجها فورده منه الجواب بأنه
حضر الى باريس مع زوجته وخادمتين لاجل زيارة معرض
١٨٨٩ وبعد ان أقام أسبوعين في باريس قضت عليه أشغاله
ان يعود بسرعة الى أميركا فترك زوجته في باريس وسافر

فالحر لا يرضى المقام بمكانة فيها يضم
والذل تأباه الكرام والعز للعليا رهين
فاسموا بمصر الى العلا لنال ما قد أملا
ونسود من بين الملا وتفوز بالنصر المبين

شذرات

﴿ حوت ﴾

﴿ ثمنه مائتا الف فرنك ﴾

جاء بجريدة « طرابلس » الغراء تحت هذا العنوان
مايأتي :

« اشترى أحد مستخدمي زيت السمك في مرسيلا
حوتا من أحد الصيادين بقيمة سبعين فرنكا وبعد ان نقله الى
محله شق قلبه فوجد فيه عظم انسان مع سوارذي قيمة فاخذه
وحفظه مدة ثم باعه بقيمة ٧٠ الف فرنك الى أحد الصائغة
فأخذه المشتري وتوجه به الى باريس وعرضه على الجوهريّة

﴿ باب الاناشيد الوطنية ﴾

(النشيد الثاني)

أهل المودة والسنن هيا لكي نعلي الوطن
ونعيد مجداً قد دفن وتقوز بالنصر المبين
هيا بجد واجتهاد نسعى لندرك ذا المراد
هيا ولا تبغوا العناد فالوقت جاء ولا معين
أنتم بنو النيل السعيد ذي العز والخير المديد
فاحموه بالجد المزيد فبكم بنيه يستعين
أنتم بنوه فما لكم لا ترفعوا ما قد هدم
وعزيز (مصر) أمامكم (عباسنا) الحصن الحصين
هذا الامير بجمده وبجبهه لبلاده
قد نال كل مراده وغدا على (مصر) الامين
فتشبهوا يا قومنا بفعال روح بلادنا
كيا نكون جميعنا لثياب عز لابسين

ومدير الافعال الانسانية التي لا يمكنه القيام بها كلها مرة
واحدة بل يدبر الامور أمراً أمراً ولذلك فهو عاجز عن
أن يفهم الدروس ويتنبه للطريق مرة واحدة فينتج عن ذلك
أن الاشتغال بالمطالعة في الطريق أمر يضر كثيراً ويلزم تجنبه
وزيادة على ما ذكر فاننا لو نظرنا الى السبب الذي
يحمل التلميذ منكم معشر الابناء على المطالعة في الطريق لعلمنا
انه عدم مذاكرته ليلاً وكسله واشتغاله باللهو واللعب وهذا
ما لا يصح وقوعه من امرىء رغب المعالي وطلب شرفاً
رفيعاً وقصارى القول انه يجب عليكم أن ترجعوا عن هذه العادة
وأن تعملوا بقول الشاعر

بقدر الكد تكتسب المعالي ومن طلب العلاسهر الليالى
يعوص البحر من قصد الآلى ويحظى بالسيادة والنوال
ومن طلب العلامن غير جد أضاع العمر فى طلب المحال

ان أعمل به حقيقة وبذلك تنال الاجر العظيم وأنال سعادة
الدارين دار الدنيا ودار الآخرة

شوقى - بما أنك قد اهتديت الى طريق الصواب
فسأوقفك في كل مقابلة على بعض ما يهملك من المبادئ
الشريفة وعلى الله التوكل في كل الامور

﴿ المطالعة في الطريق ﴾

قد رأينا الكثير من تلامذة المدارس الابتدائية
يطالعون دروسهم حال ذهابهم صباحا للمدارس ولما كان
في هذا الامر ضرر عليهم أردنا سياق النصح لهم حتى يعلموا
اضراره فيرجعوا عنه :

تعلمون جميعاً معشر التلامذة أن ساعة ذهابكم للمدرسة
صباحاً هي الساعة التي يهرع فيها أغلب الناس بحثاً على معاشهم
ويكثر فيها سير العربات والمارين زيادة عن غيرها ولذلك
وجب على كل ماران ينتبه في سيره خوفاً من لحاق الضرر به
وكليكم يعلم أن العقل هو سلطان الجسم ورئيس الحركة

جمع الاموال ولا كنز الدنانير بل هي في راحة الخاطر
وارتياح الضمير فرب ذى مال كثير لا ينام من الليل ساعة
لاشتغال أفكاره بأمر أمواله وأملاكه وما عليه وما له
ورب فقير ذى خصاصة ينام الليل مرتاح البال ساكن الخاطر
لاشغل يشغله عن عبادة الله والقيام بواجباته

اذا علمت ذلك وأضفت الى علمك هذا ان راحة
الضمير وسكون السريرة لا يكونان الا بطاعة الخالق والعمل
بأوامره وترك نواهيه ومعاملة الناس بالرفق واللين والقيام
نحو الاهل والوطن بالواجب كل هذه الامور التي أرشدنا
اليها الدين القويم رأيت انك مخطيء أولاً في قولك ان السعيد
هو من جمع الدنانير وثانياً في عزمك على الاختلاس ذلك
الامر الذى لا يقبله الا كل من فسدت أخلاقه وخلع شعار
الدين والشرف

فهى - لقد تبين لي من قولك هذا يا أخى ان أعظم
هاد للانسان في حياته هو الدين الشريف الذى جمع من الحكم
فاوعى فهل لك ان ترشدني الى مبادئه الشريفة حتى يمكنني

واحداً فهل لك ان تسمعه وتجيبنى عنه

فهمى - سل عما تريد تجدني لك مجيباً بقدر ما أعلم

شوقى - وما بغيتك في ان تكون ذا ثروة

فهمى - لكي أعيش عيشة راضية

شوقى - وهل تظن ان العيشة الراضية في الثروة

فهمى - نعم

شوقى - وماذا تريد ان تعمل لتكون ذا ثروة

فهمى - بما انك قنلت امامي باب السيميا فليس لي

حيلة الا ان أختلس متى توظفت

شوقى - انه لا يسعني الا ان أظهر لك اني آسف على

أفكارك هذه التي أبديتها فانها أسوأ الافكار وأدناها وقد

توصلك الى حضيض الذل ان قت بتنفيذها

فهمى - اني لا أرى في أفكاري الا صواباً فان كنت

ترى انها خطأ فأرجعني عنها بدلاً تلك القاطعة كما أرجعتني عن

اعتقادي السابق واظهر لي الطريق المستقيم

شوقى - اعلم يا أخى ان السعادة الحقيقية ليست في

وهبه الخالق لنا ليهدينا الى أقوم سبيل فإذا حكمنا العقل
في هذه المسئلة وصلنا الى النتيجة التي قدمتها لك وهى أنه
لو كانت قواعد علم السيميا صادقة لاستعملها الكثير طمعاً
في جمع المال فضلاً عن أنه لو صدقت هذه القواعد السيمياوية
لاختير غير معدني الذهب والفضة للتعامل بين الناس اذ ان
هذين المعدنين لم يختارا للتعامل بهما الا لندارتهمما

فهمى - لقد أجبرتني بقوة برهانك وصحيح دليلك
على تصديق قولك وان كان في نفسى بعض الاعتقاد بالقواعد
السيمياوية

شوقى - لا يجب عليك ان تعتقد بقواعد السيميا اذ انها
محض تلفيق وآخر دليل أذكره لك على قولي أنه الى الآن
لم يحصل أحد من الذين اغتروا بهذا العلم واشتغلوا به على
درهم واحد بل ان أغلبهم فقد القناطير المتقطرة من المال
فهمى - حقاً لقد صدقت يا ايها العزيز

شوقى - اذا كنت صدقت قولي وتركت اعتقادك
بالسيميا وخرافاتهما لزمنى اتماماً للفحص ان أسألك سؤالاً

فهمى - ان طرق تحويل الذهب الى ماس موجودة
في كتاب آخر غير الموجود عندي وان شاء الله سأشتريه
عن قريب لكي أتعلم على كل أسرار العلم
شوقى - وهل حولت شيئاً من النحاس الى فضة أو من
الفضة الى ذهب

فهمى - اني لم أشتغل الا بالعلم وأما العمل فاشتغل به
في مدة الدراسة

شوقى - اعلم يا أخى هداك الله ان قولك مملوء بالغرور
خال عن الحقيقة والدليل على ذلك ان النحاس والفضة والذهب
وغيرها هي معادن طبيعية وليست صناعية ولو امكن عملها لكان
سبقك الى تطبيق قواعد علم السيميا كثير من أمثالك الذين
أولعوا بحب الدنانير

فهمى - اننى لنى غاية الاستغراب من قولك هذا فان
قواعد علم السيميا معقولة مقبولة

شوقى - ليس في الامر ما يحير الفكر أو يدهش البال
فان كل مسألة سهلة كانت أو معضلة يحكم فيها العقل الذي

﴿ محاوره بين صديقين ﴾

شوقى - عم صباحاً أيها حل الوفى والصديق العزيز
فهمى - أنعم الله صباحك سيدى ومحبي الكريم
شوقى - قد مضت الاجازة ولم نعلم أحوالك وما أنت
مشتغل به وقد كان يمنعنى عن مكاتبتك عدم وقوفى على حقيقة
عنوانك فما السبب فى عدم مخاطبتك اياى
فهمى - ان السبب الحقيقى الذى منعنى عن مخاطبتك
هو السبب الذى منعك عن مخاطبتى
شوقى - ولعلك تكون اشتغلت بشىء مفيد فى هذه
المدة الطويلة

فهمى - نعم اشتغلت بمطالعة بعض الكتب السيمياوية
وتعلمت منها كيف يحول الانسان النحاس الى فضة والفضة
الى ذهب والى غير ذلك مما سيجعلنى من أكبر الناس ثروة
وأكثرهم مالا

شوقى - وأظنك تعلمت أيضاً تحويل الذهب الى ماس

منها وضع الحوادث اليومية المهمة الواقعة في العالم في قالب روايات صغيرة تباع بأبخس الأثمان حتى تكفي الصانع مؤنة البحث والمطالعة في الجرائد . وكيفية ذلك ان أعضاء الجمعية تنقسم الى جملة أقسام : قسم ينتقى الحوادث الواقعة أمس يوم العمل التي يمكن وضعها في قالب روايات وقسم ثان يختار الالم ويترك المهم منها وثالث يضع الحوادث في قالب روايات ورابع ينقحها وخامس يجمعها وسادس يصحح مسوداتها وسابع يطبعها وثامن يجلدها وتاسع يفرقها على المكتبات والباعة . والخ ولا يزيد ثمن الرواية الواحدة عن سان واحداًى ملليمين وبذلك يشترها الصانع بثمان بخس وبتلاوتها يقف على ما وقع أمس يومه في بلاده وفي غيرها من الحوادث المهمة هذا مثل من أمثال الاعتناء بالصانع يدلنا على غيره ومن يتأمل في هذا الاعتناء يرى ان احترام الصانع واجب على كل فرد صغيراً كان أو كبيراً

الاكل غر-جاهل فضروريات الحياة التي هي الماء والاكل والمشرب
والملبس والسكن قد صاغت اكثرها يد الصناعة فلها اذاً على
كل موجود فضل بين يحمله على اعلاء شأنها واحترامها
واحترام كل من قام بها والا فكل من خالف ذلك يكون
قد نسي واجبا نعهده سامى القدر خطير المقام وحقيقة فان
الصناع الذين هم رافعوا لواء الصناعة جديرون بالاحترام
حقيقون بالتجلة والاعتبار وقد علم ذلك أهل البلاد المتقدمة
علما حقا فاحترموا الصناع واعلوا من شأنهم حتى أصبحوا
في مقدمة المبجلين وطليعة المحترمين وأما سكان البلاد المتأخرة
فقد طرحوا احترام الصناع -ذلف ظهورهم ولم يكفهم ذلك
بل انهم أهانوه واحتقروه وعدوه أقل الناس شرفا وأحطهم
مجدا وقدرنا والسبب في ذلك ظاهر كما قدمنا وهو ان احترام
العناصر الشريفة ملازم للتقدم والتمدن

ففي البلاد المتقدمة وعلى الخصوص في الولايات المتحدة
للصناع شرف باذخ ومقام خطير فقد بلغ الاعتناء بهم ان
أسست هنالك جمعية مؤلفة من أعضاء عديدين الغرض الاصيلي

بالصناعة والتاريخ يمل على مطالعته تقدم الامة الاسلامية فيها
وفي الزراعة والتجارة

ولم يزل للآن هذا الناموس عاماً وشاهدنا على ذلك
تقدم هذه العناصر الثلاث في البلاد المتقدمة فلها بين أهالي
تلك البلاد اهتمام عظيم وعناية كبرى ولم تضع الناس قدرها
الا في البلاد الشرقية على انها أولى من غيرها بالاعتناء بها
يظهر مما سبق ان مجد الصناعة والزراعة والتجارة
ملازم لتقدم الامة متعلق بارتفاعها وعلو شأنها

أما الزراعة فمعنى بها في بلادنا اعتناء شديداً نظراً لان
القيام بها أقل تعباً من القيام بأحد العناصر الأخرى ولان
البلاد زراعية بطبعها

أما الصناعة والتجارة فغير معنى بهما وان كنا نرى لهما
وجوداً فهو ضعيف جداً في جانب الواجب

ولما كانت الصناعة في مقدمة هذه العناصر أحياناً ان
نخصص للكلام عليها في جريدتنا بعض الاسطر فنقول :
الصناعة لها في الوجود فضل ظاهر ومجد واضح لا ينكره

عملهم بقول الشاعر

أجارتنا انا غريبان ها هنا وكل غريب للغريب نسيب
وعليه فكل شخص أهمل خدمة وطنه الذي أنشقه
طيب هوائه وغذاه لذيذ غذائه وسقاه حلو مائه يعد عديم
الوطنية بعيداً عن ان يسمى وطنياً أو أجنبياً ومثل هذا يعيش
كثيلاً حزيناً عليه غضب من الرحمن ولعنة

﴿ الصناعة والصناع ﴾

كل من له اطلاع على تواريخ الأمم وسيرهم وماجريات
الأحوال في البلاد يعلم ان الصناعة والزراعة والتجارة هي
أهم عناصر التقدم وأول أسباب السعادة وان كل أمة قطعت
سبيل الحضارة لم تصل الى ما وصلت اليه الا بهذه العناصر
الشريفة فهي من أهم الاسباب التي أوصلت الامة الاسلامية
في الازمان السالفة الى التقدم وعلو الشأن فقد كان لها بين
افرادها أعظم مقام وأسمى احترام وتلك آثارهم قائمة في كل
البلاد التي سكنوها تدل على ما كان لهم من عظيم الاعتناء

في تلك البلاد أمراً مستغرباً ولا شيئاً مدهشاً كما يقع في بلادنا اذ ان اتحاد الغرباء هنا أمر ظاهر مجسم لانه واقع في وسط التنافر فيه متغلب على الاتحاد أما في البلاد الاجنبية فما كنا نرى في الاتحاد فرقا بيننا وبين من يحيط بنا من الاجانب فانهم أجمع كرجل واحد ومهما اختلفت مشاربهم وتباينت آراؤهم فانهم في خدمة الوطن متحدون قلباً وقالباً ولا يختلف في ذلك اثنان

ومن ينظر الى هذا الامر لا بد أنه يستشعر باستغراب عظيم وبدهشة كبيرة اذ ان الوطنيين هنالك والاجانب لا يختلفون في اتحادهم وأما هنا فالفرق ظاهر والبون بعيد ولا شك ان من يبحث في سبب التباين بين البلاد الشرقية والبلاد الغربية في هذا الامر يدخل في دائرة الحيرة من حيث انه يعلم ان الاتحاد لازم ضروري فكل جماعة يقيمون في بلد اما ان يكونوا وطنيين أو اجانب فان كانوا وطنيين وجب عليهم كل الوجوب الاتحاد والائتلاف في خدمة بلادهم وان كانوا اجانب لزمهم ذلك أيضاً لوجوب

الدوكاويساوي ٦: غر شامصرياً والفضية هي الفلورين وتساوي
٩ غروش مصرية وغير ذلك يوجد قطع ذهبية تساوي أربعة
أمثال الفلورين وقطع أخرى تساوي ثمانية أمثالها

الجزء السابع

﴿ ربيع الثاني سنة ١٣١١ ﴾

﴿ اتحاد الوطنيين في الاغتراب ﴾

أجارتنا انا غريبان هاهنا وكل غريب للغريب نسيب
ماكان أشدنا تمثلاً وتمسكاً بهذا البيت مذكنا في بلاد
الغربة فاننا كنا جميعاً كاعضاء عائلة واحدة تم بين افرادها
الاخلاص والوفاء فكل فرد منا كان لا يدع ساعة من زمنه
دون أن يقابل اخوانه فيها ولو ألم باحدنا شيء مكدر وان يكن
خفيفاً كنت ترى الجميع قائمين في خدمته لا يألون جهداً
في تأدية كل ما يحتاج اليه الا أنه مهما تقوت عرا الائتلاف
والاتحاد بيننا ومهما اشتدت روابط الاخلاص فلا يعد ذلك

وبرونزية فالذهبية هي الجنيه الانكليزي واجزأؤه وهو
يساوي خمساً وعشرين فرنكاً وربعاً أي (٩٧ر٥٠) غرشاً مصرياً)
والفضية هي الشلن وهو يساوي ما يقارب الخمسة غروش
مصرية والبرونزية هي البني وهو يساوي نحو الاربع مليمات
والنقود الالمانية كلها فضية وهي التالر ويساوي ١٣ غرشاً
مصرياً والمارك ويساوي ما يقارب الخمسة غروش مصرية
والنقود الاميركية قسماً فضية وبرونزية فالفضية هي
الدولار وهو يساوي نحو ٢٠ غرشاً مصرياً والبرونزية هي
السان ويساوي المليمان
والنقود الاسبانية كلها فضية وهي الدورو ويساوي
نحو ١٨ غرشاً مصرياً والبزتا ويساوي الاربعة غروش مصرية
تقريباً والريال ويساوي القرش الصاع تقريباً
والنقود الروسية قسماً فضية وبرونزية فالفضية هي
الروبل ويساوي نحو الخمسة عشر غرشاً والبرونزية هي
الكوبك ويساوي مليمماً ونصفاً تقريباً
والنقود النمساوية قسماً ذهبية وفضية فالذهبية هي

قرآنية وأحاديث نبوية وجمل ذوقية يرتاح لها الخاطر مثل
(لك الجنة يا مالكي . عش سعيداً يا صاحبي) ويموهون
على عقول السذج بان هذه الفاكمة من الجنة ويستدلون
على ذلك بما هو مكتوب عليها من الكتابة الخضراء وبهذه
الكيفية يبيعها المحتال بثمان باهظ جداً ويحرص عليها المشتري
أشد الحرص . فليتأمل القراء الى سبك هذه الحيلة والى
شدة مفعول الجهل بعقول البسطاء

﴿ النقود في أشهر الممالك الاجنبية ﴾

تختلف النقود باختلاف البلدان ففي فرنسا وايطاليا
وبلجيكا واليونان وسويسرة النقود السائرة هي النقود
الفرنسوية وهي البنتو وأجزاؤه والبنتو يساوى عشرين فرنكاً
(أى ٧٧ غرشاً مصرياً وكسور المليم) والفرنك يساوى مائة
سنتيم والسنتيم ليس له وجود حقيقي بل ان كل خمس سنتيمات
تكون ما يسمى صليداً

والنقود الانكازية تنقسم الى ثلاثة أقسام ذهبية وفضية

هلموا و اتركوا الشحنة منكم
أليس يشيننا ترك المعالي
ونحن رجالها وبما لديها
نسبنا البر للنيل المفسدى
فعار أن نسمى الذل عزا
وعار أن نعيش بغير مجد
وعار أن يكون لنا وجود
فقوموا واطلبوا للنيل عزا
وسيروا نحو هذا القصد حتى
وكونوا أوفياء فذاك احرى
تباع بغير وادينا وتشرى
من الاسعاد والخيرات أدرى
وخلنا أننا جئناه خيرا
وعار أن نسمى الشح برا
ونبصر في السما شمساً وبدرا
ويحظى غيرنا فوزاً ونصرا
ولا تبقوا بذل كي يسرا
تنادوا أجمعين بعز مصرنا

شذرات

﴿المنصب العلمي﴾

أتينا في أحد الاعداد السابقة على طريقة للرسم والكتابة
على الفواكه وقد جاءنا في الاسبوع الماضى خطاب من
الصعيد يقول فيه كاتبه ان فئة من الناس تستعمل طريقة الكتابة
على الفواكه سبيلا للتعيش فانهم يكتبون عليها بعض آيات

هذا عن ذلك لانه عليه قوام الامور واصلاح الاحوال .
والتاريخ أعظم شاهد على ذلك فان العالم اذا كان غير مهذب
يكون ضرره عظيماً جداً على الامة التي يشغل بين افرادها
مخلاف في ادارة الامور ولذلك اتفق جميع الحكماء والفلاسفة
على ان ضرر الجاهل اقل بكثير من ضرر العالم العديم التهذيب
ولما كان اسمى غرض لنا هو تهذيب الاحداث فقد عزمنا
على أن ندرج في كل عدد من أعداد جريدتنا نشيداً أو
نشيدين على نمط السلسلة والتهذيب التام حتى انه بعد مضي
خمسة أو ستة أشهر يمكننا أن نجتمعها في كتاب نضم اليه
بعض الشذرات والمحاورات المفيدة يكون قاعدة اساسية
لتهذيب الابناء وانا لا نعدم في ذلك العمل مساعدة الفضلاء
والادباء والشعراء

والى القراء نشيداً جادت به القريحة نعهه با كورة لهذا العمل
هلموا يا بنى الاوطان طراً لرجع مجدنا ونغز مصرنا
هلموا كى نوفي القطر حقاً نسيناه فضاع بذاك قدرا
هلموا وادركوا العلياء حتى تنال بلادنا عزاً ونفرا

المارة وانتشلتها من هاوية الهلاك

وفي الثالث من شهر مايو الماضي رأى عند خروجه من المدرسه عربيه سريعة العدو كادت أن تدهس أحداً قرانه الذى كان يسرع السير بقصد مقابله قريب له فأنجاه من الموت بحقه لا مثيل لها بعد ان اعتقد الجمهور كمال الاعتقاد ان تلك اللحظه هي آخر دقيقه في حياة الاثنين)

هذان العمالان الجليلان قد صاغها يد تلميذ لم يبرح مشتغلا بالدراسة الابتدائية ولم يتجاوز السنه الثانيه عشرة من عمره فهو جدير بان يكون قدوة حسنة لأمثاله فانه يرى في عمله هذا خيرا كبيرا فان نجح فيه فقد حفظ حياة وان خاب فقد مات شهيد الشفقه والمرحمة والانسانية ولذلك فان الحكومه الفرنسية قد كافأته باهدائه : نيشاني الانقاذ الخطيرين .

﴿ الأناشيد الوطنية والتهذيبية ﴾

لقد اصبح من الامور البديهية المسلم بها عند جميع العقلاء انه لا بد ان يكون التعليم مخلوطاً بالتهذيب بل يلزم تفضيل

الفرنساويين المولود في ٢٢ سبتمبر سنة ١٨٨١ بمدينة لندن
واحد تلامذة مدرستها العمومية الآن

نشأ هذا التلميذ على الشهامة والاقدام وحب النفع العام
فانه قد خاطر بنفسه مرتين متواليتين لنجاة شخصين كادت
المنية ان تغتال حياتهما لولاه ولذلك قد آتت احدي الجرائد
الفرنساوية الفخورة بشهامة أبناء جلدتها على صورته متقلداً
النيشانين اللذين أهدتهما اليه حكومته جزاء طيب أعماله
محيطة تلك الصورة بذكر هاته الافعال الحسان واليك
ملخص ماجاء بها بعد الترجمة :

« منذ كان واكبير في العاشرة من عمره « أى منذ
سنتين » ذهب مع أربعة من أقرانه الى محل كثيف الثلج
بقصد اللعب فيه ومد كانوا في بحر اللعب غارقين اذ وقعت
قطعة عظيمة من الثلج من تحت قدم أحدهم في هاوية كانت
تغطيها ولم يلبث الشاب ان هوى معها حيث كان يهدده الموت
من كل جانب لولا ان واكبير المقدم ألقى نفسه بسرعة عجيبة
في الحفرة وأخرج رأس خليله من الماء حتى أتت جماعة من

أفادهم ذلك المجتمع السعيد أكثر مما أفاد غيرهم بكثير ان
يؤسسوا المدارس التهذيبية ويشكوا الجمعيات المفيدة ويصرفوا
أموالهم في خدمة وطن قد خدمهم اكبر خدمة وأنالهم
أكبر منة ؟

لاشك اننا اذا جعلنا الائتلاف والاتحاد وخدمة الوطن
خدمة صادقة مبدأ لنا وصلنا الى أسى مقصدنا وأدر كنا
ضالنا المنشودة

فيجب علينا عموماً ان نفتدى بأعمال أميرنا الجليل الذى
قد غبطتنا أحبابنا وحسدتنا أعداؤنا عليه وان تجعل الكبار
في مقدمة مبادئهم الائتلاف والمحبة وتهذيب الابناء وان
تنشأ الاحداث على هذه المبادئ الشريفة وليعلموا علم اليقين
ان عليهم حياة البلاد وانهم رجال المستقبل وان زمنهم نفيس
فلا يصرفونه الا فيما يجديهم نفعا والسلام

(تلميذ مقدم)

نعنى بذلك « جول واكبير » ابن أحد الصناع

بهيئة عالمة تنتخبها من بين أفرادها ومصداقاً لقولنا هذا قال
أحد كبار العقلاء الذين رسخت عندهم هذه الحقيقة كل
الرسوخ (ان الهيئة المحكومة هي سيدة الهيئة الحاكمة ولا
عكس) اذا علم هذا القول ونظرنا الى حالة بلادنا المصرية
التي هي واد عزيز عميم الخيرات كثير البركات قد خصه الله
بمزايا لم يختص بها غيره حتى أصبح مأوى للغرباء ومقراً
للنزلاء الذين قد نضبت بحار خيرات بلادهم عن أن تسد
حاجاتهم الضرورية ونظرنا الى ما اكتسبناه منه من الخير
الجزيل والبر الجليل والى ما أديناه له من النفع نرى اننا لم نأته
بذرة مما أتانا هو به فانه قد أصابته الأمراض وحاقت به
لادواء واشتد أينه وبكاؤه ونحن عن كل ذلك لاهون لانسمع
اقوله ولا نلبي نداءه وليس بيننا الا نفر قليل يقوم بخدمته
أليس من الواجب علينا عموم المصريين ان نتجد قلباً
وقالباً في الاخلاص الوطنى وان نترك الحقد والحسد من
بيننا وان نعمل جميعاً على تقدم البلاد وراحة العباد ؟
أليس من الواجب على أغنيائنا خصوصاً الذين قد

الهيئات الحاكمة في هذه المجتمعات هي القائمة وحدها
بالاعمال وهي الساعية دون غيرها في تقدم الشعوب ومن
النادر ان ترى بين أفراد الامة من يقوم فيعمل عملاً جليلاً
يعود علي المجتمع بفائدة أو نفع

وغير خاف أن الامة في كل هيئة اجتماعية هي التي عليها مدار
العمران وهي أصل التقدم وروح السعادة وبيان ذلك أنه اذا
كانت الهيئة المحكومة جاهلة والهيئة الحاكمة عالمة واقفة
علي واجباتها فانه لا تقوم للمجتمع قائمة اذ يصعب علي الهيئة
الحاكمة قيادة الهيئة المحكومة لان ما تراه هذه صواباً تراه
تلك خطأ نظراً لانعماسها في الجهل فضلاً عن أن الهيئة
المحكومة تفضل أن ترى من بين أفرادها الجهلاء هيئة
حاكمة غير الموجودة قسقطها وترفع غيرها ولو نظرنا الي
عكس ذلك أعني اذا كانت الهيئة المحكومة عالمة مستنيرة
بالافكار الصائبة والهيئة الحاكمة جاهلة لرأينا أن المجتمع
يعيش سعيداً ويبقى عيشه رغداً وذلك لان الهيئة المحكومة
لا تتأخر عن اسقاط تلك الهيئة الحاكمة الجاهلة وتعويضها

من بحر علمه الخضم فكرة تنطبق على الحقيقة كمال الانطباق
فيفهم منه ان من واجبات الانسان فى المجتمع ان يأتي بعمل
يعود على ذلك المجتمع بالنفع والافوجوده بين أفراده يعد
ضرراً ويعتبر ذلك الشخص كسحابة حجبت ضوء الشمس
فلا هى أمطرت حتى تفيد الناس ولا هى سارت حتى تترك
ضوء الشمس وحرارتها يفيدان بنوائدهما الوجود

وبديهى ان هذا القول حقيقى اذ ان كل فرد يعيش
فى مجتمع يجب عليه ان يؤدي لذلك المجتمع نظير ما يكتسبه
منه من الغذاء والشرب والملبس والغطاء والاقامة بين الامن
والهناء خدمة تعادل تلك الخدمة الجليلة التى يؤديها له المجتمع
فاذا قصر هذا الفرد عن القيام بهاته الخدمة المتحتمة عليه كان
وجوده بين أفراد المجتمع ضرراً عليهم اذ انه يكتسب منه
ما يجب ان يقسم بين الافراد الآخريين الذين يؤدون للمجتمع
خدمات صادقة

وانا لو أردنا ان نطبق هذه القاعدة الصائبة على المجتمع
المصرى بل وعلى سائر المجتمعات الشرقية الحالية لرأينا ان

أمر التربية الاسلامية .

ومهما بلغ الضغط على المسلمين في البلاد فان نور الاسلام منتشر لا يمنع مانع أما ترى نور الاسلام في ليفربول تلك البلدة التي كانت من عهد قريب محط رحال رؤساء الديانات المغايرة . أما ترى الاسلام في أمريكا وماتأسس هنالك من الجمعيات الاسلامية المعضدة من أغنياء مسلمي الهند الذين سيتركون بلادهم ويرحلون الى هذه البلاد ليهدوا الناس وينيروا العقول ولا يبعد ان نرى أغلب اخواننا الموثرين الذين لا غرض لهم في الوجود الا رفعة الاسلام يقتدون باخوانهم أهل الهند . نسأل الله أن يصلح الاحوال ويهدي الضالين من أبناء آدم واز يعيد عزة المسلمين انه بالاجابة جدير

والمرء مالم تفد نفعا اقامته

غيم رحى الشمس لم يطر ولم يسر

من يتأمل في معنى هذا البيت وما حواه من الحكمة

الباهرة يرى ان ناظمه الفيلسوف ابالعلاء المعري قد وهبه

الى الوقوف على علوم عديدة جعلتهم اعلم الناس طراً وأشرف
الخلق جميعاً

وقد أخذ ذلك الدين الاسلامى من يوم وجوده يبعث
أنواره فى الآفاق حتى اهتدت أغلب الناس اليه وماترك اعتناقه
الا من عميت بصيرته وعشق عقاب الآخرة

وقد يخطىء أعداء هذا الدين الخطأ الجرم عند ما يقولون
أنه اذا كانت مبادئه حقيقية فلم لم ترتفع للمسلمين فى هذه الايام
كلمة ولم سبقهم الافرنج الى التقدم ويضيفون على ذلك ان
العرب لم تصل الى ما وصلت اليه الا بقوتهم وشجاعتهم لا بنور
دينهم وعظيم علومهم

فنجيبهم على هذا القول الفاسد والادعاء الباطل بأن
العرب قبل الاسلام وبعده هم العرب لم يتغيروا وقوتهم ثابتة
لم تتحول فلم لم يصلوا الى الرفعة وعلو الشأن قبل الاسلام
لاشك ان بلوغ هذه المسكينة التى بلغوها ينسب الى تأثير هذا
الدين الجليل وأما السبب فى عدم ارتفاع كلمتنا فى هذه الايام
فهو لان أكثرنا ترك قواعد الدين فعلا لا اعتقادا وأهمل

﴿ نور الاسلام في الآفاق ﴾

الدين الاسلامي هو أشرف الاديان على الاطلاق
وأجلها مقاماً وأعظمهم قدراً لانه مكون من حقائق يقبلها
العقل بكل سهولة وملائم لكل زمان ومكان ما عملت به أمة
من الامم الا وأصلحت أحوالها وانتظمت أمورها وتم لها
الفوز والنصر وعلت لها الكلمة بين سائر الامم

وأعظم شاهد على قوة نور هذا الدين الخفيف أنه ما ظهر
بين الامة العربية الا وملاً نور الآفاق وانتقلت تلك الامة
البدوية من الجهالة التامة الى درجة من العلم لن ترى ولا ترى.
ذلك أمر عجيب وسر غريب وتلك حكمة عالية ومعجزة
تدهش الالباب

أمر سهل ليس بالمشكل ولا بالمظلم فهم تلك الحكمة
العالية وادراك ذلك السر العجيب فقليل من التبصر يوصلنا
الى الحقيقة : ان فهم القرآن وادراك معانيه الخطيرة يوصل
الى معرفة علوم شتى فالعرب بفهم هذه المعاني الرفيعة وصلوا

أعداده كل يوم جمعة متحلية بحقائق الزيارة العباسية

ولا تسل أخيرا عن كبير جهورنا عند ماغادرنا فرنسا
وايطاليا وركبنا البحر عائدین الى الوطن العزيز عند ماسالمتنا
أمواجه وحيانا النسيم وأهدانا القمر طيب ضوئه في ليل
كان فيها مستكلاما ثم جئنا الاسكندرية جفا فرأينا أمامنا
زينة العباس ونورها بل رأينا نوره في البحر أسطع من ضوء
القمر حيث لبنا هنيهة تتمتع بمنظر المدينة وهي تتلأأ كأنها
عروس الحی كل ذلك والباخرة لا يهدأ لها قرار فتراها
تذهب حينا للامام وآونة للخلف كأنها تظهر علامات اشتياقها
لدخول البوغاز

ولم نلبث بهذه الحالة الا قليلا حتى جاء رئيس البوغاز
وقاد الباخرة بمهارة حيث وصلنا الميناء ودخلنا المدينة فرأينا
مجامع الزينة الباهرة فكان الفرحة فرحين والسرور سرورين
اللهم احفظ لنا أمير المؤمنين وخليفة رب العالمين ناصر الدين
والاوطان ومتع اللهم مصر بالعباس أميرها المحبوب انك
على ما تشاء قدير

البحر الأبيض المتوسط . ولم نزل كذلك بين عناء وهناء مدة
أربعة أيام حتى وصلنا مساء الخميس ٢٢ يونيه الماضى ميناء
مرسيليا ولا تسل عما لحق العموم من السرور وخصوصاً
الفرنسيين منهم فانهم كادوا أن يطيروا فرحاً وبعد وصولنا
بساعتين ركبنا قطار الاكسبريس الى باريس مباشرة حيث
وصلناها مساء اليوم التالى وقد يرى المسافر من المناظر الجميلة
وحسن الترتيب وكمال النظام فى جميع الاعمال ما يسره كثيراً
أما ما كنا نستشعر به فى باريس فاحساسات مختلفة
فتارة نسر لوجود قبائح لم توجد فى وطننا العزيز وتارة نأسف
على بلدنا عند ما نرى شدة نشاط القوم وجدهم وسعادة الامة
والحكومة وشرف الصانع وغير ذلك من الامور التى
امتازوا بها

ولا تسل عما كان يحيط بنا من السرور عند ما نقرأ فى
الجرائد الفرنسية ذكر الاجلال الذى قوبل به أميرنا
المحبوب عند سيدنا ومولانا أمير المؤمنين وخليفة رب العالمين
بل ولا تسل عن فرحنا (بالمويد الاغر) عند ما تأتى

عن تاريخ هذه الجزيرة كانه يلقي درساً ما . وأما الانكليزي
فهو غليظ الطبع مبتعد عن الناس كثير العزلة ولذلك كان لا
يرى للانكليز وجهاً في أغلب الاحيان الا وقت الاكل وأما
الطليان فهم قوم لا رشاقة لهم كثير والوساخة يوافقهم مرض
البحر كل الموافقة

وأما السوريون فاعلهم كان من ركاب الدرجة الرابعة
التي ينام أهلها على سطح البحر وهم يتكبدون المصاعب
ويتجشمون المشاق لنيل المعاش وجل ما يبغى السوري منهم
نيل الدرهم وشرب النبيذ . وأما أخلاقهم فعنوانها الحماسة
الشديدة وأغلب الذين كانوا معنا كانت غايتهم الذهاب الى
معرض شيكاغو

قلنا أن البحر سكن روعه بعد الغضب وقد استمر كذلك
ليلته ونهاره ثم أخذ يرينا بطشه وقوته تارة ولطفه وترحيه
بنا تارة أخرى ولا غرو اذا كانت تنطق أمواجه بانه رب
البطش والقوة وصاحب العظمة فهو ذلك البحر الذي وهب
العالم بأسره التمدن وتقبلت السعادة على سواحلِهِ وهو هو

استشعرت برجوع القوة والنشاط اليّ علوت سطح المركب
وهي تحت السماء وفوق الماء لاستنشق الهواء فرأيت من
الركاب عدداً عديداً بين الفرنسيين والانكليز والاطليانيين
والسوريين وغيرهم ولم أر منهم الا ستة من المصريين الذين
لا قصد لهم الا تمضية الامتحان بفرنسا والعود ثانية وهنا
ظهرت لي حكمة النيل العجيبة وخاصيته التي ليست في غيره
وهي أن جودة أرضه تمنع أهله من التغرب عن الاوطان
ولذاك ترى أكثرهم لا يغير مقره وان ضرب عليه الذل
وخيمت على منازلهم المسكنة ولعمر الحق لتلك مسألة كادت
تكون وراثية على أن كثيراً من سكان المعمورة يتنقل ليرى
أحوال غيره فيتعلم حيل التعيش

ولقد رأيت أن في وجودي مع هذه الاجناس المختلفة
فرصة عظي للوقوف على بعض أخلاقهم ولذلك قد خالطتهم
فعلمت أن الفرنسي منهم رقيق الطبع لين المعاشرة حسن
التكلم يراعي في خطابه كل الادب الا أنه قليل الثبات فتراه
اذا مررنا بجزيرة كان يكثر من الاشارات والانتقال والتكلم

فصلنا من الوجود وفارقنا الحياة لما استشعرنا به من احساسات
الأسف وشدة التعلق بالوطن وعظيم الحنين الى المعاهد فيما
أشبه المبتعد عن وطنه بطفل فصل من أمه . وقد كادت شدة
الاسف تجعل البكاء مدراراً رغماً عنا ولكننا تجلداً خشية من
ضحك الافرنج علينا وهم الذين يترقبون صغيرة لنا فيعظموها
رغبة في نيل ما ربهم . وما ابتدأت احساسات الاسف تقل
بارشاد العقل بان الغاية حميدة والقصد شريف والعود سريع
حتى ابتدأت الباخرة تلعب ذات اليمين وذات الشمال
واحشاؤنا تلعب معها بالتبع كما يتحرك الرضيع في أرجوحة
اهتزازية . ولم نزل كذلك مدة عايننا فيها مرضين كلاهما
عظيم : مرض فراق الوطن ومرض البحر الا أن الاول منهما
أقوى وأعظم إذ أن آلامه في القلب وحده وأما الثاني
ففي الاحشاء

وقد بقي البحر على هذه الحال مدة ست ساعات حتى
وصلت الشمس الى الربع الرابع من دائرة الافق فعدنا الى
الوجود بعد أن قاسينا أهوالاً لم نر لها شكلاً من قبل ولما

الامتحان ومشاهدة عجائبها وتمدينها وما عليه أهلها من
الاخلاق والعوائد وأحوال المعيشة العمومية وخصوصاً حالة
الصانع والمزارع والتاجر الذين عليهم حياة أوروبا الحقيقية
الى غير ذلك من المسائل الادبية التي هي أسمى في الحقيقة
من الماديات بكثير . وبعد ذلك عرجنا على ايطاليا مارين باهم
مدائنها مروراً وقتياً لم نعدم فيه جنى بعض الفوائد كحالة
الاهالي والحكومة المالية التي علمنا بالمشاهدة أنها متفهرة
من جميع الوجوه . ثم عدنا بالسلامة الى الاوطان بعد أن
أخذنا الشوق اليها أكبر مأخذ ولذلك رأينا أن نجعل أول
كتابة لنا على ما شاهدناه الاحساسات والتأثيرات التي
تستولى على المسافر عند مبارحته الوطن خصوصاً لأول مرة
ثم نعقب ذلك في الاعداد الآتية ببعض ما يفيد القراء من
المسائل الأدبية المهمة

(فراق الوطن لأول مرة)

ما ابتعدنا عن ميناء الاسكندرية حتى خيل لنا أننا

في أربعة أمور « أولاً » تحديد ثمان ساعات للشغل .
« ثانياً » ثمان أخرى للراحة « ثالثاً » ثمان للنوم . « رابعاً »
ثمانية شلنات كل يوم « نحو أربعين غرشا صاغاً »

(متوسط العمر في العالم)

دلت الاحصائيات الدقيقة على أن متوسط العمر في

العالم هو ٣٨ سنة

(التجارة في فرنسا)

قد تقدمت التجارة في فرنسا تقدماً عظيماً حتى بلغ عدد

التجار فيها عشر الالهالى

الجزء السادس

﴿ ربيع الاول سنة ١٣١١ ﴾

(العود احمد)

عادت الجريدة الى الظهور بعد أن غابت شهرين قضينا
جزءاً عظيماً منهما ومن سابقهما في فرنسا بقصد تمضية

(٤) يقولون ان آسيا هي مصدر الوباء لأنه طالما زار

بلاد العجم

(٥) يوجد بالقاعة أربع هرات

س لم افتتح التعليم بالحروف الأبجدية وما معنى أسمائها

محمد الصاوى مدرس

ومن الواضع لها

بمدرسة التقدم

بالزقازيق

شذرات

(أطول نهر فى الدنيا)

علم ان نهر مسيسيبي الموجود بأمريكا الشمالية هو
أطول أنهار الدنيا فان طوله يبلغ ٤١٠٠ ميل ويليه نهر النيل
السعيد الذى يبلغ طوله ٣٧٠٠ ميل

(طلبات عمال الانكايز)

تنحصر طلبات العملة الانكايز فى كل هيجان يعملونه

كما يفهمه البعض بل ترتيبها ترتيباً منتظماً به تفوق الحاصلات
المصروفات بمعنى أنك لو كنت رب بيت مثلاً وتكتسب
في شهر كذا مبلغ كذا يلزمك أن توفر منه الثلث على الأقل
حتى ترجع إليه عند الحاجة لأن الدهر خوان إن سالم يوماً
عادي أياماً وإن أقبل وقتاً أدبر أوقاتاً فهو سلاب للنعمة لا يعلم
وقت غدره ولا ساءة جنائمه . لا يردعه عن نغيه إلا الاقتصاد
الذي هو سلاح يقاتل حادثات ذلك الزمان الخوؤون والـ
فان حسبته بخلا ونبذته ظهرياً كنت العوبة في يد أيامك ..
(أجوبة الاسئلة المندرجة بالعدد الماضي)

(١) ان نهر سيمواس القديم يعرف الآن باسم دمبرك
ونهر سكامندر يعرف باسم مندريس

(٢) ان الحيوان الذي يمثل شكل الرقص والموسيقى
والرسم في آن واحد هو الضب المصبر

(٣) يميز الثعلب الصغير من الذئب الصغير بالحدقة العينية
فإنها عند الثعلب عمودية كحدقة عين الهر وعند الذئب
مستديرة كحدقة الكلب

متي ثبت في ذهنك أنه يوجد من هو أعلم منك أما تدرى
إن لاشيء على الانسان بعسير

الحفيد - ولكني لو اجتهدت وصرت الأول أخاف
أن الذين هم قبلي الآن يعادونني ويكرهونني
الجد - لم ذلك أنت تكره من يتقدم عليك

الحفيد - نعم

الجد - ان هذه صفة قيحة يجب عليك أن تتركها وأن
تحب للناس ما تحب لنفسك واذا تقدم عليك أحد فكن
مسروراً مادام مصرياً واجعل محبة الوطن نصب عينيك آناء
الليل وأطراف النهار وثبتها في فكر من لم يعلمها حتى تنجح
على أيدي أمثالك البلاد وتعيش في هناء واسعاد

(الاقتصاد)

الاقتصاد أو التدبير هو تنظيم المعيشة وجعلها مناسبة
لحالة الانسان وهي صفة جليلة حميدة العواقب تحمي المرء
من نكبات الدهر وملماته ولا يقصد بها التضيق في المعاش

الحفيد - لتعش مصر

الجد - ان مشاهدتي يا ولدي العزيز لمصرى نبيل تبهج
ناظري ورؤيتي لوطنى نشيط تأخذ بمجامع القلب و النفؤاد
كما أن مشاهدتي لا تار آباي وأجدادي العطاء تجعل فى قلبى
محلا للفرح ومحلا للترح فافرح لان تلك الأعمال أعظم من
أن يأتى المعاصرون بمثلها وأتكدر لما أرى أننا معشر المصريين
الحاليين لم تتبع خطتهم ولم نجر على منوالهم فأنا والحق يقال قد
قصرنا فى واجباتنا فيجب عليكم أنتم معشر الناشئين أن تقوموا
بأجل الخدم لبلادكم التى ربيتم أنتم وآباؤكم وأسلافكم فيها
وتمتعتم بخيراتها

الحفيد - حقاً ما تقول يا سيدى المكرم

الجد - الآن بما أنك نهمت قولى وعلمت أنك مدين
لبلادك بأشياء كثيرة ينبغى أن تكون التلميذ الاول من
مفرتك

الحفيد - لا يمكننى ذلك لانه يوجد من هو أعلم منى
الجد - ومن أسبوع الى أسبوع تصير التلميذ الأخير

عنهم ادا هاجمهم العدو ويفضل أن يعيش سيء الحظ عن
أن يراهم يتألمون من مصاب ومتحداً معهم قلباً وقالباً يكون
ما يسمى بالعائلة

الحفيد - نعم : ولدي الأعرز ولكنك لم تعرفني للآن
معنى كلمة الوطن

الجد - اصبر قليلا لا تعجل ولنقرأ خطاباًتي من أخيك
قبل كل شيء

« سيدى وجدى الأجل

اني أتأسف كثيراً لمفارقة عائلتي التي نشأت فيها ولكني
لحسن الحظ وجدت مع زمرة من الأوفياء الذين لا قصد
لهم الا خدمة الوطن العزيز تلك الأم الشفيقة التي ربنتنا
وعلمتنا صغارا وهذبتنا حتى صرنا أهلاً لخدمتها كبارا وأنا
في موضع نهاجم فيه الأعداء وندافع عن الوطن والأهل
والأحباء . الضباط رفقاؤني هم كاخوتي وقائد الجيش كوالدي
وخدمة أوطاني نبراسي واخلاصي لأميري قدوتي فقل
معى لتعش مصر »

في هذا اليوم حفظت دروسي جيداً وأديت ما عليّ من
الواجبات بكل همة ونشاط

الجد - ولما تعين أخوك ضابطاً هل نالك من الجبور
مانالك يوم تعينني قاضياً

الحفيد - نعم اني كنت منشرح الخاطر يوم ما ترقى
ووددت ان أكون مثله لابس تلك الملابس البهجة

الجد - قد ظهر يا ولدي العزيز من أجوبتك أنك
تفرح لفرحنا ولكن هل لو أمت بنا مصيبة تشاركنا في
الكدر

الحفيد - أما نظرت يا والدي الا كبر ما كنت عليه
من الكدر وسوء الحال يوم مرض والدي

الجد - اذا أنت تحبنا وتفضل أن تعيش معنا عن أن
تعيش مع غيرنا

الحفيد - لاشك في ذلك

الجد - اعلم يا ولدي العزيز أن اجتماع أناس متحابين
يفرح الواحد منهم لفرح الآخرين ويتكدر لكدرهم ويدافع

خدشك في وجهك

الحفيد - هو هر

الجد - قل الحق اني لا أظن ذلك

الحفيد - اني تشاجرت بالامس مع حسن

الجد - لماذا ؟

الحفيد - لانه سب والدي

الجد - اذا أنت تحب والدك وتدافع عنه

الحفيد - لاشك في ذلك

الجد - أظنك لا تحب غيره

الحفيد - كلا بل أحب أيضاً والدي وجدتي وأنت

يا جدي العزيز وشقيقي الاكبر على

الجد - أنت تحبنا حينئذ

الحفيد - كيف لا وأنتم أهلي

الجد - اذا كان الامر كذلك فأظنك كنت مسرورا

عندما تعينت قاضياً

الحفيد - أجل وقد كنت بك معجباً ومن شدة فرحي

علمنا ذلك حق العلم فاتبعنا طريقة هؤلاء القوم الافاضل
وتشبهنا بهم طمعاً في الحصول على ضالتنا المنشودة فلا نأ
أعداد جريدتنا بالمحاورات المختلفة التهذيبية وقد رأينا بأنفسنا
شدة ميل القراء اليها وانكبابهم على مطالعتها. فبذلنا الجهد في
الاعتناء بها أكثر من سواها واليوم نهديهم محاوره جليلة
عثرنا عليها في بعض الكتب النفيسة الاجنبية فعرّبناها مع
بعض التصرف حتى غدت ملائمة لمشرّبنا المصري الوطني

﴿ محاوره بين الجد والحفيد ﴾

وقعت هذه المحاوره في يوم جمعة عقب الصلاة بقاعة
الجد حيث كان في راحه وقد رأى حفيده لوحه مكتوبا
عليها (حب الوطن من الايمان) فابتدأ بالقول :

الحفيد - مامعنى كلمه الوطن يا جدى الجليل

الجد - هل تريد أن أفهمك معنى الوطن

الحفيد - نعم أريد ذلك

الجد - اذا كنت تريد ذلك فقل لى أولا من ذا الذى

من المنافع الدنيوية والاخروية ما يعجز اليراع عن حصره .
ففي الصلاة مثلا التي طالما يتأخر الكثيرون عن القيام بها فوائدها
جسدية ودنيوية وأخروية فهي التي تجعل الانسان مخلصا في
محبة الخالق ومتواضعا لكل اخوانه يفرح لفرحهم ويتكدر
لكدرهم طاهر الجسد والثياب فضلا عن انها تنشط الجسم
وتقوى العضلات مما يعلمه كل من واطب عليها. هذا ما أردنا
ذكره اليوم في هذه النبذة الصغيرة حتى لا يفتر الناس عن
عبادة الله واتباع كتابه الكريم وسنة نبيه الهادي . والله
يهدي من يشاء الى ما يشاء

﴿ المحاورات التهذيبية ﴾

ان المحاورات التهذيبية فضلا عن كونها شديدة التأثير
على النفس قوية المفعول ينشر الفوائد لقراءتها . والقارىء
يميل لها أكثر من ميله لغيرها ولذلك كانت طريقا سهلا
يسلكه أعظم الواعظين والنصحاء حبا في الوصول الى بث
الفضائل في النفوس ورغبة في نشر الحقائق بين الامم . وقد

وينهى عن المنكر . فما بالناس معشر المسلمين لا تتبعه وقد علمنا
أنه عنوان سعادتنا وقائدنا الى طريق مجدنا . فلنجعلنا نبراساً في
أعمالنا وسراجاً وهاجاً في حركاتنا وسكناتنا ولا نكون كمن
غره السراب فهو يغتر بأقوال الخسرة الموهين والكفرة
الخاسرين الذين يقولون ان القرآن أنزل لعصر لالكل
الأعصار وتقوم لالكل الأقسام بل لنعلم حق العلم أن
في اتباع القرآن الوصول الى أعلى منائر الحضارة والمدنية .
كيف لا ونحن لو نظرنا لأى أمر من أوامره أو نهى من
نواهيه لرأينا منه حكماً جليلاً وفوائد جمة عظيمة . ولو أمعنا
النظر في تحريم الخمر مثلاً رأينا في ذلك من المنافع ما لا ينكره
الاكل عدو للحق عتيد فالخمر تسلب الشرف والصحة والمال
تلك الأشياء التي عليها تدور رحي حياة الانسان
وكذلك الزنا فان في تحريمه حفظاً للشرف والعرض
والآداب العمومية ومحافضة على عدم اختلاط الانساب وفساد
الاخلاق الى غير ذلك

وفي جانب هذا لو نظرنا الى الفرائض لشاهدنا فيها

من في الظلمات الى النور . كتاب أنواره ساطعة وأحكامه
باهرة . تأخذ بلب من رآها حتى أن أعداء الكافرين وحساده
الخاسرين أقروا بأنفسهم أنه الدستور الجدير بأن يتبع والقانون
الكافل للمعاش والمعاد . ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى
للمتقين

ألا ترى أيها القارئ النبيل كيف أن فئة قليلة من العرب
تحت قدوة الطاهر الشريف سيدنا ونبينا محمد عليه الصلاة
والسلام غلبت فئات قوية وأدخلتها في ذلك الدين الحنيف القويم
ألا ترى كيف ان المسلمين في صدر الأسلام ملكوا
الأرض من مشارقها الى مغاربها وتفرّدوا بالكلمة وتوحدوا
بالسلطة حتى علا مجدهم الفرقدين وغدت أنوار الشمس
لا تغيب عن أملاكهم تلك الاملاك الشاسعة والأراضي
الواسعة والقصور الشاهقة والمباني العالية والحصون القوية
والقلاع الحصينة مما لم تستطع أية دولة من أعظم الدول قوة
واقتراراً أن تجارى دولة الاسلام فيه
كل ذلك باتباع القرآن الشريف الذي يأمر بالمعروف

(اليهود في العالم)

لا يزيد عدد اليهود على أصح الروايات عن ٦٥٠٠٠٠٠٠
أغلبهم في أوروبا

الجزء الخامس

يوم الخميس ١ ذى الحجة سنة ١٣١٠

٩ بؤونه سنة ١٦٠٩ الموافق ١٥ يونيه سنة ١٨٩٣

(بأى كتاب تقمدي وبأى دستور نهتدى)

نقمدي بكتاب مجيد ودستور فريد شرعه لنا فاطر
السموات والأرض وما فرط فيه من شيء . كتاب شريف
وقرآن منيف . الحق يقدمه والنور يحيط به من كل جانب
لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . كتاب يكفل
لنا السعادة الدنيوية والأخروية ويحقق لنا ان اتبعناه رضاء
الخالق والناس والسريرة الانسانية علينا . كتاب آياته بينات
وبالحق ناطقات . تنشرح لقراءتها الصدور وينتقل بتلاوتها

بمعنى أنه يكتب عدداً مكوناً من ثلاثة أرقام متساوية ثم يقسم هذا العدد على مجموع الأرقام فيكون الناتج ٣٧ دائماً وتحققنا من معرفته يجعلنا نحكم به في كل الأحوال

(اليابانيون في التشخيص)

ليس من عادة اليابانيين إذا حضروا تشخيصاً ولم يعجبهم ما رأوه أن يهملوا كما يفعل الأوروبيون بل أنهم يديرون ظهورهم إلى المرسح فينزل الستار

(الذئاب في نروج)

كانت بلاد نروج في السنة الماضية محط رحال الذئاب فقد تعاضم عددها حتى أنها ابتلعت ٥٠٠ ر ٢٠ حيواناً منزلياً

(أعظم كلب في الدنيا)

اشترى أحد الأميركيين بمبلغ ١٩٠٠٠ دولار (يساوي الدولار مبلغ عشرين غرشاً مصرياً تقريباً) كلباً طوله متر و ١٠ سنتيمتر وثقله ٢٤٧ رطلاً واسمه اللورد بوت

(٣) كيف يميز ذئب صغير من ثعلب صغير

(٤) لماذا يقولون أن آسيا مصدر الوباء

(٥) يوجد بقاعة ذات أربعة أركان أربع هرات كل

واحدة منها في ركن وتبصر أمامها ثلاثاً فما عدد الهرات
الموجودة بالقاعة

(تنبيه) من يجب على هذه الاسئلة نهد اليه كتاب

(أعجب ما كان)

شذارت

(عدد ٣٧)

أن لعدد ٣٧ خاصية عجيبة وهو انه لو ضرب في التسع

مضعفات الاولى لعدد (٣) (أى فى ٣ و ٦ و ٩ و ١٢ و ١٥ و ١٨

و ٢١ و ٢٤ و ٢٧) لتتج من كل حاصل ضرب عدد أرقامه

متساوية

وبهذه الخاصية يمكننا أن نكلف أي شخص بان يكتب

أى رقم من الارقام التسعة البسيطة وأن يكرره ثلاث مرات

(٥) أن أستراليا يخرقها من الشمال الى الجنوب سلك واحد تلغرافى واصل بين مدينتين بورداردين وآديلايد وقد مد في سنة ١٨١٧ ميلادية

(٦) يستخرج الملح اما بتبخير المياه في الاحواض الملحية واما من الصخور الملحية

(٧) يوجد بالقفص ١٢ أرنباً و٢٣ ديكاً

وقد وردت الاجوبة عن أغلب هذه الاسئلة من بعض تلامذة المدارس الابتدائية ولم يفز من بين المحبين الا حضرة خليل افندى عفت التلميذ بمدرسة السويس الاميرية

(أسئلة أخرى)

(١) ما اسم النهرين المعروفين قديماً باسم سيمواس وسكامندرا اللذين يصبان في بحر الارخبيل وكانت بينهما مدينة ترواده الشهيرة

(٢) أى الحيوانات يمثل شكل الرقص والموسيقى والرسم في آن واحد

من النبات يكافىء فتوصل العلامة شابتال الى استخراجه من
البنجر فى سنة ١٨٠٧ ميلادية ومن ذلك نرى أن السبب فى
الاختراع هو الاحتياج غالبا

(٢) تولى أمير المؤمنين هارون الرشيد يوم مات أخوه
الهادى وولد ابنه المأمون

(٣) أن جماعة من النورمانديين البحريين تحت رئاسة
رجل ماهر اسمه جان دى بيتنكور اكتشفوا جزائر كناريا
سنة ١٤٠٢ وأسسوا بها مملكة ولوا رئيسهم عليها حيث استمر
حاكما مدة اربع سنوات وبعد ثلاثين سنة من افتتاحها
دخلها البرتغاليون

(٤) لم يتكلم لنا تاريخ العرب عن تفصيلات تجول تجارهم
البحريين مما يجعلنا فى شك من زيارتهم لبلاد ايبان وأن ما
نقله هو أن أحد مشاهير السواحل المدعو ماركو بولو
اخترق فى القرن الثالث عشر آسيا حتى وصل الى بكينغ ثم
أقام بالصين عشرين سنة وبعد ذلك اكتشف بلاد اليابان
وكان اسمها وقتئذ (زيبانجو)

المناصب وأجلها لأن الادب والتواضع يجعلان الانسان يعتقد في نفسه أنه أقل الناس مقاما وأصغرهم قدراً

ومما يلزمنا أن ننبه عليه هنا افادة لاخواننا التلامذة ان بعضهم (وان كان نزرأ يسيراً) يستعين في الكتابة بغيره وهو أمر قبيح وفعل رديء يحط من قدر الانسان وينقص من معلوماته ويسبب له التقهقر على حين تقدم غيره وما أحسن قول القائل

وانما رجل الدنيا وواحدھا

من لا يعول في الدنيا على رجل

(أجوبة الاسئلة المدرجة في العدد الماضي)

(١) ان السبب في اختراع السكر من البنجر هو انه لما اشتعلت الحرب بين فرنسا وانكلترا أيام حكم نابليون الأول انقطعت المواصلات بين فرنسا ومستعمراتها وكانت تستمد منها معظم سكرها فلما اشتدت الحاجة اليه أصدر نابليون الاول أمره بأن كل من يكتشف طريقة لاستخراج السكر

وبذلك تصير عبارته ساقطة خلوا من الذوق السليم وفي كل
الاحوال فالكتابة الطبيعية أى الخالية من التكاف أعظم
الكتابات مقاماً عند أرباب الاقلام

وللكتابة آداب يجب على الكاتب مراعاتها بمعنى أنه
لو كتب لأمر يلزمه استعمال العبارات اللازمة لذوى المقامات
العالية وان كتب لصديق يلزمه استعمال عبارات النظير وان
كتب لمن هو أقل منه مقاماً فان كانت الكتابة على صورة
أمر يلزمه أن يستعمل ما يلزم من كتابات الرؤساء للمرؤوسين
وان كانت بصورة ودية لزمه أن يكتب له ما يكتبه الى صديقه
ومن أعظم ما يلزم مراعاته فى التحرير الاجابة على
خطاب المرسل اذا دعت الحاجة لذلك أى أنه لو خاطبك
شخص « ولو كان أقل منك مقاماً » فى أمر يدعو للاجابة
أو طلب منك ذلك المرسل الاجابة لزمك أن تجيبه فى كل
الاحوال والا تعد قليل الادب خارجاً عن دائرة المدنية
وأهلها فان المرء الذى يظن فى نفسه أنه عظيم وما عداه حقير
يكون فى الحقيقة جاهلاً لئما قليل التريسة وان كان فى أعلى

فوق كل شرف وأن ثوب التقي أشرف الملابس وراعى أن
السعادة الحقيقية فى طهارة السريرة وحسن الطوية لا فى كثرة
الاموال وعلو المقام بين الرجال

﴿ الانشاء والتحرير ﴾

لا يقصد بالانشاء تنميق العبارة وتحليتها بالنثر والنظم
بل القصد الأسمى هو وضع عبارة عربية صحيحة سليمة
يفهمها القارئ ويقف بها على قصد الكاتب . ولما كانت
موضوعات الكتابة شتى كان من الواجب على الكاتب أن
يستعمل فى كل موضوع طريقة مخصوصة فى الموضوعات
العلمية يجب عليه أن لا يراعى غير سلامة العبارة من التعقيد
وفاسد التركيب لا السجع والتنميق وفى الرسائل والخطابات
لا بأس من استعمال السجع وغيره من المحسنات بشرط أن
يكون بدون تكاف فى العبارة . نقول ذلك لانا طالما
شاهدنا الكثير من التلامذة وغيرهم من حاملى القلم يدعون
أن الاجادة استعمال السجع لوضع ألفاظ لازوم ولا معنى لها

شراع مركب وقد راقه شدة بياضه وأعجبه حسن منظره
فاظهر لوالده عظيم ارتياحه من هذا الشراع فتبسم الوالد
دون أن يجيبه بشيء حتى اذا اقتربت الباخرة منهما اندهش
الطفل من استمرار لون الشراع الذي شاهده من بعد في
أبهى أثواب انبياض فلما رأى منه والده هذه الدهشة قال له
لا تغتريا يا بني بطواهر الامور واعلم أن زينة الباطن خير من
زينة الظاهر والله من قال

السبع سبع ولو كلت مخالبه

والكلب كلب ولو بين السباع ربي

وهكذا الذهب الابريز خالطه

صفر النحاس فكان الفضل للذهب

لا تنظرن لأثواب على أحد

ان رمت تعرفه فانظر الى الأدب

فالعود لو لم تفتح منه روائحه

لم يفرق الناس بين العود والحطب

فخير الناس معاملة من اعتبر أن شرف العلم والفضل

حسن - جزاك الله عنى الجزاء الحسن

(زينة الباطن خير من زينة الظاهر)

لله قائل هذا القول الحق فانه حكيم متبصر نطق
بالصواب وفاه بحكمة لو عمل بها الانسان في هذه الحياة
الدينا هدى الصراط المستقيم وسلك الطريق القويم وقليل
من يعمل بها من بنى آدم . فالعدد العديد منهم يغتر بالظواهر
وهو لا يدري ما تطويه السرائر . فكم من رجل لس الحرير
وتقمش بأخر القماش وأتمن الملابس فاغترت الناس بزیه
وأضحت طوع اشارته وهو مع ذلك على جانب من الضلالة
عظيم . وكم من خادع استظهر بمظاهر المتقين بغية نيل
مقاصده وحباً فى بلوغ أوطاره وهو لا يصدق بربه وبنیه .
وكم من فاضل العلم شعاره والأدب وشاحه أضاع الناس
قدره لقلة ما له وعدم بهائه . والشواهد على ذلك كثيرة
ينقلها لنا التاريخ وتقصها القصص وتحكيها حكاية الطفل الذى
كان يتنزّه على شاطئ البحر صحبة والده فشاهد من بعد

حسن -- في ستة أيام . . . ان ذلك زمن يسير ولكن
لم لم يخلقها الله في لحظة واحدة مع انه يقول للشيء كن فيكون
عبد الفتاح — خلقها في ستة أيام ليعلم الانسان أن
التأني في الامور محمود وأن العجلة عاقبتها وخيمة

حسن — لله هذه الحكمة البالغة . ولكن قل لي
يا أخى لماذا تعمل حكومة الولايات المتحدة معرضاً مثل
هذا يكلفها أموالاً جسيمة

عبد الفتاح — انه ان كلفها أموالاً جسيمة فانه سيكسبها
أكثر من ذلك لانه بسببه تروج تجارتها وترح فنادقها
وأسواقها بالنزلاء المتفرجين والاجانب المدعويين فضلاً عن
أنها تظهر للعالم بأسره تقدمها وعلو شأنها فيسمو قدرها بين
الدول وترتفع كلمتها

حسن — لله ما أقدرك على خدمة اخوانك وما أحبك

انفعهم

عبد الفتاح -- اني رهين اشارتك لا أتأخر ولا أستقدم

متى دعوتني لاي أمر مهم

والنواحي تعرض في كل ناحية من نواحيها مصنوعات
مملكة وفيها مندوبون من كل حكومة تنوب عنها
حسن - وما هي شيكاغو

عبد الفتاح - ان شيكاغو هي احدي مدن امريكا
الشمالية

حسن - اني لا اعرف امريكا الشمالية يوجد غير مصر
وبلاد العرب والتركية (تلك البلاد التي درسناها في المدرسة)
بلاد اخرى

عبد الفتاح - نعم يا اخي يوجد بلاد اخرى كثيرة
حسن - اذا كان الامر كذلك فارجوك ان تعرفني
بما هي هذه البلاد

عبد الفتاح - اعلم ان الدنيا خمسة اقسام (اى خمس قارات)
افريقيا التي منها - وطننا العزيز (مصر) وبلاد تونس
وطرابلس والجزائر ومراكش

واوروبا التي منها الدولة العلية والروسيا وفرنسا
واسيا التي منها بلاد العرب (وهي مسقط رأس سيد

عبد الفتاح - اني في خدمتك مدى الايام
حسن - حفظك الله وحرسك . لقد سمعت بالامس
بعض الناس يقول (لقد فتح معرض شيكاغو يوم الاثنين
أول شهر مايو الجاري ولا بد أنه سيكون في غاية الحسن
والجلال مزدحماً بالافاضل من كل جانب) فاندعشت من
سماع هذه الجملة لشدة غرابتها على سمعي فقل لي رعاك الله
ماهي شيكاغو وما هو المعرض ولماذا سيكون مزدحماً بالناس .
اني غاية ما أظن انه مولد كمولد بلدتنا

عبد الفتاح - ان المعرض هو عبارة عن محل تعرض فيه
الاشياء فمعرض شيكاغو هذا هو معرض اقامته الحكومة
هناك في هذا العام تعرض فيه أغلب مصنوعات الدنيا
ويشاهد فيه عجائبها ولذلك ذهب الكثير من أعاضم الامراء
لمشاهدته

حسن - اذا هو عبارة عن سوق عظيمة تعرض فيها
الاشياء

عبد الفتاح - نعم انها سوق عظيمة كثيرة الشوارع

التقدم والنجاح

واعلم أن حكومتنا المصرية هي من الحكومات التي
منحت الشورى . ويرأسها أمير جليل هو خديويها وسيدها.
تتبع دولة اسلامية عظيمة الجاه قوية حصينة الا وهي الدولة
العلية الخافق على نواحيها العلم العثماني الجليل
(الى هنا انتهى الباب الأول من الكتاب وسنتدىء
بالباب الثاني في العدد الآتي وينحصر الكلام فيه على القوة
التشريعية)

﴿ محاورة بين صديقين ﴾

(أولهما صغير وثانيهما كبير)

حسن - (بعد السلام) قد مضت مدة طويلة

لم أتمتع فيها بمشاهدة سيدي وصديقي الاجل

عبد الفتاح - لقد كنت مسافراً بالبلد لقضاء بعض

مصالح خصوصية

حسن - الحمد لله على سلامتكم يا أخي . أيسمح لك

الزمن أن تتحدث معي قليلا

التشريعية والتنفيذية

والملكية المقيدة هي ما كانت القوتان التشريعية والتنفيذية فيها خاضعتين لسلطة الملك ومنصبه في الغالب وراثي أي ينتقل الملك من الأب الى الابن ومن الابن الى ابن الابن وهكذا

والملكية المطلقة هي ما كان الملك فيها مطلق التصرف مصدرا للتشريع والتنفيذ

ولكل نوع من هذه الانواع أحزاب وأنصار يميلون اليه ويفضلونه عن غيره وأكثر الأنواع انتشارا وأحزاباً هو الثاني منها وهو الذي جرى عليه نظام حكوماتنا الاسلامية بمقتضى شريعتنا المحمدية من يوم ما أنزلت الى الآن. وحقيقة ان الإنسان لو تأمل في الحكومة الجمهورية لرأها عرضة للاخطار ان تقدمت خطوة تأخرت خطوات وان ارتفعت بصعوبة انخفضت بسهولة كما ان الحكومة التي فيها السلطة مطلقة للملك تكون مركزا للظلم ومحطاً للاجحاف بخلاف التي استحسناها فانها مجلبة لعدل وموضع

﴿ الجواهر السنیه فی نظام الهيئة الاجتماعیه ﴾

(الباب الأول)

« أصول أولیه - تابع ما قبله »

وقد استمرت كل عائلة منفصلة عماسواها عائشة بنفسها
زمناً مديداً قضته في الصيد أولاً ثم في حفظ الحيوانات
النافعة والقيام بخدمتها ثانياً حتى دعتها الضرورة للانضمام
وتكوين قبائل لكل واحدة منها رئيس مخصوص . وكان ذلك
الانضمام عنواناً على تشكيل الحكومات الذي ابتداءً بعد هذا
الحين بقليل . والمعاملة في ذلك العهد كانت عبارة عن مبادلة
الحاصلات الموجودة عند بعض القبائل والمفقودة عند البعض
الأخر ببعضها وتشكيل الحكومات استغرق اجيالاً طويلة
لا يهمننا الآن تاريخها بل غاية ما نعلمه أن الحكومات تنقسم
في هذه الأيام الى ثلاثة أقسام جمهورية ومملكية مقيدة
ومملكية مطلقة . فالجمهورية هي ما كانت الهيئة المحكومة
فيها منتخبة للهيئة الحاكمة من أولها لا آخرها وفيها القوتان

فيه الانسان أما هنيئاً ان كان قضي الدورين الاولين خير
قضاء وأما شقياً ان كان قد قام بضد ما يجب وفي هذا الدور
يوهب الأ نسان غالباً النسل والذرية ونقصد بذكر ذلك
أنه ملزم فيه بمزيد تربيتهم كما قدمنا

وهذا الدور هو الذي يتسنى للإنسان أن يقدم فيه
أجل الخدم لوطنه العزيز ولا نقصد بذلك أن غيره من
الأ دوار خال عن هذه الغاية بل أنه دون غيره أكثر
استعداداً للتأدية هذه الخدم

وآخر الأ دوار دور الكهولة وهو الدور الذي يبلغ
فيه المرء من الكبرعتيا فيستريح فيه من الأعمال ويقضيه
في معالجة أمراض الشيخوخة حتى تأتيه المنية فينتقل الى
الدار الآخرة هنيئاً بما فعل ان كان خيراً وعليه غضب من
الرحمن ان كان شراً والسلام

وغاية القول ان هذا الدور هو أهم الادوار وأجلها لماله
من عظيم الأهمية وجليل المزية

ودور الشبية يتدىء من غاية الدور الأول وينتهى

في ما بين الثلاثين والاربعين وهو الدور الذى فيه يتعلم
ما أعد له من فن أو صناعة أو حرفة تخدمه لمعاشه ولمنفعة

أهله وبلاده والشاب منوط به فيه الطاعة والامثال لاوامر

أولياء أمره الذين عليهم نجاحه وفلاحه كما أنه يجب عليه أن

لا يقصد فيه الا العلم والعمل والكد والجد في تحصيل نفائس

المعارف وذخائر العلوم والآداب وقد يتم التلميذ في الغالب

دراسته في منتصف هذا الدور الزاهر ويقضى النصف الآخر

في تحصيل معاشه بنفسه فيعمل بما تعلم في مدارس التهذيب .

وأغلب الشبان تم هذا الدور بالزواج ولا يفوتك ما ذكرناه

في العدد الماضى من وجوب الاعتناء بذلك الامر وحسن

انتقاء الزوجة

أما دور الرجولية فيبتدىء من غاية السالف وينتهى

بين الخمسين والستين وهو دور الشغل والعمل الذى يعيش

أتقن وأحسن نشأ الطفل وقد تأهل لتلقى العلوم السامية
ودرس الاخلاق الكاملة . وهو دور ليس على الطفل فيه
واجب بل كل الواجبات على والديه فهما المنوط بهما تربيته
أكمل التربية الجسمية والعقلية فالجسمية بمراعاة الصحة والنظام
في الغذاء والعقلية بعدم مخالطته الأوباش الذين يعودونه
النقائص والقبائح كأن يوحوا اليه أن سب هذا ولا حرج
عليك اليوم فانت صغير فينشأ الطفل قليل الأدب عديم
التربية يسب كل من قابله ويفوه بأسفل الأقوال وأهله
ضاحكون مرتاحون حتى اذا حان وقت ادخاله المدرسة
تهاملوا في الامر تحت حجة صغر سنه فيشب ويشيب جاهلا
قليل الحظ سيء الحال لا يجد من نفسه رادعا ويسرى الداء
منه لأولاده فيكون رئيساً لعائلة أعضاؤها في الجهل يرتعون
هذا اذا تهامل الاهل في تربية الولد . ذلك الامر الذي
هو قوام سعادته ودعامة حسن مستقبله . وأما ان اهتموا به
وأعاروه جانب الالتفات فقد أعدوا لنسبهم بذلك مستقبلا
حسناً وحظاً وافراً بل ولنسل نسبهم وسائر الذرية

أي ٩١٥٥٤ يومياً و ٣٧٣٠ كل ساعة و ٦٢ كل دقيقة

الجزء الرابع

يوم الأربعاء ١ ذى القعدة سنة ١٣١٠

و ١٠ بئس سنة ١٦٠٩ الموافق ١٧ مايو سنة ١٨٩٣

﴿ أدوار الحياة ﴾

للحياة البشرية أدوار مختلفة يقضيها الانسان بأشكال متنوعة وأعمال متميزة يمكن حصرها تحت أربع وهى الطفولية والشبيبة والرجولية والكهولة

فدور الطفولية هو الدور الأول الذي يتدىء من يوم ولادة الانسان وينتهي فى السنة الرابعة عشرة من عمره فيكون فيه صبياً ثم غلاماً ثم يافعا حتى اذا صار حزورا انتقل من هذا الدور الى تاليه

ودور الطفولية هذا هو الدور الذى عليه تدور سعادة المرء أو شقاؤه فتميه التهذيب المبدئى والتعليم الأولى الذى متى

يوجد ٣٨٠ فقط ذات رائحة منها ١٨٧ بيضاء و ٨٥٥ حمراء
و ٧٧٥ صفراء و ٣٠ زرقاء و واحدة سمراء
(الرسم على الفواكه)

لأجل الرسم على الفواكه يكفي أن يلصق بالصمغ ورق
مكون لذلك الرسم على فاكهة خضراء كتفاحة مثلاً . فبتأثير
الضوء والشمس تستوي الاجزاء الظاهرة من الفاكهة أي
الحالية عن الورق والاخري تبقى خضراء فيظهر الرسم بعد
النضج مكونا للاجزاء الخضراء على الفاكهة الناضجة ويلزم
أن يكون الورق غير نافذ منه الضوء

(سكان المعمورة وأمواتها)

على حسب أدق الاحصائيات علم أن سكان الدنيا يبلغ
عددهم ١٤٦٩٢٧٩٠٠٠ تقريبا منهم في آسيا ٨٢٦٠٠٠٠٠٠ وفي
أوروبا ٣٥٧٢٧٩٠٠٠ وفي أفريقيا ١٦٤ مليوناً وفي أمريكا
واستراليا ١٢٢ مليوناً

وعلم أيضا انه يموت سنويا في العالم بأسره ٣٣ مليوناً

وتسعين قدما فما عدد الديكة وما عدد الارانب

(تنبيه) - من يرسل لنا اجوبة شافية عن جميع هذه
الاسئلة ترسل له الجريدة مجانا سنتين كاملتين ومن يجب
عن أكثر من النصف وأقل من الكل ترسل له الجريدة
مجانا سنة واحدة

(الزمن نفيس)

لقد عمل سكان احدي المدن الاجنبية بهذه النصيحة
حيث أسس بعض أفرادها جمعية في السنة الماضية لاضاءة
المدينة بالنور الكهربائي فلم يمض من يوم تأسيسها ستة أيام
الا وقد اضيئت المدينة بأربعة مائة مصباح

(ألوان الازهار)

لقد شاهد أحد العلماء بالتجربة أن في كل ألف زهرة
تقريبا يوجد ٢٨٤ بيضاء و ٢٢٦ صفراء و ٢٢٠ حمراء و ١٤١
زرقاء و ٧٣ بنفسجية و ٣٦ خضراء و ١٢ برتقالية و ٤ سمراء
و ٢ سوداوان وشاهد عالمان آخران ان في كل ٤٠٠٠ زهرة

الصفرة اذا اشتدت البرودة جداً فيقال عند ذلك أن درجة البرودة ٣ أو ٢ أو الصفرة أو تحت الصفرة بدرجة أو درجتين حسبما يكون

(أسئلة متنوعة)

(١) في أى بلد وفي أى سنة اخترع السكر من البنجر وما السبب فى اختراعه

(٢) أى الخلفاء تولى يوم مات والده الخليفة وولد ابنه ولى العهد من بعده

(٣) ما اسم المكتشف لبلاد اليابان وفى أى سنة اكتشفها

(٤) أى القارات يخترقها من الشمال الى الجنوب سلك واحد لتغرافى

(٥) كيف يستخرج الملح

(٦) من المكتشف جزائر كناريا وفى أى سنة اكتشفت

(٧) يوجد بقفص عدد من الديكة وآخر من الأرانب

مجهول غير انه معلوم ان بالقفص خمسة وثلاثين رأساً وأربعة

تسبب حريقاً هائلاً تقومه آلاف من الدراهم ورب باب مفتوح ينشأ عنه سرقة منازل شتى الى غير ذلك مما لا يدخل تحت حصر وعد. والعاقل العاقل من يعتبر بتلك الحكم الباهرة ولا يجعل التواني له خليلاً ولا التقصير زميلاً لئلا يقع في مهاوى الخسران ويندم حين لا ينفع الندم

(مقياس الحرارة)

مقياس الحرارة (ويعرف عند الفرنسيين بالترمومتر) هو آلة تصاح لقياس درجات الحرارة الطبيعية او الصناعية وهو يتركب من أنبوبة من الزجاج قاعدتها عبارة عن مستودع يملأ بالزئبق وتقسم الانبوبة الى درجات آخرها درجة ٨٠ او ١٠٠ وأولها الصفر فتأثير الحرارة (اذا كان الجو حاراً) يتمدد الزئبق ويرتفع في الانبوبة الى درجة ٢٠ أو ٢٥ مثلاً فيقال عند ذلك أن درجة الحرارة ٢٠ أو ٢٥ وبتأثير البرودة (اذا كان الجو بارداً) ينخفض الزئبق في الانبوبة الى درجة ٣ أو ٢ أو الصفر مثلاً وربما انخفض تحت

أسراراً وحكماً يبعد فكر المرء عن أن يحيط بها وتقتصر المذكرة
الانسانية عن أن تدركها بأسرها منها أن صغار الأشياء تولد
كبأرها ودليل ذلك كل ما في العالم ألا ترى أن الانسان
كسائر الحيوانات كان في المبدأ نظفة ثم علقه والنبات كان
بذراً صغيراً والجماد منشأه ذرة حقيرة . ذلك ابن آدم الذي
يعمل الاعمال الجسيمة ويشيد المباني العظيمة ويتسلط على
سائر الحيوانات والدواب فيستخدمها اني شاء ومتى أراء بل
ويكون طوع يديه كل ما خلقه الله من غير جنسه الانساني:
أصله نظفة . وتلك الثمار اللذيذة والفواكه الجميلة والخضر
وأنواعها الاصل فيها بذرة حقيقية لا قيمة لها . وهذه القصور
المهائلة والدور الشاهقة التي يقطن بها ابن حواء وقومه أصلها
حجر واحد بل ذرة واحدة . ومع هذا لو نظر الانسان الى
الاشياء الخارجية لرأى ذلك السر وتلك السنة فيها جارية على
محور الانتظام بلا اختلال . فرب رجل واحد كان سبباً في
حقن دماء ألوف مؤلفة من أكبر الفرسان ورب نزاع بين
صغيرين يسبب قتالاً بين قبيلتين ورب قطعة من الصوفان

محمود - كلا

عبد الخالق - اذا كنت تقول كلا فما بالك بعدت عن
الحق وزغت عن الصدق

محمود - دعنى من التأييب وقل لى نصيحتك التى تحتم
على سماعها والعمل بها

عبد الخالق - أن من رأيي أن تعمل وتجد وتستمر فى
المدرسة وتداوم على طاعة الرؤساء والمعلمين . ومتى تمت
الدراسة ونلت شهادة الحذاقة الثانوية (أي شهادة البكالوريا)
تدخل فى أى مدرسة عالية ترغب فيها

محمود - لك الشكر يا أخى على ما أبديت من النصائح
الجليلة الصادرة عن عقل وحكمة . وكن على ثقة من أنى سأتبعها
وعن قريب ترانى التلميذ الاول من فرقتي ان شاء الله تعالى

﴿ صغائر الامور تولد كباثرها ﴾

لو تأمل الانسان فى المخلوقات وحالاتها وأصلها يل وفى
سائر الامور وكنهها وأسبابها علم أن للخالق فى الكون

وأنت قصدت طريقاً يضر بك أكثر مما ينفعك وهو أنك أردت أن تستعمل في الحصول على المعيشة طرق الاحتيال والخداع (وهي لعمرى أقبح الطرق) عوضاً عن أن تستعمل طرق الشرف والذمة على أنك عازمت أن تكون محامياً وهي مهنة شريفة جليلة لا يقرع بابها الا كل فاضل أديب طاهر الذمة شريف المقاصد . لانه يناضل عن الحق لا عن ضده . هذا وانى على ما أرى أن التلميذ الذى يتم دروسه فى المدارس ثم يتجه الى أى مهنة شاءها ينال الخير ويبلغ أقصى المراتب العلية

محمود - كلامك كله حكم ودرر ولكن قل لى يا عزيزى قد عزرتنى بالقول وشدت عي فى ذم استعمال الاحتيال بدل الشرف أليس القصد هو الحصول على المعيشة باية طريقة كانت عبد الخالق - كيف ذلك يا أخى أترضى نفسك أن تحصل على معاشك بطرق الاحتيال بحيث أنك ترى غيرك يحصل على معيشته بطرق الشرف أيتساوى عندك سارق محتال وقاض جليل

مدرها (محاميا) واحتال على ضعفاء العقول فاسلب أموالهم
وأصبح من كبار الاغنياء

عبد الخالق - اعوذ بالله مما نويت عليه لعمرى انى لم
اسمع من مجنون احمق فى حياتى قولاً مثل قولك لانه كاه
مبنى على الغش والدناءة. وانى اخشى عليك من تنفيذ افكارك
فتصبح أسوأ الناس حالاً مع انك لو اتبعت نصائحى أيها
الصديق لبلغت المرام ولكن اخاف ان أجهد نفسى فى القول
ولا اجد منك اذناً صاغية وقلباً واعياً

محمود - قل تجدني لك مطيعاً

عبد الخالق - اقسم

محمود - بمن اقسم

عبد الخالق - اقسم بالوطن العزيز فالقسم به عظيم

محمود - اقسم بوطنى العزيز وبلادى التى لها على اهل

فضل انى متبع نصيحتك يا أخى

عبد الخالق - اعلم ان الطريق السهل يوصل الى المرام

بسهولة لا كالطريق الوعر فانه يوصل بعد تعب شديد بصعوبة

محمود - وهل تصدق انى سىء الأءب أو مقصر

فى ءفظ الءروس

عبء الءالء - واءا كان يصعب عليك ان أءءق انك

سىء الاءب أو مقصر فى واءبائك أفلا آسآعظم انى أنسب

للاسآءة والضبآاط الظم والاءءاف

محمود - ان من الببان لسءرا لءءأ وءفآنى بءءك القوية

عن ان أءبب

عبء الءالء - ان من المقرر فى الاءهان ان الءى يلفق

القول ويطبى الأمور بطاءء الءءاع والبهآان لاءء أن بكون

كاذباً غير صاءق آءالاً على بلوغ أمر وأآآ قء نوعآ

الكلام ونسبآ المعلمبن والضبآاط للظم وءذا أمر آطبر

فقل لى بالله عليك ما ذا آقصء وما آنوى ??

محمود - لءء أءبرآنى باصءبى بمانطقآ به على ان اظهر

لك ما بكنه ضمبرى وما بظوى عبه فؤاءبى فاعلم انى أوء

الءروج من المءرسة والانضمام الى اءء مكآب المءامبن

لأآمرن على الاعمال وبعء ذلك افآء لى مكبآباً مسآقلا واءكون

نشرح لك تاريخ العائلات والاجتماع

﴿ محاوره بين صديقين ﴾

عبد الخالق - كيف حالك أيها الصديق العزيز أمسرور
أنت من المدرسة ومعلميها

محمود - والله يا أخي ان حالي أسوأ حال لانه لا يمر
على يوم أو يومان الا وأوبخ وازجر من الاساتذة والضباط
امام جميع التلامذة

عبد الخالق - وما السبب في ذلك

محمود - ان السبب كما يدعون هو عدم حفظي للدرس

عبد الخالق - ولم أتخلف دروسك وأنت كما أرى ذكي نبينه

محمود - اني أحفظها جيدا ولكن المعلمين والضباط

يكرهونني وبودهم أن ألتقي في شر المصائب

عبد الخالق - يا للعجب أتبغضك يا أخي الاساتذة والضباط

بلاسبب؟ لا بد أنك مسيء الأءب معهم أو مقصر في حفظ

دروسك

إذا فهمت مامر وعلمت أنك ستكون يوماً من الأيام
رئيس عائلة ورب بيت وجب عليك أن تعرف واجبات
رئيس العائلة وهي :

يجب على رئيس العائلة أن يكون دمث الاخلاق يعامل
جميع افراد عائلته باللطف والحسنى وان يؤدي ما عليه من
الحقوق نحو أبويه وزوجته وأبنائه وان يصرف في المنزل
مكسبه (لان الرجل الذي يصرف ما يكتسبه في اللهو خارج
بيته جان غبي) وان لا يسيء معاملة زوجته

هذا ما يجب على رئيس العائلة واما ما يجب على الولد في
العائلة فهو أن يخلص في محبة أقاربه وان يحترمهم ويطيعهم
وان يظهر لهم فرحه وترحه ويقر لهم بغلطاته وهفواته ان وقع
منه شيء من ذلك وان يساعدهم في كبره ان احتاجوا
للمساعدة وان يحب اخوته وأخواته وان يحن اليهم ويلطفهم
وان يحافظ على شرف عائلته ما استطاع وأن يتجنب النزاع
والخصام بينه وبين أفراد العائلة

هذا نظام العائلة وواجباتها وحقوقها والآن بقي علينا أن

في الصغرى في مدرسته الاولى التي هي أجل مدارس الحياة
هذا ما يجب على الزوج قبل الزواج اما ما يجب على
الزوجين في آن واحد فهو الصدق والمساعدة ولطف المعاملة
بينهما فعلى الزوج ان يحمي ويساعد زوجته وعلى الزوجة
الامثال لاوامره وعلى الاثنين ان يعتنيا أشد الاعتناء بتربية
أولادهما ويكون ذلك باللين والرفق لا بالعنف والشدة وعليهما
ان يبعدهم عن الخسائس والرذائل ويقرباهم من الفضائل
والكمالات وان يغرسا في قلوبهم من الصغر محبة أوطانهم
والذب عنها وعليهما ان يبادرا بادخالهما المدرسة متى جاءت السن
التي فيها يتعلمون

وخلاف تربية الاطفال يجب على الزوج أن ينظم المعيشة
على قدر ما يكتسبه سواء كان ذلك الكسب يوميا أو أسبوعيا
أو شهريا وعلى الزوجة ان تنظم المنزل وتستعمل التوفير
والتدبير غير المضر

وفي كل حال يلزم أن تعادل المصروفات المتحصلات
دون أن تفوقها ولا بأس من أن تكون أقل منها :

عليه من قبل وما هي عليه الآن فنقول:

اعلم ايها القارئ رعاك الله ان الهيئة الاجتماعية أساسها العائلة والعائلة هي اجتماع بعض أشخاص تجمعهم جامعة القرابة او الالفة للتعاون على نيل المآرب في هذه الحياة الدنيا فلو تأمل كل فرد منا في هذا التعريف ونظر الي عائلات المجتمع الانساني لرأى انها تتكون في الغالب من أب وأم واجداد و اخوة وأخوات وأقارب وخدم ولو نظر بعد ذلك في اساس هذه العائلة لشاهد أنه الزواج الذي هو اجتماع ذكر وأنثى على حسب قواعد الشريعة المطهرة بقصد التعاون في المعاش والنسل لتكوين عائلة فمن ثم نرى أن الزواج اساس الاجتماع الانساني كله ولذلك كان من اعظم العقود البشرية ووجب على المرء أن يعتني بامرءه كل الاعتناء فيلزمه أن لا يتأهل الا بزوجة شريفة أحسن أهلها تربيتها بدون مراعاة الثروة أو علو الصيت لانه لو راعى ذلك وترك اعتبار التربية والتعليم لوقع في أكبر المصائب وأضر بنسله ضرراً فاحشاً حيث يشب قليل الادب جاهلاً حسب ما عودته أمه

أزرق ولا تشم له رائحة الا وقت الظهر أى عندما يكون أحمر

الجزء الثالث

يوم الثلاثاء ١ شوال سنة ١٣١٠ و ١١ برمودة سنة ١٦٠٩

الموافق ١٨ ابريل سنة ١٨٩٣

﴿ الجواهر السنوية فى نظام الهيئة الاجتماعية ﴾

(الباب الاول)

(أصول أولية - تابع ما قبله)

ذكرنا لك فى العدد الماضى تقسيم الناس الى قسمين
هيئة حاكمة وهيئة محكومة وقسمنا لك الهيئة الحاكمة الى
قوتين قوة تشريعية وقوة تنفيذية ولعلك تسأل الآن عن
انطباق هذه الحالة على جميع البقاع وسائر الجهات وتشفع
ذلك بالسؤال عن تاريخ وجود هذه الحالة وهل ابتدأت من
النشأة الانسانية أم ابتداؤها قريب العهد بنا فتدعونا الى
التكلم عن تاريخ الاجتماع والعائلات بعبارة مختصرة وما كانت

(أغرب الجرائد)

يوجد بأمريكا بعض جرائد تطبع على قماش بحيث أنها
تصلح بعد القراءة لأن تكون منديلا ونوع آخر تعهدت
ادارته ان ترسل الطيب والدواء لمن يمرض من مشتركيها كما
انها تدفع مصاريف دفنه ان مات . وأخرى تأدب لعموم
مشتركيها مادبة سنوية مفتخرة

(أبسط وسيلة لقطع الثلج)

ان أبسط وسيلة لقطع الثلج هو ان يوضع سن ابرة
على النقطة التي يراد قطع الثلج منها ثم يضرب بيد مديدة على
رأس الابرة فتتقسم في الحال قطعة الثلج الى قسمين متساويين
لغاية الانتظام

(زهر مثلث الالوان)

قد اكتشف من عهد سنة تقريبا بجوار برزخ تيهو
انتيبيك زهر لونه في الصباح أبيض وفي الظهر أحمر وفي المساء

ربما لا يفهمها أحد

الاستاذ - كيف تقول ذلك وأنت تعلم يا ولدى ان البلاد
المصرية قد انتشرت فيها الصحف والجرائد العربية انتشارا
عظيما وكلها مكتوبة باللغة الفصحى وأغلب الافراد تقرأها
كل يوم وتفهم ما بها جيدا

(التقاريط المقدسة لفضل المدرسة)

وردتنا قصيدة غراء وخريذة عذراء تحت هذا الاسم
من نظم حضرة الشاعر المجيد عبد الله أفندي فريج من تغنى
شهرته عن ذكر مهنته قال في المطلع

لله أبهى مدرسة ترعى الحقوق مقدسة

قامت على أس العلى فيها العلوم مؤسسة

حوت الفنون كأنها فيها إليها فهرسة

وفي التاريخ

فيها تواريخ شدت نظما بشكل الهندسة

بالفخر عن صفو سما فضل لآل المدرسة

والسعى في اتقان معرفة اللغة الشريفة العربية

التلميذ - وما معنى حب الفضيلة والحقيقة

الاستاذ - معناه أن يكون الانسان منزه النفس بعيداً

عن الاغراض غير الشريفة على الهمة يقول الحق متى وجد

اليه سبيلاً مراعيًا في كل ذلك الآداب

التلميذ - وهل يا سيدي يجب علي أن أتقن معرفة اللغة

العربية أكثر من غيرها وإذا كان فلم ذلك

الاستاذ - نعم يجب عليك اتقانها أكثر من غيرها

لأنها لغتك الشريفة التي أنزل بها القرآن المعمول بها في البلاد

التلميذ - وإذا اتقنت معرفتها يجب علي أن أتكلم بها دائماً

الاستاذ - ولم لا

التلميذ - كيف ذلك واني أرى أغلب الناس يتكلم

باللغة الدارجة

الاستاذ - ان تكلم الناس باللغة الدارجة لا يمنع من

تكلمك أنت ورفقاؤك باللغة العربية الصحيحة

التلميذ - لكن اذا تكلمت باللغة الفصحى مع العوام

الاستاذ - أما الكبير فيجب عليه ان يقوم بما عهد اليه
من الخدم بالذمة والصدق وان يسعى في نشر المعارف
وتعميم التربية والتهديب بين الامة والدفاع عن الوطن بقدر
ما يمكنه وأما الصغير فيجب عليه ان يعمل بقول الحكيم
(حبك مدرستك حبك أهلك ووطنك)

التلميذ - أى يجب مدرسته

الاستاذ - نعم

التلميذ - وكيف يكون ذلك

التلميذ - يكون بالمواظبة والاجتهاد فى الدروس والطاعة

والامثال لرؤسائه ومعلميه

التلميذ - ولم ذلك

الاستاذ - لانه متى كان كذلك أمكنه أن يخدم وطنه

فى الكبر بمعارفه ومعلوماته التى حصل عليها فى الصغر

التلميذ - وهل المواظبة والاجتهاد والطاعة كافية فى حب

الوطن

الاستاذ - نعم كل ذلك مع حب الفضيلة والحقيقة

حبك له ان تسعى في نفعه وجلب الخير اليه
التلميذ - وماذا يحصل لو أهمل اثنان أو ثلاثة محبته
وتركوه وراء ظهورهم

الاستاذ - يحصل ضرر عظيم لانهم يكونون بمثابة
داء تنتشر عدواه الى غيرهم فضلا عما عساه يحصل للوطن
من النفع ان لم يهملوا محبته

التلميذ - عظيم ولكن ربما تأتي محبته بضرر جسيم للانسان
الاستاذ - لا بأس بذلك الضرر فإنه عند محبي الوطن ألد
شيء لانهم ينفعون آلاف مؤلفة من الناس في جانب ضرر
شخص أو شخصين أو عائلة

التلميذ - لقد ظهر لي ياسيدي من كلامك ان محبة
الوطن من أعظم الواجبات الانسانية واني أعتبر من الآن
من يقصر في محبة وطنه أكبر خائن وأعظم مجرم وكيف
لا يكون أعظم مذنب وهو منكر للجميل عاص لوالدته
الكبرى التي ربته في المهد صبيا؟ ولكن كيف يمكن الانسان
ياسيدي ان يخدم وطنه خدمة صادقة جداً

ان لكل شخص فى الدنيا عائلة مثلك غالباً يعيش فيها مجموع تلك العائلات على اختلافها التى فى القاهرة والاسكندرية ودمياط ورشيد والمنصورة وطنطا وأسيوط وسوهاج الخ وفى البلدان والقري والى غير ذلك يكون القطر المصرى الذى هو وطنك والذى يجب عليك أن تحبه أكثر مما تحب عائلتك التى تعيش فيها

التلميذ - وهل لكل شخص فى الدنيا وطن مثلى
الاستاذ - نعم لكل شخص وطن فيقال زيد من الناس عربى أى أن وطنه بلاد العرب وخالد تركى أى أن وطنه بلاد الترك وعمر سودانى أى ان وطنه بلاد السودان... الخ
التلميذ - واذا كانت بلاد مصر وطنى فلماذا يجب على

أن أحبه واذا لم يكن بد من حبه فكيف يكون ذلك
الاستاذ - يجب عليك ان تحبه لانه كأم تحنو عليك وعلى غيرك من أبناءه جميع العائلات المكونة له تستنشق هواء متحدا وتأكل غذاء واحدا وتشرب ماء كذلك واحدا وهو ماء النيل السعيد فهم كاخوة أمهم الوطن ومعنى

الاستاذ - ماهذه الجملة

التلميذ - هي قول الحكيم (جبك مدرستك جبك
أهلك ووطنك)

الاستاذ - لم لم تفهمها

التلميذ - لاني لأعرف لكامة الوطن معنى

الاستاذ - وما يظهر لك من وضع هذه الجملة على الغلاف

التلميذ - يظهر لي أنها جملة مهمة

الاستاذ - واذا كانت مهمة فلماذا تأخرت عن أن

تسألني عنها

التلميذ - قد عاقني عن ذلك مرض أحد أقاربي والا

فاني مولع بمعرفة كل الاشياء لاسيما المهمة

الاستاذ - لك العذر يا أحمد هذه المرة ولكن أوصيك

ان لا تتأخر مطلقا عن أن تسألني فيما يصعب عليك فهمه

وها أنا أعرفك الآن معنى كلمة الوطن فأقول

تعلم جيداً يا ولدي ان لك عائلة مكونة من أهلك وأهلك

واخوتك واخوانك وأقاربك وخدمك يعيش الجميع معا كما

﴿ محاوره بين الاستاذ والتلميذ ﴾

(ملاحظه مهمه - من يضع لنا من تلامذه المدارس الابتدائية المشتركين في جريدتنا هذه المحاوره في قالب مقالة تقع لدينا موقع الاستحسان ترسل اليه مكافأة نفيسه جداً واذا تعددت الرسائل على شرط ان لا تتأخر عن الثامن عشر من هذا الشهر يخصص ثلاث مكافئات لثلاثة من أوائل المجيدين

أما التلامذه الذين لم يشتركوا لكنهم يودون ذلك فيكون لهم الحق في هذه المكافأة الجميلة ان أرسلوا طلبات الاشتراك مع القيمة قبل الخامس عشر من هذا الشهر)

الاستاذ - هل قرأت جريده (المدرسة) يا أحمد التلميذ - قرأتها ياسيدي

الاستاذ - هل فهمت ما بها

التلميذ - فهمته جيداً الا انه تعسر عليّ فهم جملة مكتوبه

على الغلاف

الناس وحب الاتقَام وتغلب القوي على الضعيف والغنى على
الفقير

من ذلك كله نرى ان وجود هيئة حاكمة ضرورى جدا
والا تكون نتيجة الاجتماع خراباً بدل ان تكون عمراً
وتلك الهيئة الحاكمة التى روعى فيها الصدق والامانة
تنقسم الى قسمين قسم يضع القوانين والاصول التى يجب
اتباعها وقسم ينفذ تلك. فالاول يسمونه (القوة التشريعية)
أى التى تضع الشرائع والثاني يسمونه (القوة التنفيذية) أى
التي تنفذها وذلك القسم الثاني يشتمل على قسمين قسم يحكم
بين الناس وهو المحاكم (أى القوة القضائية) وقسم يدير
الاعمال وينفذ أحكام تلك المحاكم وهو (القوة الادارية)
اذا علم كل ذلك بقى عليك ان تعرف ان هذين القسمين
العظيمين (القوة التشريعية والقوة التنفيذية) وفروعهما
محكومان بسلطة رجل واحد هو أمير القوم أى رئيس الشعب
(الامة) وهو فى حكومتنا المصرية سمو الخديو المعظم. واعلم
ان الخديوية المصرية وراثتها للاكبر فالاكبر من اولاد الامير

اليه وعدمه مستحيل لان كل حي خلق ضعيفاً لاسيما الانسان الذي بمفرده لا يمكنه ان يقوم بعمل أي شىء ولذلك يقول أغلب الفلاسفة (الانسان مدني بالطبع) أي انه طبع على حب المدنية أي الاجتماع مع أبناء جنسه للتعاون والتعاقد في المعاش

ولكن لما كان من أصعب الامور ان ذلك الاجتماع لا يخلو عما يكدره من النزاع والخصام والسلب والنهب والقتل الى غير ذلك دعت الحاجة الى تقسيم الناس الى قسمين حكام ومحكومين أي هيئة حاكمة وهيئة محكومة وأعضاء الهيئة الحاكمة يجب أن يكونوا من ذوي الفضل والذكاء حتى يمكنهم ان يحسنوا ادارة الاعمال . ولكن ربما يقوم بالفكر في هذا الموضوع ان تكوين هيئة حاكمة وهيئة محكومة اجحاف وظلم لما ان عموم الناس متساوون لا فرق بينهم في الحقيقة . لكن نقول انه لو تركت الناس لاحكام يحكمهم ولا رئيس يفصل بينهم عند الخصام لتلاشى البشر وانقضت دعائم الإلكوان لما يقع من سفك الدماء بين

(الجواهر السنية)

« في نظام الهيئة الاجتماعية »

ذلك اسم لكتاب عزمنا على تأليفه (لم يؤلف بعد) في
النظامات العمومية للهيئات الاجتماعية تأتي هنا على خلاصته
افادة للمبتدئين

(الباب الاول)

« أصول أوليه »

لو تأمل الانسان قليلا الى أهله وذويه واخلائه
وأصدقائه وقومه ومن يحيط به من كل جانب ثم التفت الى
الحيوانات العجم وحالها واجتماعها واتحادها وائتلاف كل
فريق منها ونظر بعد ذلك لصغار الدواب وتعصبها واتحادها
في السير وجلب الغذاء وتوحيد المسكن للكثير لشاهد من
خلال ذلك حكمة بالغة وسرا عجيبياً للخالق في مخلوقاته الا
وهو الاجتماع ذلك الامر الذي لا يتأتى انحلال عراه أو
انقسام جبل اتصاله لان كل المخلوقات الحية في حاجة عظيمة

المنكر وهى التى تجلب رضاء الله على العبيد ورضاء الناس
على بعضهم وهى التى تأمر بمكارم الاخلاق جميعها فتأمرنا
بالتقوى والتعاون والصبر والحلم والعدل . الى غير ذلك
مما ستراه بأوضح بيان

ومعلوم ان اتباع الشريعة أمر سهل هين لان نتائجها
من أشرف الامور وأجلها لانحصار السعادتين الدنيوية
والاخروية فى اقتنائها وهما كم معشر الابداء شهر الصيام قد
أقبل خيوه أجل تحية بالصيام والصلاة وفعل المبرات فهو أمر
فى طاقتكم لأنكم ان قتم به فى الصغر تعودتموه فى الكبر
وصبغتم أنفسكم بصبغة الدين فتحظون بخيرى الدنيا والآخرة
وتنالون من لدن ربكم مكانة علياء وكونوا على وفاق تام فى
سائر الامور فقد قال الخالق جل شأنه وتعاونوا على البر
والتقوى وقال أيضاً انما المؤمنون أخوة

الجزء الثاني

يوم الاحد ١ رمضان سنة ١٣١٠ - ١١ برمهات سنة ١٦٠٩
الموافق ١٩ مارس سنة ١٨٩٣

﴿ المكرمة الثانية ﴾

﴿ الدين ﴾

اعلم ان الله سبحانه وتعالى خص من بين عبيده رسالا
يهدون الامم الى طريق الخير وانزل عليهم الشرائع لاتباعها
في سائر الاحوال فمن الناس من صدق هؤلاء الهادين في
في دعوتهم فرضى الله عنه وحباه من لدنه جنة وحريراً ومنهم
من خالف ذلك فكان من المغضوب عليهم وتعتت حاله
وليس الواجب ان نصدق النبي في قوله دون ان تتبع
أحكام شريعته بل يجب علينا وجوباً حقيقياً ان نتبع شريعته
فنأتي بما أمرنا به الله على لسان نبيه . على ان في اتباع
الشريعة المطهرة من القوائد الدنيوية والاخروية مالا يمكن
حصره مطلقاً كيف لا وهي التي تأمر بالمعروف وتنهى عن

(مستعمرات أوروبا في أفريقيا)

ان مساحة قارة أفريقيا التي تبلغ احد عشر مليوناً تقريباً من الاميال المربعة (الميل المربع يساوى ١٦٠٩ متراً) لم يبق منها ملكاً لاصحابها الا ٢٠٠٠ ر ٥٠٠ ميلاً مربعاً والباقي ٣٤٠ ر ٢٣٠٠ لفرنسا و ٤٤٠ ر ١٩٠٠ لانكلترا و ٦٢٠ ر ١٠٣٥ لالمانيا و ١٠٠٠ ر ١٠٠٠ للمالك الكنفو الحرة و ٧٧٤ ر ٩٩٣ للبرتغال و ٣٦٠ ر ٣٦٠ ليطاليا و ٢١٠ ر ٢١٠ لاسبانيا

(خطة المدرسة)

لما كانت جريدة المدرسة لا مقصد لها الا تهذيب التلامذة المبتدئين وترغيبهم في العلوم والمعارف قد أخذت علي نفسها ان تخصص ثلاث مكافئات سنوياً لمن يجيد ما تكلفه به من المواضيع وسيعلن عن مكافئة جلييلة في العدد الآتي

فرقا عظيما بين نمو صحة من يشرب الدخان ومن لا يشربه
من التلامذة فقد شوهد بين تلميذين فى الاصل متساويين فى
الطول والحجم متحدين فى المزاج والطبيعة تعود أولهما شرب
الدخان والآخر بقى على حالته الاصلية (أى أنه لا يشرب)
ان نمو صدر ثانيهما أعظم من نمو صدر الاول (أى شارب
الدخان) بمقدار الربع تقريبا وكذلك نمو القامة و ثقل الجسم
اكثر بنحو الخمس فتجنبوا شربه لعلكم بكمال الصحة تتمتعون

﴿ محاسن الاقتصاد ﴾

حسب علماء الاقتصاد بالتقريب أنه لو وضع من يوم منشأ
العالم الى الآن صلدى واحد (مليان تقريبا) فى تجارة
تربح سنويا عشرة فى المائة (أى بفرض ان المائة غرش تربح
عشرة) وأضيفت الارباح السنوية على رأس المال لحصلنا
اليوم على مبلغ من الجنيهات يكفى لعمل طبقة رقيقة من
الذهب تغطى سطح الكرة الارضية بأكملها فتأمل

شذرات

﴿ أسهل طريقة لقياس ارتفاع الأشجار المغروسة ﴾

(في سهل من الأرض)

لقياس ارتفاع أى شجرة ظلها فى مستو من الأرض
يفرز بجوارها مع التوازى عصا تم يقاس ظل الشجرة وطول
العصا وظلها وبمعرفة هذه الثلاثة المعلومات يعلم طول الشجرة
بمعنى انالو فرضنا ان طول العصا ٧٥ سنتيمترا وطول ظلها
متر واحد وطول ظل الشجرة عشرون مترا نقول : اذا كان
متر واحد ظل ٧٥ سنتيمترا يكون العشرون مترا ظل لعدد
من الامتار يساوي 20×75 أى ١٥٠٠ مترا بمعنى
ان ارتفاع الشجرة خمسة عشر مترا (أى ان المسئلة تصير
قاعدة ثلاثية بسيطة)

(نتأج شرب الدخان)

قد ظهر بالبحث الدقيق فى احدى مدارس أمريكا الكلية

الامور عرف دواء الفقر بعمل الاقتصاد (التدبير والتوفير) في زمن ثروته حتى يعيش كذلك هنيئاً في زمن فقره والتهاون أمر ذميم يبعد الانسان عن طريق الخير لان عمل الاشياء في أوقاتها ممدوح (وهو ما يسمونه بانتهاز الفرصة) فان تأخر أحد عن ان يعمل شيئاً ما في زمنه لا يمكنه ان يتحصل على الفائدة المقصودة

وحسن التثبت أمر جليل لا تنجح الامم الا به ومن تركه كان معرضاً لكل أذى لانك اذا كنت رئيساً لجيش بلادك مثلاً وقت دفاعك عنها وقد أقبل العدو بعسكره لملاقاتك وتركت اذ ذاك التثبت في الامور وخفت الخطر على نفسك فهربت وتركت جيشك فقد سلمت بيدك قطرك وبلدك للهلاك وغير ذلك من الاحوال العديدة التي تأتي للمرء (وربما لاهله وبلاده) بأعظم سوء

وكما ان التثبت ممدوح فالعجلة مذمومة وخير الامور الوسط فلا يجب عليك ان تكون متهاونا ولا عجولاً بل كن منزهاً للفرص مثبتاً في الامور لتنال الخير والسعود

المكرمات (انظر في العدد الآتي الكلام على الدين وما
تأمر به الشريعة من الصفات المطهرة)

وللعقل أمور تؤيده وأخرى تضربه فالمؤيدة له هي
مشاورة العلماء وتجربة الامور وحسن التثبت والمضرة به هي
الاستبداد والتهاون والعجلة . فالمشورة هي صفة جليلة بها
يهتدى الانسان بأراء من هو أعلم منه الى الصواب ولا يخفى
ان فوق كل ذى علم عليم فاذا اقتصر الانسان على رأيه يعد
جاهلا . وقد قال الله سبحانه وتعالى لنبيه محمد الذى هو
أكمل الناس جميعا لكى يعلمنا فوائد المشورة . (وشاورهم
فى الأمر) وقد قال حكيم عربي . المشورة عين الهداية وقد
خاطر (دفع نفسه فى الخطر) من استغنى برأيه

و ضد المشورة الاستبداد بالرأى وهو أمر قبيح (كما
يظهر من محاسن المشورة) نعوذ بالله منه

وتجربة الامور هي صفة حميدة تعلم الانسان ما ينبغي
اتباعه فى صغير المسائل وفى كبيرها فلا يخفى ان الدهر لا يبق
على حالة فتارة يكون الانسان غنيا وأخرى فقيراً فمن جرب

والعلم ثالثها والحلم رابعها والجود خامسها والعرف سادسها
والبر سابعها والصبر ثامنها والشكر تاسعها واللين عاشمها
وهاهي نوردها لك على الترتيب :

(١) العقل

اعلم أن العقل هبة (هدية) من عند الله سبحانه وتعالى
وهبها للإنسان لكي تدير أعماله وترشده الى طريق الهداية
فمن الناس من خالف عقله فخرس وندم ومنهم من اتبعه وخالف
اتباع نفسه (النفس من طبعها ميالة للشر تأمر الانسان
باتباع شهواته فمن خالفها نال خيراً ومن وافقها نال شراً)
فربح وحمد ربه

فالعقل هو الذي يهدي المرء الى طيب الأعمال وما
هو الا جوهر احواله كحال الفضة والمعادن النفيسة ان ترك
وأهمل امره ضعفت قوته وتأكسد وان اعتنى به بالتربية
والتهذيب نما وعظمت فائدته وهو مصدر مكارم الاخلاق
على الاطلاق فباتباعه يتبع الانسان دينه الذي هو أشرف

الاستاذ - هم في المعاملة القانونية على حد سواء الا ان
بين العلماء والجهلاء من جهة الاحترام والشرف فرق كبير
التلميذ - ولم الجهلاء جهلاء والعلماء علماء
الاستاذ - ان سبب ذلك هو التعليم فالجهلاء أهمل أمر
تربيتهم وتعليمهم والعلماء بالعكس
التلميذ - حفظك الله لنا سندا قويا ووقانا من شر
الجهل آمين

﴿ مكارم الاخلاق ﴾

ان مكارم الاخلاق هي جميع الصفات الجليلة التي تجعل
الانسان عظيما موقرا محترما محبوبا عند الخالق وعند الناس
وقد اتصف أشرف الامم وروح الفضائل والكرم سيدنا
ونبينا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام بعموم مكارم الاخلاق
فكان رقيق الطبع لطيف المعاملة شديد العزم يأمر أصحابه
وأمته على لسان شريعته بالاتصاف بتلك المكرمات التي
ذكرها أحد الشعراء بقوله

ان المكارم أخلاق مطهرة فالعقل أولها والدين ثانيها

الشفقة عليه متعجبا من شكل احتقار الفلاح أليس مصريا
مثلنا وعزمت في الحال على توبيخ ذلك الكبير الا اني
استحسنت تأخير السؤال اليك حتى أعلم الخطاء من الصواب
وإعمل الخير واجتنب السوء

الاستاذ - خيراً ما فعلت يا ولدي وشراً ما عمل صاحبك
الكبير لأنه لا فرق بين الفلاح والاسكندري والدمهوري
والمنياوي والاسيوطي فالجميع مصريون ملكهم واحد وقانونهم
مشترك لا تميز بين هذا وذاك

التلميذ - اذا كان الأمر كذلك فهل يتأتى ان أحد
الفلاحين يستخدم بدواوين الحكومة

الاستاذ - لاشك في ذلك أما رأيت ان أعظم الاساتذة
والنظار والرؤساء وأغلب الامراء من بلاد الفلاحين

التلميذ - أبقاك الله لنا قد فهمت المقصود ولكن
بما ان الجميع مصريون هل يكون من الصواب ان يقول
الانسان ان الحمار وسائى العربية والعالم والجاهل في درجة
واحدة

يستخدم من بالمصالح مثل الرجال
الاستاذ - ان قواعد الشرع والادب تقضى بضرب
الحجاب على النساء (بوضع البراقع على الوجوه) فليس لمن
ان يستخدم من بالمصالح كالرجال وانما يكفي انهن يدبرن شؤون
المنزل ويهذبن اولادهن
التلميذ - لك الشكر ياسيدي تلك مسألة علمتها وأريد

السؤال عن شيء آخر

الاستاذ - سل يا بني رعاك الله

التلميذ - كنت جتمعاً مرة مع بعض اخواني نتحدث
في مسائل علمية وبيننا تلميذ يبلغ من العمر عشر سنوات
يظهر عليه انه من بلاد الضعيف تلوح عليه علامات النباهة
ويدينا نحن بالمجلس وقد صعب علينا حل مسألة رياضية اذ قام
ذلك الشاب وشرع في حلها ولم يلبث ان نطق بجملته الاولى
نحني أسكته اكبرنا بقوله :

(اسكت أيها الفلاح أنت مثلنا متمدن أما تحمد الله

على وجودك معنا) فهت الشاب وسكت وعند ذلك أخذتني

وان تعسر عليكم فهم شيء فاسئلوا معلمكم عنه فهم يرشدونكم
الى سواء السبيل

﴿ محاورة بين الاستاذ والتلميذ ﴾

التلميذ - أستاذي الأعظم وملاذي الأكرم

الاستاذ - ماذا تطلب يا ولدي العزيز

التلميذ - ان عندي بعض أسئلة أوقفتني معرفتها وفي

خفي أنها تقيدني كثيراً

الاستاذ - سل عما تريد

التلميذ - رأيت البارحة بيد أحد اخواني جريدة

علمية اسمها « الفتاة » فأخذتها منه وعند ما قرأت ما على الغلاف

علمت ان سيدة تديرها فتعجبت من ذلك جداً أهل للمرأة

قدرة على الانشاء والتحرير كالرجل

الاستاذ - اعلم يا ولدي ان المرأة مثل الرجل لها مقدرة

على الفهم والانشاء وطالما رأينا جرائد وكتب من انشاء

سيدات شقيقات وعربيات

التلميذ - اذا كان الامر كذلك فهل يمكن ان النساء

مدة حكم الملوك ويعرفون أعمالهم ووقوع الحوادث حفظاً قليلاً
لاروية ولا تدقيق فيه ولو سألت أحدهم سؤالاً رأته أما ان
يجابوك بسرعة بحيث لو أوقفته في طريقه لعطل عن الاجابه
أو أجابك بجواب آخر غير الجواب الحقيقي فيصير
بذلك شبيهاً برجل مرضت رجله فلقنه الحكيم ان يضع عليها
لبخة عيش ففهم ان اللبخة هي الدواء الوحيد لكل الامراض
فصار في كل مرض يحيط به يضع اللبخة التي ربما أتت
بمصيبة اكبر من الداء

ليس الغرض من دراسة التاريخ مثلاً حفظ مدة حكم
الملوك وتاريخهم بل التبصر في سياستهم وفي حقيقة الاعمال
فترى مثلاً ان هذا كان محبا لوطنه غيورا وذاك خائناً لئماً
فنفقتى بالاول ونبغض ماشا كل الثاني هكذا تكون الدراسة
الحقيقية والا فليس في قدرة أحد منكم معشر الابناء ان
خالف هذه الخطة ان يطبق العلم على العمل ويكون تبعه
بلا فائدة ان لم نقل قد ضيع حياته دون ان يجنى شيئاً
فعلينا جميعاً ان نتطالعوا علومكم مطالعة الباحث المدقق

الكلمات بل عليكم عليكم ان تجهودوا كل الجهد في سرعة
الاتقال من مستوى الجهلاء الى مستوى العلماء الذين قد
شرفهم الله والناس كما أنه يجب عليكم ان تحترموا الاساتذة
جميعا فقد صرفوا كل عنايتهم في تثقيف عقولكم وتربية
أفكاركم وسعوا كل السعى في تقدمكم ونجاحكم واتعبوا الآن
في تحصيل العلوم وأنتم أهل لذلك قبل ان تمر الفرصة فتأسفوا
على مافات ولات حين مندم

﴿ فيما يجب ان يتبع في مطالعة الدروس ﴾

كثيرا ما نرى بعضكم معشر التلامذة يطالع الدروس
لا لقصده الوقوف على حقائق الاشياء بل لتحصيل نمرة
أو لنيل درجة يفتخر بها على اخوانه فيجهد كل الاجتهاد
في حفظ ما بالكتاب على قلبه دون ان يبحث في معناه أو يدقق
في مبناه فيصير بذلك كالبيغاء بل أضل سبيلا فلو لاحظنا
أغلب التلامذة في مطالعة علم التاريخ مثلا لرأيناهم تجنبوا المنهج
القوميم وعدلوا عن الصراط المستقيم وذلك لكونهم يحفظون

وعليه فالناس بعلومهم لا بزيمهم واحترامهم متوقف على
علومهم لاعلي ملابسهم واعلم ان العلماء قسمان قسم علم وعلم
وقسم علم وما علم ولا مزية (لا شك) في ان القسم الاول
أشرف من الثاني بكثير وهو لا يشمل على الاخص الا
الاساتذة الكرام والمعلمين الاعلام فهم على ما بينا أشرف
الناس على الاطلاق وأعظمهم مجداً وأرفعهم قدرا يهذبون
الروح وهو أمر لو تعلمون عظيم ولا يغرنكم معشر التلامذة
قلة ما لهم أو عدم بهائهم فهم الذين على أيديهم تبلغون غاية
عظمى وتخطون في مدارج الكمال خطوة كبرى

اذا علم مامر من القول وتأملت قليلا الى حالتكم عند
الدخول بالمدسة وعند تميم دروسها والخروج منها وقارنتم
بين الحالتين لرأيتم فرقا بينا يوضح لكم انكم عند الدخول
بالمدرسة كنتم في ذيل طبقة الجهلاء وعند خروجكم منها
(وهي مهد تعليمكم وترييتكم) تعدون من طبقة العلماء بمعنى
ان المدرسة هي التي نتشلكم من حضيض الجهالة الى أوج
المعارف والنجاح فاياكم اياكم ان تعدلوا عن السير في منهج

﴿ شرف الاستاذ ومجد التلميذ ﴾

اعلم ان الناس على اختلاف مراتبهم وتفرق درجاتهم
بين عالم وجاهل أى محصورون جميعاً في طبقتين عليا وهى
طبقة العلماء وسفلى وهى طبقة الجهلاء وكلاهما فيه أقسام
عديدة فمن العلماء من تبخر في الفاسفة ومنهم في الفقه ومنهم
في النحو ومنهم من هو أعلم من الآخر كما ان في الطيقة
السفلى من هو أجهل من أخيه ولا شك ان المرتبة العليا أشرف
كثيرا من السفلى في الآخرة والدنيا «قل هل يستوي الذين
يعلمون والذين لا يعلمون» كيف لا وهم هم العلماء دون غيرهم
أهل المعارف والكمال ورجال المجد والفخام اذ عرفوا
خواص ما يحيط بهم من الأجسام فاستخدموها أحسن
استخدام ووقفوا على دقائق خواص المخلوقات فزادوا برهم
وثوقاً ولأ نبيائهم تصديقا ولله من قال . العلماء في الأرض
كالنجوم في السماء ولولا العلم لكان الناس كالبهائم
العلم فيه جلاله ومهابة والعلم أنفع من كنوز الجوهر
تفتي الكنوز على الزمان وصرفه والعلم يبقى دائماً في الاعصر

فما عليه الا الرجوع بها الي محل ثقته وسنده القديم صانع جواهر
فكره أستاذة العليم فيستفسر منه عما أعيته معرفته وما تعذر
عليه نيله واياه اياه ان يقصر في السعي وراء التعليم والتهذيب
وقد سهل الله عليه كل أمر مريب فأهداه جريدة تباع اليه
بثمان بخس ما أخاله الا حقيراً وأمره عند الالباء يسير ليس
عسيراً

فعليك أيها الصبي المجد ان تستطلع أسرار تلك الجريدة
التي لم تسطر الا لمنفعتك وخيرك وسعادتك وبرك وتعني
كل الاعتناء بأمرها فسوف يأتي يوم تسلم اليك فيه مقاليدها
وتعطى من مديرها زمام أعمالها فترشد اذ ذاك بالاتفاق مع
رفقائك صغار اخوانك وضعاف أبناء بجدتك فتصفحها الآن
وقف على حقيقتها وأنت صغير حتى تهدي غيرك فيما بعد
وأنت كبير والله يهديننا جميعاً الى طريق الرشاد وما فيه خير
البلاد انه سميع يجيب دعوة الداعي اذا دعاه

المصرية ورافع شأنها .

﴿ عباس باشا حلمي ﴾

من أصبح شكر جنابه المستطاب أسمى من شكر
الرياض لبنت السحاب حفظه الله ورجاله الكرام وأهله
وذويه الفخام آمين .

لما زانشت المدرسة

مأنشات المدرسة الالكي تكون مركزاً لجمع درر
فرائد الاستاذ ومنهلا غزيراً لاتحاف التلميذ بأئمن الفوائد
وأسمائها . وأبهج اللطائف وأسناها . فيهدى الاول من محاسن
معارفه مايجود به علينا . ويهدى الثاني من حال العلم والأدب
مانورده وما يرد الينا . وما عليه الا استقبال تلك الجريدة
العصماء . والمجلة العذراء . بالترحيب والاجلال . والتردى
بما تهديه له من أثواب التهذيب وطيب الاعمال والتقاطمات تحفه
به من المسائل السنية الثمينة . والنفائس النفيسة المكيئة . وان
تعسر عليه الوقوف على أصل كباة أو معنى جملة أو حسن خريدة

لا تقيد الا الآباء . دون الابناء . من تثقيف عقولهم .
وتنمية أفكارهم . أمر من أهم الامور الشريفة . وغاية نواها
من أكبر المزايا المنيفة لأنهم عماد دولة مستقبل الزمان .
ومتى صلح المبدأ صلحت الغاية في كل آن . (من يزرع الشوك
لا يجني به عباً) رأيت ان أهدي أبناء جلدي . وصغار بلدي .
جريدة على الأخص تهذيبية لما في ذلك من النفع والسداد .
والهداية الى سبيل الرشاد . تصدر في كل شهر مرة واحدة
الا في شهرى محرم وصفر (زمن الصيف في هذا العام) فلا
تصدر لما يحيط بكل من الاشتغال بالراحة وتبديل الهواء .
بعد طول العناء . وقد جعلت قيمة الاشتراك فيها سنوياً
رجاء للنفع العام (والله علي ما أقول شهيد) ثمانية قروش
صاغاً حتى يسهل للجميع تناولها وتعم بذلك فوائدها ولنا
الامل الوطيد في مساعدة حضرات نظار المدارس الابتدائية
لنا في هذا المشروع لأنهم جميعاً رجال همهمم عالية . وغاياتهم
شريفة سامية . لا يتنفون الانجاح بلادهم . وعلو شأن أوطانهم
في ذلك العصر الزاهر عصر أميرنا المحبوب حامى حمى الديار

هذا ولما كان ماصدر من أعداد هذه المجلة لا يتجاوز التسعة أعداد بسبب ما اتبته من المرض رأينا ان نذكر أهم ما جاء فيها حتى تكون مثالا لأعماله في صباه . وفقنا الله الى ما يحبه ويرضاه

منتخبات مجلة المدرست

﴿ الجزء الأول ﴾

(يوم السبت ١ شعبان سنة ١٣١٠ - ١٢ أمشير ١٦٠٩)

١٨ شباط ١٩٣٧

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله مدير الأعمال . في مدارس الكمال . على محور الاعتدال . موهب الانسان . القلم واللسان . المعبرين عما في الجنان . والصلاة والسلام على نبيه محمد روح مدرسة المعجزات الباهرة . وصاحب الأخلاق الطاهرة . مدينة العلم والكرم . ومصدر الفضل والحكم . ﴿ وبعد ﴾ فلما كانت عموم الجرائد على اختلاف مشاربها . وتنوع مذاهبها .

(مجلة الدرسة)

(بصر)

الاحد في ٩ ابريل سنة ١٩٢٤

احسن ورد على حرفي على اصدقائي فيهم وسليم
قبل وجنتك الفاء واهديني اصل كتابي القليل
استهواه في جهل صفة وانتم عافية قريدين تحيات
تسعة قلب في الوجود . كذلك الانشاد . و
تقدمتم الرب الباء حيرة ف

الفت اليك في هذا البريد كذا المدة التي نشتغل
لكنه انما نشره لا يفرح وانتم واذ ارجوك
انه تصدق على رايين فيلا

وارجوك وتكون مفرقا عند سائر ارجو طهر سواله
ما صحتي في حيت ولا يفيض الامت هديني

مركز الوطن تصان عظم جدا يا بلل . ووالله
قبل وجنتك وارت لا حيت المنصف

مفرد

بلغ عدد مشتركى هذه المجلة ٢٤٠٠ مشترك في مدة
ثمانية أشهر فقط واكثر هؤلاء من طلبة المدارس الابتدائية
وقد اشتركت نظارة المعارف في هذه المجلة بخمسين نسخة
وقيمة الاشتراك السنوي فيها ثمانية قروش صحيحة .
وكانت تصدر عشرة أشهر وتحتجب شهرين في العام ليأخذ
صاحب الترجمة محررها ومديرها حظه من الراحة . أما
الفصول التي كانت تنشر فيها فبعضها وطنى وبعضها علمي
خلا ما هنا لك من الاناشيد الوطنية التي تضرب على الاوتار
الحساسة من القلوب والفصول الرائقة التي تبحث في نظام
الهيئة الاجتماعية والشذرات العلمية والملاح الادبية والطرائف
الفكاهية والمحاورات الادبية وما شا كل من المباحث
والاغراض التي تنطوى تحت لفظة « خدمة الوطن العزيز »
ولم يعقه اصدار هذه المجلة عن حفظ دروسه والاهتمام
بشؤونه الخاصة . وقد كتب الى عند ما أنشأ هذه المجلة كتابا
هذا نصه بصورته بخط يده :

وفي يوم السبت غرة شعبان سنة ١٣١٠ — ١٨ فبراير
سنة ١٨٩٣ أصدر الجزء الأول من مجلة المدرسة وهي
مجلة أدبية تهذيبية وطنية علمية تصدر في غرة كل شهر عربي
وقد صدرها بهذه الجملة الشريفة المغزى وهي :

حبك مدرستك حبك اهلك ووطنك

وكان يديرها ويحررها كلها أولاً بقلمه ثم تطوع بأقلامه
كثير من الكتاب المجيدين في ذلك العهد لمعاونته في هذه
الخدمة الشريفة بما كانوا ينشئون من الرسائل والمقالات .
ومجلة (المدرسة) هذه أول مجلة أصدرها طالب علم في مصر .
وكان يطبعها في مطبعة المحروسة وهناك تعرف بالمكاتب
الشهير المرحوم السيد عبد الله نديم الذي كان يطبع مجلته
الشهيره (الاستاذ) هناك

ويلدنا كثيراً على حد قولهم « وأعز آثار الغنى أثر
الصبا » أن نذكر شيئاً من المعلومات عن هذه المجلة وتبعه
بنصوص منتخبة من أجزاءها فنقول :

الجزء الاول من السنة الاولى يوم السبت ١ شعبان
سنة ١٣١٠ الموافق ١٨ فبراير سنة ١٨٩٣

المستشرق

جريدة علمية تهذيبية

تصدر في اليوم الاول من كل شهر عربي
الافني شهري محرم وصفر فلا تصدر

بديرها ويحمرها * مصطفى كامل *

قال حكيم (حبك مدرستك حبك اهلك ووطنك)

قيمة الاشتراك سنويا ثمانية قروش مصرية تدفع سلفاً
ومن يريد الاشتراك فليرسل التسمية مع اسمه ولقبه وعمل اقامته

* طبعت بمطبعة المحروسة *

- (١) بالعتق
 - (٢) بالترقى الى درجة الاسقفية
 - (٣) بمضى مدة قدرها ثلاثون سنة
- وقد محاجوستينيان هذه الثالثة

﴿ تم ﴾

القوم حيث صرفوا بعض عبيدهم نحو حرّاة الارض وزرعها مع اعطاءهم قليل من الحرية تنشطهم على العمل فتمتعوهم بالحقوق الخصوصية وشرطوا عليهم ان لا يعقدوا أى عقد الا برضاهم ومنحوهم فى مقابل خدمتهم الأرض أجرًا. ولكنهم مع كل ذلك لم يزالوا تحت سلطة الأسياد (التي تكاد ان تكون مطلقة). فهم فى الحقيقة يكونون طبقة بين العبيد والاحرار وتلازم عبد الحرّاة هذه الصفة مادام رقا.

منشأ عبودية الحرّاة — يصير الانسان عبد حرّاة :

- (١) بالولادة « أى يرث هذه الصفة عن أبيه »
 - (٢) بنص قانونى « الذى يجعل فى بعض الاحيان أمة كاملة عبيد حرّاة »
 - (٣) بالاختيار « كأن يطلبها حر »
 - (٤) بمضى مدة قدرها ثلاثون سنة ومثال ذلك اذا استمر حر يحرث أرض غيره هذه المدة فانه يصير عبده هو ومن يولد من أولاده بعد ذلك
- نهاية عبودية الحرّاة — تنتهى عبودية الحرّاة :

وكانوا يسمونهم أصاغر القوم في مقابل الرومانيين (الذين هم رجال المجد والشرف) وهم أهل للاستيلاء على المناصب العالية ان رضى السيد بذلك
المعتوقون في عهد جوستينيان

قد سوى جوستينيان بين جميع المعتوقين فما بقي لاسم الديدكتيس واللاتان جونيان في عصره من أثر وانتهى به الامر الى ان ساوى بين الرومانيين الاصليين وبين المعتوقين المدنيين

الباب الثالث

عبيد الحراثة

لما كانت أمة الرومان أمة لا اشتغال لها الا بالحرب والأسر ولا ساعد لها الا السيف والرمح أهملت في جانب ذلك خدمة الأرض وكثرت بنصراتها العبيد حتى أصبح أقل الرومان مقاماً يملك العدد العديد منهم ولهذا الحال تنبه

المعتوق في الهيئة الاجتماعية

لاجل معرفة حالة المعتوق بالنسبة للحقوق العمومية كحق الانتخاب والتوظف بالوظائف العمومية والحقوق الخصوصية كحق الزوج والسلطة الابوية والهبة والوصية وغير ذلك معرفة جيدة يلزم التكلم على مالكل نوع من المعتوقين :

الديككتيس — بما أنهم أدنى أنواع المعتوقين واحطهم قدرا قرر الرومان أنهم لا يطأون أرض رومة ولا ماجاورها على بعد مائة ميل والا يقعون في العبودية مرة ثانية وهم مجردون عن الحقوق العمومية والخصوصية

اللاتان جونيان — هم أحرار في حياتهم وعبيد بعد موتهم مجردون من الحقوق العمومية وليس لهم من الخصوصية الا حق الهبة والوصية ولكي يتحصلوا على باقى الحقوق يلزمهم عتق جديد مع بقاء حقوق الموالاة

المعتوقين المدنيين — ان المعتوقين المدنيين كانوا ممتعين من الحقوق العمومية بحق الانتخاب وبكل الحقوق الخصوصية

(١) حق اكرام السيد — ان هذا الحق يجعل المعتوق بعيداً عن ان يقيم ضد سيده قضية الا بأذن من الحاكم فضلاً عن أنه يرجع عبدا ان لم يعطه الغذاء الضروري ان كان محتاجاً له وللسيد ان يتزوج بمعتوقه ولو بغير رضاها

(٢) حق الخدمة — على المعتوق ان يخدم سيده متى دعاه لذلك

(٣) الوصاية والوراثة -- ان السيد هو الوصي الحقيقي على أولاد المعتوق المتوفى كما أنه الوارث الشرعي نهاية حقوق الموالاة

موت السيد أو المعتوق ينقص من حقوق الموالاة دون ان يحجبها فبموت السيد تحفظ أولاده تلك الحقوق على معتوق أبيهم وبموت المعتوق يحفظ السيد ماله من الحقوق على أولاد ذلك المعتوق الميت

ولا تنقرض حقوق الموالاة الا اذا وقع السيد أو

المعتوق في العبودية

الاولى - المعتوقون المدينون أي الذين ملكوا بالعق حرة الحرية والمدنية وهم الذين عتقوا حسب الشرائط الشرعية المتقدمة ولم يقع منهم وهم عبيد ما استوجب عقابهم

الثانية - الديدكتيس (Didictices) وهم المعتوقون الذين عوقبوا في زمن استعبادهم عقوبات قاسية بسبب ما ارتكبه من الجرائم

الثالثة - اللاتان جونيان (Latins-juniens) وهم معتوقون أصلهم في الغالب من البلاد المجاورة لرومه يكونون طبقة متوسطة بين الاولى والثانية

حقوق السيد على معتوقه

ان للسيد على معتوقه حقوقا وواجبات ترثها اولاده بعد موته بالسوية ان لم يخصصها لواحد منهم وهي :

(١) يجب على المعتوق أن يكرم سيده وينغذيه ان كان فقيراً

(٢) يجب عليه خدمته

(٣) للسيد حق الوصاية والوراثة

عنده عشرين سنة على الاقل

تلك هي القاعدة الاصلية وليس لها استثناء الا في حالة ما
اذا كان السيد لا وارث له فيجوز له ان يعتق عبداً واحداً
من عبيده بوصية لكي يرثه

وبعد هذا القرار بثلاث سنوات أصدر أغسطس قراراً
آخر يتضمن ان السيد لا يعتق في وصيته زيادة عن مائة عبد
ويجب عليه ان يبين أسماءهم وألقابهم الا ان هذا القرار لم
يبق له أثر في عهد جوستينيان

﴿ الفصل الثالث ﴾

معاملة المعتوقين

ان معاملة المعتوقين تختلف في العصر الاول لرومه وفي
عصر جوستينيان عما كانت عليه في العصر المدرسي . ففي
العصر الاول كما في عصر جوستينيان كانت المعاملة لجميع
المعتوقين واحدة وأما في العصر المدرسي فكان المعتوقون
ثلاث طبقات ولذلك اختلفت معاملتهم

ان يعتق عبده امام خمسة بان يخاطبه (يابني) أو يقول انه تبناه

﴿ الفصل الثاني ﴾

الموانع الشرعية للعتق في زمن الجمهورية

لما ازداد عدد المعتوقين في أواخر أيام الجمهورية الرومانية وكان أكثرهم غير جدير بان يصير حراً قرر أغسطس في سنة ٧٥٧ لرومه :

أولاً . من نال من العبيد عقاباً يחדش الشرف لا يملك بالعتق
الا حق الحرية فقط .

ثانياً لا يملك العبد المعتوق الذي يبلغ من العمر أقل من
الثلاثين سنة الا حق الحرية دون غيره

ثالثاً لا يجوز للسيد الذي لم يبلغ من العمر عشرين سنة
ان يعتق عبده الا اذا كان مربيه (وفي هذه الحالة
يحصل العتق بقرار من مجلس مخصوص مكون من أعضاء
مجلس الشيوخ و مندوبي الامة)

رابعاً لا يجوز للمدين ان يعتق عبده الا ان كان مكث

ما أولاده سيده من المال (أى يحفظ ما يسمى *pécule*) وفي الطريقة الثالثة بالعكس. وفضلا عن هذا فإن العتق في الحالة الأولى لا يكون معلقا على شرط وفي الحالة الأخيرة يتأتى ان يكون معلقا على شرط كأن يقول السيد فى وصيته أعتق عبدى فلانا بشرط ان يبنى لورثتى بيتاً مساحته كذا مثلا

(طرق العتق فى العصر المدرسى) - فضلا عن طرق العتق المستعملة فى العصر الاول فانهم أضافوا اليها فى العصر المدرسى صحة العتق اذا أوضح السيد حرية العبد امام الجمهور أو أرسل له خطاباً يظهر له فيه انه أعتقه وما خالف هاتين الطريقتين يعتبرونه غير شرعى ويسمون العبيد المتوقعين بهذه الصفة لاتان جونيان (*Latins-Juniens*) وهذا النوع يفقد الحرية بموته أى انه حر فى حياته وعبد بعد مماته

(العتق فى عهد جوستينيان) - قد أبطل جوستينيان العتق بدفتر التعداد واكتفى فى العتق بالفتديكت باظهار رغبة السيد امام القاضى وقرر ان السيد يمكنه اظهار رغبته بخطاب يرسله لعبده وعليه امضات خمسة شهود كما انه يصح

(١) طريقه الفنديكت (Vindicte) هذه الطريقة هي أهم الطرق واقدمها وكيفيةها ان يأتي العبد والسيد ومعهما شخص ثالث أجنبي فيقدم هذا الاجنبي العبد أمام القاضي ويقول «هذا العبد حر» فأما ان يصادق السيد عليه أو يسكت فيحكم في الحال القاضي بحرية العبد ومن هيئة هذه الطريقة نرى انها علي شكل قضية تخيالية

(٢) دفتر التعداد — ان هذه الطريقة قاصرة على كتابة اسم العبد في دفتر تعداد الأ نفس

(٣) الوصية — وهي اما ان تكون موجهة للعبد مباشرة أو للورثة وفي هذه الحالة الأخيرة يوضح فيها الوصي عتق العبد بعد موته

وللعبد الحق في رفع الامر لاجا كما اذا عضل الورثة في عتقه.

تلك هي طرق العتق في بلاد الرومان في أعصرها

الاول وهناك فرق بين العتق باحدى الطريقتين الأ ولين والطريقة الثالثة وهو ان العبد في الطريقتين الا ولين يحفظ

عتق السيد لبعده

يلزم لذلك أربعة شروط :

أولاً - رضاء السيد بالعتق ويكون ذلك بتصرُّحه في حياته أو بذكره في وصيته

ثانياً - أن يكون السيد مالكا لبعده ملكا حقيقياً

ثالثاً - أن يكون السيد قادراً على العتق أى لا يكون قاصراً

رابعاً - أن يكون السيد هو المالك الوحيد لأنه لو كان له

شركاء وعتق العبد بلا رضاهم لا يعتبر هذا العتق في

العصر الأول لاغ لأن الحرية لا تتجزأ ولكن

جوستينيان اعتبره جائزاً على شرط أن يدفع السيد

العائق لبقية الشركاء من المال قيمة أنصبتهم في العبد

طرق العتق

تختلف طرق العتق على حسب الا عصر الرومانية

(طرق العتق في العصر الاول) - للعتق ثلاث طرق

على حسب مانص قانون الاثنتى عشرة لوحة : الفنديكت ودفتر

التعداد والوصية

الحقوق أعظم مما لغيره فله حق الحرية والمدنية والعائلة وأما غيره فأما لا يملك الا الحرية فقط دون المدنية والعائلة (وهذا لا يعتبر رومانيا لانه فاقد للمدنيه). واما يملك الحرية والمدنيه. ومن يفقد حق الحرية يفقد المدنية والعائلة ومن يفقد حق المدنية يفقد حق العائلة دون حق الحرية

﴿ الفصل الأول ﴾

عتق العبيد

يعتق العبد :

أولاً - بسيدته

ثانياً - بالمحاكم ان ترأى لها ذلك

ثالثاً - ان أعلم بقاتل سيده أو رفع عنه مضاراً جسيمة

رابعاً - بمضى مدة تختلف بين العشر والعشرين سنة على

قول بعض المؤلفين

وجميع هذه الحالات سهلة ظاهرة غير ان اولاهما تحتاج

الى بيان وزيادة توضيح

- (١) - عبيد عوقب سيدهم عقوبات قاسية
(٢) - عبيد تركهم أصحابهم وهؤلاء الأخيرون يسهل
عتقهم حيث لا موالي لهم

الباب الثاني

﴿ في الاحرار ﴾

(تمهيد)

ينقسم الاحرار الى قسمين: احرار نشأوا كذلك و احرار
كانوا عبيداً ثم عتقوا . ولهذا التقسيم يطلق على بنى النوع الاول
(احرارا) وعلى بنى النوع الثاني (معتوقين) ويستثنى من
ذلك . اولاً ان الحررة التى لها علاقات داخلية مع عبداً اجنبى
برضا سيده تعتبر معتوقته . ثانياً من كان حراً (رومانياً)
أسر عند الاعداء ثم عاد لرومه يرجع حراً أي يكتسب
ما يسمونه حق العودة

وأعظم الاحرار قدرا هو رئيس العائلة لان له من

من المال يتصرف فيه وله استرداد منه متى أراد (وهذا
ما يسمى Pécule)

ولما كان كل ما يمتلكه العبد لسيدده صح ان ينوب
عنه في عقد العقود التي يكون السيد فيها دائئنا لا مديناً
العبيد في الجمعية الرومانية

ان زواج العبد في الاجتماع الروماني معتبر غير شرعي
كما قدمنا ذلك في أول الرسالة فلا يتوارث به الزوجان. والعبيد
وان اعتبروا كمنقولات تتكلم الا ان الجرائم المرتكبة من
الاجانب نحوهم تسبب للمذنب عقاباً. تختلف شدته حسب
الأعصر. وهم ان ارتكبوا ذنوباً ضد الهيئة الاجتماعية يعاقبوا
أشد العقاب

وغير ما ذكر من العبيد يوجد نوعان يخالفان الاحكام
السابقة وهما:

أولاً - عبيد الكافة وهم ملك الحكومة ولهم ان يتركوا جزءاً
من أموالهم لا يتجاوز النصف لاولادهم في وصيتهم.
ثانياً - عبيد لاسيد لهم وهم نوعان

تامة على شخص العبد وماله ولكن هذه السلطة قيدت في
الاعصر الرومانية الاخيرة تقييداً جعلها وقفت عند حد
لا تتعداه

(سلطة السيد على شخص العبد) - كانت هذه السلطة
في بادىء الامر مطلقة لاحد لها ولكن مع الزمن وتقدم
الامة الرومانية في الحرب تعاضم عدد العبيد في المدينة وزاد
سيوء تصرف الاهالي في هؤلاء المملوكين حتى أصدر
انتونيان الملقب بالصالح أمره بان كل سيد قتل عبده بلا
سبب يعاقب بالاعدام أو بالنفي وكذلك كل من عامل
عبده بقسوة يلزمه بيعه (وقصد الشارع بذلك أنه ربما يملك
لسيد شقوق) هذا مع حفظ ولاية التأديب للسيد فضلاً
عن أنه حر في بيعه ورهنه وتركه ان شاء .

سلطة السيد على أموال عبده - ان سلطة السيد على
المال بقيت بحالة واحدة زمناً مديداً أي ان الأعصر لم تغير شيئاً
من تصرفات السيد في أموال العبد واعتبارها له كلها فالسيد
في كل الاوقات مالك لجميع أموال عبده وله ان يعطيه شيئاً

في الثمن ويأتي المشتري بعد ذلك يطالب البائع بالمبيع
فان كان ثريار دله دراهمه والا فيملك المبيع (أي الحر
النصاب الذي بيع باسم عبد) الا ان ذلك يستلزم
ثلاث شروط

(١) أن يكون المشتري جاهلا حقيقة الامر أي عالما بان

المبيع عبد حقيقي والبائع سيده

(٢) ان يكون البائع والمبيع على عكسه أي لم يعمل ذلك الا

بقصد النصب

(٣) ان يكون سن المبيع فوق العشرين سنة

الفصل الثالث

في حالة العبيد ومعاملتهم

ان حالة العبيد تختلف حسبما تكون بالنسبة للسيد أو

بالنسبة للاجتماع الروماني

(معاملة السيد لعبده) ان القاعدة القديمة الرومانية هي

ان العبد وما ملكت يدها لسيده بمعنى ان لكل سيد سلطة

عينها المحكمة في حكمها الصادر بهذا الصدد

(٤) اللص الذي يضبط متلبساً بالجناية

وفي العصر المدرسي دخلت جميع هذه الاسباب في

خبر كان

وفي عهد السلطة الملوكية كان يقع في الرق :

(١) من زنت من الرومانيات مع أحد عبيد الغير بالرغم عن

ثلاث انذارات من سيد العبد تقع تحت سلطة ذلك

السيد هي وجميع أموالها ومن حملت به أو ولدته من

الاولاد قبل وقوعها في الرق يبقى حراً

(٢) من أتى بجرمة عقوبتها الوقوع في الرق

(٣) كل من قابل سيده من المعتوقين بضد ما يستحق

(كأن يقبض يده عن ان يعطيه الغذاء والسيد فقير)

(٤) قد يقع في بعض الاحيان ان رومانين نصابين يقيم

أحدهما الآخر كسيده له نبيعه وبعد تمام البيع وقبض

الثن يهرب المعتبر كعبد (وهو حر نصاب) ويرجع

لرفيقة (الذي عمل سيده وقت البيع) حيث يقاسمه

نحوهم الا قانون الاقوى وأسراهم عبيد سواء أسروا في السلم
أو في الحرب

(٢) أجانبا يسمونهم في زمن السلم بريجرين (Pèrègrins)
وفي زمن الحرب هو ستيس (Hostis) التي معناها (عدو)
ويتبع الرومان نحوهم قانونا ثابتاً ولا يؤسرون الا في الحرب
(القسم الثاني)

الاستعباد بالقانون المدني

يختلف الاستعباد بالقانون المدني باختلاف أدوار
القانون الروماني
ففي الدور الاول كان يقع في الرق :

- (١) كل روماني يرفض الخدمة العسكرية
- (٢) كل من لم يكتب اسمه في دفتر تعداد الانفس (وهو دفتر لا يوجد الا في رومه اسمه السنس (Gens) تكتب فيه أسماء الرومانيين كل خمس سنين)
- (٣) المدين الذي لم يسدد ما عليه من الدين في المدة التي

(القسم الأول)

الاستعباد بقانون الكافة

يقع الانسان فى الرق : أولاً بالولادة -- ثانياً بالاسر

الولادة — تتبع الرومانيون قاعدتين فى الرق بالولادة وهما:

(١) كل ولد ولد من زواج شرعي يتبع حالة أبيه فى الحرية

(٢) تعتبر حالة الاب عند مبدأ الحمل فقط وتعتبر حالة

الأم وقت الولادة

وبما ان زواج العبد عندهم غير شرعي فنسله يتبع حالة

أمه ولكنهم قد خالفوا القاعدة الثانية فى منفعة المولود حيث

قرروا ان الولد الذى لبثت أمه بعض الزمن (ولو دقيقة)

حرة وقت الحمل به أو وقت الولادة يولد حراً

الاسر — لاجل الوقوف على حقيقة الوقوع فى الرق

بالاسر يلزم معرفة تمييز الاجانب

يعتبر الرومان الاجانب قسمين : (١) المتبربرون

(كسكان الغاله وجرمانيا وقتئذ) وهم قوم لا تتبع الرومان

الاول : ان الغالب له الحق في قتل مالديه من الأسرى
(كما هو معنى الاتفاق الدولي اذ ذاك) وعليه فلا استعباد عمل
خير وبر

الثاني : ان الغالب يعد مالكا لأسراه ولا أموالهم
والمالك له ان يتصرف في أملاكه كيف شاء وعليه فله حق
استخدامهم واستعبادهم

﴿ الفصل الثاني ﴾

(الوقوع في الرق)

تمهيد

اعلم ان للرومانين قانونين الاول أحكامه تسرى عليهم وعلى
الاجانب على السواء ويسمونه قانون الكافة والثاني أحكامه
خاصة بهم ويسمونه القانون المدني (كالحق الخول لرئيس
العائلة ان يقتل أى تابع له) وللو قوع في الرق أحكام خصوصية
في كلا القانونين :

٢ العبد الذى يتركه سيده لمرض أو لشيخوخة يعتبر حراً

٣ من قتل عبداً مريضاً أو هرماً ليستريح منه يقاص

٤ كل من خصى عبده أو قتله بلا ذنب أو باع أفراد

عائلة عبد متفرقين يعاقب

وفى جميع الازمان الرومانية كان زواج العبد معتبراً غير شرعي وبذلك ليس له على أولاده سلطة أبوية. ولا علاقة بينه وبينهم الا من حيث تحريم زواج البنت (أى ان العبد لا يتزوج ابنته وهو تمييز بين العبيد والحيوانات العجم) وما يرتكبه العبد من الاثام والجرائم يعاقب عليه ان كان ضد الهيئة الاجتماعية وأما اذا كان ضد فرد من الافراد فلا يحاكم الا بعد عتقه وان أضر العبد فلسيده ان يطالب الضار بتعويضات كما يفعل ذلك ان أتلف له شىء

﴿ القسم الثانى ﴾

اعتقاد الرومان فى حل الرق

ان الرومانيين كانوا يقيمون دعائم حل الرق على دليلين:

الباب الاول

فى الرق والعبيد

(الفصل الاول)

قواعد تهيدية

(القسم الاول)

الرق وما كان عليه عند الرومان

الرق هو حال المملوك لآخر وحالته عند الرومان تختلف حسب العصر والادوار فى الازمنة الاولى كان العبد معتبراً ككائن حى لا حق له مطلقاً (أى منقولا يتكلم) ولا رادع لتصرفات سيده فيه الا ان هذه السلطة المطلقة قد أوقفت عند حد فى عهد القياصرة (بعد ان رأى العبد مالم تره عين بشر) اذ صدرت فى أيامهم أوامر شتى بخصوص تقييد سلطة السيد والوقوف بها عند حد منها:

١ لا يجوز للسيد ان يبيع عبده لاحد لا يشتريه الا

لمضاربة الوحوش

من سنة ٧٠٩ لغاية ٩٧٨ من تأسيس رومة (٤٥ قبل المسيح
الى ٣٢٤ بعده - ٦٤٧ قبل الهجرة الى ٢٧٨) والحكومة
فيه كانت في يد قياصرة تعبد الاصنام وهو أم الاعصر
بالنسبة للقانون الروماني حيث نشأ فيه من المشرعين عدد
يزيد بكثير عما نشأ في غيره وأشهرهم جوليان وجايوس واوليان
الدور الرابع - يتدىء من ٩٧٨ الى ١٢٤٠ من تأسيس
رومه (٣٢٤ الى ٥٦٥ بعد المسيح - ٢٧٨ الى ٣٧ قبل الهجرة)
كانت فيه السلطة للقياصرة المسيحيين وهو الدور الذي نشأ
في آخره جوستينيان الذي بدل وغير ومحا وأثبت كثيراً في
قانون الرومانيين ومن بعده أخذ في الاضمحلال

والتوحش) كما سيظهر جليا

نبذة تاريخية - ١٣٥٦ م - ١٧٥٧ م -

قسم علماء القانون الروماني أدواره الى أربعة

الدور الاول - يتتديء من تأسيس مدينة رومه

المنسوب الى رومولوس لغاية سنة ٢٤٤ منه (أى من سنة ٧٥٣

الى ٥١٠ قبل المسيح ومن سنة ١٣٥٦ الى ١١١٢ قبل الهجرة

المحمدية) وفيه كانت منصة الاحكام بيد البطاركة ثم الملوك

الايثيريين . والقانون الروماني كان عبارة عن نصوص

مكتوبة على اثنتى عشرة لوحة مع اتباع العوائد الجارية وأشهر

متشرعي هذا العصر هو بايبروس

الدور الثانى - يتتديء من سنة ٢٤٤ لرومة لغاية ٧٠٩

لها (٥١٠ الى ٤٥ قبل المسيح - من ١١١٢ الى ٦٤٧ قبل

الهجرة) وكانت المملكة فيه جمهورية وأشهر متشرعيه

سيسرون

الدور الثالث - (ويسمونه بالعصر المدرسى) يتتديء

الخصوصية وأملاك هؤلاء الأولاد والأتباع فكانت بذلك
أشبه شيء بحكومة أو إيالة المتصرف الشرعي فيها رب البيت
الذي قد حرّم على غيره أن يتصرف في شيء من أملاك
العائلة بمعنى أن جميع الأملاك معتبرة له دون سواه

والعبيد وإن كانوا كأولاد رب البيت إلا أن معاملتهم
خرجت عن حد التصور والوصف فيباع العبد ويشري
ويستخدم ويؤذى ويقتل ويرمى ولا رادع في ذلك لسيده
فكان بأمره يضارب الوحوش ويقا تل السباع لتعليم أبناء
الرومانين الحماسة وكانت تقطع يداه ورجلاه إذا أذنب أحد
الأبناء لتفهمهم كيفية عقاب المذنبين (ولا ذنب لصاحبنا إلا
أنه في الغالب أجنبي قد أسر)

غيري جنى وأنا المعذب فيكم فكأنني سبابة المتسدم
وقصارى القول أن العبد كان معتبراً كآلة في يد سيده
يديرها كيف شاء وإن معاملة الموالى للعبيد وإن تحسنت
قليلاً في عصر الرومان الأخيرة لا تزال موضوع وحشية
وهجية تصور لنا اجتماع النقيضين واتحاد الضدين (التمدن

لحرارة الأرض ومن ثم تشعبوا وانقسموا الى قبائل يرأس كل واحدة منها رئيس لم يكن له في مبدأ الأمر من السلطة الا تقسيم الأعمال بين أفراد عشيرته أو قبيلته فمنهم مخصص للحرث ومنهم للسقي ومنهم للصيد الذي لم يقصدوه وقتئذ الا للتغذية الاضافية وكل ماينجم عن عمل أحد الأفراد يكون ملكا للعائلة باكملها ليس لأحد منها ان يستغله دون الآخر ذلك هو مبدأ تكوين العائلات الذي لم ينتج الا بعد أدوار كثيرة تدرجية تورد لنا حالة تاريخ مدينة رومة الشيرة التي وجدت قبل المسيح بنحو سبعة قرون ونصف وقبل الهجرة النبوية بثلاثة عشر قرنا تقريبا وهي تقص علينا تاريخها انها كانت مكونة من عائلات تمتاز كل واحدة منها باسم مخصوص يرأس كل عائلة رجل هو رب البيت وحاكمها الوحيد صاحب التصرف المطلق في حياة أفرادها وأملأكمهم. وكانت العائلة مكونة من ذرية رب البيت وذرية ذريته وهكذا وعبيده ونسل عبيده ونسل نسلهم الخ (الذين كان يصل عددهم أحيانا الى خمسمائة أو ألف) وحشمه وخدمه مع أملاكه

وجد والدا البشر آدم وحواء في مبدأ الخلقية وحيدين في وسط الأرض كوان الشاسعة والاراضى الواسعة لا قوت يسد رمق جوعهما ولا غطاء يقيهما تأثير التغيرات الجوية غير التغذية بما تخرجه الأرض من الحشائش والاستتار بأوراق النبات والاقامة في المنافوز والمغارات حسب الهام الخالق لهما وهكذا استمررا على هذه الحالة حتى تزايد عدد أبنائهما شيئاً فشيئاً وتمكنوا جميعاً من التعاون والتعاقد على تحصيل ما يقوم اعوجاج الحياة وأول ما فكروا فيه هو أمر الغذاء والغطاء الذي أرشدهم الرحمن اليه باستعمال الصيد اذ صاروا يأكلون لحم الطيور والحيوانات ويلبسون جلودها حتى ألهموا حفظ بعض أنواع الحيوانات النافعة كالبقرة والغنم وما شاكلها لوفرة نسلها وللاستغناء بنتاجها ودرها عن مكابدة اتعاب الاقتناص ولكنهم لذلك الحين كانوا مكتفين غذاء بلحمها وألبانها وكساء بصوفها وجلدها ولم يزالوا عاكفين على تربية الحيوانات النافعة والاعتناء بامرها حتى تنبها

كتب هذه المقالة رحمه الله في وقت اشتدت فيه لهجة
جرائد الاحتلال على أثر التفاف الشعب حول سمو الخديوى
الذى ظهر بمظهر الوطنية العالية فرفع صوته الشريف كامن
شعور الأمة فذابت قلوب الاعداء فأخذوا يحملون حملاتهم
التي لا أثر لها اليوم

وفى أوائل تلك السنة ألف رسالة « أعجب ما كان فى
الرق عند الرومان » وهذه الرسالة على صغر حجمها كفلت
لقارئها بيان حقيقة الاستعباد الرومانى المبينة لما جاءت به
شريعة خاتم النبیین صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم .
ولما كانت هذه الرسالة قد نقتط طبعتها على فرط حاجة
المستفيدين الى الانتفاع بما ضمته من التحقيق الوافى فى هذا
المطلب التاريخى الخطير آثرنا أن نشرها هنا برؤمتها ضنا
بأثر جليل مضى عليه ستة عشر عاماً أن يطلبه القراء اليوم
ولا يجدونه وينشده طالبوه ولا ينظرونه . وهذا هو نصه
بعد الفاتحة :

يعلمون ان الحق حق وان الباطل كان زهوقاً فيسلكوا
السبيل الأ حوط للذمة والشرف ويخدموا الوطن خدمة
صادقة تغنيهم عن التطفل على موائد الانكايذ والتسول من
أيدي الغريب ولكن رحم الله من قال

واذا ضلت العقول على اء—م فما ذا تقوله النصحاء

مع أنه وأيم الله لا يضع عند المصري جميل وهو احفظ
الناس على من حفظه وأحبهم لمن أحسن لوطنه كما أنه أبعدهم
عمن أراد به سوء

وبالاجمال فلا يفيد الحكومة الانكليزية بعد هذا
كله الا العدول عن سياسة العنف وسلوك سبيل الانسانية
بقيامها بحق الوعود المتكررة باجلاء عن مصر لكي يندمل
جرح المصريين فيكونوا جميعهم لها من الشاكرين فقدرات
من النهضة المصرية والحزم العباسي ما يدحض القول بأن
لارجال في مصر ويقطع دون اهتضام حقوق المصريين كل
رجاء فلا سبيل بعد ذلك لغير معاملتهم بالجميل والله الموفق
في كل حال «

يريدون ان يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبي الله الا أن يتم نوره
اذ ظهرت لدى جميع الدول نتائج ما تكنه السياسة الانكليزية
لوادي النيل واتضح الحق لقوم يبصرون والحق يعلو
ولا يعلي عليه . فأقامت الدول ذات الشأن على حكومة
انكلترا النكير وأرسلت عليها من أفواه الحق أعظم نذير
فأخذها من ذلك المقيم المقعد حتى قام رجالها في مصر يطالبون
جرائدهم المصرية اسما والانكليزية صبغة بحق المدافعة المتباعدة
منهم بالأصفر ذي الوجهين فتقدموا اليها بأن تطلع في الظلمة
شمسا وتلبس الحق بالباطل لكي يسندوا حججهم من مصرية
تلك الجرائد الي برهان يفررون به الافهام ويبنون عليه
صروح الاوهام ولكن هيئات هيئات فقد عرف المصري
بعد طول التجارب عدوه من صديقه فلا ينظلي عليه محال
المدلسين ولا تغريه سفاسف الاقلام وسبرت دول أوروبا
حقيقة المسئلة فهي في غنية عن أخذها من مصادر الباطل
وتلقيا من سماسة السوء

وعسى أن يكون ذلك كله عبرة لأولئك المدلسين الذين

على طبعه الطمع وتولاه الغرور ثم اجتهادهم في أمارة كل عنصر
حتى مصرى وتعويضه بعنصر انكليزى تطلعا للسلطة المحلية
التي كادوا يتوصلون لجعلها سلطة انكليزية فعلا مصرية
اسما كل ذلك بحجة الاصلاح وتسترأ باسم المحافظة على الامن
والحقوق ولنا بحادثة الوزارة الأخيرة وتطاؤلهم لسلب حقوق
الحضرة الخديوية لو لم يحل دونهم حزمها العظيم شاهد عدل
يؤيد ما هم عليه من فساد المقاصد وسوء النية ويدحض
ما يأتيه أنصارهم من الترهات الأمر الذي أيقظ المصرى
من غفلة طول الأمل ونبه فيه عواطف الوطنية بعد الذبول
فتحركت فيه روح الشهامة تحت على الرزاة والسكون لتعضيد
أميره العزيز الذى أحيأ فى قلوب المصريين عنصر الأمل
وأوقف تيار الغايات الانكليزية بنهضته الشريفة - ودرأته
العظيمة حتى قامت بين الانكليز قيامة الايهام والتغدير
وسلكوا فى هذه المسألة من تلوين الأفعال والأقوال
كل مذهب كى لا يفتضح بين الدول أمرهم ولا ينكشف
لعالم الانسانية على مسرح القسوة والاستبداد سترهم وهم

كما مر والا لكانت خالية عن كل تمييز والواقع بخلاف لما أن
قوة التمييز حاصله لديه وهو قادر على أن يميزها بين المتضادين
فكيف اذن يقبل التحول من الحسن الي القبيح ومن النافع
الي الضار وهو يعلم أنه كذلك . هذا ما نسأل بيانه خصوصا
ممن كان بالامس ينفع الوطن والاسلام بقلمه ولسانه فأصبح
على الضد من ذلك قائما بترويج المقاصد الانكليزية شاحداً
غرار قلمه بنشر الفصول الطوال المزخرفة بعريض الكلام
وطويله مملوءة بألف دليل مجسم بقالب الغرض يظهر لدى
أذني تأمل أنه صورة مجردة الباطن عن روح الحقيقة وجوهر
الصدق مغشاة بسفاسف من القول بقصدتها الاستدلال
على حسن مقاصد المحتامين وسلامة تيجتها على المصريين خلافا
لما قام عليه البرهان الحسى لدى العالم أجمع من انها مقاصد
ليست من السلامة على شىء بدليل ما هو مشاهد من حركات
الحكومة الانكليزية وأعمال رجالها في هذا القطر
واحاطتهم بدوائر الحكومة الملكية والعسكرية احاطة
السوار بالمعصم واستشارهم بمصالح الاهلين استئثار من غلب

وهذه مقالة ثانية نشرت في العدد رقم ٥٥٠ تحت

عنوان :

الحق يعلمو ولا يعلمي عليهم

« لما كانت أفعال الانسان غير مرتبطة بقوانين طبيعية وقواعد ثابتة تتمشى بها على وتيرة واحدة فانها لا تسلم من التغيير والتبديل حسب ارادة الفاعل وغايته لما انها أفعال ارادية صادرة عن قصد وكما صدر عن قصد فهو بالطبع قابل للتغيير فانك بينما ترى، زيدا كريما حسن الخلق محبوبا من الناس اذ تراهُ أصبح ضئيلا فاسدا الخلق مذموماً من الناس والعكس بالعكس وليس الغرابة في ذلك بل الغرابة في كيف ان الانسان مع اتصافه بالعقل والارادة وتميزه بين الحسن والقيح يقبل على نفسه الاتصاف بالبخل بعد الكرم والذم بعد الكرامة!! ذلك ما يريد معرفته والوقوف على سببه فان قيل انه مرفوع الى ذلك بحركة اضطرارية بدون قصد ولا ارادة فيقال هذا يناقض اتصافه بالارادة وأفعاله عن قصد و ارادة

حكومته الطاهرين محل الثقة والأمان فلا والله لن ينالك
سوء بعد ما ظهر منك ومن أميرك من الوطنية والحزم ما جعل
العالم الاوروبي ينظر اليك بنظر التبجيل ويشق منك بكفاءة
تحولك حرية الاستقلال. والانسانية تنادى قاتل الله القسوة
والاستبداد ما مسهما بشرف أمة الحرية وما أشر عاقبتهما من
عاقبة على نابذى العهودوم قيودها وناكسوا لوعودوم
معززوها فلقد كشفوا عن غايتهم الغطاء وأظهروا للعالم
المتمدنين ما تكنه ضمائرهم من السوء فلبوا على أنفسهم الضرر من
حيث أرادوا النفع فيهما هيهات أن تقاد لهم بعد ذلك
الرجال أو ينظلي لهم ولا نصارهم على العقول محال

ومهما يكن عند امرئ من خليقة وان خالها تخفى على الناس تعلم

فما علينا بعد هذا الا المثابرة والاجتهاد على دفع غاية
المغرضين لكن مع السكينة والثبات والمؤازرة لا ميرنا المحبوب
الذى نرجو الله تعالى أن يوفقه لكل ما فيه خير الوطن وبنيه
ان الله كريم مجيب

رام اغتصاب حَقك بحجة ليس عليها دليل الا الباطل وينصفك
ممن حاول سلب استقلالك لمجرد تعلقك بحب أميرك العزيز
ووطنيتك الصادقة

فاصبر أيها المصري فان الصبر من حزم الامور واياك
التهور مع دسائس المنفسدين بقول أو فعل بعد ما ظهر منك
من الوطنية والثبات. فوالله لسكوتك في مثل هذه الظروف
أشد على أعدائك من ضرب الحسام وأنكى من كل نكايه
وهم انما يتذرعون بك اليك فصدحهم لكن بالحزم وردد
لكن بالتأني وكن مع مواطنيك من الغربيين الذين
يقاسمونك السراء والضراء كما أنت عليه من الحب الدائم
والالفة الثابتة فانما مواطنك ووطنك ومشاطرك الخير
والضر صفيك واعلم أن سماسرة السوء يتربصون بك
الشر والمحتلين ينظرون الى وطنيتك بعين الغدر حتى اذا
رأوا منك شررا جعلوه نارا يوقدون بهامصايح التهويل
في ظلمات الباطل ليجعلوك فريسة الاغراض فتأبر على الثبات
والانقياد لا اميرك بكل حركة وسكون وكن منه ومن رجال

التي تسعون اليها من زرع بذور الفساد واضرام نار الفتنة
بالاختلاقات الواهية والاشاعات الكاذبة والمصرى أعظم
مكانة من أن تؤثر فيه عوامل المنفسدين وأرزن من أن
تحركه يد الغايات؟ المصرى مشهور بالصبر معروف بالسكينة
موصوف بالثبات فردوا سهام أذاكم في نحوركم وانفخوا في
رماد الفساد ما شئتم أن تنفخوا فلا والله لن تروا منه حركة
الا بالسكون ولن تنالوا غرضاً ولو بعد العناء

ورحمك أيها المصرى ما أشدك علي حمل النوائب
وما أصبرك على فساد المنفسدين وطوباك ما أكثر حذرک من
العواقب وأظهرک على المغترين :؛ هذا العالم ينظر اليك الآن
بمنظار الانتقاد فيرى المنفسدين يجوسون خلال ديارك
وسامرة السوء يدسون عليك الدسائس ويعملون على ضررك
وأنت مع ذلك ثابت الجأش قوى الجنان غير مصغع الا لنداء
الثبات ولا ملتفت الا الى مصلحة وطنك لكن مع السكينة
والحزم وبذلك يعلم العالم انك انما اتهمت بما أنت براء منه
ورميت بما أنت بعيد عنه فيعود بالملامة والتأنيب على من

الاهلية التي انتشرت بين طبقات الامة على أثر تولية سمو
الخدوي المعظم عباس حلمي باشا الثاني: عداء غريبا. وكان المترجم
وهو في طبيعة المهاجرين كما قدمنا يخطب في التلاميذ فيشير
في الصدور حماسة تدك الجبال وتزلزل عروش الاقبال ومن
تلك الساعة استولي سلطانه على قلوب اخوانه وأصبح يشار
الى الوطنية في شخصه المحبوب

وفي هذه السنة المكتبية الداخلة في سنتي ١٨٩٢ —
١٨٩٣ اكثر من كتابة المقالات ونشرها في جريدة الاهرام
وقد نشرت أول مقالة في العدد ٥٤٥٤ في يوم السبت ١١ فبراير
سنة ١٨٩٣ وهذا نصها

نصيحة وطنية

« ايه ياسمسة السوء ايه يا أعداء الانسانية ايه يا جراثيم
الفساد لقد والله تماديتم في البني وقد تدانيتم من كل أثم قصي
الام تسعون في الارض بالفساد وحتام تعظمون الصغير
وتصغرون الكبير وكم هذا الارعاد والتهويل وما هي الغاية

وكفى على ذلك دليلاً أنهما من صنع فرنسا والثاني أنه يجب أن
تزداد قوته في اللغة الفرنسية وانتظامه في سلك الطلب
بهذه المدرسة من أعون الذرائع وأنجع الأسباب للبلوغ الى
هذا القصد

فأراد أخوه أن يدرس في كلتا المدرسة ليحصل
في الحقوق عند انتهاء الدراسة على شهادتين احدهما من مصر
والأخرى من فرنسا فصدع بهذه الارادة الكريمة وهو
جدلان مستبشر . وقدم طلبه الى مدرسة الحقوق الفرنسية
وصار أحد طلاب السنة الأولى فيها واستمر في المدرستين
بحيث كان يقضى سحابة النهار في المدرسة الأميركية ويدرس
في المساء في المدرسة الفرنسية اذ كانت الدراسة تبدأ فيها قبيل
الغروب يوماً بساعتين

وقد حدثت في ٢٠ يناير سنة ١٨٩٣ مظاهرات وطنية من
طلاب المدارس وفي مقدمتهم طلاب مدرسة الحقوق وفي طليعة
هؤلاء صاحب الترجمة وقد هجموا جميعاً على ادارة جريدة
المقطم لأنها أظهرت ضد الوطنية المصرية وروح النهضة

علائم التعب ومرض مرضا شديدا خيف منه على حياته .
وكان العذل لا يزيده الاتعلقا بالكتابة وصبرا على مشاقها
وثباتا على سلوك خطها . ولكن طيب الأسرة وهو
حضرة النطاسى البارع المفضل الدكتور على بك شرمي وحمو
الأخ حسين بك نهاه عن الكتابة بعد أن وصف له العلاج
وشدد في وجوب تناوله في الأوقات المعينة . فامثل مكرها
وبعد أن أبل من مرضه وافى ميعاد الابتداء في الدراسة
للسنة الثانية . وفي شهر اكتوبر سنة ١٨٩٢ تقابل مصادفة
بصديقه القديم والاخ الوفي الحميم فؤاد بك سليم بعد ذلك
التقاطع الذي أغضبهما كليهما

فعاد الود الى أمكن وأمتن مما كان ورجعت الصداقة
الى أقوى وأفضل مما كانت عليه . وقد بذل هذا الصديق
من المساعي ما بذل ليحمله المترجم بالترغيب والتشويق على
تتميم دراسته في مدرسة الحقوق الفرنسية ليكونا معا فاستشار
المترجم أخاه وسأله أن يأذن له بالانتقال الى هذه المدرسة
لسبيين وجيهين وهما أن المدرسة المذكورة مدرسة الحرية

(عام ١٨٩٢) قصد مدينة الاسكندرية لتغيير الهواء فاجتمع بالمأسوف عليه الطيب الذكر بشارة تقلا باشا صاحب الاهرام وقد تعرف به بواسطة صديقه الحميم الكاتب البليغ الشهير والشاعر النابغة الكبير خليل أفندي مطران فأجله واكبره وفتح له صدر جريدته لنشر ما يبعث اليه به من الرسائل الوطنية الحكيمة والمقالات العمرانية الرشيدة والفصول العمرانية المحكمة

وشعر المترجم أن في رأسه فكرا يتمثل له في اليقظة والنام بل كان ذلك الفكر يغشى عنده دائرة الخيال ويملاً فضاء التصور وأن في يده قلماً سيالاً ينفث السحر وفي عزيمته مضاء لا تستهين به المصاعب وبالجملة شعر أن لديه من الأدوات ما يستطيع به أن يخدم البلاد خدمة صادقة عظيمة فأخذ ينظر في الوسائل ويحبر الرسائل ويبعث بها الى جريدة الاهرام متحلاً في كل رسالة امضاءة يستتر وراءها ويقف ازاءها فتارة كان يمضى « مصرى صادق » وتارة « مصرى أمين » وأخرى « مصرى »

وقد أجهد نفسه في هذا العمل فوق الطاقة فبدت عليه

الحقانية سابقا ومحمد مجدى بك أحد مستشارى محكمة الاستئناف
الاهلية ومحمود بك سالم القاضى بالحكام المختلطة الى كرماء
في الوطنية آخرين ورجال من صفوة أهل البلاد غابت عن
الذاكرة أسماؤهم وما غابت عن الوطن أياديهم وآلؤهم .
ولا تنس أنه كان يجتمع فوق اجتماعه بهؤلاء النابغين الفضلاء
بالمرحوم على باشا مبارك الذى كان مجلسه كعبة يحج اليها
الألباء وساحة لاتضيق بأهل العلم والأدب الكرماء بل
كان مجلسه السامي نجمة لرواد الآمال وشرعة لوراد الفضل
والجلال . وقد كان رحمه الله يعز المترجم ويحبه حبا جما ويحيل
عليه قراءة ما يريد أن يسمع فى المجلس سواء من الجرائد
أو من الكتب كما ذكرنا

على هذا المثال . وفى هذا الوسط المنعش للآمال . كان
المترجم يقضى أوقات الفراغ . فجمع الى الرقى العلمي الرقى
الأدبي وأضاف الى معارفه الغالية معارف من أولئك
الأوفياء الأبرين بأمتهم وبلادهم . وانتقل المترجم من السنة
الأولى الى السنة الثانية بنجاح باهر . وفى صيف ذلك العام

شديدي الميل الى حضوره بينهم يستجلون فيه عوالي المهم
وغوالي المسكرات والشيم

وقد تعرف في تلك السنة بأديب زمانه العلامة الكبير
الشيخ على الليثي الذي أحبه حب الوالد الشفيق لولده البار
أو الأخ الكثير العطف للأخ الكثير الحنان فقر به منه ورفع
مكاته عنده . لأن المرحوم الشيخ الليثي كان من آحاد أهل
الأدب المشهورين وخيرة رجال العلم المعدودين وقد عاش رحمه
الله مائة عام قضاها وهو يحضر مجالس الامراء ويتصدر محاضر
الفضلاء وتشدد اليه من أنحاء مصر مطايا الشعراء وله من
النوادر الماثورة في الأدب ما يزرى بالكنوز ومن الشعر العربي
المحكم النسيج البليغ الاسلوب ما يحقر في جانبه الدر الثمين
والفضل يعرفه ذووه . فلا جرم اذا كان هذا الفاضل من أعرف
الناس بقدر الفقيه وأحرصهم على اذاعة فضله عند من لم يكن
قد عرفه بعد . ولهذا تعرف به كثيرون من أهل الجلال
والكمال والوطنية الصادقة والفضل الغزير أمثال المرحوم أمين
باشا فكري مدير الدائرة السنية سابقا واسماعيل باشا صبري وكيل

الى المدرسة بل ألحق بمدرسة الحقوق الفرنسية التي كانت
تأسست في ذلك العهد . أما المترجم فقد رجع اليها بعد أن
انقطع عنها سبعة أيام واستمر في الدراسة بمدرسة الحقوق
الخدوية الى آخر السنة وهو لا يخاطب صديقه الحميم وصديقه
الحميم لا يخاطبه

عمل المترجم كثيرا في تلك السنة بجمعيات « الاعتدال »
و « الهدى » و « العلم المصرى » وهذه الجمعيات هي التي
أسسها جماعة من صفوف فضلاء المصريين أدبا وعلماء وجاها
ومكانة وأكثرهم من خريجي المدارس العالية لاسيما مدرسة
دار العلوم كما ذكرنا

وكان للمترجم عند المناظرة جولات صادقات في الجدل
والمناقشات حتى ظهر على اخوانه كافة من أعضاء هذه الجمعيات
بما أوتيته من طلاقة اللسان ومتانة البرهان وخلاصة البيان وثبات
الجنان فأخذت شهرته في عالم الأدب تبعد شيئا فشيئا وأخذ
عبير سمعته الطيبة يذوع في الآفاق قليلا قليلا وكان جم
الميل الى شهود مجالس خاصة الأدباء كما كانوا هم كذلك

والغدو منهما والرواح اليهما حضرة الهمام الفاضل فؤاد بك
سليم (سكرتير الحزب الوطنى الآن ونجل المغفور له الوطنى
الكبير والعالم الشهير لطيف باشا سليم نعمده الله برحمته
ورضوانه) وقد تعرف به لأول مرة عند تأدية الامتحان
للالتحاق بالمدرسة المذكورة فتعارفا وتآلفا وتصافيا وتآخيا
وقد زاد ذلك الاخاء مكانة ومثانة اقتراب البيتين أحدهما من
الآخر فكانا يخرجان معا ويذهبان الى المدرسة كذلك
ويعودان منها متأبطا كل منهما ذراع صاحبه . واشتدت
أواصر هذه الصداقة المكيئة وتوثقت عراها الى حد أنه
لم يكن يطيق واحد منهما البعد لحظة عن أخيه ثم وقعت
بينهما مناقشة في يوم من الايام فى شأن ما نختمت بما
كانا يتحاشيانه

ختمت تلك المناقشة بشجار تسبب عنه أن أصدرت
المدرسة أمرها بحرمان كليهما من الحضور اليها أسبوعا كاملا .
فاستاء كل منهما من هذه النتيجة التى أفضت اليها بالرغم عنهما
كيفية تلك المناقشة شديد الاستياء ولم يرد فؤاد بك أن يرجع

التعليم العالي

انتظم رحمه الله في سلك الطلب بمدرسة الحقوق وهو في السادسة عشرة من عمره كما ذكرنا بعد أن أدي الامتحان ودفع المصاريف ونال أمانة من أنخم أمانيه الممهدة له الطريق وظفر بأمل من كبار آماله يدني منه منال الفوز الأخير

دخل هذه المدرسة وهو علي ماتقدمت الاشارة اليه من الضعف في اللغة الفرنسية ولكنه كمل هذا الضعف بقوة عزيمته تكميلا وأخذ يفرغ وسعه ويبدل مجهوده لسد هذه الثلمة فلم يكن يترك لحظة من وقته ولا ساعة من ساعات فراغه ألا أنفقها علي اتقان هذه اللغة ودراستها دراسة محكمة للاحاطة بدقائقها وأسرارها احاطة تمكنه من فهم كل ما يقرأه بها فهما جيدا وكتابة ما يريد أن يكتبه بها كما يكتب البارعون من صفوفه الناطقين بها

وكان رفيقه الذي يخالطه كثيرا في المنزل والمدرسة

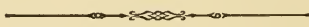
یازدهمین روز، اول شهریور

بمن حفت علی افاضت من سماه به

بسلامت عینت ایلا، اذ فوج تجیب، یوم الترت ان هنیفة یلوزر ایما طافت امانی و همی شریفة
الدراسی الثاقویة قد رکت من امانی ضد غملاً بعد ان افضت جسمی فاصبح نیکلاً لا صحیفا
ولا عیبلاً و یعنی اذ من ان تعود الی القوی لأرضل مدو سے حقوق الخدیویہ نقد
عزیت علی افاضت الی حقوق ظاہری لا از مدو سے اقباء و خطاء و معرفت حقوق
مخوف و الامس

وانت تعلم ان اهل الدنیا لیسوا و عزمت لذنن علی تالیس جمیعہ اسیرا
جمیعہ احباباً یومین و بما اکت من امانی هذا الضغنی الذی نقلی فی
بلدہ الفرساد و کن امانی علی اذ و علی نفس الکر ضامن لمانی
وام الموقد الی اقول سبیل

بنت ابوالکلمة العزیزة (فرس ۱۸۷۰) و الاشیاء حمدا و فی صدرهم سیدنا
الذوق البارحیة قدین لیس لهدو تک الفضلوم
و دادنی حلیہ ترجوت انہ لو تکون سیدنا علی بیسار الشور فانہی اصل غدر
و تکون الضیفہ و انت خیر من بحس و فاعلہ اناس منقطک اند
احمد
و طوفان



فأخدم من الدرجات العالية ماسمح له بنيلها فنالها فائزًا باعجاب
ممتحنيه واكبار اخوانه وعارفيه

وبعدئذ سافر الى الاسكندرية للاستراحة بعد ذلك
الجهاد الشاق والتعب المتواصل وكتب الى وأنا اذذاك ضابط
في مدينة طوكر بالسودان الشرقى كتاباً بهذه صورته :

www.alkottob.com

تلميذ في المدرسة الثانوية فبعد ان سلم بصوت جهورى علينا جميعا وييده على الباشا جلس بجانبه وأخذ يناقشه في مسائل عدة وبعد زمن قليل جاءت الجريدة فأخذ المرحوم يقرأها بطلاقة حتى أتم ما فيها فشكره الباشا شكراً متواصلاً وأوصاه ان يحرص على صحته

كل هذا حصل وأنا مندهش من جرأة هذا الصغير وقد لاحظ ذلك على المرحوم مبارك باشا فقال لى « لا تدهش فان من يقرأ أمامك هو ابن المهندس الكبير المرحوم على أفندى محمد الذى كان معيداً على في المدرسة وأنت تعرفه جيداً واسم هذا الابن « مصطفى كامل » فشكرت الباشا وترجمت على والد المرحوم وخفت على صحته من شدة ذكائه » بعد ذلك استأنف العزيمة وضاعف الهمة وأخذ يصل بأطراف النهار آناء الليل مع أربعة من اخوانه وحرّم على نفسه الكرى والراحة أو يظفر بطيبته تلك حتى اذا آن أوان الامتحان وقد قطع من مرحلة العمر ستة عشر عاماً ميلادياً تقدم ليجوزده ضئيلاً ما بقاءه الضنى من جسمه الضئيل ضعيفا من أثر الكد والتعب

ثم خرج الوزير واللقب المذكور علم على المترجم بين اخوانه.
وبعد يومين دعاه ناظر المدرسة المرحوم المبرور نظيم بك وأبلغه
ان النظارة رتبت له مائة قرش صاع كل شهر مكافأة تصرف
له مع أساتذة المدرسة المدة الباقية ريثما ينال شهادة الدراسة
الثانوية فأثنى عليه المترجم وأبلغ شقيقه سعادة حسين بك
واصف الأمر فقال له أن هذه المكافأة وذلك اللقب اللذين
منحكهما الوزير يثمان عليك مضاعفة جدك واجتهادك حتى
تجوز الامتحان وتفوز على الاقران

وحل في صميم فؤاده من ذلك الوقت الاحترام التام
والاعجاب العظيم بالمرحوم على باشا مبارك لأنه ظهر أمامه
بمظهر الأب العادل الذي لا يريد الا اصلاح أمر أبنائه
فضلا عن هذه المنة الكبرى التي وجهها اليه . فكان في
أنديته ومجالسه وفي كل مجتمع علمي أو أدبي لا يطيب له الا
ذكر المرحوم على باشا مبارك

حدثنا حضرة الفاضل يوسف بك عرفى قال « كنت
في مجلس المرحوم الوزير يوماً واذا بالمترجم دخل علينا وهو

فأجابه — بل كان طلق اللسان بيد أنه لم يخطب في

الجموع

قال — ماذا كانت وظيفته ؟

فأجابه — أنه كان مهندساً مثل سعادة الوزير

قال — ما اسمه رحمه الله لقد أعجب حقيقة ؟

فأجابه — المرحوم على أفندي محمد

فلما أن سمع سعادة الوزير هذا الاسم تذكر المسمى ثم

ترحم عليه وقال له على مسمع من الجميع مامعناه :

أن رجلاً كإبيك المرحوم كان معيدا على وأول مدرسته

في عهد المغفور له محمد علي باشا الكبير ليس كثيرا عليه أن يكون

ابنه . مثلك . اني كنت مرتاحا لاجابتك الى طلبك أولا عند

ما حضرت الى النظارة وشكوت من مسألة النقل من سنة

الي سنة أعلى بمتوسط ست عشرة درجة وثانيا عند ما قدمت

الي منها مسألة ذلك الضابط الذي آلمك بلاحق . واليوم

يسرني كثيرا أن أمنحك لقب « امريء القيس » ايذانا

بنجابتك وبلاغتك

فلتكن مشيئته تعالى ييد أنى استنتجت مما كان يرويه لى
المرحوم الوالد من أحاديث كبار الرجال ومادسته على
أستاذى العلامة المنفضال (أحمد بك نجيب) معلم التاريخ
من سير الفاتحين الأبطال ما أيقنت معه أن أعظم الرجال
شأننا من يحرر بلاده وينقذ أمته من ربقة الذل والاسترقاق -
وأنا سأكون ذلك المحرر الذي يكتب ويخطب وأضرب
الأمثال للناس كما كان يصنع أستاذى مبشرا بما فى الحرية
من العزة والحياة ومنذرا بما فى الذل من الموت والصغار
والله تعالت حكمته وجلت قدرته يوفقنى الى ذلك» - (ثم قال)
وحبذا لو أذنت لنا نظارة المعارف بالاجتماع كل أسبوع مرة
بالأفتياترو لتباحث وتناقش فيما يجب التكلم فيه وتعود
علينا نتأجه بالنفع العميم «

فأكبر الباشا ماسمع وكان يتبسم ويمش لكل فقرة
من هذه الفقر ويومىء برأسه مؤمناً على مايقول المترجم -
ثم تقدم منه قليلا وقال له :

هل كان أبوك خطيباً ؟

من أعضائها بالاستعداد لاداء الامتحان لنيل شهادة الدراسة
الثانوية

وفي هذه الاثناء زار المرحوم على باشا مبارك المدرسة
التجهيزية واختبر في اللغة العربية تلاميذ الفصل الذي كان فيه
المترجم امتحانا دقيقا في القواعد والمطالعة فسر من اجابتهم
كثيراً. ثم سأل الاستاذ العلامة التقى الشيخ هارون عبد
الرازق أن يقدم له أقدر تلاميذ الفصل على اجادة الانشاء
فأشار الى المترجم ميينا لسعادة الوزير مالم يكن يجهل من براعته
في هذا المطلب لميله اليه بفطرتة فابتسم له الباشا وطلب منه
أن يرتجل خطبة فيما يريد أن يصنع بعد نيله شهادة الدراسة
الثانوية

فوقف ثابت الجنان والأيمان قوى الحججة والبيان ثم
نثر على الأسماع بين يدي سعادة الوزير مامعناه :

« سألتني يا سعادة الوزير الخطير سألت الله لك الرفة
والارتقاء أن أقول كلمة فيما أريد أن أصنع بعد نيل شهادة
الدراسة الثانوية فأنا أكل هذا الأمر الى ارادة الخالق

وكذلك جاز امتحان هذه السنة وانتقل الى السنة الرابعة . وهي السنة التي يكمل فيها التعليم الثانوى فأصبح ذا شأن عظيم بين أعضاء جمعيتي « الاعتدال » و « العلم المصرى » وأجلوه اجلالاً كبيراً و اكبروا مقامه فى العيون والصدور وكان يحضر اجتماعاتهما ويخطب فيها فيدهش السامعين باقتداره على التأثير وبلاغته قوله وصدق نظراته فيما كان يتناول الكلام فيه من الشؤون والمواضيع ولا يقطع عليه سيل الفصاحة المهرم من لسانه الا التصفيق الحاد الذي تدوى به أنحاء كل من الجمعيتين كلما ارتجل البيان أما « جمعية الصليبية الأدبية » فقد انحلت لأن أغلب أعضائها كانوا من أسرات تسكن الريف وجاءت عطلة الصيف فسافر كل من لم يكن متوطناً فى القاهرة الى بلده وبقي قليل من الاعضاء فاستولى عليها القتور وخامرها الضعف وازدادت تانكم الجمعيتان الاخريان ثباتا ورسوخا فضلا عن قدم عهدهما وعدم انقطاع أعضائهما وتضلعهم من العلوم والمعارف . زد على ما تقدم من أسباب فتور تلك الجمعية وضعفها اشتغال من بقي

ويطلب من سعادته الصفح عما وقع منه حتى رضى وغير أمره على شرط أن يطلب الصفح من الطالب الذى أساء إليه أساءة كبيرة على غير ذنب ولا جريرة. وأن يكون طلب الصفح والاعتذار على مسمع ومرأى من جميع التلاميذ فكان ذلك ولم يرض المترجم على الضابط بالعمو وقبول العذر حبا فى بقاء عيشه متصل السبب بالمدرسة. والى هذا الصنع انتهى مكارم الأُخلاق ويغبط به المرء نفسه بين الرفاق

وقد كان الأُساتذة قبل هذه الحادثة يرون فيه تلميذا باهر الذكاء متوقد الجنان كريم الاخلاق عظيم النفس مقبلا على طلب العلم بكل حواسه حتى كان نجاحه الباهر مدعاة الاعجاب به والا كبار له ولكنهم بعد ذلك رأوا فيه فوق ما تقدم شخصا محترما وانسانا موقرا وكذلك نصيب من يضع نفسه فى المركز الذى يحس فيه بأنه ذو كرامة عالية وأن له عقلا مفكرا وذهنا مدبرا وأخلاقا فاضلة وارادة قوية عاملة اذا أنت لم تعرف لنفسك حقها هو انا بما كانت على الغير أهونا فنفسك اكرمها وان ضاق مسكن عليك بها فاختر لنفسك مسكنا

الأرض نهبا حتى وقفت أمام باب المدرسة . فصعد الى غرفة الناظر ويد صاحب الترجمة في يده والناظر اذ ذاك المرحوم المبرور (نظيم بك) ثم أمر فصدق الجرس واصطف التلاميذ طابورا منظما في ساحة المدرسة ثم مر به صفا صفا وسأل التلاميذ واحدا واحدا عن حقيقة ما وقع لأنه كان قد رآه أن المترجم في هذه المرة لم يتكلم كثيرا وانما اكتفى ببسط الشكوى وعززها بأن حسر عن ذراعه فتبين موضع الألم منها . فبعد أن شهدوا جميعا بكل ما وقع مثبتين براءة المترجم من أى ذنب يمكن أن يؤخذ عليه سأل الناظر عن سيره وأخلاقه مع المعلمين جميعا فزكت شهادته ما كان يعتقد الوزير في حسن أخلاق المترجم وشرف تربيته وجدده ولين جانبه وأدبه مع الجميع

فلما سمع ذلك استشاط من الغيظ على الضابط وأمر بفصله من المدرسة لسوء طريقته في معاملة الطلبة وتهوره ومخالفته للعدل والقانون . وما زال ذلك العالم الفاضل المرحوم ناظر المدرسة يستعطف الوزير المغفور له علي الضابط المذكور

في الطابور وضرب صاحب الترجمة بعصا في يده علي ذراعه اليسرى ضربة مؤلمة وشتمه شتما قارصا بصوت عال فأشماز التلاميذ جميعاً من هذه المعاملة القاسية التي اختص بها الفقيد العزيز من بين الجميع ولم يرتكب أثماً ولم يبد منه من قبل ما يؤخذ عليه. واقتضى هذا الاشمزاز أن يقع في الطابور هرج ومرج وخرج أكثر التلاميذ من صفوفهم وأحاطوا بالضابط وهموا أن يهينوه فهام صاحب الترجمة وأبدى رغبته في الكف عنه فأذعنوا له فتركهم بعد أن أخذ عليهم الميثاق أن لا يبدو منهم ما يدل على الحق والانتقام. وقصد من فوره نظارة المعارف العمومية ليقابل المرحوم علي باشا مبارك ولكنه لم يجده هناك فولي وجهه شطر بيته في الحال ولما واجهه تلقاه الوزير بالبشر والابتسام وسأله عما جاء به فأنهى اليه المسألة ولما سمعها الوزير غضب وتغير مخاطره ثم كشف موضع الألم من ذراعه اليسرى فاشتد حنقه من سوء ما فعل الضابط المذكور. فترك ما كان بين يديه من الأعمال وركب العربة وانترجم الى يساره وما زالت تنهب

حياته المباركة

وقد أحس في هذه السنة أنه انسان كامل ذو كرامة
وسمعة يجب أن يتذوق عيرها على أفواه الناس وفي صدور
الأسفار فكان يتكلم بتؤدة ويكتب بتؤدة ويعطى من
يستشيره الرأى الثاقب بلا مداجاة ولا اخفاء وهو يفيض
صدره بآيات الغيرة والحماسة حتى لم يكن يستطيع أن يتصور
أن فى الناس من يصبر على المهانة والضميم وكأنما كان ينظر
من وراء حجاب الغيب الى قول شاعر الشرق أحمد شوقى بك:
أقبل أن يستعد الضيم مهجتي وما خلقت الا لتمضى على الضيم
لولا أن العزة كانت طبعافى نفسه لا يتكلفها ولا ينظر فيها الى
مثال يجتذبه أو نموذج يحكيه

ومما يذكر بهذه المناسبة أنه كان مرة واقفا فى الصف
اخلفى فى طابور الظهر والضابط ينادى أسماء الكسالى الذين
توانوا فى حفظ دروسهم أو ارتكبوا مخالفات مدرسية كما
هو المتبع الى الآن فصدرت كلمة من أحد التلاميذ حسبها
تهكما عليه واستخفافا به وحسب أن قائمها هو المترجم جلال

وانما الامم الأخلق

ثم انتقل الى الفرقة الثانية (السنة الثالثة الآن) واستهل فيها طالعه السعيد بتأسيس جمعية أدبية وطنية سماها « جمعية الصلية الادبية » وقد اختار لها الاعضاء من بين أصدقائه الذين يتوسم فيهم المقدره والذكاء والفضل وكانت « جمعية الاعتدال » حينئذ تعقد جلساتها الاسبوعية في مدرسة الامريكان فكان المترجم يزورها ليقع التعارف بينه وبين من فيها من الافاضل والشعراء وأهل العلم وذوى الحيشات ليجب اليهم زيارة جمعيته . ولم يمض على تأسيسها اكثر من ثلاثة شهور حتى كان فيها نحو سبعين عضواً ليس منهم الا التلميذ النبیه أو العالم الفاضل أو الشاعر المجيد أو المنشىء البارع ومنذ ذلك الحين تعلق جنانه بالشعر وأحب الشعراء وصبا الى الأديبات فكان يقف في الجمعية خطيباً في مساء كل جمعة مرتجلاً مما تلي عليه البديهة الحاضرة والباصرة الذاكرة ما يملك الأسماع والقلوب . وأول خطبة خطبها كانت في « فضل الجمعيات في العالم » وكان اذ ذلك في الخامسة عشرة من سنى

بجراته وشجاعته التي نمت عنهم الكرب وردت اليهم من
سنى حياتهم سنة كادت تضيع هباءً مشوراً

وقد نهت تلك الضجة ضجة الاستحسان والشكران
التي قوبل بها المترجم وهو ينهي الي اخوانه تلك البشري
حضرات الأساتذة فتطلع بعضهم يستكشف الخبر فلما انتهى
اليهم استدعوا المترجم فاعاد عليهم ما قال وما قيل له مما
يختص بالقرار المذكور فزادوا به اعجاباً وله حبا

وكانت هذه الحادثة ونحن لانعلق عليها شيئاً اعتماداً على
ذكاء القارئ كافية في تعريف طلاب المدارس جميعاً بهمة
المترجم ونشاطه وشجاعته الأدبية الفائقة وفرط حرصه على
مافيه خدمة للمصلحة العامة وغيرته على الحق والعدل . وقد
أذاعت له اسما عاطرا بين الذين سمعوا بها وكانت ترجمانا
فصيحاً يعرب للناس عن عظم هذه النفس التي لاتصدها عن
سبيلها المصعب ولا تردّها عن الاماني المخاطر ولا يقف
في وجهه شيء مهمما كان بل كانت الحادثة المذكورة مجالاً
لظهور تلك الهمة الشائقة وميداناً لتجلى تلك العظمة الفائقة

جماهير التلاميذ في سعادتك صحة ما أقول لهم شيئاً قليلاً ؟؟ انه غير قليل . قال هذا بلهجة الجد وتحول غاضباً يريد الانصراف وكان سعادة الوزير وهو يسمع من المترجم هذا الحديث يشعر في نفسه بهزة انشراح وافر وقد أعجبه طلاقة هذا اللسان وثبات ذلك الجنان . فأمر في الحال بتغيير القرار واعادة نظام الامتحان الى ما كان عليه من قبل وقال له : « اذهب الى اخوانك وقل لهم ان اباكم الذي لا يجب اساءة الظنون به ويحرص على تفعيم كل الحرص قد اقتنع بأنكم مظلومون وقد أعيد النظام الي ما كان عليه وألغى ذلك القرار »

فتقدم المترجم باسم وسلم على سعادة الباشا ووجهه طافح بشعر الظفر وانصرف يجد السير حتى اذا وصل الى المدرسة انتهز فرصة الفسحة فاقترح غمارهم باسم مستبشراً فالتفتوا حو اليه اذ عرفوا أنه عائد من حضرة الوزير . فألقى عليهم كلمات ضمنها خلاصة الرجاء والتظلم وخلاصة القبول ؟ ؟ فضج التلاميذ بالاستحسان وأقبلوا عليه يشكرون له احسان السفارة بينهم وبين الوزير ويهنتونه بذلك الظفر الكبير ويعجبون

قال : أعود برجوعك الي الحق من أصرارك علي الخطأ .
والي عدلك تفرع من جورك . ومثل سعادة الوزير جدير
أن لا يسيء في معاليه ظنون أبنائه المتمسكين بأهداب ولائهم .
والظاهر أن هذا الجواب أطرب الباشا فأراد أن يستزيد من
مثله . فأخفي ابتسامة جميلة كانت مرتسمة علي شفقيه ونظر
اليه لا عابسا ولا باسما ليتقصى ما في نفسه ويقف علي كل ما عنده
فقال : دعك من الاستعازة بالعدل الذي أعزه من
الجور الذي اكرهه . وربما كان ذلك القرار تخفي الحكمة
في وضعه علي مثلك ومثل اخوانك . واقتضت مشيئتي أن
لا أعدل عنه فماذا يكون منك ??

فتغيرت لهجة المترجم وارتفع سموته اكثر من ذي قبل
ثم قال تسألني ماذا يكون مني يا سعادة الوزير بعد ان تبين
لسعادتك صدق حجتي فيما أقول ؟ أنصرف من حضرتك
وأذهب الي اخواني فأقول لهم ان الجالس علي كرسي نظارة
المعارف نسي الابوة ولم تكف سعة علمه ونزاهة نفسه وطهر
أخلاقه في تحويله عن شيء اتضح له الخطأ فيه فهل تعد اعتقاد

فقال له الباشا أربع مرات ولم تقل مدتي في كل مرة عن سنة
ولم تزد الى هذه الساعة عن ثلاث سنين . فقال له يستتج من
ذلك أنك دخلت هذه القاعة نحو ألفي مرة فهل لسعادتك
أن تتفضل باخباري عن عدة درجات سلم النظارة التي وطئتها
قدماك كل هذا العدد من المرات??

ألقي هذا السؤال بسكينة لا يشوبها خوف ولا تطاول.
فحسب الاستاذ آف الذكر أن الوزير يقابل هذا السؤال
بالاعراض لبعده الجواب عن أن يحيط به الذهن لانه ليس
مما يشتغل به كثيراً ولكن الوزير هش وبش والتفت سعاده
الى الشيخ وقال له كلاما لم يكده يسمع منه المترجم الا قوله
« ان البنين على هوى الآباء »

ثم التفت الى المترجم وقال له :

يظهر أن هذا القرار آلمك كما آلم اخوانك كثيرا

قال : نعم

فقال : هب أنني أصررت على تنفيذه ولم أرجع عنه

فماذا أنت صانع

له الاستاذ « لعل في الأمر شيئاً » فالتفت المترجم الى الشيخ وقال له : نعم . ان الامر غير عادل لأننا جميعا مجتهدون في دروسنا ولا يصح تأخيرنا سنة كاملة . فقد سألنا معلمي اللغة الأجنبية (لأن العلوم كانت في تلك الأزمان الخالية تدرس بالعربية) عما اذا كان التلميذ في بلادهم لا ينقل من سنة الي سنة أعلي الا اذا نال ١٦ درجة في المتوسط فأجابونا بالسلب جميعاً فأراد المرحوم الوزير أن يحول الحديث عن مجراه ويختبر قوة المترجم في علم تقويم البلدان

فأشار الى خريطة من الخرائط المعلقة في غرفته وسأله يتكلم على جزيرة في جهة الشرق من تلك الخريطة . فلم يعرفها المترجم لبعده موقفه عن مكان الخريطة المرتفعة . فأراد أن يقرب منها قليلا حتى اذا عرف اسمها تكلم عنها فضحك الوزير وقال له : يظهر لي أنك غير مجتهد في هذا العلم : فما تعلم المترجم وما اضطرب بل قال : « يسهح لي سعادة الوزير أن ألقى عليه سؤالاً واحداً ! » فأذن له في ذلك فقال : « كم مرة ألقى عليك مقاليد هذه النظارة وكم سنة لبثت في كل مرة »

صوته « اني ابنه في العلم » وكان الرحوم مطرقا يشتغل بالنظر في أوراق بين يديه فلما سمع الصوت رفع رأسه وابتسم للمترجم فحياتم قال له :

ما جاء بك الي هنا يا بني ؟

فقال — عدل الناظر

قال — أحق ما تقول ؟

فقال — نعم

قال — اذا كنت تذكر « عدلا » فلم تركت درسك ؟

فقال — اني أريد بقولي « العدل » العدل المقلوب

لا العدل المطلوب . فقد أمرتم ياسعادة الوزير بما لا يطاق

ولا يطاق . وذلك أن القرار القاضي بنقل التلميذ من سنة

الى سنة أعلى بمتوسط لا يقل عن ١٦ في كل العلوم حرم

فرقتي خلا تلميذين اثنين من الانتقال وأنامع المتأخرين

فضحك الباشا وقال حضرة الاستاذ العلامة الشيخ

هارون عبد الرازق الذي كان جالسا معه اذ ذاك « أسمعت

ياأستاذ أن تلميذاً يعارض وزيراً في قراره » وابتسم . فقال

المتوسط الذي ينقل به التلميذ من سنة الى سنة أعلى يجب أن لا يقل عن ١٦ درجة. ولما انتهى الامتحان ظهر أنه السابع في ترتيب فرقته التي كان عدد تلاميذها خمسة وستين. ولكنه لم ينل هذا المتوسط بل لم ينله قبله الا اثنان فقط فوجم لذلك وتكدر خاطره كثيرا

فلم يستسلم الى الحزن ويتشبه باخوانه في الرضى بهذه الحالة وكان له ذلك لو أراد. بيد أنه توفى الى ابتكار حل لطيف لهذا الاشكال أذهب الحزن عن نفسه ونفوس اخوانه جميعا ونفس كرب الحزن عن الفرقة بأسرها. اذ أنه ذهب توا الى نظارة المعارف وقصد غرفة المرحوم على باشا مبارك فاراد الحاجب أن يمنعه لأنه لم يؤثر قبل مقابلته لذلك الوزير أن تلميذاً في تلك السن استطاع أن يمثل بين يديه. فقال له: ويحك اني أنا ابن الباشا فكيف تمنعني أن ادخل. وحسب الحاجب أن ظاهر هذا الجواب كباطنه وأن الواقف أمامه ابن سعادة الوزير حقيقة فتمسح له في الطريق وأذنه بالدخول فلما توسط في التقدم بين الحاجب والوزير قال بحيث يسمع

عدة من عدد نبوته بين الناس . وفرق عظيم بين السرور
الذي يقوم بنفس المتعلم متى توفى الى أن يحل مسألة معتمداً في
ذلك على الذكاء وحده أو يفهم مثالا بالرجوع الى ما وعته
الحافظة . وقد رأينا أن الذكاء هو كل شيء في إقامة الاعمال
العظيمة وتدير التدابير الخطيرة وصنع العجائب في العالم
والتاريخ لا يذكر لنا بالا عجاب الا أسماء وسير أهل
الذكاء النادر . وأما ما جاء من الشناء على أولئك الذين حفظوا
في صدورهم عشرات الكتب فهو لاء جديرون به لأن ذلك
ما كانت تقتضيه الخطط التي يريدونها

انك متى كنت ذكياً مجداً كنت نابغة ومتى كنت حفاظاً
لم تكن أكثر من عالم . على أن المترجم انما كان يعتمد على الحافظة
فيما يجب وعلى الذكاء في أكثر مما يجب
ندع هذه الافاضة ونرجع الى ما نحن بصدده فنقول
أنه لما أتم دروس السنة الأولى وانتقل الى السنة الثانية
حدثت له حادثة جديدة أن تكتب بالتبر
وذلك أن نظارة المعارف العمومية أصدرت قراراً بأن

المعاني علي الرجوع الى الكتب والمطالعة فيها عند الحاجة
فلا يكون الا كمن أطلق ماصاده ثقة بالقدرة عليه بعد الامتناع
منه فلا تعقبه الثقة الا خجلا والتفريط الاندما . وقد يدعو
اليه أحد ثلاثة أشياء : الضجر من معاناة الحفظ ومراعاته
وطول الامل في التوفر عليه عند نشاطه وفساد الرأى في
عزيمته وليس يعلم أن الضجور خائب وأن الطويل الامل
(بلا عمل) مغرور وان الفاسد الرأى مصاب «

ثم قال : « وربما اعتنى المتعلم بالحفظ من غير تصور
ولا فهم حتى يصير حافظا لالفاظ المعاني فيما بتلاوتها وهو
لا يتصورها ولا يفهم ما تضمنته يروى بغير رواية ويخبر عن
غير خبرة فهو كالكتاب الذي لا يدفع شبهة ولا يؤيد حجة .
وقد جاء في الحديث الشريف : همة السفهاء الرواية وهمة
العلماء الرعاية : ورواه ابن مسعود : كونوا للعلم رعاة ولا تكونوا
له رواة فقد يرعوى من لا يروى ويروى من لا يرعوى : «
هذا ما نستشهد به الآن على أن الذكاء ولا جحود
لفضل الذاكرة أشرف منها وألزم . وما من نابتة الا والذكاء

لازمة نافعة ولكل منهما موافق يرجع فيها اليها ولا يعول
الا عليها

والذي نلاحظه أن رجال الاعمال العقلية أحوج الى
الذكاء منهم الى المحافظة . لأن الذكاء هو العمدة التي يرجعون
اليها في حل المشكلات وفهم العضلات . قال التزويني في كتاب
عجائب المخلوقات ما يأتي :

« ان التفاوت في الغريزة أمر لا سبيل الي جرده فانه مثل
تور يشرق على النفس . ومبادئ اشراقه عند سن التمييز ثم
لا يزال ينمو ويزداد نموا الي أن يتكامل . وكيف ينكر تفاوت
الغريزة وقد شاهدنا اختلاف الناس في فهم العلوم وانقسامهم
الي بليد لا يفهم بالتفهم الا بعد تعب طويل والى ذكى يفهم
بأدنى رمز والى مغفل كثير الخطأ قليل الصواب والى فطن
كثير الصواب قليل الخطأ » اهـ

وأما المحافظة فلا نستدل على شرف الذكاء عليها بأكثر
مما قال الماوردي في هذا الصدد وهذه شذرات منه :

« ربما استثقل المتعلم الدرس والحفظ واتكل بعد فهم

يجب أن يكون كيمياء كشافا. وما أثر عنه الميل الى الاستكثار من المحفوظات بل كان يعتمد على الذكاء فى الأغلّب ولهذا ظهر ميله وهو فى دور الدراسة الابتدائية الى الحساب والمسائل العقلية ويجمّل بنا هنا أن نقول كلمة عن الحافظة وأخرى عن الذكاء زيادة فى الايضاح. قال كثير من المؤلفين ان قوى العقل الغريزية المعول عليها فى علم الادب خصوصا خمس : الذكاء والخيال . والحافظة . والحس . والذوق . وعرفوا الذكاء بأنه حدة الفؤاد وسرعة الفطنة . وأنه الاستعداد التام لادراك العلوم والمعارف بالفكر . وعرفوا الحافظة بأنها قوة من شأنها حفظ ما يدركه العقل من المعاني فتذكره عند الحاجة ولذلك سميت حافظة أو ذاكرة

أما الفرق بين هاتين القوتين من قوى العقل الغريزية فظاهر ظهور بعد ما بين فتيين : هذا سريع الفطنة حاد الفؤاد على استعداد تام لادراك العلوم والمعارف بالفكر . وهذا لا يزيد على حفظ ما يدركه عقله من المعاني ليذكره عند الحاجة . ولهذا لا تطيل الكلام فى التفاضل بينهما على أن كلتا القوتين

لم يكن باجماع أساتذته ورفقائه كذلك في الغالب

ومن أوصافه التي لازمته في دورى التعليم الابتدائى

والتجهيزى أنه ما كان يميل الى اللعب أو المرح الذى يجاوز التلطف

والابتسام حتى ظن فيه اخوانه الكبرياء خلا اثنين منهما توثقت

بينه وبينهما عرى الصداقة وتوطدت دعائم الوداد لأن ذكاءهما

كان حادا وطبعهما شريفا وقد ذهب عن ذاكرتى اسم أحدهما

أما الآخر فهو حضرة الفاضل محمد أفندي خالد ويعلم على

ظنى أنه موظف الآن بالمدارس الأميرية

ومما هو جدير بالذكر أن التلاميذ في أوقات الفراغ

التي تجيء عادة بين الحصة والحصة كانوا يقصدون المكان المنقطع

في المدرسة ليدخنوا بحيث لا يراهم من ينقل عنهم أو يذهبون

الى الطرقات للمدارسة والمذاكرة . ولكنه لم يكن يجرى

على هذه الخطة بل كان يقصد غرفة تحضير دروس الكيمياء

والطبيعة حيث كان يجلس معيد هذين العلمين حضرة اسماعيل

أفندي فهمى ويلقى عليه المترجم من الاسئلة العديدة في دقائق

هذين العلمين ما كان معه لذلك المعيد العذر في ظنه أن المرحوم

حتى أن تلاميذ السنين الثلاث المتقدمة عليه كانوا يقصدونه في أوقات الفراغ ليشرح لهم الدرس بطريقة أوضح وأوسع فكانوا يجدون عنده من القدرة على الفهم والتبسط في مناحي البيان ما يغريهم بالعود إليه كلما استعصى عليهم فهم مسألة أو استبهم عليهم حل اشكال

وكان أستاذه كثير الإعجاب به كما كان أساتذته في العلوم الرياضية وهم حضرات الأفاضل أحمد بك كمال وأحمد أفندي حمدي وعثمان أفندي أنور ومحمد أفندي ادريس يعجبون به الإعجاب كله وينظرون منه في النجاة الي مثال ويقابلونه بالتكريم والاجلال وخصوصاً أستاذه في علمي الكيمياء والطبيعة حضرة العالم الفاضل الدكتور محمد بك كامل الكفراوى فانه كان يعجب به كثيراً

ولقد وصل به اعجاب الاساتذة الي حد أن بعضهم اذا ألقى امتحاناً لا يكلفه بالجواب أسوة بأقرانه لأن قوته لم تكن عادية كقوة غيره من الطلاب والا لكان جوابه كلما ألقى عليه سؤال يحتمل الخطأ والصواب والظهور والخفاء ولكنه

من العلم . فدخل المدرسة التجهيزية (الخديوية الآن)
في سنة ١٨٨٧ ميلادية

التعليم الثابوي

وكان المنزل الذي نسينه منزل جدنا للوالدة .
المرحوم اليوزباشي محمد أفندي فهمي لأنه بعد أن توفي
المرحوم والدنا أغلقنا منزلنا وقصدنا أسرة الوالدة . ويمكننا
أن نقول أن حياة المترجم اذ ذلك بدأت في الظهور . وكان
ضعيفا في اللغة الفرنسية قويا في اللغة العربية ميالا الى العلوم
الرياضية والطبيعية وعلى الأخص التاريخ الطبيعي
وقد بلغ من قوة ميله أن أستاذ التاريخ الطبيعي وهو
المرحوم محمود بك فوزي الحكيم كان يملئ الدرس في كلمتين
ثم يشرحه في صفحتين وليس أسرع من يد المترجم في تدوين
تلك الشروح الاذهنه في تصور ما يكتب . فاشتهر في هذا
العلم شهرة فائقة ونبغ في فروع لاسيما النباتات نبوغا مدهشا .

ولما بلغ الثانية عشرة كان الرأي يلحظ من عينيه المشرق
فيهما نور الذكاء وابتسام الأمل . ويرى على جبينه الظاهرة
في أسرته مجالي العظمة والتوفيق . ويشهد في معارف محياه
الضاحكة الألاء بلمحات العناية والهداية : ما يبعث على توقع
كبار الآمال لذلك الذي أدهش العالم في شبابه وكان آية
الكون الناطقة في كتابه

بلغ هذه السن فكانت روحه دأمة الأشراف بنور من
المواهب السامية وقلبه متواصل الخفقان على نعم من الاماني
الكبر وصدوره حفييل بما شاء ربك من روائع الهمم
بلغ هذه السن وهو يكتفم في نفسه أملا كبيرا لضعف
كاهله عن حمله اذ ذاك ولأنه لم يكن قد حان الوقت الذي
يعمل فيه لتحقيق هذا الأمل بالسعى المتواصل في العمل
بلغ هذه السن والعيون ترمقه والقلوب داعية له وكان
أهله لا يرجون له الا التفوق على الأقران والرفقاء وبلوغ المرتبة
العلياء بين الأشباه والخلطاء غير متوقعين أكثر من ذلك
أجل . وصل الى هذه السن متطلع النفس الى الاستزادة

والذين نبغوا في الوجود وأتوا بالعظام قل أن لا يكون
في أسلافهم جميعاً رجل واحد نابغة جاء بالعظام التي يصح أن
تعتبر كذلك بالنظر الى أحوال الزمان والمكان . نقول أحوال
الزمان والمكان ونحن نغنى ما نقول . لأن لهما علاقة كبيرة
بالناس كما لا يخفى

وقد انتهى الي صاحب الترجمة عن المرحوم الوالد كثير
من الصفات والأخلاق والمزايا . فقد كان على الصوت
إذا تكلم رفيع المنزلة بين الناس مشيراً بالرأى الصحيح
كريم الطبع واليد واللسان لا يفتر عن تمنى الأماني العظيمة
والجد في تحقيقها . وان رجلاً يلقبه أهل الوسط الذي نشأ
فيه بـ « أبي اليتامي » لأنه كان وكيلاً عن اثنتين وثلاثين أسرة
يطالب بحقوقها وينهض بأعبائها خليق أن يكون في سلالة
من يلقب بمنشئ الجيل الجديد ومكون مصر الفتاة وأبي
المظلومين لانه كان وكيلاً عن مئات الألوف من الأسر
يطالب بحقوقها التي سلبها الاحتلال وينهض بأعبائها كما تشاء
الآمال

اقرأ سيرة من شئت من عظماء الابطال وطالع تاريخ
من أحببت من نوابغ الرجال فانك تحصل في ذهنك قضية
تشمل كثيراً من الجزئيات . وهذه القضية هي أنه لم يتم
واحد من أولئك المعدودين ويتلألاً كوكب نبوغه ويدهش
الوسط الذي هو فيه والأمة التي نشأ فيها بما يصنعه من العجائب
والغرائب الا كان في نفسه استعداد طبيعي تمدد الوراثة ويعينه
المجهد . ولا نقدر ان نقول أن أسلاف أي واحد من هؤلاء
الذين نعيهم تجردوا كلهم من مزايا النبوغ المدهش
والاستعداد للاتيان بالعظام . بل لابد أن يكون أحدهم مثالا
لمن يأتي بعده وعلي هذا الخلف أن يرقى هذا المثال حتى يقرب
به علي قدر الأماكن من الكمال والعرق يسري الي السلائل
مسافة بعيدة . فاذا حدثت أن فلانا الفاتح العظيم أو فلانا
الناطقة الذي أدهش العالم بنبوغه وذكائه لم يكن من أسلافه
رجل كبير النفس ولو الي درجة قريبة فلا تصدق ذلك .
فإنهم يجحدون فضل أحد الآباء الأولين للمحدث عنه علي
الغالب

عليه وقد تفرط فيه لأنه غير مألوف عندها . والأمثلة على ذلك لا يكاد يأتي عليها احصاء

فليعمد كل أب منكم أيها المصريون الأغزاء الى الجمع بين هاتين التريتين علي قدر الامكان لتكمل احدهما مافي الاخرى من النقص ولتتضامن كتابهما في سبيل جعل الولد مجموعة من الأخلاق الفاضلة ومزايا الانسانية القرية من الكمال قربا ما

وإذا نحن رجعنا الى التاريخ نستخلص من سير أبطاله ومشهورى رجاله قديما وحديثا ما نستخلص - ولا نسمى واحداً معيناً لكثرة الاسماء بين أيدينا - استطعنا أن نستخرج منه نتيجة محسوسة ونعتصر من هذه النتيجة ذاتها العبر والعظات الى القدر الذي يحتمله المقام ضمنا بالقارىء أن يسأم من تسلسل الكلام وأخذ بعضه برقاب بعض . ولكن متى اتضح أن صنيعنا هنا اكثر من صنيع المؤلف فقط تمهد لنا سبيل العذر فانا نكتب ثم نستنتج . ونشاهد ثم نستخلص . لنقدم الى المطالع سيرة وحكاماً في آن علي قدر ما يعين عليه البيان .

القارىء استنتاجه ويسهل عليه استخراجه من تضاعف الكلام أو من بين السطور كما يقول بعضهم ولكننا في ذلك نعلم حيناً على ذكاء القارىء وحيناً على نطق الحادثة أو المسألة من تلقاء نفسها بما أودعت من غوالي الأسرار المنطوية على لطائف الآثار

وإذا أعدنا الكرة على مسألة التربية بالقدوة التي ساقنا إلى هذا الإيجاز وهي عندنا من أمهات المسائل التي يجب أن تشتغل بها أقلام الكتاب قلنا إن الإنسان يستطيع أن يكون ابنه كما يشاء بل هو يستطيع أن يفرغ عقله في القلب الذي يحبه يمكنك أيها الوالد الحكيم الصالح متى كان في طبيعة ولدك استعداد أن تجعله حكيماً صالحاً بما يتكرر على مشاعره من أمارات الحكمة وينطبع على مداركهم من أمارات الصلاح والفرق بين التعليم بالقدوة والتعليم بالكتاب كالفرق بين الحسن المطبوع والحسن المصنوع . وذلك لأن الأول ينفذ إلى أعماق النفس ويستقر في صميم القلب . وأما الثاني فإنه فيما بين حين وحين تأخذ الحواس قسطها منه وقد تحرص

جذبه الخ الخ فكان الانسان صورة من أسلافه تماماً
وعلى ذلك يمكننا أن نقول ان الصفات الممتازة التي جمعت
صبا صاحب الترجمة قد اتصل به أكثرها من طريق الوراثة
عن أبيه . وليس معنى ذلك أنه لم يقو تلك الصفات ولم يزد
رسوخا وثباتا على مرور الايام بل معناه أن المحتد الشريف
القائم على السجايا الجوهرية يلزم سلائله الى النهاية وله في
كل عقب من الاعقاب مظهر كريم في المظاهر
على ان هناك شيئاً اكتفينا بأن أشرنا اليه اشارة خفيفة
وهو مسألة التربية بالقدوة . ذلك المبحث الجوهرى الذى
يصح أن يوضع فيه كتاب برأسه كما يصح أن يفر دلك مبحث
من المباحث التى نوجزها هنا الى حد الاجمال فى الاسطر
القلال مؤلف مستقل . ولكن القلم فى يدنا يمر على هذه
المباحث مرور النسيم على الزهر جهد ما يصنعه أنه يحركها
تحريكاً لطيفاً . نعم انا كنا نحب حباً جماً أن تكون كل صفحة
من صفحات هذا الكتاب مشتملة على فائدة اجتماعية أو
سياسية أو فقرة أخلاقية أو نبذة تاريخية وما أشبه مما يمكن

وعلاقة ممكنة نستطيع أن نعتبره صادقا فيما غير محمول بدافع
الصدقة الى الغلو فيما يكتب روى . ومصدق ذلك ماسمعه
باذني من البرور على مبارك باشالما سألته عن سبب تأخير الوالد
عن الترقى وهو أنه كان شديد المراس أبي النفس على ما تقدم اجماله .
ومعنى شدة المراس وابعاء النفس البعد بها عن كل ما يشين وفي جملة
ذلك التزلف الى ذوى المناصب العالية للحصول على ما هو
أهل له من المراكز التي كان يستطيع أن يشغلها بجدارة واستحقاق
والذى حدا بنا الى هذا الاستطراد في شأن جاوزنا محله
هذه المناسبة التي عرضت لنا أثناء الكلام على تفسير تلك الجراءة
العظيمة التي ظهر بها المغفور له « مصطفى كامل » في حضرة
الجناب الخديوى المعظم

فقد أردنا أن نقول ان بين صفات صاحب الترجمة
العالية ما انطبع في نفسه بطريق الوراثة وتمكن على مر الزمان
وقد قام في فلاسفة الغربيين في هذا الزمان من يقول
ان الانسان يرث نصف شكله وصفاته عن أبويه ونصف النصف
عن جديه وربع الربع عن أبوى جديه وثمن الثمن عن جدى

خلاصة الطبقة المتتورة بحيث أنه اذا عقد المجلس للسمر أو لتبادل الآراء في شأن ما يتكلم وسائر الحضور يسمعون ويشير بالرأى وهم بصدق ما يذهب اليه موقنون . ذلك لأنه كان من سداد الرأى وحسن الروية وصدق الفراسة وطول الاختبار في المكان الذى يتيح له التصدر والتكلم بصوت عال رنان في المجالس والمحافل وما كان أحد يجسر على تخطئه أو العدول عما يذهب اليه : ثم قال الكاتب : (وهو حضرة الفاضل الهمام محمد أفندي لمعى باشمهندس مديرية قنا سابقا) وكان من أخص الصفات التى عرف بها المرحوم الوالد نزاهة النفس والترفع بها عن كل ما يحط من قدر النفوس العالية ولم يؤثر عنه فى طول أيام حياته أنه تزلف الى أمير أو داهن ذا مقام خطير . فكبر النفس كان أمراً طبيعياً فيه الى صفات أخرى يعز اجتماع بعضها فى انسان الآن ويندر أن يتحلى بها من كان من أنداده فى ذلك الزمان واذا جاز لنا أن نعقب على هذا القول فانا بما لنا من الثقة بالكاتب الذى كان بينه وبين المرحوم الوالد صلة متينة

الكاتب في الطلب ونحن نتردد بين الاكتفاء بالقدر القليل الذي اطلعوا عليه هم واغفال كثير من مميزات الوالد المرحوم لئلا يقول الناس متى رأوا ما كتّمنا عنهم : ابن بار يطرء والدًا بارًا : وبين اعفاء النفس من هذا البحث وترك الأمر الى غيرنا ننشر له باسمه ما كتبه ولا نخلو مع ذلك من ضلّة الأحاديث ومذاهب الظن

ترددنا في هذه المسألة طويلاً وبقينا وقتاً بين أخذ ورد ونحن نعتذر تارة الى المتفضل بكتابة ما يعرف عن المرحوم الوالد من اغفال ما كتّب ونقبل على النفس باللامّة تارة أخرى لأنّها لم تقم في البر بما كان متعينا عليها القيام به حق القيام بكتمان شيء أو أشياء من صفات الوالد المرحوم خشية أن نكون في نظر القراء متزيدين أو مغالين

وأخيراً خطر لنا أن نقطف عبارة واحدة مما كتبه غيرنا في هذا المعنى وندمجها فيما كتبتناه لنكون أبعد عن الظن وأقرب الى البر بالوالد المرحوم وهذه العبارة : أنه كان من رفعة المنزلة بين عارفيه جميعاً وهم اذ ذاك أكثر

ولا عجب بعد ذلك اذا اضطررنا في هذا المقام الي
التصريح بما كنا تحاشينا التلميح اليه عند الكلام على ترجمة
المرحوم الوالد . وهو أنه تولاه الله بالغفران قد ورث بنيه
ما كان متصفا به من السجايا والصفات . ولزيادة البيان نقول
هذه الكلمة ونحن نستميح القراء المعذرة فيما نقول

لما ذاع في طول البلاد وعرضها أننا ننوي وضع تاريخ
مفصل لصاحب الترجمة ونشرنا ذلك في اللواء أكثر من
مرة زارنا بعض عارفي المرحوم الوالد وطلبوا الينا أن نزل
لهم عن وضع تاريخه ليتولوا ذلك هم بأنفسهم مراعين في هذا
الطلب أنه لا يجمل بالابن أن يتكلم بأسهاب وتفصيل عن
أبيه لان عادة البنوة متهمة باطراء الأبوّة مهما كانت غنية عن
الاطراء بذاتها وصفاتها . وقد تفضل علينا من أولئك الذين
عرفوا الوالد حق المعرفة من كتب بقلمه تاريخه المفصل
وأرادنا على أن نشر ذلك التاريخ كما كتبه لينحينا عن موقف
التزكية فيما لو كتبناه نحن بقلمنا ولم نغفل شيئاً مما يتعلق به
ويجب أن يكون في ذمة التاريخ ورعاية الماضي . ثم أطلع علينا

والسجاييا الكاملة

ولم يكن مثل ذلك الموقف بين يدي الجناب العالي المعظم بالأمر الهين المقدور عليه . وان مجرد المثول في حضرة ملك البلاد ولا سيما اذا كان المائل صبيا لم يسبق له عهد برؤية مجالس الأمراء والملوك كاف في اعتقال اللسان ووقوع الهية والرعب في القلب بحيث لا يحير المسئول جواباً ولا يهدأ باله خوفاً واضطراباً . ولكن « مصطفى كامل » لم يكن من هذا الطراز . بل لم يكن ذلك الذي يتلعم لسانه أو يضطرب جنانه أو يخونه بيانه فقد كان يعطى الجواب على قدر السؤال لا يحيد يمنة ولا يسرة ولا تشوبه زيادة ولا نقص . وبديهى أنه لو كان الواقف أمام ملك البلاد صبي آخر أتيح له أن يتكلم بمثل هذا الثبات النادر وهذه الجرأة العظيمة ثم لمح ضابطاً في معية الجناب العالي يهمس في أذنه أن : قل عبدكم : وهو يسأل عن اسمه واسم أبيه لتأثر من هيبة المقام وامتلئ لمشيئة الهامس وتلق اشارته كما هي وأجراها على لسانه اذعاناً واثماراً ولكن « مصطفى كامل » لم يكن كذلك

قال : المرحوم على أفندي محمد المهندس . ولما نطق
بهذا الجواب لمح ذلك الضابط بعينه ينهه بإشارة خفيفة أن
قل : « عبدكم » فلم يعأ به
ثم قال له — فتح الله لك
قال : شكراً للامير المعظم

ثم حيا وانصرف من حضرته . وقصد الضابط بعد
انتهاء الحفلة وقال له : « ما كان أبي عبداً وما كنت كذلك .
وإذا أجبته بغير الواقع كما كنت تريد أن أجيب كنت
كاذباً » فدهش لهذه الجرأة التي تدل على عظمة النفس وتحول
ما كان في نفسه من الحنق اعجاباً ودعاء

من هذه المحادثة البسيطة يعرف القراء من هو صاحب
الترجمة ويستدلون على عظمة تلك النفس التي كانت بين جنبيه
وهو اذ ذاك صبي لم يتعرع . بل من هذه المحادثة التي جرت
بين الامير المعظم وذلك الصبي المتوقد الجنان المملوء صدره
بالشجاعة والحمية والاقدام يدرك كل مطلع على هذا الكتاب
ما انطوت عليه تلك النفس العظيمة من الصفات الفاضلة

الذى يتفضل باعطاء الناجحين المكافئات بيده الكريمة
فلما أن جاء دوره وألقيت عليه الأسئلة رفع صوته
الجمهورى أمام تحفة الطباشير وحيا الخديو والحاضرين وارتجل
من حاضر ما تملى البديهة المسعفة والذاكرة المطاوعة خطاباً
أنيقاً يناسب المقام. وألقاه بما شاء الثبات من الشجاعة والاقدام.
فصفق له الحاضرون استحساناً وتفضل سمو الخديو فعطف
عليه ودعاه اليه باسم الثغر وسلمه المكافأة. ثم قال له: انى
سررت منك كثيراً

فأجابه : عفوا فالفضل لتشجيع سمو المليك المعظم

فسأله — ما اسمك يا بنى ؟

قال : اسمى « مصطفى كامل » . واذ ذاك همس فى أذنه

الضابط أن قل : عبد سموكم « مصطفى كامل » : فأعرض عنه

ثم قال له — كم سنك ؟

قال : اثنتا عشرة سنة . فأبرقت أسرة الجناب العالى ثم

عاود السؤال

فقال له — ما اسم والدك ؟

الحسن أنها جاءت مفاجأة وخير البشائر ما كان كذلك فضلاً
عن اعلانها في محفل حافل بين الجماهير من الأشباه والنظراء
وهو بينهم في حداثة سنه وتجلي مخائل النجابة والفلاح عليه
ملتقى أشعة الابصار والمخصوص بين تلاميذ مدرسته بالاعجاب
والاكبار

وقد أراد سعادة الشقيق البار الهمام أن يدل المترجم
على ما قام بنفسه من الفرح والسرور فأطرفه بالكثير من
الهدايا الغالية حتى اذا أصبح الصباح وتصد « الاتقياترو »
مع الطلاب كافة كان بحسن هندامه وما وقر في نفوس اخوانه
من احترامه ملتفة حوله الأحداق تنظر منه في الجدل الى
مثال هو خير مثال وتتمنى القلوب له على الزمان الأماني
والآمال

ولم يمض الا القليل حتى وافى مكان الاحتفال سمو
الخدوي توفيق باشا في موكب حافل وفي معيته نظار حكومته
وأقبل صاحب الدولة الغازي مختار باشا وأخذوا في امتحان
التلاميذ واحداً واحداً . وكان المرحوم الخديو السابق هو

قطع الانسان مرحلة من العمر سنة من سنن الطبيعة لا تتغير
ولا تتبدل

وذلك أن نظارة المعارف أقامت في تلك السنة احتمالاً
مهيباً لتوزيع المكافآت علي السابقين النابغين (ذلك أيام كانت
النظارة نظارة والمعارف معارف) في العلوم التي يتلقونها .
وكان مركز هذا الاحتفال في « أنفتياترو » النظارة فكان
المرجم التلميذ الذي كوفيء من مدرسة القرية

ولا تسل أيها القاريء عن مقدار ما استشعر الأهل
والأصدقاء من الجذل والهناء بتلك البشرى التي وقعت أجمل
وقع لاسيما من نفس سعادة ولي أمرنا شقيقنا الاكبر . فقد
طرب لهذا النجاح الذي كان يتوقعه للمترجم ويتوقعه معه كل
عارف بمواهبه الكريمة وذكائه الباهر واستعداده الظاهر .
بل أن هذه المكافأة التي تنطق بامتياز من نالها على غيره من
التلاميذ وتشرفه وترفع قدره لم تكن بالشئ الغريب قياساً
على المعروف من كفاءة الفقيه الشخصية وأهليته للحصول
على ما هو أكبر منها وأسمى . ولكن الذي أكسبها ذلك الوقع

لم يبق في الذاكرة من أسمائهم الا المرحوم الأستاذ الشيخ
العسال معلم الخط وحضرة الوطني الغيور محمد بك حبيب
المهندس الشهير وقد اتصفوا جميعا بصدق الخدمة والاخلاص
في تربية التلاميذ ولهم فضل كبير على كثير من العاملين

وكان قد عرف في المدارس الأولي ميزة السبق علي
الأقران وما يكون قسط السابق من الأجلال والأكرام
ووجد من نفسه العزيمة المطاوعة والمهمة الفائقة والتأهب
للوثوب الى معالي الدرجات في تلك المدرسة . وما هي الا
أسابيع قلائل حتى طفر الى الكرسي الأول وأصبح في مدرسة
القريبة كما كان في كل مدرسة انتظم في سلكها من قبل أول
التلاميذ وأوفرهم نصيباً من احترام ذلك الوسط الصغير

وحدثت في تلك الإثناء مسألة للقارىء بعد الوقوف على
بيانها أن يستنتج منها ما تعطيه هي بالبداهة ليعرف أن الصفات
التي يعرف بها كبار الرجال وهم في أدوار أعمالهم هي عين
الصفات التي يعرفون بسماها قبل أن يشبوا عن الطوق .
وانما الفرق بين الحاليين أن التدرج في الظهور والكبر كلما

لم يكن مصداقاً بوقوعها لهول الخطب وعظم المصاب . ثم
مالبت أن تحقق صدق الناعي حتى أقبل على والده يبكيه مر
البكاء ويكبر علي القضاء مصابه ويحتسب عند الله ما أصابه .
وقد أثر فيه الحزن تأثيراً سيئاً وبقي على ذلك أسابيع وشهوراً
لا يهدأ له جنب ولا ينعم له بال ثم وجد من التشجيع والترغيب
في الصبر ما ألهم قلبه السكون والعزاء وصرفه بعض الشيء عن
النحيب والبكاء

وقد سألت أخانا (سعادة حسين بك واصف) أن يبعثه
إلى مدرسة القرية الأميرية لأنها أقرب إلى المنزل الذي كنا
نقيم فيه من تلك المدرسة فأجابته إلى ما طلب وأرسله إليها
وهو في الحادية عشرة إذ ذاك

فراى منه الاساتذة والتلامذة ما بهر من الجد والذكاء
والحرص على أداء كل عمل في وقته بطريقة كانت أكثر
مما يطلب من أمثاله كثيراً ولكن النفس الكبيرة كما قلنا
دائمة الطموح إلى ما وراء الحد المرسوم

وكان في هذه المدرسة طائفة صالحة من خيار الأساتذة

ألا يهاجم الدرس بعد ابلاله مباشرة مهاجمة وإنما يتدرج في العود إلى أقل مما كان عليه من قبل تخفيفاً ورحمة بنفسه. ولكنه استأنف الدراسة بعزيمة أشد صلابة وإقبال أو في وجهه أوفر وعوض عما فاتته تحصيله وهو في فراش السقم في أيام معدودات حتى كان بعض العارفين بشأنه من رفقاءه في المدرسة ينصح له ألا يسرف في قوته وأن يقتصد في انفاقها بما يناسب درجة المدرسة وهو لا يبالي بما يقال له من هذا القبيل

وفي هذه المدرسة ظهر ذكاؤه الفائق وتجلت مواهبه العالية وظهرت أمارات استعداده التام فأصبح أول أقرانه. والمقدم بحكم النجاح على أخدانه. ولم يكن منهم أحد يجحد ميزة سبقه وفضل اجتهاده. وحبب فيه رفقاءه الذين كانوا يخالطونه ما عرف به بينهم من حسن المعاشرة ولين الجانب وتوقد الجنان والصبر على احتمال عناء المدارس ليل نهار غير خائف أعياء ولا شك من الدأب بلاء

وأدركت المنية المرحوم الوالد وصاحب الترجمة بعد منتظم في تلك المدرسة. ولما انتهى إليه نبأ تلك الفجيعة

النفس في الاستزادة والطموح أن يضعف لما تقدم من
الاسباب .

وكان ماخيف قريب الوقوع . فلم تمض شهرين على هذا
الجد المتواصل والسير الحثيث حتى مرض شهرين متواليين
مرضا شديدا فكاد يجهله بعد أن أبل من كان يعرفه من
قبل . وكان أثناء هذين الشهرين ينتهز فرصة خروج الطبيب
وخلو المكان فيتناول كراسات وكتبه ويعيد فيها النظر غير
حاسب للانتكاس حسابا على ما كان من تشديد المرحوم
الوالد عليه في تلك الفترة ألا يتصفح كراسة ولا ينظر كتابا
شفقة على ذلك الجسم النحيل أن يجتمع عليه بلاء السقم وتعب
الدرس المتواصل

وقد اقتضت مشيئته تعالى أن يتعافى من ذلك السقم
بعد أن قاومه ستين يوما ومن عليه وله الحمد والفضل العظيم
بالصحة وكذلك تدخر عناية الله جلت حكمته من مختارهم أبان
الطفولة ليكونوا في الشبيبة والكهولة رجالا نافعين

وكان من الواجب برا بجسمه « ان لبدنك عليك حقاً »

ولبت المترجم صارفا كل مجهوده في الدرس مقبلا عليه بكل حواسه ضنينا على نفسه بالراحة والتمهل مستعينا بالذكاء والذاكرة على استيعاب كل ما يلقي عليه وفهمه بأكثر مما يطلب ممن كان في ضعف سنه اذ ذاك. وكان ذا شغف بالقياس والاستنتاج في مسائل الدروس التي كان يطلب منه حلها غير مستعين في ذلك أحدا خلا ما كان يرسم في ذهنه من تقاسير المعلم التي تشمل القواعد والاصول في العلوم التي تدرس ولا تتناول المسائل والتمارين عادة الا بمقدار ما يدرب الدارس على الوصول الى الحلول من بيان حل واحد أو حابين ويترك الباقي لذكائه وفهمه. ولو كان يبذل من الجهد في عمل ما يطلب منه عمله القدر اللازم فقط لاستطاع أن يدفع عن جسمه النجيل ثقل وطأة الامراض. ولكن النفس الكبيرة مهما كانت الدائرة التي تحيط بها صغيرة دائمة الطموح الى ما وراء الحد المرسوم غير مقيدة بقيد اللزوم

وقد خاف الاهل والاصدقاء اذا مضى المترجم في هذه الخطة خطة تحميل الجسم ما فوق طاقته والزامه بمسيرة هوى

المغازى النافعة : وقد احتد شأن من يثق من نفسه أنه محق فيما يقول وما يفعل

فأمره الاستاذ بالصمت ثم أشار له بالخروج من الفصل ثم أنهى المسألة الي الناظر. ولم يقو المترجم على احتمال هذه الالهانة لانه كان أول فرقة تخرج من المدرسة في الحال لم يردده عن ذلك أنه قريب العهد بمزايلة مدرسة أخرى . وقد كان آتذ في العاشرة من عمره ثم قصد المرحوم الوالد وكان جالسا في أجزخانة فتحي أفندي أمام قره قول الصليبية ومعه المرحوم خورشيد باشا طاهر . فلما رآه والده في غير موعد الخروج من المدرسة دهش وتوقع شيئا جديدا فلقيه بالبشاشة والهشاشة . ولما قبل يده وسلم على الباشا سأله أبوه : لم أتيت : ؟ فأسرله المسألة في أذنه . فأخذه من يده وسار به الي المدرسة ولما وصل اليها قابل الناظر وسأله عن سبب خروجه من المدرسة فقص عليه الأمر كما وقع . ثم انتظر الأستاذ ريثما فرغ من الحصة وقابله طالبا منه الصنح عما جرى وأفهمه أن ابنه لا يقصد أن يشوش عليه بحال من الاحوال . بل هو مغرم بعلم التاريخ

وخشى المترجم أن لا يكون بين ماسيدرس من التاريخ
تاريخ مصر فسأل والده : «وهل سندرس تاريخ بلادنا وبلاد
آبائنا وأجدادنا - مصر» ؟ فقال له نعم فسكن واطمأن خاطره
وفي اليوم التالي قصد المدرسة وكانت الحصة الأولى
حصة اللغة العربية وأستاذه فيها اذذاك الفاضل السيد أفندي
الحسنى (مدرس العربية الآن بالمدارس الأميرية) فابتدره
بقوله : لماذا لا ندرس التاريخ يا حضرة الاستاذ لنستفيد من
دراسته مالا يستفاد من غيره : ؟ فأجابه : أنعم الآن مبتدئون
ولسكن سن تعليم . والتاريخ يحتاج الى ادراك كبير وعقل راجح
لانه مجموعة وقائع متشابهة الاسباب والنتائج وميدان فسيح
لصور عدة . وستلقونه بمشيئة الله في مدرسة التجهيزية : ولم
يرق المترجم هذا الجواب لانه شعر بأن فيه ما يدل على ضعف
ادراك التلاميذ ونزوله عن الحد المناسب لتلقي مبادئ هذا العلم
النفيس فقال له : يظهر يا حضرة الأستاذ أن هذه المدرسة
صغيرة أكثر مما كنا نتصور . لان عقولنا تفهم كل شئ فيها وقد
تعلمت قصصا كثيرة ألقاها علي والدي وكنت أفهم ما فيها من

أن أكون تلميذا في مدرسة أحد أساتذتها على ما ترى من
الجور والاستبداد»

فبما سمع هذا الحديث قصد المدرسة في اليوم التالي
وحقق المسألة أمام الناظر فشهد من سئل من التلاميذ بصحة
ما قل المرحوم فأخرجه من تلك المدرسة وأدخله مدرسة
السيدة زينب التي كانت أمام القسم وهي تابعة لديوان الاوقاف
وجاء يوما الي أبيه وقال له: متى يا وادي نتقي في المدرسة
مثل هذه السير التي تقصها علينا؟ فقال له: ان هذه القصص
موضوعة لتشجيع الناس وبث روح الهمة والاقدام فيهم ومنها
ما هو صحيح لا ينكر وقوعه. على ان ذلك ليس علما فانظريات
تدرس في المدارس ولكنهم سيلتقون عليك يا بني دروس التاريخ
التي هي حقائق ثابتة لا جدال فيها. ومنها تعرف غزاة أقدار
أولى النفوس العالية الكبيرة وذل مقام الخائنين ذوى النفوس
الصغيرة الوضيعة وكيف كان الحكم من الملوك والأمراء
يسوسون بلادهم وينتصر العدل على الظلم الي آخر ما لا يحصى
من الفوائد العائدة بالخير على دارس التاريخ :

وكذا الولد الذى يتحمل الذل لا يكون شجاعاً أبداً » فعلم أبوه أن وراء هذا القول سراً . ثم أراد أن يعرفه كما هو لينظر فيما يجب أن يتخذ . فسأله عن سبب رغبته فى ترك تلك المدرسة فحكى له الحكاية التالية :

« ان تلميذا اسمه لم يسرع فى الاجابة لما سأله الاستاذ . . . فأجبت بدلا منه فسبنى المعلم وجبسنى ساعتين . وهذا ظلم لأرضاه لنفسى ولا شك أنك لن ترضاه لى كذلك »

فقال له الوالد : ألم أقل لك : أن من دخل فيما لا يعنيه سمع مالا يرضيه : فأجابه « نعم . انى أعقل هذا النصيح . ولكنى خشيت أن يفوت الوقت بين اعتذار التلميذ الكسول وعقاب الأستاذ الصعب وفى هذا غبن لحقوق التلاميذ جميعا . ثم ان هذا الاستاذ قد عاقبنى عقابين على ما يعتقد أنه ذنب واحد . وهما عقاب السب وهو شنيع وعقاب الحبس وهو حق من حقوقه . ولذلك فانى لأرى الا انه تعدى حده . ولا أستطيع أبدا أن أصبر على هذه الالهانة مهما كان الامر ولو قتلتنى . فانى لأحب

على عاجز مقعد أو عجوز ضير . فلما سمع ذلك من أبيه أبرقت أسرته وانشرح صدره لهذا الحل المرضي وأحس كأنما ألقى عن كاهله حمل ثقيل وفعل ما أمر به

وكان إذا عاد من المدرسة يخلع ملابسه ويرتبها ترتيباً حسناً . فإذا فرغ من ذلك جلس بجوار والده ليقص عليه ما شاهد في يومه ويشكو إليه ما كان يشاهد من عناد التلاميذ الأشقياء لمشيئة أساتذتهم الصالحة أو مشاكستهم بعضهم بعضاً مبدياً على أثر كل قصة ما يناسبها وما يعتقد أنه الأشبه والأمثل من التصويب أو التخطئة

جاء إلى أبيه يوماً وهو عابس وطلب منه أن يخرجته من المدرسة ويدخله مدرسة أخرى . ثم أخ وتشدّ دظاهرة عليه سيما الجد والاصرار على تنفيذ ما يطلب . فراعته والده هذه الجرأة وقال له وهو غاضب : ان الولد الذي يدخل مدارس عديدة قبل أن يقوم عقله في احداها لا ينجح أبداً : وكأنما كان المترجم معاً جواب هذا الكلام . ولهذا لم يكدم المرحوم الوالد يفرغ من آخر لفظة منه حتى قال له « صدقت يا والدي .

ولما انتهى من القاء هذه الكلمات ظهرت عليه الحدة والشدة لكن بأدب وكمال . وكان مع المرحوم الوالد جماعة من الأصدقاء . فلما رأوا هذا الشمم العالي وتلك النزاهة النادرة أكبروا هاتين السجيتين أيما اكبار . وأراد الوالد أن يعرف ما انتهى اليه نجابة الطفل النجيب وأحب أن يصل الى أعماق نفسه ليعرف درجة الثبات فيها فنظر اليه مظهرا العناية والاهتمام الفائقين وقال له : وعلام أنت عازم وماذا تصنع بأمر ناظر المدرسة : ؟ فأجابه من فوره بما معناه : اذا أنا لم أذهب في مقدمة اخواني اعتبر تخلفي خطأ في نظر قانون المدرسة . واذا ذهبت ولم أقبل ما يعطي الي أسوة بمن هم معي كان ذلك بروزاً عن ظل الذوق . واذا قبلت اعتبرت نفسى فيما بينى وبينها آتما لأننى أكون قد خالفت أمرك الذى لا يمكننى مخالفته . وأراد أن يمضى فى القول . فأشفق أبوه أن يقيمه فى موقف بين الحيرة والتعرض لأذى العيون فقال له : اذهب معهم لترى ماسيكون ولا تأخذ النقود الا اذا أكرهت على أخذها . وحينئذ تصدق بها

والذكاء المدهش والشهرة الفائقة . وكثيرا ما جنى الآباء على الأبناء بغض النظر عن ملاحظة مواهبهم والمكات الخيرة فيهم . ولو فسحوا لها في السبيل بعد تمهيده وأجادوا القيام على حراسة هذه الكنوز التي تفضل كنوز العالم بأسرها لكان التاريخ غنيا بما يحفظ من سير النابغين والاذكياء القديرين

والحكاية التي أشرنا إليها أن المترجم وهو في التاسعة من عمره جاء الى أبيه يوماً بعد الانصراف من المدرسة في صورة تشعر بأن نفسه تضطرب اضطراباً وجنانه يغلي غليانا . ولما سلم سأله الوالد عما به وكان رحمه الله شفيقاً في حزم لينا في قوة يجيد وضع الندي في موضعه ووضع السيف في موضعه . فقطب المترجم جبينه وجالت الحماسة في صدره فانطلق لسانه يرسم على سمع أبيه هذه النبرات

« اننا سنذهب غدا الى سراي الحلمية لناخذ من الاميرة نقوداً احساناً وأنا لا أود أن آخذ شيئاً من هذه النقود لانك أمرتني أن لا آخذ قرشاً من أحد »

العالي الذي اتصف به المترجم هذه الحكاية التي نرويها
كما وقعت شأننا في كل ما سنورده في هذا الكتاب . لأننا
نرى في سردها معنى آخر غير حكاية الواقع وهو توجيه عناية
الآباء الى ملاحظة ما يبدو على الأبناء من مظاهر الانفعالات
التي تدل على ما يقوم بنفوسهم من الصفات ومراقبة ما يصدر
عندهم في طفولتهم من الأقوال والأفعال مهما كانت قليلة
ضئيلة . فان الوالد ذا البصيرة الباصرة يستطيع أن يكتشف
معدن ابنه ويقف على ما تتجه اليه نفسه أو يظهر عليها حب
السير فيه من الخطط والأخذ به من الأسباب طلباً للوصول
اليها . فان وجد ثمة من كل ما يمر به من أطوار وليده أية
أمارات من أمارات الاستعداد الفطري والذكاء الطبيعي والنبوغ
كيفية كانت درجته : كان من المتعين عليه أن ينظر فيما يعين
على اظهار هذه المواهب في صورها الطبيعية وتمهيد السبيل
لتجلى آثارها واذكاء نارها بروية وحكمة . فان كثيرين من
الأطفال تحتق مع انقضاء طفولتهم مواهب لو عني بتقويتها
واظهارها لكان في كل جيل مئون من أولى النبوغ العجيب

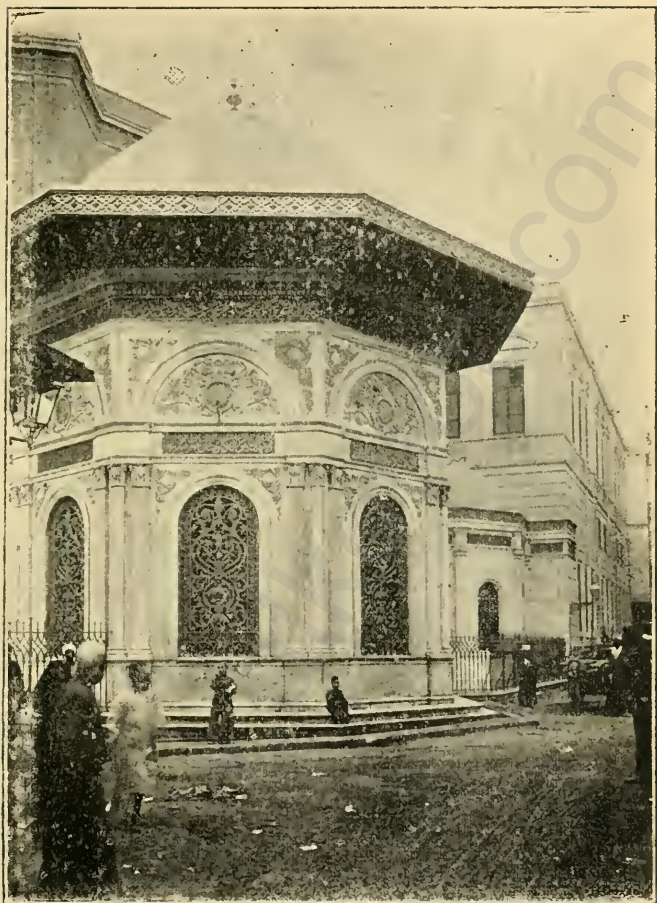
الحساب أكثر من كل علم آخر
ومن ذكر أن والدنا المرحوم كان من
المهندسين وقف على سر من أسرار الوراثة الثابت ناموسها
حيث تعلق صاحب الترجمة بهذا العلم تعلقا شديدا. وأكسبه
القوة والشدة فيه ما كان يتعبه به أبوه من المناقشة والمذاكرة
في آخر كل نهار وكان مما أعان على نبوغه في هذا العلم
ويقول الخيرون بالتعليم ان التعلق بهذا العلم وكثرة
الاشتغال به يكسبان العقل نقاء وسعة. وقد بلغ من تعلق
المترجم بهذا العلم أنه كان ينقش أبواب البيت أرقاما فلما منعه
الوالد عن الكتابة على الأبواب امتنع طائعا لأنه كان سهل
الانقياد الي واجب الأذعان في موطنه. ولو أنه كان صعب
المراس شديد البأس في بعض الأمور حتى أنه كان اذا راقه
لون ملبس مخصوص ولم ينله من أيه في الحال يقضى الساعات
الطوال غاضبا فلا يأكل ولا يشرب حتى يناله. وهذا مظهر
من مظاهر قوة الارادة في أبسط أشكالها
ومن البنوادر التي تدل بشكلها وموضوعها على الشمم

وحل بحلول العام السابع دور التعليم في المدرسة

التعليم الابتدائي

فأدخله الوالد مدرسة والدة المرحوم عباس الأول وهي المدرسة الكبيرة الطائفة الصيت الشيرة بمن تخرج منها من كبراء الوطنيين الذين يشغلون في البلاد أسمى المناصب الادبية الجليلة ذات الاثر البين في الخدمة الوطنية . أسستها المرحومة المبرورة والدة المرحوم المبرور عباس باشا الاول (في سنة ١٢٨٤) فالت شهرة ذائعة في الآفاق بتلقين المبادئ العالية والعلم الصحيح ولذلك كان من حظها أن نبغ فيها كثيرون من أهل المعارف الواسعة وقد أنتجت للوطن فوائد جمة وأصبحت في طليعة المدارس المصرية كافة وكذلك كل عمل يؤسس على الاخلاص ويقوم على الصدق يثبت ويشمر الثمار المطلوبة ويبارك الله حوله والله ولي المخلصين

ومكث فيها سنتين كاملتين كان أثناءهما متعلقا بعلم



﴿ مدرسة وائدة عباس الأول ﴾

www.alkottob.com

الزكاة في حينها قائماً بسائر الفرائض الدينية المطلوبة منه
شرعاً لكان منه في كبره رجل ورع عن الشبهات محافظ
على أداء ما عليه من الواجبات كل واجب في حينه . فاذا
شئت أن تطبع عقل ابنك على غرار مخصوص وتقرغه في قالب
معين فكن أمامه الشخص الذي تريده منه يكن ماتحِب .
وأما الذين يتمنون ولا يفعلون في المقدمة فلا تقع جريمتهم
الا فوق رؤوسهم وهم وحدهم المؤخذون

وقد حفظ رحمه الله بلا معلم وهو في السادسة من عمره
ورد السحر الذي يتلوه والده مع رفقائه في مسجد شيخون
وكان يتغنى به في ذهابه الي المسجد وايابه منه . وله قبل أن
يقطع هذه الرحلة آيات في الذكاء بينات ومرام في الادب
صالحات . ونحشي اذا نحن ذكرنا طرفا من بواهر الادلة على
توقد جنانه وصدق ايمانه وهو مشرف على العام السابع من
سنى حياته المباركة قبل أن يزداد جنانه توقدا وايمانه صدقاً أن
ينفسح أمامنا المجال

وقد انقضى بانقضاء عامه السادس دور التعليم في البيت

المدرسة أحضراه بينهما وأخذنا يلقيان عليه ويلقي عليهما من
الأسئلة الكثيرة ما يدور حول محور ما يحيط بهم من الأشياء
ويقع تحت الحواس من الموجودات والأعراض . وكان
ينهض في الفجر ليقرأ ما يتيسر من القرآن الشريف بصوت
جهورى بعد أن يصلى خلف الوالد المرحوم

ومن هذه النقطة يتبين لمن لم يعرف معنى القدوة. فإنها
كل شيء في التربية ان حسنة وان سيئة بل ان لها تأثيراً
في نفس الطفل دونه كل تأثير . وتجد كثيراً من الشبان
الصالحين المهذبين قد تلقوا تلك التربية بالأسوة الحسنة فهي
الى ان تكون طبيعية أقرب من ان تكون صناعية على حد
قول أبي العلاء :

حسن البداوة مجلوب بتطرية وفي البداوة حسن غير مجلوب
وعبثا يتعب الأستاذ في المدرسة اذا لم يكن له على تربية
الطفل عون من القدوة بمن هم في بيته . فعلي الذين يشكون
اعوجاج سير الابناء أن يعرفوا جنائتهم عليهم . فلو ترعرع
الصبي وكبر وهو يرى أباه مقياً الصلاة في أوقاتها مؤدياً

صاحباً هو المرحوم الشيخ أحمد السيد ليعلمه مبادئ القراءة
والكتابة ويحفظه القرآن الكريم

وذلك لأن نية المرحوم الوالد كانت متجهة الى حمل
الترجم متى ترعرع وكبر على طب العلم والدين في الأزهر
الشريف والتوسع فيهما حتى يكون منقطعاً لهما. ولكن كان
لله فينا ارادة غير ارادة أبينا. وقد أخذ الميثاق على معلمه أن
يجتهد معه في تجويد القرآن الشريف واتقان قراءته وحفظه
حفظاً يدور به على لسانه. وكان الفقيه يلحظ من المترجم
ميلاً الى التوسع في العلم كبيراً وارادة قوية وذكاء نادراً
ورغبة شديدة في الاستزادة من العلم حتى قال للمرحوم الوالد
على مسمع مني ذات يوم ان ولدك هذا سيكون عالماً كبيراً
لأنه يحفظ في يوم ما يقل أن يحفظ غيره نصنمه في يومين
فضلاً عن طلاقة لسانه وقوة ذاكرته واني الى الآن لا أعلم
أن في المتعلمين من هو أذكى منه قلباً وأقوى ذاكرة الا أن
يكون في الناس من لا أعرفه

وكان أخواه الكبيران سليمان وحسين اذا عادا من

ممرعا مخصبا اكثر من الامراع والخصب العاديين
واذكر ان المائدة التي كنا نأكل عليها جميعا كانت من
النحاس وقد نقشت على احدى نواحيها هذه الجملة : ملك
عبدالرحمن الشنواني سنة ١١٤ : وهي لا تزال عندنا الى الآن .
فكان كل منا يجتهد اذا جلسنا تتناول الطعام في جعل الناحية
المنقوشة عليها تلك الجملة أمامه . وتكرر مناذك فلحظ المرحوم
الوالد الامر . فحكم بأن يكون مجلس المترجم ساعة الأكل
بحيث تكون أمامه تلك الجملة التي كانت أشبه شيء بالزينة
لحسن نقشها . فسررنا لهذا الحكم ولم يجد منا الا الاحترام
والاذعان . لان الحب المتبادل بيننا على ماتقدم كان عظيما الي
درجة الايثار وما كان ذلك التنازع الا ضربا من المزح
لا أكثر . وربما لو وقع مثل هذا الحكم في هيئة شبيهة بهيئتنا
من حيث التكوين كان يجر وراءه ضغينة على المحكوم له
وشيناً من الاشتمزاز من مصدر الحكم
وقد أخذت أمارات النجابة وعلام الذكاء تزداد ظهوراً
في المترجم ولاحظنا ذلك منه يوماً يوماً فعين له والده فقيها

وضمه اليه وألقى علينا قصة جديدة بلذة وشغف. وانقضت الليلة وقسطنا من الاستفادة فيها أوفر منه فيما سلف ونحن نعجب بذكاء المترجم وحسن احتياله علي نيل ما يريد من اليمين اذا اعياه من الشمال. ولو كان ذلك الطلب قد قام بنفس غير تلك النفس لأحجمت عن الاحاح ووقعت بما بلغت من قبل ولكن الثبات وقوة الارادة يذلان كل شيء مهما كان صعبا وفي مثل هاتين الصفتين الجليأتين النافعتين يتنافس المتنافسون

وكان المرحوم الوالد يجمعنا أثناء تناول الطعام حول مائدة واحدة كما كان يجمعنا للصلاة على بساط واحد يعلمنا الاتحاد والاتفاق بصنعة عملية لا نظرية . وكثير من الآباء ينصحون لأبنائهم بأن يحبوا بعضهم بعضا ويكونوا روحا واحدة متوزعة على عدة أشخاص ولكن الفعل الواحد ينفيد ما لا ينفيد ألف قول . وخير للوالد الذي رزق نعمة الابناء أن يدر بهم نفسه على الائتلاف والحب بايجاد أسباب له دون الاكتفاء بحب الاخوة الطبيعي فانه يعتز ويكون متمكنا امكن اذا أضيفت اليه مثل هذه التجارب الكيمية ليكون

ثم جاس (الوالد) جلسنا حوله علي عادتنا وبدأ المترجم يستعطف أباه أن لا يحول تبعه دون أطرافنا بما نحب من حديثه العذب ومعانيه الجميلة . فاعتذر بما كان يحس به من التعب والرغبة في الاستراحة تلك الليلة . فلم يقنع هذا الاعتذار تلك النفس الطمحة القوية الأرادة ولذلك أخذ يستلين فؤاد الوالد تارة بابتسامه الجميل وتارة بدالة البنوة علي الأبوة وحينما برجاء الآمل وحينما بصلاية الحق . فأعاد الوالد الاعتذار ولم يكن نصيبه من القبول أكثر من نصيب الاعتذار الأول . ولكنه استحميا أن يعيد علي الوالد القول فأراد أن يحدث عنده تأثيراً من ناحية أخرى . وكنا قد رأينا من اللائق أن نعفي أبانا من عناء هذا الدرس في تلك الليلة ليأخذ حظه من الراحة ورأى منا المترجم ذلك فاقترب من أبيه يقول مامعناه اذا لم ترد أن تسمعنا شيئاً جديداً فتنفضل بأن تسمع مني شيئاً قديماً . وأعاد علي أسماعنا تاريخ بطل كان كثير الشغف به والاجلال له . وما زال ينتهي من قصة ويتدى في قصة حتى انبسطت نفس الوالد وزايلها ما كان قد لحق بها من الكلال والاجهد . فحنا عليه

عطفاه شأن الفائز . ولما فرغ من اعادة ما كان قد سمعه التمت أنظارنا حوله ثم صمتنا هنيئة معجبين بذكائه الفائق فرأينا الوالد قد رفع رأسه الى السماء وبسط يديه وقال كلاماً لم نسمع منه الا قوله : انك سميع الدعاء :

وكانت رغبة المترجم في استماع هذه السير تزداد يوماً فيوماً . والظاهر انها كانت تحدث في نفسه تأثيراً مخصوصاً . ولم نكن ندرى لماذا يلح علي الوالد اذا جاء موعد الاجتماع في « القصر » في الحديث اذا لم يكن قد بدأ به أو كان قد فرغ منه . كأنما هو كان يجده حلو المذاق بديع الطرب عنده موقظاً فيه همامة نفس ومذكياً نار عزيمته

جاء الوالد المرحوم الي المنزل يوماً وقد أخذه الاعياء ونال منه التعب . وما كدنا تتناول العشاء بعد أن استراح قليلاً حتى جمعنا المترجم وكنا أحياناً أن يريح الوالد نفسه من الحديث لأنه تعب في نهاره كثيراً علي ما ظهر لنا وكان اللقاء هذه التخصيص يحشمه شيئاً من النصب لصوغها في قالب مؤثق تقبله الاسماع وتقبل عليه النفوس

الوالد يجلس في مكان أعلى قليلا من أما كننا ليشرف علينا جميعا بنظره ونحن ملتفون حوله ويترنم بتوقيع بعض أناشيد حماسية تلقاها عن بعض فضلاء معاصريه ويشفعها بتلاوة كثير من سير الأبطال الفاتحين في الشرق والغرب قديما وحديثا مستخلصا لنا من كل قصة عبرا وعظات وراسما على قلوبنا من كل توقيع نبرات الشجاعة والاقدام ولتلك السير أطف مرور على أسماعنا

ولا أستطيع أن أصور ما كان للمترجم من الشغف بفهم تلك السير فقد كان يقبل عليها بحواسه كلها وكانت العبارات سريعة الارتسام في مخيلته . وأذكر من الدلائل على ذلك أن الوالد كان يتلو علينا مرة سيرة أحد أبطال الوطنية وقدمها أثناء الحكاية عن ذكر نقطة مهمة في القصة ثم ذكرها بعد أن تمت وفات موضعها ولم يرد أن يشير إليه وأراد أن يستعيدنا ما سمعناه فما هو الا كملح البصر حتى بدأ المترجم يعيد ما سمع حرفا بحرف . وقد ذكر تلك النقطة في موضعها الخلية به من سيرة ذلك البطل . وهنا أبرقت أسرته واهتز

الترجم) مرة واقفاً أمام سبعة من أولئك الابناء فكانوا
ككواكب الجوزاء وكان أمامهم الهلال المنير . شهدته
وقد وقفهم منفاً منظماً ياتمر بأمره وينتهي بنبيه ظاهرة عليه
سيما الجد . فتوقعت أنه اذا انتظم في سلك العسكرية يكون
ضابطاً ماهراً مهيئاً ولم اكن أعلم ماذا خبأ له الغيب من تلك
المنزلة التي تفضل منزلة الضابط ألف مرة :

ولما أوشك أن يجاوز الخامسة من سنى حياته الطيبة
المباركة كان يدرك كل شيء يقع تحت حواسه الادراك الذى
يقدر أن يتحملة من جاوز ضعفى سنه من الاذكياء . وله فى
تلك الاثناء حكايات أحقها بالذكر وأجدرها بالحكاية تلك
التي رواها لى أحد أصدقاء سيدى الوالد

وكان يميل الى استماع أحاديث الوالد فى كل غرض من
الاغراض . وأذكر أنا كنا جميعاً بعد غروب الشمس كل
يوم نجتمع فى قاعة كان يطلق عليها فيما بيننا اسم « القصر »
وهى قاعة فى الدور العلوى من منزلنا يشرف الناظر من
منافذها على مأذنة مسجد السلطان حسن . وكان المرحوم

تلك الخطاة

لأنه لم يكن في طبعه الميل الى اللعب كثيراً وربما كان مرجع ذلك الانصراف عن اللهو واللعب الى ضعف بنيته وعدم قوته . فالأولاد يميلون الى اللعب عادة متى كانت أجسامهم اكبر من رؤوسهم ولكن المرحوم خلق ورأسه اكبر من جسمه فكان لا يخرج من البيت الا ليستنشق الهواء مع خادم أو يقضى وقته بين أهله ولذلك لم يسمع له صوت بين أصوات أبناء أهل الجوار مما يجري عادة للأصغار في كل بلد من البلدان

.....

وكان الوقت فيما بين الثانية والخامسة من عمره مجالا لاضيقا ولا فسيحا لظهور مبادئ النبوغ . تلك المبادئ التي كانت في أول أمرها شيئاً معنوياً ثم عادت قوى محسوسة بتوالي الزمن . فكان مهيباً بين أبناء الاقرباء والاصدقاء الذين كانوا يزوروننا وكان زورهم محبوباً منهم مخصوصاً بمشايعتهم له حدثني محدث كان من أصدقاء والدي قال : شهدته (يعني

المرحوم الوالد فيما عسى أن يكون الباعث عليها وأخيراً التي في روعه ما تحقق بعد تليل أنه الصحيح . اعتقد أن السؤال صادر عن رغبة حقيقية في فهم الكليات عن حقائق الموجودات في الوسط الذي يشغله

ويؤثر عنه أنه قال بعد أن سمع من كثرة الأسئلة ما سمع وتوارد عليه منها ما توارد

« ان ابني هذا سيكون له شأن كبير لان عقله اكبر من جسمه » قال هذه الجملة التي حفظها عنه من سمعها منه ثم ترك للمستقبل تحقيق تلك الاماني التي تندرج تحت هذا التنبؤ وكان الله بتحقيقهين كفيلاً

في تلك السن التي تكون عادة مجال السهو واللهو للأطفال كان « مصطفى كامل » مشغولاً بغير ذلك . في تلك السن التي اعتاد فيها البناء في عامة أقطار المشرق أن تنصرف أذهانهم الى الالاعيب ويتعلقوا بالاضاحيك تعلقاً جماً ولا ينقطعوا عن البكاء اذا حرموا من شيء رغبوا فيه كان المرحوم قد خالف تلك السنة وجرى وهو لا يعلم على غير

على شكل مخصوص وبطريقة منظمة في وقت معين وتولية
الوجه شطر جهة لا يحد عنها أو رأيت طفلا يسأل أباه وهو
خارج من بيته في الصباح بما يفيد رغبته في الوقوف على
سبب الخروج في ميعاد محدود يعرفه الطفل بالتكرار أمامه
مثلا : فأيقن أنك لست أمام طفل فقط بل أمام بحاثة
في المستقبل

كثيرون من الأطفال يبصرون كل شيء ولكن قليلا
منهم من يسأل للوقوف على سبب الشيء وهذا مظهر من
مظاهر الفطنة : أنك تجد بين رجال النيابة موظفًا تقع في
دائرة عمله الرسمى جنایات كثيرة فلا يعرف من أسبابها
الموجبة لوجود الجانين أو الجانين الموجودين لأسبابها الا
قليلا وتجد من هذا الطراز موظفًا لا ينتهى معه دور التحقيق
حتى يقع على الجاني بعينه . ومرجع هذا التباين بالطبع الى
الفطنة فالأول يرى ولا يبحث والثاني يشاهد ويستنتج .
وقس على ذلك

وقد كانت كثرة أسئلة « مصطفى كامل » شاغلا لذهن

ونحن لا نذكر هذا لان في المترجم امتيازاً وخصوصية من هذه الوجهة على غيره ممن كانوا في سنه ولكن نريد أن نقول ان اعتماد الطفل في أداء أغراضه بصورة تشعر بما نفسه تمام الاشعار باحدى طريقتي الدلالة التي يعرفها الطفل معرفة ما وهما طريقة الاشارة مهما ضعفت والكلام مهما تقطع ونحف : على الجهد دون أن يكون كغيره دليل جديد على أنه سيكون داعم الركوز الى بذل الجهد في كل شأن يعرض له بلا تراخ ولا توان . وقد تقدم أن مظاهر الشيء تكون في العادة بحسبه وأول مظهر من مظاهر قوة العزيمة يمكن أن يجتديه في الطفل الباحث الاخلاقي اجتهاده في افهام ما يريد بشيء أوضح مما يفعل غيره على قدر الامكان

وكان المترجم بعد أن قضى سنتين وشهوراً من عمره كثير السؤال في كل ما يمكن أن يخطر على بال الطفل السؤال عنه فيما يحيط به من الاشياء أو يمكن أن يعرض له من الشؤون . فاذا رأيت طفلاً يسأل أباه بعد الفراغ من الصلاة مثلاً بما يفيد رغبته في الوقوف على سبب القيام والقعود

واذ ذاك يقعد الجسم عن مشايعة آمال النفس ويجدّ
ذاك في التخلف وتجد تلك في التقدم فاذا انفرجت مسافة
الخلف واشتد التباين بين القوى العقلية والقوى البدنية من
حيث كبر تلك وصغر هذه خيف على الانسان أن يسقط في
الميدان بعد أن ينتصر أو يتوقع النصر على الاقران
وقد ظهرت عليه مخائل الذكاء الفطرى وبتت على
جبينه أمارات الاستعداد الطبيعي الذي يخلق مع النفوس
المرموقة بعنايته تعالى. وهنا لا يسعني الا أن أترحم على المرحوم
الوالد العزيز الذي عرف كيف ينزل صاحب الترجمة حيث
أنزلته القطرة ويعينه على ما وجد عليه من نفسه القدرة
كان « مصطفى كامل » وهو قريب العهد بأيام الرضاعة
أى بعد أن فطم بقليل في الوقت الذى تكون فيه كلمة الوليد
اشارة أو مقاطع ثنائية وعبارته تؤدى بمزيج من حركة اليد
وحركة اللسان معاً يحمل جهداً عظيماً في أداء ما يتوارث على
ذهنه من المعاني بكلمات تدل بوضعها على ما يمكن أن ينتهى
اليه اقتدار الطفل على الافصاح بغير اعتماد على الجلبة والصيح

الحياة فيه وبرهان على استعداده الفطري للظهور. ونجد هذا الوصف في مئين من الاطفال ولكن يظهر من تتبع سيرتهم فيما بعد الطفولة أن الاوساط التي يقيمون فيها لا تجيد انماض هذه الملكة ان لم يكن لها يد في قتلها. ويقيننا أنه لو عني أبواكل طفل كثير الحركة في الطفولة بتهديبه وتشفيفه لكان لنا في كل عام من خفاف الحركة في طفولتهم أبناء متهيئون للنبوغ متى توفرت لديهم الاسباب. وفي نحول الجسم مع ما تقدم من الاوصاف شيء من الانذار كان والده يتقي جانبه بما كان له رحمه الله من سداد النظر وصدق الفراسة. وذلك أن نحول الجسم على شرط تلازم الصفات آتفة الذكر ينذر بوشك حلول اليوم الذي تثقل فيه آمال النفس على بناء الجسم لفقدان التكافؤ بين قوته وقوة النفس المنبعثة منها تلك الآمال. ومتى بدأت الأماني تنمو ومادة الهمم تتكون أخذت قوي الجسم تنقص شيئا فشيئا تبعاً لتلك الزيادة التي تجيء قليلاً قليلاً والله در المتنبى اذ يقول :

واذا كانت النفوس كبارا تعبت في مرادها الاجسام

وتحرسه عناية في كل حال

وبعد أن مضى على ميلاده الكريم خمسة أشهر سافرت
الأسرة الى نبروه التي كانت مقر الوالد حيث كان مهندساً
لذلك المركز . ومكث بها الى أن انقضى على مولده الكريم
أربعة عشر هلالاً ثم عادت به الأسرة الى مصر حتى اذا جاز
من مرحلة العمر عامين فطمته المرحومة والدته فكان
بعد فطامه :

قليل الأكل لامن سقم . جم النشاط لامن خفة .
كثير الحركة لافي مكدر . نحيل الجسم لامن اعياء
ويظهر لمن يعتبر في سير عطاء الرجال قديماً وحديثاً
أن هذه الصفات الاربع تكاد تكون في الطفولة وقفنا على
قلائل من الناس يدهش نبوغهم العالم بعد تجاوز هذه السن
وذلك لأن الاقلال من الطعام يلزم عنه صفاء جوهر
النفس ونقاؤه . وجم النشاط في الوليد مظهر من مظاهر
القوة التي تنبعث من روحه ومظاهر الشيء في العادة تكون
بحسبه . وكثرة الحركة من الوليد دليل على رسوخ عرق

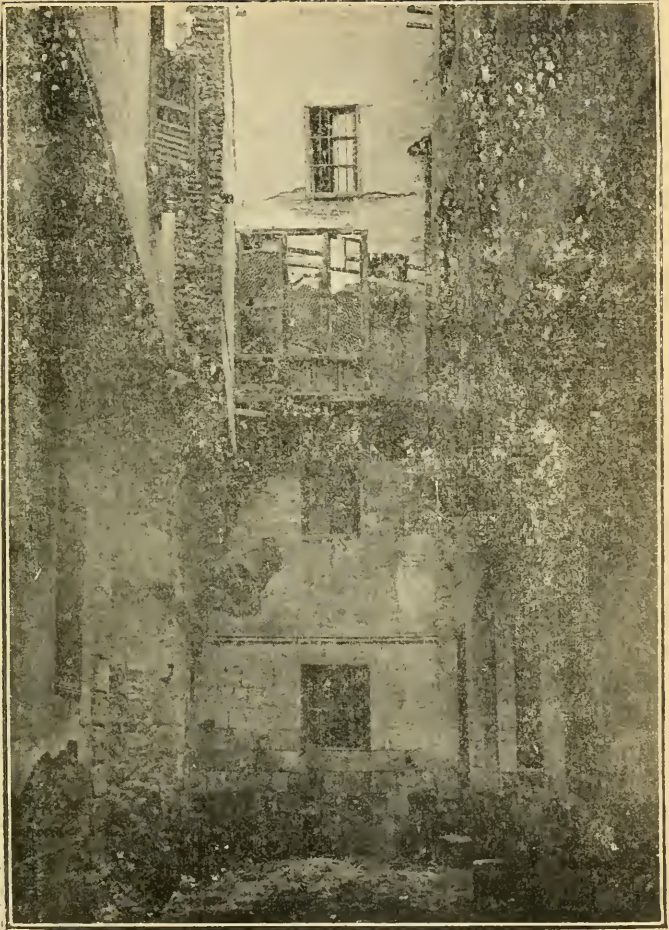
التي طاعت عليهم بهلول جبينه المشرق . فقد زيد مرتب والده
في اليوم الثالث زيادة سارة . ولولا أنني اكتب الآن كتابا
تاريخيا لتداوله الأيدي وتدارسه الأجيال لذكرت من
تلك البشائر كثيراً ولكن المسألة لا تختص الا بيت واحد .
فليس من اللائق اذاً أن أذكر غير تلك البشرية تبريراً
وتصديقاً للتيمن والتفاؤل بالخير اللذين وقعا من كل تلب
تجرى فيه شرايين ممتزجا دمها بدمنا اجمل موقع
وقد سهرت عليه العيون وانفتحت له القلوب وكان
كل ممن في البيت وممن بيننا وبينهم صلة قرابة أو صداقة
مكينة لا يملك نفسه من الجذل والحبور واستشعار الارتياح
والسرور كلما وقعت عيناه على « مصطفى كامل » في أبان
طفولته أيام كان ساهيا لاهيا لا يحمل أثقل عبء في الوجود
وكان الناظر اليه وهو في سكينه الاطمئنان وطفرة
المسرة يقرأ على جبينه المشرق ومعارف وجهه الميمون ما اكنه
الغيب في قلبه من تلك العظمة التي امتزجت بروحه أيما
امتزاج فيتهل اليه تعالى أن يصون لهذه الاسرة وولد الجلال

سيرة صاحب الترجمة

كان ميلاد المبرور « مصطفى كامل » في الساعة الثانية بعد غروب شمس يوم الاحد غرة رجب سنة ١٢٩١ هجرية في منزل والده المرحوم (بحارة درب الميضاة بشارع الصليبية أحد شوارع القاهرة الشيرة) وقد أسماه « مصطفى » تيماً وتفاؤلاً على حد قول القائل :

كأن أباه حين سماه (صاعداً) رأى كيف يرقى للمالي ويصعد
ولعل ثمة اشتراكاً قديماً في بعض الأحيان بين الاسم
والمسمى وللعناية نور في مرائيها . ولقبه « كاملاً » لما تحقق
أنه ولد محتوناً نظيفاً بعد ان كان قد لقبه بعلي وهو اللقب
الذي كان يعطيه الوالد لكل أولاده بحكم العادة الحكيمة
لتكون سلسلة النسب متصلة الحلقات

وقد استبشرت الأسرة كلها بمقدمه السعيد . في يوم
فضلت عندها غرته غرة العيد . لما رأت من بشارت الخير



﴿ جزء من واجهة منزل ميلاد الفقيد ﴾

www.alkottob.com

وكيلا عن ٣٢ عائلة وكان يسميه أهالي خط الصليبية « أبا
اليتامى »

توفي المرحوم في صبيحة يوم الثلاثاء ٢٣ جمادى الثانية
سنة ١٣٠٣ في البيت الذي ذكر على أثر سكتة قلبية وهو في
الثانية والسبعين من عمره فدفن في مشهد كبير سارت فيه
الجنود والكبراء والعزاء

وقد ترك المرحوم الكثير من النقود والمصوغات
والجواهر وتركنا ونحن صغار فتولى أمرنا من بعده بناء
على وصيته أخونا البار بل والدنا الشفيق المبجل حسين بك
واصف

هذه سيرة المرحوم والدنا موجزة أجملناها هنا ليحيط
القراء بها خبرا قبل ان نبدأ بسيرة صاحب الترجمة فتميد مصر
والاسلام والشرق المرحوم « مصطفى كامل باشا »

شقيقى فنظر فى وجهى نظرة تدقيق وقال « انك تشبه أباك »
فقلت « ومن يشابه أبه فما ظلم ». أتعرفه ياسعادة الوزير؟ قال
نعم أعرفه . وكيف لا وهو قد كان معيدا علىّ فى المدرسة
لانه كان اكبر منى سنا وأقدم عهداً. فسألته عن سبب تأخره
فى الرقى فقال ما معناه انه كان من جهة وحيد والدته فلم
يرض أن يسافر الى أوروبا مع أول ارسالية مصرية ومن
جهة أخرى كان شديد المراس ابى النفس لا يعرف التمليق ولا
النفاق وقد كنا جميعاً نحبه ونجمله كثيراً

وكان المرحوم دقيقاً فى أعماله خصوصية كانت أوعمومية
حتى انه كان يدون كل شىء فى أوراقه وقد ترك بعد وفاته
ضمن كتبه وورقه خمسا وخمسين نتيجة زمانية خمسة وخمسين
عاما وقد تل فى مصر من يعرف تاريخ ميلاده بالضبط كما
يعرف أبناؤه لانه قيد ذلك بخط يده وكان لا يغفل التوقيت
بالساعة مبالغة فى التدقيق

توفى الكثيرون من اخوانه وأقرانه فقام بالنيابة عنهم
فى تربية أبنائهم ومؤاساة عائلاتهم حتى كان يوماً من الايام

وكان رحمه الله بأشافي وجه أولاده يؤدبهم برهبة العين
ومارآيته في المدة التي قضيتها تحت ظله الضافي وفي حياته السعيدة
مديده ليضرب أحداً بنائه لأنه كان رؤو وفاشيقاً أبي النفس ولا
يزال بعض الذين يعرفونه على قيد الحياة الى الآن ومنهم
صاحب العطفوة المنتمضال الوزير عبد القادر باشا حلمي وسعادة

المهندس البارع عامر بك عبد البر وغيرهما

وكان رحمه الله يجمع في كل ليلة أولاده حوله بعد تناول العشاء
والصلاة ليقتص عليهم أحاديث الشهامة والنجدة ويعلمهم
الصدق والاخلاص ويدلهم على طريق الفلاح والعمل حتى
ينجحوا جميعاً نجاحاً أرضى الامة المصرية بأسرها

وكان تغمده الله برحمته يتفقد أحوال أولاده في مدارسهم
مرة في كل يومين أو ثلاثة ليقف بنفسه على سيرهم من علم
ومواظبة واطاعة وكان يستوصي النظار والمعلمين بهم خيراً

قصدت مرة منزل المرحوم المبرور علي باشا مبارك
ناظر المعارف المصرية مع أخي المرحوم مصطفى كامل باشا
لأنه كان كعبة الطلاب فقبلت يده بعد ان قدمني المغفور له

استمر المرحوم في خدمة المغفور له والى مصر سعيد
باشا الى أن جاء حكم اسماعيل باشا فأحيل على الاستيداع
ولكن لم يتم فيه طويلا حتى عين مهندسا ملكيا بنظارة
الاشغال وأخيراً أُحيل على المعاش في سنة ١٢٩٨ هجرية
ومن هذا يتضح للقارىء أنه خدم الحكومة ٤٨ سنة
كان فيها مثال المهمة والنشاط والذمة حيث قام في خلالها
ببناء الشكنات مع البانين وتشديد محطات السكك الحديدية
عند بنائها بالوجه البحرى وقد استدعته الحكومة المصرية
في عهد المغفور له عباس باشا الاول ليفتش على قلاع سواحل
البحر الاحمر ويقرر حالتها وقد قدم تقريرا ضافيا عملت الحكومة
بمشورته فيه ووكلت اليه أمر الاصلاح بها فتعهد بها ولذلك
كوفىء بالترقى الى رتبة اليوز باشى الثانى

وقد عنى رحمه الله بتربية أولاده تربية حسنة فكان اذا بلغ
الولد الخامسة من عمره دعا أحد الفقهاء الى المنزل لتلقيه
مبادئ القراءة والكتابة حتى اذا شب قليلا أرسله الى الكتاب
ليحفظ ما يستطيع من القرآن الشريف ثم يدخله المدرسة بعد ذلك

ثم اقترن رحمه الله بالمرحومة والدتنا في ٧ رمضان سنة
١٢٨٦ هجرية وهى كريمة المرحوم اليوزباشي محمد أفندى
فهيمى بن أحمد بن يوسف بن محمود بن ابراهيم بن حسام
الدين بن هارون بن على بن جمال الدين المدفون الآن فى ضريحه
ببلدة ابناس من أعمال مديرية المنوفية بمصر ويقام له مولد
سنوى لانه كان قطبا شريفا يتصل نسبه بالبضعة النبوية الشريفة
من فرع سيدنا الحسين رضى الله عنه

وانجبت المرحومة الوالدة كاتب هذه السطور فى يوم

الجمعة ١٩ الثلاثاء ١٦ شعبان سنة ١٢٨٧ هجرية . ثم المغفور له التقييد

العزير مصطفى كامل باشا فى يوم الاحد غرة رجب الفرد سنة

١٢٩١ هجرية ثم ثلاثة اولاد لم يعيشوا بعد ثم ابنة ثم حسن حسنى

أفندى كامل ثم ابنة أخرى وهى آخر خلف للمرحوم الوالد

فهو رحمه الله ترك من الابناء سبعة ومن البنات

اثنتين كلهم ولدوا فى منزله الذى كان شيده فى سنة ١٢٥٩

هجرية بحارة الميضاة بشارع الصليبية بتسم قيسون (الذى هو

قسم الخليفة الآن) ولا يزال هذا البيت ملكا لنا الى الآن

كريمة السيد محمد حجازي الذي كان نجله الأكبر السيد أحمد أفندي حجازي رئيس كتاب ديوان الري بنظارة الاشغال فأنجبت ثلاثة أبناء وهم المرحوم محمد أفندي على الذي كان صيدليا وقد توفي سنة ١٢٢٠ هجرية وهو في الثامنة والأربعين من عمره. والمرحوم سليمان أفندي علوى الذى بعد ان أتم دراسة الحقوق توظف بالمحاكم المختلطة وقد توفي سنة ١٣٠٥ هجرية وهو في التاسعة والعشرين من عمره ثم سعادة سيدي وأخي حسين بك واصف (الذى هو الآن مفتش رى مديرية النيموم) أطال الله عمره

وبعد ان انتقلت والدتهم الى دار النعيم في سنة ١٢٨٠ هجرية تزوج المرحوم الوالد بكريمة المرحوم عبد الرحمن أفندي خليل المهندس فأنجبت المرحوم عبد الفتاح أفندي فتحي الذى بعد ان تخرج من مدرسة الطب وكان المأمول ان يقطع في هذه المهنة الشريفة شوطاً بعيداً لشدة ذكائه وتمام استعداده واقته المنية سنة ١٣١٢ هجرية وهو في السادسة والعشرين من عمره

حفظ له ماترك أبوه من نقود وأرض وعقار

مكث رحمه الله بهذه المدرسة أربع سنين كان فيها مثال
الجد والاستقامة وكان أول أقرانه . ترقى في سنة ١٢٥٠ هـ
برتبة الملازم الثاني مهندسا طوبجيا وتعين معيدا في المدرسة
ثم نقل الى بلوكات المهندسين التي كانت تعمل في اقامة الكبارى
وبناء الشكنات . ثم رقى الى رتبة الملازم الاول في عهد المغفور
له والي مصر محمد علي باشا الكبير . والى رتبة اليوزباشى الثاني
في عهد والي مصر عباس باشا الاول حيث عين قومندان أحد
بلوكات المهندسين . ولما تولى المغفور له سعيد باشا ولاية
مصر رقاها الى رتبة اليوزباشى الاول وعينه ضمن أركان
حرب معيته

عرف القاريء أن المرحوم كان قد تخرج من المدرسة
وهو في التاسعة عشرة من عمره نلم تتوله والدته حتى زوجته
في الحال ليكون له خاف يخلفه وان كان لم يرزق أحداً من
البنين الا وهو في الثانية والاربعين من سنى حياته وكانت
زوجه سيدة شريفة يتصل نسبها بالبضعة الحسينية وهي

ولكنه لما ترعرع وبلغ العاشرة من عمره وظهرت نجابته أخذه محمد علي باشا الكبير مؤسس العائلة الخديوية وأدخله في من أدخل من أبناء التجار مدرسة طرده في سنة ١٢٤١ هجرية وكان من أقرانه الذين دخلوا معه المدرسة المرحوم البرور اسماعيل باشا محمد رئيس مجلس شوري القوانين

وحضرت معه الى طرده المرحومة والدته وكان قد اشترى لها المرحوم والده بيتاً فيها لا يبعد كثيراً عن المدرسة ليقيم به حتى يتسنى لولدها ان يراها عند ما يشاء . وقد أخذ والده وصية لناظر المدرسة « الذي كان يدعي سايم أغا » من علي بك مدير الغربية اذ ذاك ليأذن لابنه بالخروج من المدرسة في أى وقت أراد

بعد ان انتظم المرحوم الوالد في سلك المدرسة ظهرت عليه مخائل الفصاحة والذكاء ولاحت عليه سيما التقوى والصلاح اللذين لم ينفك عنهما حتى مماته . فمكث في المدرسة المذكورة خمس سنين ثم انتقل الى مدرسة الخانكاه وفي تلك الاثناء توفي والده وعين ناظر مدرسته « راسم أغا » وصياً عليه

سِنِّيَّةُ وَالِدِهِ

هو المرحوم المبرور على أفندي محمد ولد في غرة رمضان سنة ١٢٣١ هجرية في بلدة كتامه من أعمال مركز طنطا وهو أحد مراكز مديرية الغربية أكبر مديريات القطر المصري . وتلك البلدة كان يسكنها المرحوم والده السيد محمد ابن علي بن سليمان بن حسين بن مصطفى بن أحمد بن يوسف ابن حسن

كان والده يتجر بالغلal وكان جده السيد علي هو صاحب الثروة التي كانت بين أيديهم . وقد رزق السيد محمد والد المرحوم ثلاثة أبناء أحدهم صاحب الترجمة والآخران وهما سليمان وحسين توفيا الى رحمة الله وبقي المرحوم وحيداً وكان أصغرهم سناً

فعلمه والده القراءة والكتابة على أحد الفقهاء وحفظ قسماً من القرآن الشريف وكان في عزمه ان يهبه لدراسة الدين الخفيف

العظيم الذي زرع على ضفاف النيل شجرة الحياة المباركة
وتعهدنا بالسقي حتى قويت وأثمرت فعسى أن تذكي حرارة
الدرس في تلك القلوب الطيبة نار الشجاعة والاقدام فترتفع
أصواتكم مجتمعة وتلتقي أعمالكم متوحدة حول ذلك الغرض
الذي جاهد في سبيل الوصول اليه فقيدنا الكريم « مصطفى
كامل » ولا يصرفكم عن اقتحام المعترك انتظار أن يبدأ
منكم بادىء بل تقدموا جميعا وليكن كل واحد منكم بادئا
في هذا السبيل فربما كانت الفرص أمامكم كثيرة ومجال
العمل فسيح على الدوام

ولا يكفي أن يكون هوى « مصطفى كامل » في القلوب
وعلى الألسن بل يجب أن تتخذوا جميعا من سيرته مثالا
للجهاد الشريف والعمل الصالح لما يعز الاوطان ويرفع
شأنها ويعلي مقامها فليعمل كل منكم في الدائرة التي تحيط به
ولتلتفتوا جميعاً حول لواء الوطنية جارين على خطها عاملين
بسنها فان البلاد التي لا يخدمها أبناءها لا ينتظر أن يخدمها
أحد في الوجود والله ولي المخلصين

محمد فريد



﴿ محمد فرید بك ﴾

﴿ في الثانية والاربعين من عمره ﴾

﴿ ولسي سنة ١٢٨٤ هـ يناير ١٨٦٧ م ﴾

www.alkottob.com

ما يستطيعون لعلمهم اذا اعتبروا في هذا التاريخ الحفيل بالعظام
وهو تاريخ رجل مصر العظيم تاقت نفوسهم الى التشبه وامتثل
ما استطاعا اليهما سبيلا بمن نهض باعباء الآمال ناشط الكاهل
وانتصرأيا انتصار على كثرة الصديق المداجي والعدو الخاذل
ادرسوا أيها الشبان لتستفيدوا من سيرة ذلك الرجل
العظيم الذي علم العصاميين كيف يسودون وبين لكبار
الرجال كيف يموتون وكيف يحيون . ثم ادرسوا لعل فيكم
كثيرين من أهل الاستعداد الفطري والاستعداد الكسبي
للقيام بعظام الامور متى عرفوا من أى طريق لا دراك
الغايات والآمال يسرون

ادرسوا أيها الشبان لتستفيدوا من سيرة ذلك الرجل
العظيم الذي شرع لكم سبيل العمل الصريح الصحيح لعلمكم
اذا جاوزتم طور التأهب والنظر ظهر منكم أمام العالم أجمع
خدام للوطن أوفياء لا يبالون بالصعوبات ولا يخفلون بما
يقوم أمامهم من العقبات

ادرسوا أيها الشبان لتستفيدوا من سيرة ذلك الرجل

الخلافة الاسنى والاخلاص فى التبعية لجلالة مولانا امير
المؤمنين ودفعت شرور السلطة المغيرة عن السلطة الشرعية فى
البلاد؟ أليس هو الذى دعا منذ زمان طويل الى الجامعة
المصرية والى تقوية الاسطول الاسلامى ونصرة مشروع
السكة الحجازية الحميدية وحث المصريين على مؤازرة الدولة
العلية العثمانية فى مواقفه المشهورة وكسر يديه القويتين
ابواب السجن فأطلق أسرى دنشواى بعد أن جاهد ما جاهد
فى اسقاط العميد المستقيل عن عرش استبداده وكبريائه وكان
له فى مواطن النزاع بين الانكليز والعثمانيين تلك الحملات
الشديدة والصيحات المسموعة؟ وكم له فى خدمة الامة المصرية
والعالم الاسلامى من صنع مشرق الجمال وأثر ظاهر الجلال؟؟
انه خير لي أن أترك تفصيل ما حاولت اجماله الآن
الى حضرة صديقي العزيز المنفضال علي بك فهى كامل شقيق
الفقيه فأمامه مجال القول ذوسعة ليس بعدها سعة وأريد
الآن أن أنبه النابتة الجديدة وهم رجال الغد ودولة الآتى
وعماد المستقبل الى الاستفادة من هذه السيرة على قدر

تاريخ مصر القديم والحديث الذي استطاع أن يجاهر بقطع
الصلة الذاتية بينه وبين سمو الخديو المعظم بلا تردد ولا وجل
لما رأى أن مصلحة الأمة تقتضى ذلك وكان قدوة حسنة
للشعب المصرى فى انشاء المدارس الحرة الوطنية كما كان فى
صباه التلميذ الوحيد الذي أنشأ مجلة علمية وألقى خطبة
وطنية وكاتب كبار ساسة الانكليز مطالباً انكلترا بالبر
بعودتها والوفاء بعهودها فاغتبط فضلاء المصريين من كل
الطبقات وأعجبوا به فكانوا يحبون اليه الانتظام فى صفوفهم
اعجاباً به واكباراً لقدره وهم يتمنون على الله أن يكون
« مصطفى كامل » ذلك الرجل العظيم الذي بعث فى الأمة
المصرية على رأس هذا القرن ليخرجها من الظلمات الى النور
ويوقظ منها نائم العزيمية ويحيى فيها ضعيف الشعور فكان
ما تمنوا ورأوا أولاً وآخراً من تلك العظمة الممتازة الفارس
الحامى الذمار والبطل التسور المدافع عن الاوطان والمطالب
بالحقوق

أو ليس هو ذا اليد البيضاء فى الدعوة الى التعلق بعرش

بغيرها عقياً : فهو أول مصري رنّ صدى صوته في الشرق
والغرب وأول مصريّ ثبت على المطالبة بجلاء الاحتلال
وأول مصريّ بعث في المصريين هادياً الى طريق النجاة
والحياة وأول مصري رفع رأسه منأخراً بالانتساب الى
الوطن المصري والدعوة العامة الى الدفاع عن سمعته وكرامته
وأول مصري أقام الأعياد الوطنية والمواسم الاهلية مذكراً
ومحذراً وبشيراً ونذيراً . ويطول معنا تكرار قولنا أول من
وأول من فلتجاوز هاتين اللغظتين ونقل انه المصري الذي
قاد في حداثة سنه الامّة جمعاء وفيها الشيب والشبان الى
مواقف النضال ومواقع النزال ليذب عن الوطن المصري
وهزّ صوته الرنان وقلمه السيل عروش الامراء وتيجان
الملوك وناصب الظالمين المغتصبين العدا بصر وثبات عظيمين
وكشف سيئات حكومة الفرد الواحد أمام العالم المتمدن
وأحسن السفارة بين أبناء البلاد وأنصار الحرية في الامم
الراقية وجذب قلوب الجماعات من هؤلاء الكرماء الى
نصرة مصر بتأثيره وارشاده بل هو المصري الوحيد في

عظمة ممتازة وأن ذلك الذي كان واحد الآحاد أعظم عظيم
قام تحت سماء هذه البلاد

وكيف لا تكون عظمته كذلك؟ أليس لها هذا الأثر
الخالد في كل نفس المطبوع علي كل قلب الظاهر في كل مكان
المركب في كل صورة??

ألا ان نور الشمس لا تحجبه الأ كف وجمال الحقيقة
الساطع لا يتوارى خلف ستار وتلك العظمة الخالدة آثاراً
وما أثر أجل من أن يصورها قلم يضطرب من لوعة الآسى
بين أنامل لا تقوى علي امساكه فليهد لنا القراء العذر
متفضلين

لا أقول أني فيما كتبت وفيما سأكتب سأقضى واجب
التتويه بهذه العظمة الممتازة كبعض ما يجب وإنما أنا قائل
في القليل من آثارها القليل من القول يستدل به الناظر
في هذا الكتاب علي الكثير من العمل

اجتمعت في المغفور له « مصطفى كامل » كل الصفات
الواجب أن تتوفر في ذوات قادة الأمم والا كان السعى

الفاضلة وقامت من المبادئ الشريفة التي هي مرايا القلب
الشريف على أمتن أساس

تبيد الدول ويفنى الزمان وتخلف الأجيال الأجيال
وتبلى الشؤون شؤون ولكن عظمة « مصطفى كامل » لا تبيد
وذكره لا تنفى وآثاره المنقوشة فى صدور الجيل الحالى
ستنتقل بالوراثة الى الجيل الذى يخلقه فلا تبلى وان بلى الجديدان
وما ذكرت فيما تقدم أنه كان يحمل بين جنبيه قلبا كبيرا
خفقا بالآمال الكبيرة والأمانى الفخمة وان ذلك القلب
الكبير مستقر الفضائل التى من أخصها قوة الإرادة وصدق
اليقين والاعتماد على النفس والصدق والشجاعة والأمانة والسعى
فى الخير مستطاع الجهد والنشاط النادر وسرعة الخاطر مع
العلم الصحيح وقوة الخطابة مع الصراحة التامة والافصاح عن
المقاصد بلغة صحيحة سهلة مؤثرة الى مئين من أمثال هذه
الأوصاف سترد فى تضاعيف أجزاء هذا الكتاب الا أستدل
بامتياز تلك الروح السامية التى كانت تشع نورا وطهرا على
أن تلك العظمة النادرة المثال. الوافية فى الكمال. انما كانت

بنظرة وما زالت مصر مقر العظمة والنبوغ . ونعوذ بالله أن
نجد فضل أسلافنا فهم الذين علموا الاغيار الحياة كيف
تكون وما زالوا أحياء في التاريخ وان تقادمت على وفاتهم
السنون

ثم أعد نظراً في آثار أولئك العظماء تجدها أما قائمة على
ظهر البسيطة وأما قائمة في بطون الأسنار وأما قائمة على
كاهنهما معا وليس من العسير أن يقيم ملك من أضخم الأبنية
دلائل على ضخامة دولته في عهده وأن يأمر أمير بتدوين
سيرته في كتاب بل ليست قيادة الجيوش المدربة على الظفر
والانتصار وفتح المعامل والأمصار بالحديد والنار نهاية مظاهر
العظمة بل ان ثمة عظمة أعظم من تلك وأشرف العظم وشرف
آثارها الخالدة التي لا يهدمها معول ولا تذهب بذهاب صاحبها
علي مر الزمان

ومن هذا الطراز الأخير كانت عظمة ذلك الرجل
الكبير « مصطفى كامل » التي تألفت مادتها من عناصر
الفضائل الكاملة وصيغ معدنها الكريم من جواهر الخلائق

ويطبعون النفوس على غرار حبها طبعاً وهذه سيامم التي بها يعرفون

والتفاضل في أفراد الجنس الواحد بديهي لتفاوت
الاقدار والمنازل وما شا كل من الاعتبارات . واذا كان
الأثر دالاً على المؤثر كل الدلالة بل هو مظهر من مظاهره
وشكل من أشكاله فان العظمة الحقيقية تقاس وتقدر بما
ينبعث عنها من الآثار وما تتجلى فيها من الاشكال والمظاهر
ونحن اذا أردنا أن نقضى حق التاريخ وننزل عظمة ذلك
الرجل العظيم منزلتها من الصحة منصفين لا مغالين ولا
مقصرين وجب علينا أن نرجع في ذلك الى تلك الآثار
لنعرف ان كان قد قام في وادي النيل بطل من أبطال تاريخه
الحديث تماثل عظمته عظمة الفقيدم أنه كان الواحد في
أولئك الآحاد بجدارة واستحقاق

استعرض سير عظماء الرجال ثم اعتبر في الظروف التي
أحالت بهم فان للظروف علالة بالناس تجد أن آفاق هذه
البلاد قد أظلت كثيرين من عظماء الرجال والمصري ذكي

على نابتة مصر الذين غنوا بشهود الحقيقة عن تمثيل الخيال .
يبد أنهم في حاجة الى نموذج من العظمة حاضر ينسجون على
منواله ومثال من الكمال باق يتحلون بأساله

لا أقول ان تلك العظمة التي أعبي وصفها الشاعر
والكاتب على السواء جلت عن أن يكون لها شبيه في من
رأينا وانما أقول انها بنزولها في أخصب منبت في أسمى
نفس من نفوس المعاصرين زكت ونمت فكانت أماراتها
أظهر وأبهر . نعم ان صفات الكمال متى تساوت في درجة
الرسوخ تفاوتت في قدر المنزلة ولكن التوفيق كله في جمع
أشتمت تلك الصفات التي لا نجد لها علما تنضوي تحته أشرف
من العظمة وهذه قل أن تتضام أجزاءها في أكثر أعلام
الزمان وان تضامت وتجمعت فلن يكون ذلك الا في آحاد
قلال صافية جواهرهم صادقة بواطنهم وظواهرهم نزيهة
مساعيهم وسرائرهم

وهؤلاء الآحاد الذين ينبغ منهم في أمم الشرق في كل
حين واحد على الغالب هم الذين يكونون الوطنية تكويناً

من القبول والاقبال جزاء ما قدمت من المآثر الخالدة العظيمة
التي لا يحصيها عد والاثار الباقية الكريمة التي لا يعدها احصاء
لعلم كيف يجازى الاصفياء الأبرون وكيف يكافأ الاوفياء
الأكرمون

وتالله لكأني أنظر اليه وقد تمثل في عليين طيفاً نورانياً.
لا كما كنا نبصره من قبل بشراً سوياً . ورفعه الله تبارك
وتعالى في حظيرة الرضوان الأعلى الى أريكة لا تظل غير
المجاهدين فملاها جلاله وكماله وقد حفت من حول أريكته
أرواح الشهداء والفاتحين يتنسمون من روحه الكريمة عبير
الكمال. وينظرون الى الجلال تمثل في نفس والنفس تتمثل في
الجلال. وما كان عطاء ربك محدوداً

وحاشا لله أن أتوخي الغلو فيما أقول فتلك سنة الشعراء
لا المؤرخين وانما أنا أصف تلك العظمة العظيمة التي امتزجت
بتلك النفس السامية الكريمة كما يمتزج الهواء بالعطر وأسأله
تعالى أن يهني قوة التصوير لأستطيع أن أمثل في هذا
الدرس الذي ألقيه عن عظماء الرجال. وأمامي منهم هذا المثال.

يتصور أنه سيقوم من بينهم ذلك القائد الكريم والفتاح
العظيم فيقودهم الى مواقف الدفاع ومواطن النضح عن مصر
ويكون لهم الصوت المحكى وكل صوت آخر صدى له
والمحامى الطلق اللسان القوى الحجة والبيان والعصمة التي
يعتصمون بها كلما حدثت المطامع أهلها بسوء أو زين لهم
الغرور أنهم باقون في مصر زمانا طويلا

فكل روح في مصر سكنت جسما جاء من أبوين
مصريين أصليين لا تأبى أن تسيل فناء في نصره الوطن
المصرى العزيز والجامعة الوطنية المقدسة

فليت شعري الى أى حد بلغت تلك العظمة التي هي
احدى مميزات فقيدنا العزيز??

بلغت ولا مرأى الى الحد الذي قدر للنفوس السامية أن
تصل اليه من مراتب العظمة والسمو والكمال. فلم يكن وراء
غايتها غاية ولا خلف نهايتها نهاية. ولو كشف الله عن بصيرة
ناظر فرأى تلك الروح العظيمة وقد أفرغت عليها حلال
الرضوان والجلال ولقيت في نعيم الجوار مالم يلقه كثير مثلها

بل سل من شئت من أساطين السياسة ودهاة الرجال
فى العالم عن رأيه فى مصر أمس ورأيه فيها اليوم يجبك أنها
انتقلت من ظلمة اليأس الى نور الأمل وتقضت عن رأسها
غبار الموت واستقبلت بشائر الحياة وودعت ليل الخمول
والجود لتلقى فجر النباهة والحركة وليس هذا كله الامظهورا
من مظاهر تلك الروح السامية التى بثها ذلك المختار فى أمته
نخلقوا خلقاً جديداً وأصبح المصرى الذى كان ساهياً خافت
الصوت ضعيف الأمل مطرق الرأس ساكناً صابراً على
اهتضام حقه واحماء ماله من الأولوية والشأن الأكبر فى
بلاده تحت ظل الاحتلال يقظاً على الصوت عظيم الرجاء
رافعاً رأسه يجاهد بشجاعة وجرأة فى طلب الجلاء وعود
مصر الى حالتها الأولى قبل أن تبلى بمصاب الاحتلال وذلك
ولا جرم احد آثار الفقيده أو هى آية من بعض آياته التى هى
أبقى على الزمن الباقي من الزمن

وهذا هو الواقع المحسوس فان المصرى اليوم غير المصرى
أمس . قد كان يجزع من حفيف أتوابه فى رابعة النهار ولا

وصدورا ملئت بالرجاء فى قرب تحقيق ذلك الوعد الذى
بشربه ذلك الفقيد العظيم ??

جس خلال الاندية نادى نادى وطف ماشئت من المجمع
مجمعا مجمعا وتفقد المدارس على اختلاف نوعيها وتفاضل درجاتها
تجد الناشئة المصرية وقد توزع عليها بعض صفات ذلك الفقيد العظيم
فقلتهم من حال الى حال وعلمتهم أن جلال الوطن فوق كل
جلال وأنه انهدى بالأرواح والأموال فأصبحوا بسموتلك
الصفات التى قامت بها نفوسهم يعرفون كيف يحبون الوطن
المصرى وكيف يقابلون ذكرى منشئهم بالاجلال والتكريم.
ثم طف بعد ذلك على ماشئت من المجتمعات فى أى مكان من
أصغر قرية الى اكبر عاصمة تجد أن روح الوطنية المرفرفة
حول تلك الصورة المرفوعة من صدور المجالس فى المكان
الأشرف دائما تنفح صدور الناظرين والذاكرين بعبير الوطنية
الخالصة التى لم يكن أحد من شمال القطر الى جنوبه ومن شرقه
الى غربه يعرف عنها أثرًا يؤثر قبل أن تبشر مصر بميلاد ذلك
الفقيد وتشهد بعض آثار عمله الشريف الحميد

أضعاف أضعافها ان كان للمزيد فوق ماتقدم من مكان: قبل
أن أعرف ذلك الذى جاور ربه كريم الآمال والاخلاق
والمواهب ومضى الى رضوانه سامي الهمة والنفس والمراتب
حميد المائر والمزايا والمناقب المغفور له « مصطفى كامل » وما
قلت فيه والله على ما أقول شهيد الا بعض ما أعتقد أنه
صحيح ليس فيه من غلو ولا ريب

نعم ما كنت قبل أن أعرفه أعتقد أن فى صفوة بنى
الانسان من تسمو به فطرته ويؤهله استعداده الطبيعي
ومقاصده التى هى من صنع النفوس التى ليس لها طراز
الا بين جنوب المصطفين للقيادة العامة الى تلك المرتبة التى
هى أرفع وأسمى ما فى طوق غير الأنبياء والمرسلين الوصول اليه
ولقد أثمر جهاده الشريف ورأى قبل أن يختاره الله
لجواره ثمار هذا السعى المبرور يانعة فى كل مكان. أو ما ترى
أني التفت وجوها لم تنبسط بعد انقباض الأسي المعاوذ الا
وفى أساريرها اشراق الرجاء وعزائم وقففت على خدمة الوطن
عملا بارشاد ذلك الفاتح المجاهد بالقلم واللسان لا بالسيف والسنان

ويحتفى به الوطنيون ساعة الخطب المروع وهو أثبت من
الاطواد رأياً وقلباً اذا عز النصر وخيف الزيغ وأرهبت
القوة بل اني لم أعرف رجلا عظيما كانت الحمية الوطنية تشتعل
في بعض الصدور نارا وفي البعض الآخر نورا اذا أجرى
علي القرطاس قلمه الحر الكريم الهوى أو صدع على المنبر
داعياً الى الحياة والمجد والاستقلال وقد لظفت شمائله حتى
عادت نسيما يكاد ينشرموتى الآمال ويوشك أن يطيل آجال
اليائسين وكان شيطان اليأس وخصومه السياسيون الذين أظلمهم
حياوميتايفرون من بين يديه خوفا من قوة حجته وثبات عقيدته
وسمو عزيمته وطهارة نفسه وسليقته ولم أكن أعرف أن في
مصر رجلا عظيما صادق الكرم بنفسه ونقيسه ومجوداته
على كل ما يرق شأن الامة المصرية ذائدا بشبابة قلمه وأسلة
لسانه وخطرات قلبه عن حوض الوطن العزيز المقدس
مضحيا أشرف حياة وأكرم عمر في سبيل الاستقلال —
أقول لم أكن أعرف أن رجلا عظيما في مصر جمع الى هذه
المناقب التي يعز أن يجتمع اثنتان منها عند القياصرة والا كاسرة

أن وراء هذا الشأن شأننا أسعد حالا وما آلا وفوق هذه
الحال حالا أجل جلالا وأجل جمالا

واني لأغالي اذا قلت في وصف تلك العظمة التي رفعت
صاحبها وهو غض الشباب الى ما فوق مصاف الشيب من
المختارين في الأمم قديما وحديثا أني لم أعرف رجلا عظيما
أعزته الحمية وسودته النفس وامتلات روحه السامية الطاهرة
بكبار الامال ونخام الأمانى وبلغ ما لم يبلغ اليه شرقى في دوائر
السياسة العالية في أوروبا من النفوذ والاعتبار وجعل لمصر
العزيزة مكانة محترمة ومنزلة رفيعة في المشارق والمغرب فلا
يذكرون هناك الحياة الوطنية الا ذكروه ولا يجدون
كرامة الوطن المصرى الا مجدوه ولم أعرف رجلا عظيما
كان اذا أرسل نفسه هادئا تحركت سواكن القلوب وحييت
الامال في الصدور واذا أرسله عاليا أقام وأقعد ووعد
وتوعد حتى بلغ من شأنه أنه كافح الاقدار وواصل في خدمة
أمته بالنزاهة النادرة والصدق المكين والاخلاص الكامل
آناء الليل بأطراف النهار فكان علما تستظل بظله الوطنية

المنوار وفي النزال البطل الشجاع الكرار
بل كان كل أثر من آثاره العظيمة فكراً ما لثارأس
الوجود وكان ذلك الهيكل النوراني الشريف هيكل المجد
الوثاب وكانت تلك النفس العظيمة أشرف نفس استنشقت
هواء النيل ولا عجب بعدئذ إذا كان من ألقابه بمحق وجدارة
أنه باني أركان هذه الحركة الشريفة وموقظ الوطنية في
صدور المصريين ومنشئ الجيل الجديد ومكون مصر الفتاة
وتلك المزايا التي أحصى النجوم ولا أحصياها هي التي
أتاحت له أن يتصرف في ملك القلوب التي انطبع عليها بطبع
صورته في صميمها أشرف وأقدس المبادئ والنضائل وأرق
الصفات التي يمكن المصطفين في الامم وهم قلال أن يجمعوا
بينها فتظهر بهم ويظهرون بها في المظهر الأسمى الأسمى
لأرب أن ذلك البطل الخالد أقدر فاتح استطاع أن
يفتح أفتال القلوب ليضع في صميم كل قلب نفساً من أنفاسه
الطاهرة وسراً من أسرار الحياة الباهرة فغرف كل مصري
من معاني الوجود ما كان مجهل من قبل وتعلم بالعيان والحس

واستبسالا في الذود عن كرامة الأمة العزيزة وشرف الوطن
الأقدس الأعز بل كان الدساسون والمحتلون يخدمونه من
حيث لا يتوقع بما يضعون في سبيله من العراقيل لأن كل
عقبة وضعت أمامه كان يهيبه لاجتيازها قوة يفوق طور
العقل تصويرها فيدهش المحتلون لتلك النفس التي لا تني
من التربص للعظام. ولتلك العزيمة التي لا تعدلها العزائم.
ولا عجب فما كان فقيد مصر والاسلام والشرق الا جيلا
شريفاً ظهر في نفس وأمة عظيمة تمثلت في ذات وعالم اقوياء
اجتمع في انسان وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء

ظهر في مصر « مصطفى كامل » وشمل المصريين
أجزاء ولكل جزء لواء فلم يرعه الأمر ولم يلتو عليه القصد
فسعى ماسعى وعمل ماعمل وجاهد ماجاهد حتى تماسك
كيان الأمة وتعارفت الوجود وزال ذلك التناكر ثم اقتحم
المجال تقدمه مهابة المحق وحواله نطاق من الأنفس والقلوب
فكان قلب الوطن الخافق ولسانه الناطق وعزمه الصادق
بل كان في يد الحق السيف البتار وعلى متون المصاعب الفارس

بها هي الأساس المتينة التي بنى عليها وترك لمن بعده اكمال البناء. ومضى كريم المآثر والهمم والأبناء. متحملا في سبيل ذلك الجهاد العنيف الشريف أصعب وأثقل ما يمكن أن تتحمله كواهل الألوفا المؤلفة غير شاك من ذلك نصبا ولا تعباً نهض في الوقت الذي تحامى فيه كل مصري أن يناقش المسألة المصرية ولو فيما بينه وبين نفسه لتسلط الرعب على القلوب اذ ذاك فعرض نفسه لمخاطر السياسة ودسائس الافاكين وهو يري جيش الاحتلال ذاهبا آتيا ووراءه والأساطيل الضخمة والجنود المعبأة على شواطئ بريطانيا العظمى فلم يخفل بشيء من هذا ولا اضعف يقينه ولا ثلم حد حميته ما كان يحس به من خطورة أعظم مهمة لا يأخذها على عاتقه الا أعظم عظيم ومن وعورة السبيل الذي يسلكه لرد تلك الغارة الشعواء واللقاء مقاليد الحكم بين أيدي المصريين بعد استخلاصها من أيدي الغاصبين السالين وما كانت تزيد تلك العقبات والمصاعب القائمة في العمل لتحرير رقبة الأمة من ربة الاحتلال الاعزيمة ومضاء وثباتا على اليقين

مستوليا علي السن عقدت من الخوف وأقلام أنهدت من
الرهبة ومبادئ توارت من الخشية وفي المصريين اذ ذاك
كما فيهم الان وفي كل أمة شبيه شأنها بشأننا الماضي رجال
كثيرون من ناس جاوزوا طور الكهولة وناس في طور
الشباب وربما كانت وسائل العمل متوفرا بعضها فيهم
ولكن الاحتلال الذي رهبوا جانبه واتقوا مغبة الجهر
باتقاد تصرفه والاحاح في طلب جلائه أقام من سلطانه
المغتصب وسطوته الموهومة حاجزا حصينا حول بين الاصوات
ومنافذ الغرف فكان ذلك الفقيه العظيم الذي لا أسميه اجلالا
ومن كان طيفه نورا في الاجفان وآثاره الكريمة خالدة على
الزمان في غنى عن التسمية: أول مصري استطاع بلا كلفة ولا
تهيب أن يرفع صوته العالي مطالبًا بالجلاء ويجرد من قلمه
حساما ماضي الحدين يثبت به أحقية هذا التلم العدل
ويذيع في الناس مبادئه الشريفة المنطوية على كل ما يكفل
لهذا البلد الأمين عود ماضي مجده وهذه المبادئ التي فطم
نفسه عن لذائذ الدنيا ليؤيدها ويشرب القلوب حبها والعمل

أشد جمودا من مزاجه الثقيل ?? ففما يحي موات الهمم ويعيد
المشاعر سيرتها الاولى وهو خير من تمثل قول القائل :

نبى كما كانت أوائلنا تبنى ونفعل فوق ما فعلوا

ونهمض يستجيش العزائم ويستنفر الانفس الحساسة

مثابا منصورا

رأوا رجلا عظيما من المصريين قام يوقظ الامة بعد
ان طال اغفائها واستوى صبحها ومساؤها ويقول لها أيتها
الامة الكريمة فى الامم انك حقوقا سلمها الغاصب فطالبه ولا
يوئسك المطال فهو سجية الغاصب الى حين

وأخيرا رأوا رجلا عظيما من المصريين وهو فى حركته
وسكونه وقعوده وقيامه وغدوه ورواحه يضرب على الاوتار
الحساسة من القلوب وينفيس ما جمد من الارادات فى النفوس
ويستثير ما كمن من القوى فى الصدور حتى جند من الميل اليه
والانعطاف عليه عسكريا جرارا وقف فى مقدمته يناقش الطامع
الغاصب الحساب وكل شىء عنده فى كتاب

رفع صوته وانتضى قلمه وجاهر بمبدئه حين كان الجبن

الذى كان اذ ذاك مستحكما الخلقات رأسا على عقب ويقيم من
الامل الذى كان ضئيلا مستضعفا ذليلة وطيدة الاركان
متماسكة البنيان

رأوا رجلا عظيما من المصريين قام يديث في صدر الامة
من عقب العناية الالهية التى تولته في كل ادوار جهاده الشريف
روحا جديدة ويذكى في نفوسهم عزائم توارت وراء الصبر
على المقدور زمانا طويلا ويعلمهم كيف يقاومون ذلك التيار
تيار الاحتلال الذى كان يأخذ كل سفينة من سفين الآمال
غصبا وكيف يحبون الاوطان الى درجة الفناء فى نصرتها بلا
من ولا تأخر وكيف أن صاحب الحق منتصر على مغتصبه
منه أيا كان المغتصب وأيا كان المطالب

رأوا رجلا عظيما من المصريين أبى أن يرضى لامته
ذات السيرة الحميدة فى السير والصفحة المذهبة فى التاريخ
الصبر على ذل الاحتلال ولو كان المحتلون من حملة العرش.
ويرفض السكون الى ظله ولو أنه مستعار من ظلال أشجار
بالجنة. فكيف بهو المحتلون أعداء مصر على وجه البسيطة. وظله

صوتا أول ماهزّ بناء اليأس فتداعي وانقضت حجارتة تباعا
ثم استمال الي الحياة أبناء وادي النيل الأعراف وما جهلهم
ولكن جهلوها ولا نكرتهم بيد أنهم أنكروها وأغرى
بالخلاص من ربقة الاحتلال هذا الشعب المحب الوديع
الذي بوغت من حيث يدري ولا يدري بتلك الدائمة الدهماء
وما زال ذلك الصوت العالي يرن تحت هذا الأفق رنيننا متبعا
حتى اخترق الحجب وهتك السجوف واستقر في القلوب لافي
الاسماع ثم جاوز منطقة النيل وحملت البرد صداه الي أنحاء
العالم كافة فتسمع دهاة الرجال وأساطين السياسة يريدون
أن يعرفوا ماهنالك

فلم يمض الا القليل حتى رأوا ماهالهم . رأوا رجلا عظيما
من المصريين بعث فيهم على حين فترة وبعداً ان ذهب الظنون
في هذا الوطن العزيز كل مذهب ثم نهض بهمته نهوضاً أذل
أعراف العوائق واستدعي الاعجاب والاكبار حتى من
أشد الخصوم السياسيين وطأة علي مصر
رأوا رجلا عظيما من المصريين قام يقرب دولة اليأس

الاعلى أن نعمته لا تخص أمة معينة في وقت دون وقت وأن رحمته التي وسعت كل شيء لا تضيق بشعب دون شعب فبعث في المصريين رجلا عظيما اصطفته عنايته العظيمة من القدم لينفض عن أعطاف هذه الامة الكريمة غبار اليأس ويمسح من عيونهم قذى الاستسلام ويضن بهم على المهانة وذل المقام ويهيب فيهم بصوته الذي يقطر حماسة وبيانه الذي يتدفق غيرة وسجرا: أن جاهدوا أيها المصريون في سبيل الحرية والحياة فقد جاءكم بكتيهاما البشير

فأفاق المصريون من ذلك السبات العميق ونهضوا مشتبكة أحداقهم ملتفة قلوبهم حول هذا الداعي البشير وتأملوا فاذا مصرى من لب الامة وصميمها نهض بهذه الدعوة المباركة ونور الحق يتلأأ على جبينه كما تلأأ من قبل على جبين الهداة الأبطال ولعنايته تعالى مغدى ومراح حول ذاته الكريمة وله من الحق ظهير ونصير

نهض رضى الله عنه وعلى وجهه سيما الهداية وفي معارفه قبس التوفيق فأرسل من صدره المملوء حكمة وأملا ويقينا

القلوب وانعدت الالسن حتى عن تبادل الشكوى وخفت
الاصوات حتى لم يكن يكاد يسمع لمصر أنين من بلاء حاضر
ولاحنين الى مجد غابر ولمصر في كتاب الدهر التاريخ الذى
يدعوها الى الكرعى الآثار دون الوقوف لتشيعه بالابصار
فلما بلغت الروح الحلقوم وغلب اليأس الامل وأوشك
ألا يبقى فى قوس الرجاء منزع تلفت المصريون يفتقدون
النصير ويلتمسون المحير وينذرون للرحمن النذر ان فرج عنهم
الكرب وبعث فيهم رجلا عظيما منهم يقاتل الخضم واليأس فى
آن ويقاوم أعاصير الحوادث مهما جرى على خطته الزمان ليكون
وراءه صفا صفا وهم مسرعون الى تلبية ندائه كلما نادى
مؤمنون على دعائه كلما دعا وللعناية نور فى مراتبها

وفياهم يودعون الحياة ويصافحون الموت ويوطنون
النفس على احتمال المكروه الى النهاية حتى يأتيهم أمر الله
وتحق عليهم الكرامة بما فرط أولئك الذين قاموا بالثورة
فأذكوا نارها وشبوا أوارها أو تمن عليهم المقادير باجلاء ذلك
البلاء حين تشاء أراد تبارك وتعالى أن يعلم الناس وله المثل

ومزاجه الثقيل خصما يبتز من أيدي أبناء البلاد ما لهم فيها
من الحيشية والاولوية ووسلط عليها جندا آخر من مركزه المريب
وسلطانه الموهوم رجاء أن يضربها الضربة الاخيرة فيتوارى
الحق ويظهر عليه الباطل وكان ذلك محالا

فكان المصريون يهمسون بالشكوى ويتواصون بالخذر
والصبر ولا يستطيعون الجهر بالتألم من سوء ذلك التصرف
لانهم فوجئوا مفاجأة بالاحتلال ولم يغن عنهم شيئا ذلك
الاعتقاد الصحيح اعتقاد أنهم أصحاب الشأن في بلادهم وأنهم
أمة مستقلة استقلال اداريا خاضعة للدولة العثمانية العلية صاحبة
السلطة الشرعية على البلاد كما أن العلم بأن ذلك الاستقلال
مضمون بالمعاهدات والفرمانات لم يكن ليلاطف شيئا من
حزنهم لما جرته تلك الثورة التي كانت بلاء محضا وشرا
صرفا على البلاد فضرب اليأس على ضفاف النيل ولم يكن
غيره حرا من قبل وكاد ينقطع عرق الرجاء من كل صدر وضعف
الامل في الخلاص من ذلك البلاء المخيم في طول البلاد وعرضها
تحت اسم الاحتلال الانكليزي فتضايقت النفوس ووجلت

من أغرى بالتعاون على انتهاب موارد الرزق ومرافق الحياة
التي كان المصريون أحق بها وأهلها وشن على هذا الوطن
العزیز الغارة أثر الغارة تارة في شكل الصديق الذي يغار وتارات
في صورة العدو الذي يجاهر بالعداء وما يكنه أعظم وحارب
الذكاء المصرى الفطرى فى دوائر التعليم المصوغ من معدن
المآرب السياسية والاهواء الاحتلالية وضيق النطاق على اللغة
الاهلية ليقطع بين السلف والخلف تلك الوصلة المكيئة
والجامعة المتينة جامعة اللغة وضرب على المدارس نطاقا من
غلاء الاجور ونقص العلم والاستهانة بالتربية وأخلى منصات
المناصب الاميرية والوظائف الرسمية فى حكم البلاد من النوابع
المصريين الذين يستطيعون أن يشرفوا قدر أمتهم ويدلوا على
مالامة المصرية من عظيم الاهلية والاستعداد الباهر لحكم
أنفسهم بأنفسهم وأثقل عاتق خزينة الحكومة بما تدفعه من
المرتب الباهظ لجيش الاحتلال الذي بدأ معين معين وعاد آلاف
آلاف ولم يذرو وسيلة للنكاية فى الامة الا تذرع بها واتخذ الكيد
لها ماشاء الاستبداد والاستئثار وجمع لها من سيطرته الغاشمة

من هذا ترى أن عظماء الرجال أفراد يعدون على الأصابع
يوجدهم الله من حين إلى حين في الأمم ليأخذوا بيدها ويدفعوا
بها إلى طريق الحق طريق الحرية والإخاء والمساواة
وما كانت مصر إحدى الأقطار التي وهبها الله مزايا
قل أن يجدها الإنسان في قطر آخر من جودة التربة واعتدال
الأقليم كان خروج أبنائها منها نادرا لتوفر أسباب الراحة
فيها ولذلك حافظ أفراد الأمة المصرية العزيزة على وجه
الشبه بين بعضهم وبعض كما نرح اليها الكثيرون من كل
طرف من أطراف المعمور ليسعوا في مناكبها ويأكلوا من
خيراتها. ولكن هذا التزامهم كان مقصورا على ميدان العمل
خارج هيئة الحكومة فمما نزل الاحتلال بأرضنا باسم نشر الثورة
الأمن بعد الثورة العراقية المشؤومة تمادي في تداخله وأكثر
اغاراته وغزواته حتى جار على مصاحبها الحيوية وبدل المصري بكل
جنس في حكومة بلاده ووقد الرثاسة في كل فجع للدم الانكليزي
واستعان على سلب حقوقها الطبيعية والشرعية بما هداه إليه
دهاء القموة وخبث السياسة من الوسائل والأساليب وأغرى

فأَسْ ما لَ قائِدِ الشُّعورِ هُوَ قوَّةُ الخُطابَةِ الَّتِي لا يَختَلِفُ
اثنانِ في مِضائِها وِثِقوُذِ مَنعولِها

وانه اذا كان لتأثير قوة الخطابة هذا المكان الجليل من
الأرواح فقوة اللغة لا تقل عنها بل هي مغزاها المنعش وقوامها
التماسك . فخطيب الذي يخدم مبدأً تميل اليه القلوب وتصبو
نحوه النفوس اذا كانت لغته عذبة فصحي سهلة الفهم على سامعيه
كان له على الافئدة من الفعل ما للشمس في الحياة أو القمر
في تبديد الظلمات

كل هذه النضائل اذا تحي بها رجل لا يدخل اليأس
على فؤاده بل يعتصم بالصبر والثبات ولا يلتفت الي ما يقف في
طريقه من تهديد العدو أو نفاق المنافق أو خيانة الخائن استطاع
أن يذل كل صعب ويصل الي بغيته ويؤدي لامته أكبر
خدمة

وهذه النضائل منها ما هو وهي يهبه الله من يشاء من
عباده فلا قدرة لمخلوق أن يبلغه بمحض ارادته . ومنها ما هو
كسبي وهو ما يستطيع كل امرئ أن يناله بجده واجتهاده

بل ان خطابا واحدا مؤثرا ينعل في العقول . ما ينعله الغيث
في الحقول . فلهذا على اثر منفعوله تترعرع الاغصان وتزهو
وتثمر . وذلك يتوى سيال القلوب الطاهر فيقربها بعضهم
بعض ويخرج منها قوة تكون اقرب الى نصره الحق منها الى
الباطل فيظهر الخفي لكل مغرور ضعيف العقل وتضيء معالم
الحقيقة كما تضيء الشمس في كبد السماء

لان اجتماع الآلاف من القوم في صعيد واحد ليس في
الواقع الا احتشاد قلوب بشرية طاهرة حساسة ساقها اليه
حب الوقوف على دقائق القضية المطروحة امامه . وما بالكم
بقضية هي أم القضايا بل أول وآخر أمنية انسانية لا وجود
لمخلوق الا بسببها ولا شرف الا منها ولا حياة الا برنجها وهي
قضية الوطن وروحته التي غدر الدهر فسلبها من أبنائه وأفلاذ
اكباده??

فأذا ن هذا الجمع تسمع بكل تشوف وشغف وعيونه تبصر
بسرور وارتياح وقلوبه تجدفي قول الخطيب دواء جرورها
وشفاء من آلامها وتأمينها على شكواها

الحجة على سالب الحق المقدس أن تكون الصراحة على رأسها
وأول ما يجب في تأييدها. لأن صفات المراوغة والخداع والمكر
التي تطلب عدم الصراحة لا تكون من صفات عظيم يدراً تهمة
أو يشرح جريمة شاهد وقوعها العالم بأسره ولها نص صريح
بين المتعاقدين . وحكم عدل... بين تضاعيف القوانين . كذلك
الذي يدافع عن قضية شعب بأسره اغتال محتله اغتيالاً مرافق
حياته وحرمة من السيادة في بلده بما حث فيه من يمين أو نقض
من عهد في حاجة إلى هذه الصراحة لأن خدمة الاوطان
ليست إلا أحد مظاهرها . وإذا كان هذا حالها فكيف اذا
لا نعترف بأنها من أكبر صفات عطاء الرجال ??

وأما قوة الخطابة ففضلها واضح وضوح الشمس في رابعة
النهار لأن هذه الهبة الالهية الكبرى التي هي ليست مما يطمع
فيه كل واحد عون من أعوان التأثير في القلوب وغذاء من
أقوى أغذية النفوس . فالخطيب القوي بلسانه وبيانه العالي بصوته
وبرهانه الحق بحجته . الجريء بقلبه المحبوب بنعوته النصيح بلغته
يلعب من قلوب سامعيه في ساعة مالا يبلغه قلم سيال في أشهر وأعوام

نعم ان سرعة الخاطر هي أس السعادة لمن وهبه الله
اياها . ولو اطلع المشتغلون بأية مسألة عمرانية كانت أو مالية
أو سياسية على أسرار التوفيق الذي يبعثه الله لمن يختصهم بتوفيقه
لسرعة خاطرهم وتصيدهم الفرص في حينها لعرف أن انتصار
الدول على الدول والاسواق على الاسواق ليس الا من هذه
الهبة الكبيرة هبة سرعة الخاطر

وأما الصراحة في القول فهي ألزم للعظيم الذي وقف
وقفه الاسد أمام خصمه دفاعا عن حق اغتصب أو ميراث
سلب أو أموال نهبت أو ضياع اغتالها مغتال . لأنها أقوى
حجة من حجج الحق وأشفى بلسما لكشف سيئات الخصم
والافصاح عن سوء طويته وحنثه في يمينه وقسمه

ورب قائل يقول ان السياسة تقضى بالمداراة وما كل
حقيقة يصح أن تقال . نعم ان هذا رأي صحيح من بعض
الوجوده ويجب العمل به في بعض الاحوال التي يدبر فيها عمل
للاتتقام من خصم بحيث لو افتضح ضر ضررا بليغا بما يحدثه
من رد الفعل وسوء العقبى . ولكنه من الضروري عند اقامة

تزور المرء ولو مرة واحدة في العمر فإن وجدته أهلاً لها
بأن أكرم مثواها واستقبلها استقبال العارف قدرها سكنت
بجانبه وكانت طوع يمينه ما دام حياً حتى يمتد ظلمها من بعده
على أهله ومن اشترك معه في العمل من بني وطنه . وإن لم
تجد أهلاً لها دخلت من الباب اليوم وخرجت من النافذة
غداً

فسرعة الخاطر هي التي تميز في الغالب عمل زيد عن
عمرو لأن من الناس من تمر أمامه حادثات لو عرف كيف
يستخدمها لأصبح من كبار الأغنياء . ومنهم من يلهمه الله
فكرة لو عمل على تحقيقها ونشرها لعم عبير اسمه الآفاق
وتحدثت الناس به في كل مكان . وتلك الفكرة كالخترع
مفيد أو استكشاف جليل . ومنهم من يتوقف نصره على
عدوه في ميدان الضرب والنضال أو المناقشة والجدال على
خاطر صغير يمر بمخيلته فيضم بتنفيذه أملاً كما واسعة خريطة
بلاد فضلاً عن صيانة هذه من تهديد العدو ووقوعها في
الخطر عاجلاً أو آجلاً

حب البلاد الذي سكن فؤاده وانطبع على حواسه يدفعه الى مواصلة العمل لنيل أمنيته . فهو لا يدع عملا لغد ولا يترك فرصة تمر حتى يستفيد منها ليكون مثال الجد في كل حركاته أمام من هم حوله ممن يمدونه في عمله حتى اذا أصابه مرض قوي على احتماله وثابر على الكفاح لئلا يستولى اليأس على قلوب من يستمدون نور روحه في سبيل خير جهاد اذا غلب سقمه عزيمته

أما سرعة الخاطر والعلم الصحيح فكلاهما مرتبطان بالآخر غالبا . والاول هبة يهبها الله من أعده لعظائم الامور والثاني مكتسب لا يناله المرء الا اذا كد ليل نهار للحصول عليه وارتشف من منهله العذب فأخذ باللباب دون القشور حتى يهابه الجاهل ولا يستخف به العالم فيتخلص عنه ظل المنقصة ويقرب من الكمال الذي هو شارة العطاء ورداء الكبراء وسرعة الخاطر هبة اذا وهبها الله امرأ ربح منها ربحا كبيرا لان السعادة ابنة المصادفة وليست هذه الا توفيقا يناله المرء من سرعة الخاطر . فالسعادة بكل معانيها لا بد أن

لها واجبا وأحسنت عملا عادت الى مكانها الاول لتلقي جزاء طيبا من ربها يوم يبعثون

وإذا كان السعي في خدمة الوطن من أول وجود الخير فكذلك يجب على الرجل العظيم أن يكون باراً بأهله وعشيرته مؤلفاً بين قلوبهم خاطباً ودجامعتهم . فقلبه الذي امتلأ بالتفاني في اعزاز البلاد وسمو قدر الأمة يجب أن يكون شقيقاً بالفقراء واليتامى داعياً الأغنياء والموسرين للاتفاق في سبيل تعليمهم وتشريف عقولهم وتذليل مرافق الحياة أمامهم لان الفقراء هم حملة الاغنياء ان اخلوا بهم يوماً سقطوا من أعلى نعيمهم الى حضيض الفاقة

وان العظيم مع هذا القلب الرحيم بالمساكين وأبناء السبيل يتحتم عليه أن يكون شديد البطش بالخائنين والمنافقين حتى لا يتسرب فعلهم الى القلوب فيكسرها والشعور الحي فيضعفه

أما النشاط في العمل فهو أول الضروريات للرجل العظيم لأنه يلازم الارادة والاعتماد على النفس ولان وازع

مقيم . فالخيانة شيطان الفساد ولا يكره الله مخلوقاً أكثر مما يكره خائناً خلق من طين وهو يقول أنه خلق من نار ان الخائن الذي يدعي أنه من عطاء الرجال في خدمة الاوطان لا يلبث أن يفضح سره بسلاحه لان خدمة الاوطان تتطلب الامانة ولا يحمل جوف قلبين ولا يبي قلب نقيضين فتبا للخيانة وتعسا للخائنين !

والسعي في الخير أول نعت من نعوت العطاء الذين يخدمون بلادهم وليس هناك خير أغزر مورداً وأعظم قدراً من محبة الوطن . لانه الميدان الذي بذرفيه ذلك العظيم بذره فترعرع فكان شجرة مباركة تهدي الناس أحلى الثمرات ذرقا وياً كلون . وتنتشر ظلها الوارف فيها يستظلون . هذه الأرض المقدسة التي لو حملت أجزاءها لكان له في كل ذرة منها ميراث كبير هو عظم آباءه وأجداده الأولين

هذه الأرض التي لو بكت لا بكت الوطني . ولو ضحكت لأضحكته . فشرها شره وخيرها خيره . فهي أمه وأبوه وبنوه بل هو قطعة منها قامت لتدفع عنها الضر حتى اذا ما أدت

وأرواحهم قبل أن ينزل عليه الوحي فكان نعم الأمين إذ حفظ
الأموال في تجارتهم بل زادت ونمت ورد اليهم أولادهم
وأمن على أرواحهم بروحه فكان بشراً سويّاً

هذه الصفة التي نعت بها سيد البشر ورسول الخير حبيب اللّٰم
لا تتصف بها جميعاً لتقرب بيننا وبين أسلافنا مسافة الخلف ونكون
أحب أمة إلى الله ونحن أحق بهذا الحب لأن النعم التي وهبنا
إياها من جمال السماء ونعيم الأرض وعذوبة اللغة وطهارة
الدين الذي هو دينه عز وجل تنادي بأنه تعالي فضلنا على
العالمين واننا أمناء في الأرض على أئمن وأنفس خرائمه

ان الذي لا يكون أميناً يكون بالطبع خائناً. وهو وصف
سوء يهز الجسم اذا اتصل بالأذن هزاً لأن الخيانة أم الغدر
وحيلة الشيطان. ولن يهب الشيطان الناس حلالاً. فهي تمزق
الأعراض وتأكل أموال اليتامي وتبيح الأسرار. واذا
كان الأمين يحسن إلى الناس بامانته مرة فالخائن يسيء اليهم
آلاف مرات والوطن في قبضة يده فان خان سلمه وأصبحت
الأمم المقبلة بلا ذنب جنته ولا جرم أته في ذل دائم وأسر

تكون فيهم لأنّها فضيلة كبرى . وما بعث الرسول الا ليكون ملقن فضائل ومبدد رذائل . وقد وجب أن يتحلي بها كل امريء وخصوصاً العظماء لأنهم منفذو ما بعث الرسول لأجله

بعث الله فينا الرسول بدين الهدى والحق ليهدي الى الرشد . والهّم الرجل العظيم ان يتمسك به ويحض الناس عليه والعمل بعظاته وأوامره حتى لا تهضم الامم حقوق الامم ولا يغتال الفرد حياة الفرد قولاً وفعلًا ويكون عباد الله اخواناً فالأمانة صفة كلها نور وجلال من اتصف بها كان قلبه نقياً لانه اذا اوثمن على سر أسرايه فلا يفشيها ولا يذيعه واذا اوثمن على مال حافظ عليه ولم يمسه بسوء واذا اوثمن على عرض كان عليه حارساً أميناً وجندياً مدافعاً وليس أشرف من رجل يسر الاسرار ويرد الأمانة الى أهلها ويحفظ الانساب بعهد الله فيكون من عباده المتقين

سمي النبي عليه الصلاة والسلام بالأمين لأنه مصدر الامانة المبارك فقد ائتمنه العرب على أموالهم وأولادهم

ويؤذي سيرته . بل الصادق هو خادم أمين من خدام الطبيعة
لانه لا يغير معالم مارأي أو سمع أو عمل سنة الله ولن تجدل سنة
الله تبديلا

هذا قليل من كثير من أمر من يصدق في عمله وقوله .
لان الكذب عار كبير وقد ذكره الله في كتابه الحكيم
مقرونا باللعنة الى يوم الدين . فالكاذب لا يكذب فقط على من
حوله من الناس بل يكذب على الله وبنيه وملائكته ورسله
فيبدل القرآن اذا أراد ويختلق الأحاديث اذا شاء ويتخذ من
نفسه الها ومن غروره نبياً ومادري أن الكذب من عمل
الشیطان وهو مغضوب عليه وماواد جهنم وبئس المصير
ان الكاذب يكذب أيضاً على الوطن وبنيه وليس
بأوقع من رجل حشر نفسه في زمرة العطاء ليعخدم وطناً
ويرقى أمة ويكسر قيود أسروسلاحه الكذب لأن الكذب
خيال وخدمة الوطن حقيقة وهما ضدان لا يجتمعان وخصمان
لا يتفقان

والامانة من صفات الرسل والأنبياء وقد حتم الله ان

لا يدري خسار كبير . لان من يضع يده في الماء ليس كمن
يضع يده في النار

ماحك جلدك مثل ظفرك فتول أنت جميع أمرك

والاعتماد علي النفس دليل الشعور الكبير وعنوان الفخر
الدائم لمن اتصف به لانه يدفع الانسان الى البحث فيقف علي
دقائق الأمور وأسرار الكون ويرشده الى وجوب السعي
فيكون سيد نفسه عزيزا في قومه لافضل لاحد عليه . وكفى
أن يكون الاعتماد علي النفس قوة من قوي الخالق التي ينفخها
من روحه في نفوس عظماء الرجال

والصدق من أجل الصفات لأنه ميزة الأنبياء وخلة
الاتقياء ومهابة العظماء وهو مجلبة النجاة ودليل الحق ورسول
الحب والتآلف بين عباد الله . فبه تعم الثقة بين الناس وتسهل
المعاملة وتقل الجرائم . لان الرجل الصادق يتحاشى ارتكاب
ما يشين خوفا من الاقرار بالحق اذا وقع في الاثم يوماً .
فالصادق في قوله لا يشرب الخمر ولا يلعب اليبس ولا يأتي
فاحشة لئلا يسأل من أين أتى وماذا عمل فيهلك ستر سمعته

وتسكنهم مكانة علياء هي الصنفة التي يجب أن تكون أمامنا
في كل وقت والتي يجب أن نحتمل علي إيجادها لتكون أول
نعت من نعوتنا بل وقوام دمائنا حتى نبني عليها مافاتنا ونعز
أبناءنا بوطن عالي الذري سامي المقام

هذه الإرادة هي التي لو سكنت جسم فرد لا أصبح عدة
أجسام. ومهما صادف في طريقه من عقبات ترجعه إلى الخلف
مرة فإن الإرادة تدفعه إلى الأمام مرات فلا يجد في طريقه
صعبا. بل يصبح شجاعا غيورا ومقداما عاملا ويكون مثله
كمثل الماء لا بد أن يفتح له مع الأيام طريقا مهما كانت
شدة صخره وقوة مادته

وكذلك الاعتماد على النفس من أكبر صفات العظيم وهو
يلزم الإرادة بل هما توأمان. وأنه إذا كانت الإرادة ما ذكرنا
فإن الاعتماد على النفس هو أن يضع المرء نموذج عمله بنفسه
غير معتمد إلا على عضد الله. وعليه أن يراقب هذا العمل
مراقبة الساهر عليه. وإلا فإنه لو فكر وترك الأمر لغيره
بلا مراقبة منه توأسيه وتتعد أصلاحه لأصابه من حيث

الحركة وأصبحوا لا يقوي أحدهم على أن يبرح مكانه أو ينقل قدمه حتى يأتيتهم مصباح هدي يهديهم الصراط المستقيم نعم هذا شأن عظماء الرجال الذين وهبهم الله ما ذكرنا من الفضائل

لأن الارادة رأس العمل فلا حياة الا بها وقد اتفق العالم الحكيم قديمه وحديثه على أن الارادة هي القدرة . فان أردت قدرت . وليس الغرض من الارادة أن يقلب المرء وجه البسيطة أو يبدل الارض بالسماء بل الارادة فيما يكون من قدرة البشر عمله والقيام به . والدافع الى الارادة الرغبة في العمل والاخلاص في محبة الأوطان . فالذي يشعر ان عليه لبلاده واجبات يتحتم على مروءته وشممه ووفائه بالحقوق أن يقضيها: يري على الدوام في نفسه ميلا لمعاونتها والوقوف في وجه الطامع فيها الهادم كيانهما الضارب بين أرجائها بمعول الجهل والدمار

فهذه الارادة الحديدية التي تظهر على محيا عظماء الرجال وتدفعهم الى العمل لسمو الأوطان فتزلهم الأمم منزلة شماء

استعبادها واحلالها المكان الاول بين الامم والشعوب
الا عدة كالتى يحملها محرر أمته بالسيف واراقة الدماء . لأن
كليهما جندي ولكل ميدان عدة . فالبنديقة ورصاصها والسيف
وحده والرمح وسانه والمدفع وقنبلته وغيرها من القوي المدمرة
المبيدة للامم ليست فى الحقيقة الا أسلحة فى يد الفارس الفاتح
كما أن تلك الفضائل ليست الامعدات أقوى من الاسلحة
فى نفس قائد الشعور . لان المعدن بائد والشعور باق . والعرض
زائل والجوهر ثابت . وفى الاول ولو أنه أصدق من الثانى
فى سرعة الإنجاز خطر كبير من خشية رد الفعل . أما الرقى
من طريق احياء الشعور فلم يقل أضعف الناس عقلاً أنه خطر متى
كانت عدة محييه ماذ كرناه من الفضائل

وليس عظماء الرجال من طينة تخالف طينة البشر . ولكن
روحهم تمتاز عن غيرها نورا وطهرا . وليس مثل روح الرجل
العظيم بين أرواح اخوانه الا كمثل مصباح فى وسط قوم
يستضيئون بضوئه فيصرون به ماحولهم من طيب وخيث
فاذا اختفى حلت بينهم الظلمة محل النور والسكون محل

الا بتأثيرها . فمثل النجوم التي تكتسب ضوءها من القمر
كمثل قلوب بشرية اجتمعت حول رجل عظيم .

وعلى ذلك وجب أن يكون العظيم حاملاً قلباً كبيراً
وفوقاً حساساً ذا شعور عديم المثال حتى يكون ذا سلطان
فعال وسطوة نافذة علي مواطنيه . ولما كانت الفضائل هي
أساس الوطنية الصحيحة التي علي منوالها تنسج محبة الأوطان
كان قلب الرجل العظيم في أشد الحاجات لأن يتحلي بها
حتى لا تنفر منه قلوب مواطنيه اذا حلت الرذيلة محل احداها
وهذه الفضائل كثيرة نذكر منها قوة الارادة .

والاعتماد علي النفس . مع الصدق والشجاعة والامانة . والسعي
في الخير . والنشاط النادر . وسرعة الخاطر . مع العلم الصحيح
وقوة الخطابة مع الصراحة التامة . والافصاح بلغة صحيحة
سهلة مؤثرة

هذه هي الفضائل التي اذا اجتمعت في شخص فر اليأس
من وجهه ولازمه الثبات ملازمة الظل للشبح وهي ليست
بلمن يكون قائداً سلمياً في ميدان العمل لرقى أمته وفك قيود

حساسة تدرك ماهية حب البلاد وتضحى كل نفيس في نصرتها
لهو في مرتبة أجل وأسمى من مراتب عطاء الرجال وهو
الخليق ولا نكران لفضل أولئك أن تسير بعظمته الأمثال
لأن من يعتمد على النار والحديد في تحرير بلاده إنما
اعتمد على القوة الساحقة بصواعقها المبيدة على ما استدعي من
أراقة دماء بريئة ربما ذهبت دون الوصول إلى الاستقلال
المحبوب والحرية المنشودة وربما التوي عليه القصد وانعكست
النتيجة فكانت جريمة لا تغتفر

أما ذلك الذي يعتمد على القلم واللسان فيملي عليهما ما وهبه
الله من علم وبيان يسحر بهما القلوب فيجمعها في قبضته ليصوغ
منها أمة حية راقية فهو أعظم مشيد للمجد فوق أمتن أساس
وكيف لا يكون عظيماً من يملك القلوب؟ وهذه القلوب
هي الحياة مجتمعة وقوة البلاد محتشدة بل هي التي اذاهاجت
سمعنا حامليها زئيراً أقوي من زئير الاساد وهي مصدر كل
حركة ومركز قيادة الأعمال بل هي باعثة النور للحواس
فلا ارادة الا بها ولا عمل الا منها وبالجملة لا حركة تبدو

الاسم ذات شمم و اباة و أن الراية المرسمة على فؤاده والتي
إذا أبصرها حن اليها حبا واحتراما والتي يشعر وهي خافقة
فوق رأسه أن من نسيجها صيغت الاساطيل ولرمزها خضعت
الجيش: يعتز بالانتساب اليها ويفخر بالوقوف تحت ظلها
أولئك هم عظماء الرجال الذين لو سردنا تاريخهم لضاقت
صحف العالم عن أن تسعها

وليس الرجل العظيم هو الذي يفتح المدائن ويحرر الامة
ويرفع شأن الوطن بالسيف والرمح فقط . بل أن هناك رجلا
أعظم من كل الرجال وذلك هو الذي يفتح القلوب ويرسم
عليها ماشاء من ضروب الوطنية ونعمات محبة الاوطان . ذلك
هو الرجل العظيم بالمعنى الصحيح لان الوطنية شعور كبير
إذا لم تكن الافئدة متشعبة به كان الاحتيال على ادخاله فيها
من أدق الصناعات والوصول الى طبعه عليها مستلزما بذل
أقوى الجهود

فالرجل الذي يستطيع بقلمه ولسانه وما بينهما من هممة
لا تعرف الملل وعزيمة هي أمضى من السيف : أن يكون قلوبا

وليس الرجل العظيم الامن قام بعمل يعجز عنه معاصروه
لقوة ثباته وشدة جنانه فهو مجموعة فضائل في فرد أو نفر
مجتمع في شخص . فأولئك الذين دوخوا الطغاة وفتحوا
الأمصار من عرب وعجم . وأولئك الذين وهبهم الله الذكاء
وآتاهم من لدنه حكما وعلما . وأولئك الذين خلقوا بين أهل
الكهف والرقيم فأيقظوهم من سباتهم وأعادوهم الى الحياة
والعمل . وأولئك الذين وقفوا على أسباب الداء ومواضعه من
أممهم فقدموا لهم دواء كان رحمة وشفاء . وأولئك الذين دفنوا
المنافقين أحياء وشهروا بالخائنين تشهيرا : هم الذين كانوا
عظما وما زالوا كذلك يذكرهم التاريخ الى يوم الدين . لانهم
بعملهم الحميد واخلاصهم الاكيد لبلادهم العزيزة وأممهم المحبوبة
قد علموا الاعقاب حب الدفاع عن الحرية واستقلال الاوطان
ليشيد هؤلاء الابناء على قمة المجد الخالد صروحا من الاخاء
والمساواة لن تغيرها صروف الزمان . ولن تبيدها يد الحداث .
فاذا تحرك أى فرد من أبناء البلاد الى أى مكان . فى أى زمان .
شعر أنه يمثل أمة كريمة عالية الرأس عظيمة الجاه مجيدة

عِظَاءُ الرِّجَالِ

د. س. ل. م. الف. د.

حدثنا التاريخ أن عظماء الرجال الذين بعثهم الله في كل أمة ليرفعوا في العالمين مجد ذكرها. ويقيموا بجهادهم الشريف بناء فخرها. ويهبوها السيادة في ديارها بدفاعهم عنها والذب عن حياضها وهم أولئك الذين خلقوا وبين جنوبهم قلوب لا يرهبها التهديد ولا تعوقها عن خدمة الحق المقدس حق الوطن وبنيه الا وقفه الموت: مصاييح تستضيء الأمام بنورهم بعد الرسل وتهتدي بهديهم وتنسج على منوالهم لأن ما عملوه في حياتهم يصبح عهدا بينهم وبين من يأتي بعدهم

وقد اتخذ رجال النهضة الوطنية والحياة القومية تاريخهم بمصباح هدى يسرون في سناه ونبراسا يضيء لهم طريق العمل والحياة والنجاة

www.alkottob.com



﴿ علي بك فهمي كامل ﴾

﴿ في الخامسة والثلاثين من عمره ﴾

﴿ ولدت في ١٦ شعبان ١٢٨٩ هـ ﴾

فأن امرءاً اجتمعت عليه بوقوع ذلك الخطب العظيم ضروب
الاحن . فقلبه كاد يأكله الشجن . وأعصابه اذا اهتزت دقائقها
بذكرى ذلك الفقيد الأكرم قدمت كان على من . ليس
في وسعه أن يزف اليك خيراً من هذا . فاعف عني وأدخلني
مدخل صدق تحت ظلك الوريث . فأنت أبر من شمل بالرضى
والعطف ابنك الضعيف . شقيق الفقيد
على فهمي كامل

واليك أقدم اليوم سيرة أعماله . لينسج أبناؤك على منواله . وما أنا والحمد لله إلا أحدهم . وجندى من صفوفهم . قد علمنى ذلك الذى هزّ نعيه القلوب فسالت بحباتهن العبرات وأطار موته عن المضاجع الجنوب فكادت تمزقها شدة الزفرات . أن الوطن فوق الرؤوس والهلمات . وأن حياته تندى بالأرواح والبنين والبنات . لأنك حى ونحن مائتون . وأنت سيد ونحن خادمون . وليس أحب الى المرء من وطن هو سيد الأوطان . وأمة هي خير أمة أخرجت للناس من قديم الزمان

نعم اليك أقدم سيرة من عطفتم عليه واستخلصته لنفسك فكان من المصطفين الأختيار . وتركت له الخيار فاختر الموت فى خدمة الديار . انما أرجو منك رجاء ابن جمّ الأمل فى حلم أبيه . بل أتمس منك العفو فأنت خير من يسديه . عسى أن تصفح عنى صفح العفو الرؤوف الكريم . اذا لم أكن قد قمت بكل ما على نحوك من واجبي الخدمة والتكريم . أو ظهر لك اليوم ضعف من فكرى وقلمى . أو نقص من بياني وعلمي .

D1
107
.6
M8A3
V.1=3



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

858138

الحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على سيدنا محمد
النبي الأمين . وعلى آله وصحبه أجمعين .

*
* *

الى الوطن العزيز :

منك أيها الوطن استمدت المرحوم « مصطفى كامل » قوة
الذود عن حقتك المسلوب . وفي حبك الأ كيد والاخلاص
في خدمتك ضحي حياتك الغالية ذلك البطل المحبوب . بل
بين ربوعك نشأ وأزهر وبذر . فرفع ذكرك بما أدهش وبهر .
خلفه أبوان صالحان اليك ينتسبان . وعلماه الدفاع عن
حقوق الأوطان . بما وهباه من دم كله صدق وأمل وأيمان .
عملا لنصرتك . وتفانيا في خدمتك

Mustafa Kamil

مصطفى كامل باشا

في ٢٤ ربيعاً

Mustafā Kāmil bāshā

سيرة وأعماله من خطب

وأحاديث ورسائل

سياسية

وعمرانية

« أحرار في بلادنا

كرماء لضيقنا »

مبد الفقيه

الجزء الأول

﴿ الطبعة الأولى ﴾

﴿ ثمن كل جزء ثمانية قروش صاغ ﴾

« حقوق الطبع والنشر والترجمة محفوظة »

سنة ١٣٢٦ هـ — ١٩٠٨ م 1908-1410

(مطبعة « اللواء » بشارع الدواوين نمرة ٢٩ بمصر)

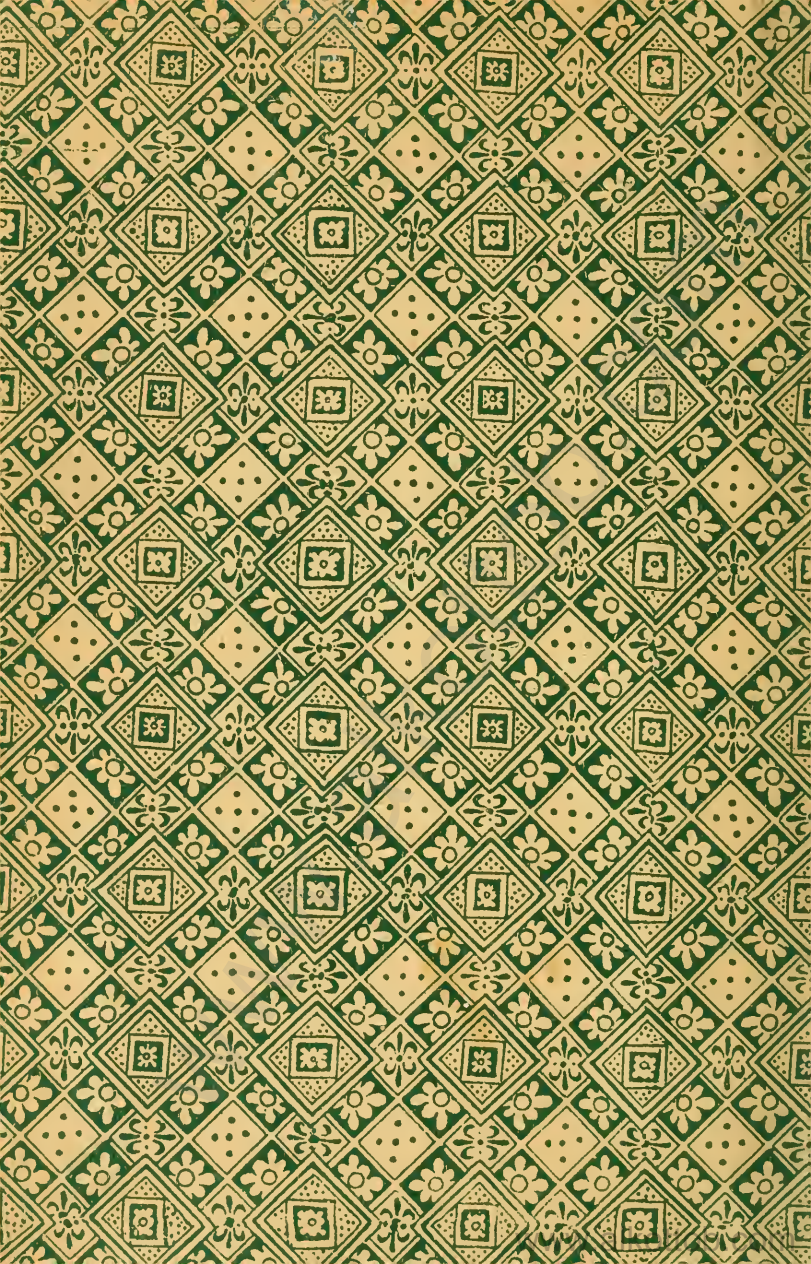


﴿ مصطفى كامل باشا ﴾

﴿ في الثانية والثلاثين من عمره ﴾
﴿ ولد اول حب ١٢٩١هـ في اعطش ﴾
﴿ في ١٨٧٤م وقد في عام لايشه ١٨٨٨م ﴾
﴿ في ١٣٤٦هـ ١٠ فبراير ١٩٠٨م ﴾

www.alkottob.com

www.alkottob.com



PLEASE DO NOT REMOVE
CARDS OR SLIPS FROM THIS POCKET

UNIVERSITY OF TORONTO LIBRARY

DT Muṣṭafā Kāmil
107 Muṣṭafā Kāmil Bāshā
 .6
M8A3
v.1.-3

